(3)

المملكة العربية السعودية
جامعة الملك عبد العزيز

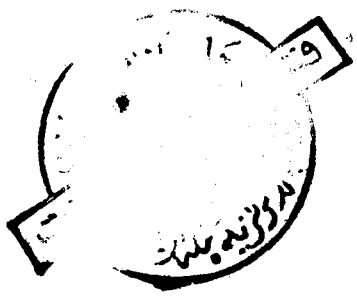

السيوطي

وجهوده في الدراسات اللغوية

٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٢٠٦٠

رسالة مقدمة من:

محمد يعقوب أحمد تركستاني

لنيل درجة الماجستير من قسم الدراسات العليا العربية
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
مكة المكرمة

بإشراف

الأستاذ الدكتور عبد العزيز برهام

١٣٩٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا البحث

موضوعه . منهجه . مصادره

الحمد لله وحده ، لا شريك له ، نحمده ، ونستعينه ، ونستهديه ، ونتوكّل عليه ، ونعوذ به من الهوىٰ والخطل والتّسرع والزّلل ، والتّكلّف لما لا نستطيع ، والعجب بما نستطيع ، ونصلّي ، ونسلّم علىٰ سيّدنا ونبيّنا محمد بن عبد الله ، أفضل خلقه ، وأكمل عباده ، النّاطق بأفصح لغة ، والمبعوث بأوضح بيان ، وعلىٰ آله الطّيّبين الطّاهرين ، وصحبه المصطفين الأخيار ، والدّاعين بدعوته ، أفضل الصّلاة وأتمّ التّسليم . وبعد :

فلعلّ من المفيد ، قبل أن يلتقي القارئ بهذا البحث ، أن نتقدّم له بفكرة مجملة لبعض عناصره العلميّة ، كما عايشناها أثناء إعداده ؛ ليصحب معه تصوّراً عاماً لموضوعه ، ومنهجه ، ومصادره ، وبعض ما اكتنفه من المشكلات .

١ – موضوع البحث :

إنّ المتابع لمسيرة التّأليف اللّغويّ العربيّ ، الذي أسهم بنصيب وافر في تكوين الحضارة الإسلاميّة ، منذ نشأته حتىٰ استوىٰ عوده ، يستطيع أن ينتهي إلى أنّه بدأ – مع الفتوحات الإسلاميّة الواسعة التي استوجبت مخالطة أمم لها ثقافات وحضارات مختلفة تنطق بلسان غير اللّسان العربيّ – بحركة تنقية اللّغة وضبطها وإعجامها ؛ للحدّ من تسرّب اللّحن إليها ، حتىٰ لا يتسرّب إلى قراءة كتاب الله الكريم .

ورافق ذلك كلّه العمل علىٰ استقراء اللّغة ، فقد عمل الرّواة والعلماء ، منذ أواخر القرن الهجريّ الأوّل ، علىٰ تدوين ألفاظ اللّغة عن الأعراب ، بشكل عفويّ بعيد عن التّنسيق والتّرتيب ، حتىٰ إذا اجتمع لعلماء القرون التالية حشد هائل من المادّة اللّغويّة ، مفردات وأمثالاً وأشعاراً ، تلقّفوها وتزيّدوا عليها ، وراحوا ينظمون هذا التّراث اللّغويّ في رسائل صغيرة مبوّبة ذات موضوع واحد ؛ يستقلّ كلّ منها بألفاظ معنىً من المعاني ، أو بجنس من أجناس النّبات أو الحيوان ، ثمّ يجعلون – من هذه الرّسائل وغيرها – كتباً أوسع حجماً وموضوعاً من الرّسائل السابقة ، كمعاجم المعاني الكبيرة ، ومعاجم الألفاظ الجامعة ذات الطرق المتنوّعة .

وحين أحسّ اللّغويّون بأنّهم قد سدّوا حاجة طالب العلم ، أو قاصد العربيّة ، بما صنّفوه من هذه الرّسائل والكتب - اتّجهوا بالتأليف اللّغويّ اتّجاها آخر ؛ وهو وضع كتب تتناول أبحاثا لغويّة عميقة ، فدرس بعضهم - مثلاً - قضيّة الاشتقاق في العربيّة ، وآخرون قضيّة تعريب الألفاظ الأعجميّة ، أو قضيّة التصحيف والتحريف ، أو قضيّة القلب والإبدال ، وغيرها ، ثم حاول بعضهم أن يجمع شتات هذه الأبحاث من أكثر الكتب المتقدّمة ، ويضيف إليها بعض الأبحاث الجديدة ، في مؤلّف لغويّ جامع.

ومع كلّ هذه الجهود الرّائعة ، في التأليف اللّغويّ ، ظلّت الأبحاث اللّغويّة - في جملتها - مختلطة بالأبحاث النّحويّة ، ومبثّة في ثنايا عدد من الكتب ؛ تنتظر اليد الرفيقة التي تطّرح جانباً كلّ الأبحاث النّحويّة التي لا تتعلّق باللّغة تعلّقا وثيقاً ، وتلمّ شعث الأبحاث اللّغويّة ، وتنسّقها ، وتستخرج منها أكرم جواهرها ، ثم توازن بينها وتمحّصها ، وتجدّد درسها ، وتنمّيها بإدخال إضافات وأفكار جديدة عليها .

وكان طبيعيّاً ، بعد ذلك ، لتمضي هذه الجهود التأليفيّة ، في السير صعداً إلى الأمام ، أن يندفع علماء اللّغة عن فكر خصب مستنير ليبذلوا جهوداً شاقّة في دراسة ما أبدعه الأسلاف من معارف علميّة في اللّغة ؛ يتمثّلونه ، ويدفعونه إلى التّجدّد الخصب المنتج ، بعد جمعه وتحقيقه وتبويبه وعرضه على خير وجه ممكن .

ومع إطلالة عصر المماليك ، كانت الظروف مهيّأة - كلّ التّهيّؤ - لظهور بوادر مرحلة التّخصّص في التأليف ؛ فقد عاش معظم رجال هذا العصر ناسكين في محراب العلم ، جعلوا منه صناعة وعبادة وحياة ودنيا وآخرة ، دون أن يشتغلوا بالسياسة ، ولا يستهدفوا رئاسة ، ولا يسعوا إلى زعامة ، فتوفّروا على هضم الثقافة الإسلاميّة وإساغتها وتمثّلها ، بصورة إجماليّة ، ثم مالبثوا أن عكفوا على خدمتها والإبداع في تفريع علومها بالتأليف المنهجيّ الدقيق .

في هذه المرحلة ، جاء السيوطيّ - فيمن جاء - واتّجه بجميع نفسه إلى هذا اللّون من التأليف ؛ فعالج مباحث اللّغة المختلفة ، مجتمعة أو متناثرة ، حتى دنا - دنوّا كبيرا - من نطاق فقه اللّغة ، بالمعنى المتعارف عليه - اليوم - بين الباحثين ، كذلك سلك - في معالجة مادّته اللّغويّة - منهجا استقرائيّاً ، ليقف - بقدر الإمكان - على أصول اللّغة ، ووضعها ، أو على خصائص أصواتها ، وأبنية مفرداتها وتراكيبها ، وعناصر لهجاتها ، وتطوّر دلالاتها .

فخلّف لنا ـ بذلك ـ من الآثار اللّغويّة المتخصّصة مايقف المرء أمامه متعجّبًا لقدرته الهائلة على استقصاء المادّة اللّغويّة ،وغربلتها ، واستخلاص حقائقها الكلّيّة في مصنّفات تعدّ ـ اليوم ـ من أعلى المصادر اللّغويّة،وألصقها بفقه اللّغة الحديث ، وأكثرها دقّة واستيعابًا ويسرًا وإمتاعا .

والبحث الذي نحن بصدده يعالج جهود السيوطيّ في المجال اللّغويّ ؛ وهي جهود كثيرة ومتنوّعة ، إذا قرنت بجهود غيره من علماء اللّغة ؛ فقد استطاع من خلالها أن يشارك ـ بأكبر نصيب ـ في النهضة اللّغويّة ، وحسبه أنّه توفّر على دراسة مايرتبط ارتباطا قويًا بفقه اللّغة ، فأنجز ـ فيما أنجز من كتب اللّغة ـ واحدًا من أغنى الكتب التي عرفتها اللّغة العربيّة ـ حتى الآن ـ في هذا الميدان ؛ ألا وهو كتاب " المزهر " الذي ضمّنه كلّ مايتّصل به ـ في عصره ـ من قريب أو من بعيد ، ودلّ عليه دلالة اختصاص ، فاستقرّت بحوث هذا الميدان فيه ، واستقلّت علمًا قائمًا بذاته ، وبذلك أصبح ـ في مسيرة التأليف اللّغويّ ـ يمثّل ، بحقّ ،دورًا هامًّا من الأدوار التي مرّ بها ، جديرًا بالتسجيل والإشادة ؛ فقد دفع الدّراسات اللّغويّة العربيّة إلى الأمام خطوات فساحا .

وليس هدفنا هنا أن نعرض لجميع الأعمال اللّغويّة في مؤلّفات السيوطيّ عرضًا مسهبا ، أو ندرسها دراسة تحليل ونقد ، وإنّما هدفنا أن نبحث ـ في المقام الأول ـ في هذه الأعمال ، بعد الإلمام بها ، من زاوية دلالتها على خصائص منهج السيوطيّ في التأليف اللّغويّ ، وتصويرها لأوجه البحث في اللّغة عنده ؛ فقد أخذنا ننقّب ونجمع ونفحص ، محاولين أن نصل إلى منهجه اللّغويّ ، وأن نجلو سماته التأليفيّة ، ونقف على مصادره ، ثمّ نمحّص هذه الأعمال ونزنها بميزان النّقد في أناة وريث وإنصاف .

ومع ذلك ؛ فقد استطعنا ـ بحمد الله ـ أن نقف على معظم أعماله اللّغويّة وقفة المتأمّل ؛ التماسًا للفوائد ، واستخلاص النتائج ، على ندرة المطبوع منها ،وشحّ في المعلومات عن المخطوط ، وأن نلمّ ماتفرّق من شتاتها ، وأن ننحّي عنها أوهامًا كثيرة ، وإن بقي بعض الزّوايا المظلمة فيها لم نجد بما تيسّر لدينا ماننيرها به ، فلعلّ الأيّام تكشف من دفائن تراثنا مايلقى الضوء عليها .

ونستطيع أن نوجز الأسباب التي دعتنا إلى اختيار هذا الموضوع وتحديده هذا التحديد في النقاط الآتية :

١ ـ أنّ دراسة هذا الموضوع ـ فيما نظنّ ـ تلبّي حاجة أكيدة لدارسي اللّغة العربيّة والمهتمّين بقضاياها ؛ فالسيوطيّ شخصيّة لغويّة فذّة ، لم تحظ ـ مع شهرتها

الذائعة الصّيت بين المشتغلين باللّغة ـ باهتمام كبير في الدّراسات حتىٰ الجامعيّة ، وماتزال جهوده في الدّراسات اللّغويّة ـ مثل كثير من الموضوعات غير المدروسة دراسة متكاملة ؛ تقوم علىٰ الرّصد العلميّ الدقيق ، والنظرة العميقة الشاملة ـ في حاجة إلىٰ عدد من الرّسائل الجامعيّة العالية ، تكفلها بالبحث والدّرس ، علىٰ نحو علميّ دقيق .

٢ ـ أنّ البحث ، في حدوده تلك ، بالغ الأهميّة في نظرنا ، لأنّه سيلقي كثيرًا من الأضواء علىٰ جوانب مظلمة من تاريخ اللّغة العربيّة ؛ فقد درج القدماء ، قبل السيوطيّ ، علىٰ التأليف في جزئيّات هذا العلم ، علىٰ حين أنّ السيوطيّ قد تصدّىٰ للبحث في كلّيّاته ، فحوىٰ ـ في بعض كتبه ـ ما تفرّق في نحو مائة كتاب .

٣ ـ أنّ الفترة التي عاشها السيوطيّ كانت من أروع فترات الإنتاج العلميّ في تاريخ التأليف عند العرب ؛ ففيها نضج كثير من العلوم ، وتمّ فصل كثير من البحوث التي كانت مشتبكة مع غيرها ، فأفردت في مؤلّفات مستقلّة ، بعد أن بوّبت مسائلها وهذّبت مناهجها .

٤ ـ أنّ السيوطيّ كان يعوّل ، في تأليف كتبه اللّغويّة ، علىٰ أكثر الكتب المتقدّمة ؛ وهي لا تخرج عن اثنين : كتب موجودة توفّر علىٰ استيعابها ، وكتابة خلاصات وافية لها ، وكتب مفقودة حفظ لنا ما نقله عنها ؛ ليجد طريقه إلىٰ كتب الباحثين .

٥ ـ أن يتاح لنا الوقوف علىٰ ما نسب إلىٰ السيوطيّ من نعوت ونقود تتعرّض لمنهجه في التأليف ؛ فقد شاع عنه أنّه كان وحيدًا بين أصوات المؤلّفين في القرن التاسع ، وأنّه كان منفردًا من بين لغويّي عصره بمنهجه القائم علىٰ الجمع والانتخاب والتبويب ، وعابوا عليه أشياء يشترك ـ في جملتها ـ مع معاصريه . والقائلون بهذا يطبّقون ما أتقنوه من المناهج الغربيّة في البحث العلميّ ، فرأينا أن نستبين الصدىٰ ، ونجلو المذهب ، ونخصّ السيوطيّ بالدراسة لنرىٰ إلىٰ أيّ حدّ كان ، باتساع أفقه وشمول ثقافته وتعدّد جوانبها ، يمثّل علماء عصره .

٦ ـ أنّنا نأمل أن نخرج من هذه الدّراسة بحقائق طريفة ، ونتائج علميّة تكون نافذة نطلّ منها علىٰ كثير من القضايا التي ماتزال معلّقة أو في حاجة إلى بحث ودرس ؛ فنسدّ بذلك ثغرة في ثقافتنا اللّغويّة .

٧ ـ ثم لأنّ دراسة تراثنا اللّغويّ القديم ، في أيّ جانب من جوانبه ، دراسة علميّة حديثة ـ تعين ، دون ريب ، علىٰ كشف صورة من صور حضارتنا ، وما قدّمته في

ميدان الدّراسات اللّغويّة من أبحاث ونظريّات ، وتقفدا علىٰ الأصول التي أقاموا عليها عملهم العلميّ ، وبنوا عليها مناهجهم في تحقيق مسائل العربيّة ؛ لنجاريهم في عناصر القوّة والأصالة ، ونتجنّب مواطن الغميزة والضعف ،إذا كان ثمة غميزة أو ضعف.

علىٰ أنّه كان يمكن لهذا البحث أن يضمّ دراسة هامّة ، ذات بال ؛ هي دراسة " المزهر " ، وإعادة تحقيقه ، علىٰ أنّه جزء من متطلّبات عملنا ، ولكن حال دون ذلك أمران هامّان : أوّلهما — أنّ مثل هذا العمل جدير بأن يفرد له بحث " أكاديميّ " خاصّ حتىٰ يلقىٰ العناية الكاملة ، وثانيهما — وهو الأهمّ ، أنّ المدّة الزمنيّة التي قدّرت لإنجاز هذا البحث ؛ وهي سنتان في الحدّ الأقصىٰ ، لا تتيح لنا الفرصة لأن نستوعب فيها هذه الدّراسة ؛ لأنّنا نحتاج إلىٰ زمن أكثر ، نحصي خلاله نسخه ، ونقابل بينها ، ونخرجه سليماً صحيحاً كما أراده له السيوطيّ ، ونردّ الأصول التي نقلها إلىٰ أماكنها ما أمكن ، ونترجم أعلامه ، ونشرح غريبه ، ونضبط مايحتاج إلىٰ ضبط ، ونخرج شواهده من آيات وأحاديث وأشعار وأمثال .

فدعونا اللّه أن يقيّض له من تيسّرت له سبل البحث ومقوّمات التحقيق ليقوم بهذه الدّراسة خدمة لتراثنا وحياتنا اللّغويّة بخاصّة . فالمزهر المطبوع المتداول الآن في أيدي قرّاء العربيّة لا يصلح لأن يرجع إليه الباحثون ، كما سنبيّن ذلك عند كلامنا عن طبعات " المزهر " .

٢ — منهج الدّراسة :

أمّا منهجنا في البحث ؛ فقد انتهينا إليه بعد تأمّل وتدبّر شديدين في طبيعة جهود السيوطيّ اللّغويّة ؛ ولذلك نعتقد أنّ سلوكنا هذا المنهج قد أتاح فرصة الكشف عن هذه الجهود ، ثم تقصّيها ، وتعمّق سماتها وتتبّعها في هذه الجهود ، وكان ذلك معواناً لنا علىٰ الدّراسة الموضوعيّة ، ومساعداً علىٰ إطلاق بعض الأحكام في ثقة واقتناع .

وقد أدّت طبيعة البحث أن يكون في خمسة أبواب ؛ يبدأ بمدخل ، وينتهي بخاتمة ونتائج .

المدخل : قدّمنا بين يدي البحث مدخلاً تاريخيّاً موجزاً ؛ يشكّل الإطار العامّ للحياة السياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة الذي كان يضمّ السيوطيّ ، بين من يضمّ ، فلم نذكر في هذا

المدخل إلاّ مايفيد بحثنا ويلقي الضوء عليه .

وكان لابدّ من هذه الإلمامة السريعة ؛ لأنّ هذه الحياة السياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة كانت ذات أثر فعّال في توجيه حياة صاحبنا وفكره وآثاره ؛ فإنّ الفترة التاريخيّة التي احتوت جهود السيوطيّ كانت معلماً ثقافياً فاصلاً في حياة مصر ؛ ذلك أنّ سيادة المصريّين الثقافيّة ، كما نرىٰ ، قد توطّدت فيها من أثر تضاؤل السيادة السياسيّة والاجتماعيّة ؛ فقد تآمر السلاطين بعضهم علىٰ بعض ، وانشغلوا عن أمور الدّولة بأنفسهم ، وأصبحت الكوارث التي تحلّ بمصر تباعاً دافعاً إلىٰ الانعزال عن الحياة العامّة ، والتفرّغ إلىٰ العبادة أو التصنيف .

وبذلك دفعنا ماشاع عن هذه الفترة بأنّها من "عصور الانحطاط الفكري" ، وبيّنّا أنّ الحياة الثقافيّة في مصر تمثّل — في هذه الفترة — فصلاً جديداً بخصائصه ، غنيّاً بمعطياته ، لايخلو من أصالة .

الباب الأوّل : ويقع هذا الباب في فصلين :

الأوّل : في سيرة السيوطيّ ؛ ولم تكن غايتنا ، في هذا الفصل ، أن نترجمه ، وأن نلمّ بجميع جوانبه ، وإنّما قصدنا إلىٰ العوامل التي هيّأت ظهور عالم مثله في هذا العصر ؛ فوقفنا عند أسرته ، ونسبه ، ومولده ، والبيئة التي نشأ فيها ، وشيوخه ، وتكوّنه العلميّ ، ووضعه الاجتماعيّ ، وخلقه ، وخصوماته ، والمرحلة الأخيرة من حياته .

كلّ ذلك ؛ في صورة مختصرة دون أن نخرج عن الموضوع إلىٰ مالا يفيد في إثراء العمل العلميّ .

الثاني : في آثاره العامّة ؛ وقد حاولنا — في هذا الفصل أيضاً — أن نتكلّم عن آثاره العامّة كلاماً مقتضباً ، بقدر مايلقي الضوء عليها وعلىٰ اطّراد منهج السيوطيّ وطريقته التأليفيّة في عموم تصانيفه .

ويقع هذا الفصل في ثلاثة أقسام ؛ هي : طبيعة آثاره ، وخصوبة إنتاجه وتنوّع مناحيه ، وأسباب كثرة مؤلّفاته .

الباب الثاني : وهو في ثلاثة فصول :

الأوّل : آثاره اللّغويّة ؛ وقد حاولنا — في هذا الفصل — أن نجمع آثاره المتعلّقة بالدّراسات اللّغويّة ، كتباً كانت أو رسائل صغيرة ، ونوثّق نسبتها إلى السيوطيّ ،

ثمّ نتكلّم عنها كلاماً موجزاً ، فنعرّف بها وبما فيها من معلومات مفيدة ، ونشير إلىٰ ما أثارت من نشاط علميّ .

وهي تنقسم إلىٰ ثلاثة أقسام : مطبوعة ، ومخطوطة ، ومفقودة ؛ فإذا كانت مطبوعة ذكرنا عدد مرّات طبعاتها وأسماء ناشريها وتواريخ نشرها — ما أمكن ذلك ، مع دراسة يسيرة لها ، وإذا كانت مخطوطة ذكرنا أماكن وجودها في المكتبات المختلفة بما تيسّر لنا الوقوف عليه بأنفسنا أو من خلال فهارس المخطوطات، وإذا كانت مفقودة عرضنا لما وصل إلىٰ علمنا من وصفها .

الثاني : المزهر في علوم اللغة ؛ وقد خصّصنا هذا الفصل لدراسة " المزهر " ،علىٰ أنّه أنموذج متداول من كتبه المطبوعة ؛ فعرضنا لمادّته ، وأهميّته ، وأثره في الدّراسات بعده من خلال ماأثير حوله من قضايا ومانسج علىٰ منواله أو تأثّر به من كتب ، ثم عرضنا لطبعات الكتاب وبيّنا أنّها سيّئة حتىٰ طبعة أبي الفضل ورفيقيه .

الثالث: ديوان الحيوان ؛ وقد خصّصنا هذا الفصل لدراسة " ديوان الحيوان" ، علىٰ أنّه أنموذج غير متداول من كتبه المخطوطة ، إكمالاً للبحث ، وقد سرنا فيه علىٰ هدي الفصل السابق ، فعرضنا لموادّه وأهميّته وأثره .

الباب الثالث : أمّا الباب الثالث ؛ فقد وقفنا فيه علىٰ منهج السيوطيّ اللّغويّ، وطريقته في التأليف ؛ فأفضنا الحديث فيه عن مذهبه المعياريّ والمؤثّرات الفقهيّة والحديثيّة في معالجته الموضوعات اللّغويّة المختلفة ، وتفكيره المنظّم ، وطريقته العلميّة المحدّدة في معالجة القضايا التي يعرض لها وتمكّنه منها ، وعرضنا لمنهجه وموقفه من الموضوعات التي يعالجها ، وتكلّمنا عن أصالته في هذا المنهج ، وفي تصوّره المباحث اللّغويّة ، والاعتبارات التي وضعها لنفسه حال دراسته هذه المباحث ، ووقفنا عند مذهبه النّحويّ وميله إلىٰ نحو البصريّين وصدوره عن مناهجهم والمبالغة في تحكيم أصولهم في اللّغة .

وينقسم هذا الباب إلىٰ ستة أقسام ، تمثّل أهمّ السّمات التأليفيّة في اللّغة عند السيوطيّ ؛ وهي : استيعابه ، ودقّته وسهولة عرضه ، ومحاكاته طريقة المحدّثين والفقهاء والأصوليّين ، وإعماله الفكر ، وأمانته العلميّة وتحرّيه ، وإيثاره المذهب البصريّ علىٰ الكوفي .

وانتهينا إلى أنّ للسيوطيّ منهجاً خاصّاً وطريقة في التأليف ، كما أنّ له آراء لا تقلّ أصالة عن جمهرة الآراء التي تابع فيها المتقدّمين وأخذها عنهم أخذاً فيه إدراك وحسن اختيار .

الباب الرابع : وهو في فصلين :

أولهما : في أهمّ مصادر السيوطيّ الأساسيّة في اللّغة ؛ وهي الكتب اللّغويّة التي عوّل عليها تعويلاً كبيراً في تأليف كتبه في اللّغة ؛ فتردّدت أسماؤها وتسواردت نصوصها في كتبه ؛ بحيث أصبحت تشكّل معيناً خصباً لدارسيها في حال غياب أصولها .

ولمّا كان لهذه الكتب هذه الأهميّة ـ رأينا أن نعرض لها بالدّراسة الموجزة ؛ لنقف ، من خلالها ، على موضوعها ومنهجها وطريقتها أولاً ، ثمّ على طريقة إفادة السيوطيّ منها موضوعاً ومنهجا .

ثانيهما : في أهمّ مصادر السيوطيّ الثانويّة في اللّغة ؛ وقد اكتفينا ، في هذا الفصل ، بذكر أهمّ المصادر الثانويّة في اللّغة عند السيوطيّ ، والتعريف بها ، اعتماداً على ما مرّ في الفصل الأوّل .

الباب الخامس : أمّا الباب الخامس ؛ وهو في النقد والتقويم ؛ فقد وزّعناه في ثلاثة فصول ؛ تناولنا في أولها : آراء القدماء والمحدثين في السيوطيّ بين مؤيّدين ومعارضين ؛ فعرضنا لبعض تقاريظ المتقدّمين وثلبهم إيّاه ، ثمّ عرضنا لبعض نقود المتأخّرين العادلة منها والظالمة .

وناقشنا ، في الفصل الثاني ، بعضاً من آراء الدّارسين المعاصرين ممن أطالوا الثناء عليه ؛ بحيث جعلوه خلواً من كلّ عيب ، أو انتقدوه وراحوا يطيلون الطعن فيه ؛ بحيث جعلوه خلواً من كلّ فضل .

أمّا الفصل الثالث ؛ فقد أفردناه ليكون موقفاً نقديّاً خالصاً من منهج السيوطيّ في التأليف اللّغويّ ، فذكرنا فيه ما أخذناه عليه من هنات .

الخاتمة : ثمّ كانت الخاتمة تلخيصاً أميناً لعملنا ، وإبرازاً لأهمّ نتائجه التي توصّلنا إليها .

٣ ـ المصادر والمراجع :

كانت قصّتنا مع المصادر من الصّعوبات التي لاقيناها في بناء بحثنا متدرّجاً متماسكاً ؛ فقد حاولنا جهدنا أن نجعله صورة لوحدة عضويّة نامية ، وكان أشقّ ما عانيناه كون هذا البحث ، في بنائه العامّ ، جديداً نحاول رصف لبناته أوّل مرّة ؛ فإنّ المادّة مبعثرة في كتب السيوطيّ ورسائله اللّغويّة ، كما هي مبعثرة في كتبه الأخرى التي وضعها

في علوم القرآن والحديث والفقه والأدب والبيان والبديـــع .

وزاد في هذه الصّعوبة أنّنا لم نجد من المعالم مايهدينا إلىٰ الجادّة ، نعـني أنّه لم تكن هناك دراسة سابقة موجّهة تعيننا علىٰ تتبّع المصادر المفيدة . وكم مـــرّة حسبنا أنّنا ، من وقوفنا علىٰ بعض الدّراسات والأبحاث اللّغويّة الحديثة ، نفوز بشيء ينير لنا الطريق ، وكنّا نخرج منها صفر اليدين .

زد علىٰ هذا و ذاك أنّ السيوطيّ قد خلّف لنا آثاراً لغويّة كثيرة ، وأنّ مانشر منها لا يمثّل عشر المخطوط بحال ؛ فإنّ أكثرها مايزال مخطوطاً تحتفظ به خزائن الكتـب بعيداً عن الأيدي والأعين ، وقد واجهتنا صعوبة بالغة في الحصول علىٰ مايفيد بحثنـا منها في المكتبات المختلفـــة خارج المملكة وداخلها ؛ فقد حاولنا جهدنا أن تتصـل هذه الدّراســـة اتصالاً وثيقاً بـالمصادر الأصيلـــة ؛ لكي تكون أشدّ إلماماً بالمنهـــج العلمـــيّ .

أمّا المراجع اللّازمة والدّراسات الحديثة التي رأينا ضرورة الاستئناس بها في عملنا ؛ فقد اعتمدنا منها الموثوق به الذي اتخذ سبيله ليكون عمدة الدّارسين والباحثين ، غـير أنّ الأعمال " الأكاديميّة " المتصلة ببحثنا من قريب أو من بعيد ، فقد كان حصولنا علـىٰ معلومات ، وافية عنها جميعاً أمراً يكاد يكون مستحيلا .

مثلاً ؛ كتب أستاذنا الدكتور عبد العزيز برهام إلى الدكتور عبد الهادي الفضلـي في القاهرة يستخبره عن رسالة تلميذه الأستاذ عبد الحميد أحمد حمّاد " منهج النّحـــاة في ضوء كتاب الاقتراح للسيوطيّ " التي كان قد تقدّم بها لنيل درجة الماجستير من كليّـة دار العلوم بإشراف الدكتور تمّام حسّـــان ، ويبدو أنّه لم يتمكّن من الإجابة عن رســالته لسبب أو لآخر .

وكتبنا إلىٰ الدكتور تمّام حسّان ، وكان قد انتدب للتدريس بكليّة الآداب بجامعة محمد الخامس بالرّباط ؛ نسأله عن هذه الرسالة التي أشرف عليها ، وإمكان الوقوف عليهـا أو الحصول علىٰ معلومات وافية عنها ، فأجاب مشكوراً يعتذر — في رسالة خطيّة — بـــأنّ رسالة الطالب اللّيبيّ ليست تحت يده في الوقت الحاضر ، ولذلك لم يتمكّن من إفادتنـــا بشيء .

ثمّ ؛ بعد أن قطعنا شوطاً في البحث ، أخبرنا الدكتور مجاهد الصّواف بـــأنّ الدكتور عدنان محمد سلمان الأســـتاذ المساعد في كليّة الآداب بجامعة بغداد كان قـــد اشتغل في " السيوطيّ النحويّ " بإشراف الدكتور شوقي ضيف ؛ لنيل درجة الدكتوراه مـــن

كليّة الآداب بجامعة القاهرة ؛ فأرسلنا إلىٰ الدكتور عدنان في جامعة بغداد في طلب الوقوف علىٰ ملخّص لهذه الرسالة ، ثم تصادف ـ في هذه الأثناء ـ أن قدم الدكتور إلىٰ مكة المكرمة ؛ فالتقينا به ؛ فزوّدنا بفكرة مفصّلة لعمله في الرسالة ، ولم يبخل علينا بملاحظاته وإرشاداته وتشجيعه .

وفي رحلتنا الأخيرة إلىٰ المغرب ؛ التقينا بعدد من الأساتذة الأفاضل ، من بينهم الدكتور عبد السلام الهرّاس الذي يشرف علىٰ رسالة تلميذه الأستاذ أحمد الإدريسي في تحقيق كتاب " الاقتراح " للسيوطيّ ؛ وهو الكتاب الذي أشرنا إلى أنّ الأستاذ عبد الحميد حمّاد اتخذه موضوعاً لرسالته ، والأستاذ أحمد الشرقاوي إقبال الذى يعمل علىٰ فهرسة كتب السيوطيّ في مختلف الفنون ، ولضيق الوقت لم نتمكّن من الوقوف علىٰ شيء من هذين العملين هناك ؛ وإنّنا لسيّئو الحظّ إذ وعدنا الأستاذان بالكتابة إلينا في شأنهما ، ويبدو أنّهما لم يتمكّنا ـ حتىٰ الآن ـ من إنجاز وعدهما .

ومع أنّنا كنّا قد أرجأنا إنهاء جانب من عملنا ، بعد أن احتفظنا بكامل البحث ، قبل تقديمه في صورته الأخيرة ، مدّة طويلة ؛ لنتمكّن من الحصول علىٰ المهمّ منها ، في الأقلّ ، ثمّ يئسنا بعد كلّ ماتقدّم ، فعدنا إلى المتيسّر عندنا ، وأكملنا البحث ، إلاّ أنّنا لا ننسىٰ فضل أصحاب هذه الأعمال ـ ممن التقينا بهم ولم نلتق بعد ـ في بحثنا هذا ؛ فقد كان لهم فائدة لا تجحد ؛ إذ أعانونا علىٰ المضيّ في بحثنا بما أسدوا إلينا من نصائح عمليّة مفيدة ، وسدّدوا من خطواتنا بالتقويم ، ودلّونا علىٰ مصادر قديمة ومتأخّرة كان يصعب علينا معرفتها .

وسترد ـ في نهاية الرسالة ـ جريدة المصادر ، مع معلومات وافية عنها .

هذا ، وقد رجعنا في الوقوف علىٰ الأعلام الوارد ذكرهم في الرسالة إلىٰ كتب الطبقات والتراجم ، وأخذنا نترجمهم تراجم مختصرة ، سلكنا فيها طريقة خاصّة ؛ فما كان من الأعلام بحيث لا يجهله أحد ؛ كأبي بكر الصّديق ـ رضي اللّه تعالىٰ عنه ـ مثلاً ، أو كان نبيّاً من أنبياء اللّه المرسلين كيعقوب ـ مثلاً ، اكتفينا بالإشارة إلىٰ الصفحات التي ورد فيها ذكرهم ، ومن كان منهم ذا شأن خاصّ في بحثنا ، مثل بعض شيوخ السيوطيّ أفضنا في ترجمتهم بعض الإفاضة ، أو أحلنا علىٰ الكتب التي ترجمتهم .

وقد جعلنا هذه التراجم مرتّبة علىٰ الحروف ، وذيّلنا بها الرسالة ، ولم نبعثرها في حواشي الصحف ؛ فنترجم العلم عند أوّل ذكر له في البحث ، ثمّ لا نعيد ، علىٰ ماجرت به عادة الباحثين ؛ لأنّنا رأينا ذلك أرفق بالقارىء من جعلها مبعثرة في الهوامش ،

فتشتّت ذهنه ، وربّما لم يكن لبعض القرّاء في بعض هذه التّراجم حاجة.

على أنّنا لم نذكر في هذا المسرد سوى أسماء الأعلام الواردة في متن البحث، دون حواشيه .

* * *

وّاعترافا بالجميل ، لا يفوتنا — في ختام هذه العجالة — أن نتقدّم بكلمة مودّة وّامتنان وتقدير لأستاذنا الكريم الدكتور عبد العزيز برهام ، لإشرافه على هذا البحث، ولما حبانا به من عطف سخيّ صادق ، ورعاية أبويّة حانية ، ولما قدّم لنا من وقته وعلمه وخبرته وسماحة نفسه في كلّ الفترات التي قطعها البحث ، ما أعاننا على بلوغ كثير ممّا كنّا نهدف إليه في هذه المرحلة من دراستنا ، ولقد كان لدقّته العلميّة البالغة ولمنهجه الصّارم في البحث ولإرشاداته وتوجيهاته التي لا تحصى أبلغ الأثر في عملنا بهذه الدّراسة وفي حياتنا العلميّة بعامّة .

وكلمة أخرى شاكرة عارفة لجميع الذين شجّعونا في عملنا ، وهو مايزال في دور التكوين ، وأعانونا بنصائحهم القيّمة ، وأسدوا إلينا جميلاً فيه ، وأمدّونا بكثير من الأفكار — حتى خرج بهذه الصورة ، وفي مقدّمتهم الأساتذة : الدكتور ناصر بن سعد الرّشيد ، الأستاذ المشارك بقسم الدّراسات العليا العربيّة بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة ، والدكتور محمد حسن باكلا ، الأستاذ المشارك بكليّة الآداب بجامعة الرياض، والدكتور رمضان عبد التّواب ، أستاذ فقه اللّغة بكليّة الآداب بجامعة عين شمس ، والدكتور عدنان محمد سلمان ، الأستاذ المساعد بكليّة الآداب بجامعة بغداد .

وبعد ؛ فلسنا ندعي أنّنا توصّلنا إلى شيء من الكمال في عملنا ، فما أبعد ذلك من جهود بني الإنسان ، ولكنّنا نرجو اللّه تعالى أن نكون قد وفّقنا — بالقدر الممكن — لجعل هذا البحث وافياً بغرضه ، ملمّاً بأصوله ، خادماً لتاريخ فقه اللّغة العربيّة " في جانب من جوانبه الكثيرة .

والحمد للّه في البدء والختام.

مدخل البحث

عصر السيوطي

توطئة

يقولون : إنّ آثار الرجل العلميّة ثمرة طبيعيّة لعاملين،هما : بيئته،وشخصيّته ، وما يكون بينهما من تفاعل [1] .

ولمّا كانت آثار السّيوطيّ من أينع الثّمرات التي انشقّت عنها مصر ، في فترة بالغة الدّقّة ، في تقديرنا ، ليس في حياة مصر وحدها ، وإنّما في حياة العالم الإسلامي كلّه ـ كان لابدّ ، قبل البدء بترجمته فالكلام عن آثاره هذه ، من أن نلقي نظرة سريعة على الحياة السياسيّة والاجتماعيّة والعلميّة في المجتمع المصريّ ، خلال عصر السّيوطيّ ؛ ليعاون ذلك على فهم ملابسات حياته ، وإيضاح شخصيّته ، ومالها من مميّزات .

تشغل حياة السّيوطيّ الفترة بين ٨٤٩هـ و ٩١١هـ ؛ وهي تقع في عصر المماليك البرجيّة ، وهو العصر الذي غدت فيه مصر ـ كما سنرى ـ قلب العالم الإسلاميّ والثّقافة الإسلاميّة ، تضمّ إلى صدرها ـ في إعزاز ـ كثيراً من علماء الأقطار العربيّة وأدبائها ، بعد سقوط " بغداد " في أيدي المغول ، وسقوط مدن " الأندلس " واحدة بعد الأخرى في قبضة الأسبان .

الحال السياسية

في الوقت الذي كانت فيه الخلافة العباسيّة تلفظ آخر أنفاسها في "بغداد" ، قامت في "مصر" دولة المماليك [2] ، وعملت من أجل توطيد حكمها على إضفاء صفة الشرعيّة على ولايتها ببعث الخلافة العباسيّة من جديد .

ودولة المماليك [3] هي إحدى الدول التي حكمت مصر في الحقبة الممتدّة من سنة

---

(١) انظر : أصول النّقد الأدبيّ ـ للأستاذ أحمد الشايب : ص٥ (ط مكتبة النّهضة المصريّة ١٩٦٤م).

(٢) يكاد المؤرّخون يجمعون على أنّ هذه الدولة قامت بجارية للسلطان الأيوبيّ الملك الصالح نجم الدّين ؛ وهي "شجرة الدّرّ" التي صارت زوجة للسلطان الملك الصالح ، وتدبير الملك عند غيابه ، ثمّ تولّت السلطنة بعد موته إبّان المعارك الناشبة بينه وبين الافرنج بالمنصورة ، ومقتل ابنه "طوران شاه" على يد جماعة من أمراء المماليك ، ثمّ تزوّجت من أحدهم ، وهو "عزّ الدّين أيبك" ، وتنازلت له عن السلطنة مكتفية بالسيطرة عليه ، انظر : النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة ـ لابن تغري بردي : ٦/ ٢١١ (ط . دار الكتب المصريّة بالقاهرة) .

(٣) وقد كان المماليك في الأصل أرقّاء جلبهم الغاصبيّون إلى مصر ، في القرن الرابع الهجريّ ، ثمّ السلاطين المتأخرون من الأيوبيين ، كي يدرّبوا على الجنديّة ، وخدمة السلطان ، ثم أعتق كثير منهم ، وارتقى بعضهم إلى مناصب رفيعة في الدولة ، انظر : حسن المحاضرة : ٢/ ٣٦ .

٦٤٨هـ إلىٰ سنة ٩٢٣هـ [١] علىٰ فترتين : أولاهما — فترة المماليك البحريّة [٢] ؛ وقد حكمت من سنة ٦٤٩هـ إلىٰ سنة ٧٨٤ هـ ، والأخرىٰ — فترة المماليك البرجيّة [٣] ؛ وقد حكمت من سنة ٧٨٤هـ إلىٰ سنة ٩٢٣ هـ .

ثم سقطت "بغداد" في أيدى المغول بعدما أعطوا فيها القتل والسلب والتمثيل الفظيع ، وبسقوطها زالت الدّولة العباسيّة ، وزالت الخلافة العباسيّة التي عاش في ظلّها العالم الإسلاميّ زهاء خمسة قرون ؛ ولم تعد "بغداد" مركز النور ومعين الثروة والرّخاء وملاذ العلماء .

وفي ظلّ الرّعب الذي أوقعه المغول في نفوس المسلمين في "بغداد" ، واصلوا زحفهم — غرباً — علىٰ بلاد الشام ، يسبقهم إليه جيش من الهول ، يدعم كثافة جيوشهم وعنف لقائهم ؛ فعبروا الفرات إلىٰ "دمشق" ، ووصلوا في زحفهم إلىٰ "غزّة" ، وأخذوا يفكّرون في الإغارة علىٰ "مصر" .

وفي سنة ٦٥٨هـ بعث "هولاكو" برسالة شديدة اللّهجة إلىٰ "قطز" [٤] سلطان مصر — يومئذ — يتهدّده ، ويدعوه إلىٰ التسليم ، فما كان من "قطز" إلاّ أن مزّق الرّسالة ،وقتل الرّسل ، وجنّد جيشاً كثيفاً لملاقاة "هولاكو" وجنوده في زحفهم علىٰ مصر ، وٱلتقى الجيشان في "عين جالوت" [٥] ، فهزم المغول ، وتبعهم حتىٰ "بيسان" [٦] ، فنكل بالفارّين منهم ، و"قتل من التّتار نحو النّصف ، وغنم عسكر السلطان منهم غنيمة عظيمة ؛ من خيول ، وسلاح ، وغير ذلك" [٧] .

---

(١) حين ضعفت الدّولة العبّاسيّة ، وبدأت الرقعة الواسعة التي خضعت لحكمها في العهد الأوّل — في الٱنكماش في العهود التي تلت ، أفلتت من زمامها مصر علىٰ يد الطولونيّين سنة ٢٥٤هـ ، في الدّول التي أفلتت ،ثم أعقبهم فيها الفاطميّون سنة ٢٩٧هـ ، وتوالىٰ ٱنفراط العقد فيها ، فظهر الإخشيديّون سنة ٣٢٣ هـ ، فالأيّوبيّون سنة ٥٦٧هـ ، فالمماليك سنة ٦٤٨هـ ، وٱنظر : خطط الشام — لمحمد كرد عليّ : ١/ ٢٠١ ، ٢١٣ ، ٢٢٧ — ط المطبعة الحديثة بدمشق ١٣٤٣ هـ .

(٢) سميت هذه الدّولة بٱسم البحريّة لأنّها من الحرس الذين أسكنهم الأيّوبيّون في ثكنات بجزيرة الرّوضة في النيل ، وكان أكثرهم من الترك والمغول ، انظر : تاريخ العرب — لفيليب حتي : ٣/ ٧٩٣ (ط دار الكشاف — بيروت ١٩٦٥م) .

(٣) سميت هذه الدّولة بٱسم البرجيّة لأنّها تنتمي إلىٰ لواء من الجند كان مقيماً في أبراج القلعة بالقاهرة ، وكان أكثرهم من بلاد الشركس ، انظر : المصدر السابق .

(٤) وهو المظفّر سيف الدين ،ثالث سلاطين دولة المماليك الأولىٰ .

(٥) بلدة صغيرة بين "بيسان" و "نابلس" من أعمال "فلسطين" ،انظر : معجم البلدان : ٤/ ١٧٧ .

(٦) مدينة بالأردن بين "حوران" و"فلسطين" ،انظر : نفسه : ١/ ٥٢٧ .

(٧) بدائع الزهور — في حوادث سنة ٦٥٨هـ .

بلغ "هولاكو" مالحق بجيشه في "عين جالوت" من الذلّ والمهانة ؛ فأرسل جيشاً آخر لاستعادة الشام ؛ فحيل بينه وبين ماكان يشتهي ، علىٰ يد الملك الظاهر "بيبرس" [1] الذي كان قد خلف الملك "المظفر" وقتئذ ؛ فكان هذا النصر تمهيداً لأن يتولىٰ "بيبرس" حكم الشام ، إلىٰ جانب حكم مصر ؛ فجاء حكّام الشام وأعلنوا ولاءهم له ، وبهذا خضعت مصر والشام لحاكم واحد، كان يقيم في مصر، وينيب عنه حاكماً في الشام .

ومن ثمّ لمع نجم المماليك ؛ فقد أفلحوا في إنقاذ مصر وبلاد الشام من غزو المغول ، ومهّدوا للبلاد سبيل التنعّم بالهدوء والاستقرار والسلام ، فأخذوا يعملون ، من أجل توطيد حكمهم أعمالاً جليلة ؛ فقد أقاموا كثيراً من المساجد والمنشآت العلميّة ، والمدارس، ودور الصوفيّة ، وخزائن الكتب العامّة ، وتنافسوا في رعاية العلماء وطلّاب العلم والكتّاب والخطّاطين والنّاسخين [2] .

ولاعتماد المماليك أيضاً — من أجل توطيد حكمهم — علىٰ المؤامرات والخدع ، وتكوين الأحزاب ، والإسراف في التودّد إلىٰ الجماعات العسكريّة ؛ فقد كان من أبرز مظاهر دولة المماليك هو ذلك الاضطراب الداخليّ الذي ساد في مختلف قطاعات الحياة بها ، ففي عهد المماليك البرجيّة بالذات اشتغل المماليك بهذه الفتن والمؤمرات التي استغرقت معظم تاريخهم ، بحيث أصبح شغلهم الشاغل هو تدبير المؤمرات، وقمع الثورات ، وتولية مملوك وعزل آخر ، وإرضاء فئة من الجماعات العسكريّة وتقريب أخرىٰ ؛ فطبع كلّ هذا عهد المماليك البرجيّة بطابع الفوضىٰ والاضطراب في داخل البلاد [3] .

وليت الأمر كان متوقفاً علىٰ الاضطرابات الداخليّة التي سادت مصر ، فقد بليت، كذلك ، بالاضطرابات الخارجيّة ؛ حيث قام أهل الشام بحركات ثوريّة عنيفة شغلت جانباً

---

(١) وهو الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري ؛ رابع سلاطين دولة المماليك الأولىٰ .

(٢) أنظر : معيد النعم ومبيد النقم — للسبكي : ص ١٥٣ فما بعد (طبع لندن سنة ١٩٠٨م) ، والقاهرة تاريخها وآثارها — للدكتور عبد الرحمن زكي: ص١٧٧ فما بعد (طـ الدار المصريّة للتأليف والترجمة سنة ١٩٦٦م) .

(٣) انظر : صبح الأعشىٰ : ٤/ ١ فما بعد ، والمواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار — للمقريزي : ٢/ ١٠٧ فما بعد (طـ بولاق ٢٧٠ هـ) .

كبيرًا من جهود المماليك واستنفدت أموال البلاد[١] ، كما قام — أيضًا — المغول وقراصنة الفرنجة في البحرين الأبيض والأحمر بغارات ومضايقات عرّضت مصر لكثير من المخاوف والمجاعات والمحن[٢] .

وقد عاصر السيوطيّ ، من سلاطين دولة المماليك البرجية هذه ، ثلاثة عشر سلطانا ؛ هم على التوالي : يوسف بن برسباي[٣] ، وجقمق[٤] ، وعثمان بن جقمق[٥] ، وإينال[٦] ، وأحمد بن إينال[٧] ، وخشقدم[٨] ، وبلباي[٩] ، وتمربغا[١٠] ، وقايتباي[١١] ، وقانصوه الأشرفي[١٢] ، وجانبلاط[١٣] ، وطومان باي بن قانصوه الأشرفي[١٤] ، وقانصوه الفوري[١٥] .

وتميّز عهد هؤلاء السلاطين الذين عاصرهم السيوطيّ ، إلى جانب ماتميّز به عهد أسلافهم من الفتن والثورات والظلم الذي تجلى في الضرائب المفروضة على الناس — تميّز بالضعف الشديد ؛ فلم يتمتّع السلاطين ، في هذا العهد ، بسلطة مطلقة أو نفوذ كبير ، وإنّما كانوا عرضة للعزل ، وكثيرًا ماثار ضدهم الأمراء والأوصياء والجند ، وحاصروا القلعة ، وهدّدوا السلطان حتى اضطروه إلى الفرار[١٦] .

كما تميّز عهدهم بقصر مدّة حاكميه ، فقد حدث أن تعاقب اثنان على الحكم في شهر واحد[١٧] ، وتعاقب اثنان على الحكم كذلك في سنة واحدة[١٨] .

---

(١) وفي بدائع الزهور : ٣/٥٩ — ٦٠ يحدّثنا ابن إياس عن ألوان الضرائب التي فرضت على الناس في هذا العهد ، فيشرح لنا الطريقة التي كان المماليك يتبعونها في استخراج الأموال منهم ، وتفنّنهم في تعذيب المعسرين أو الممتنعين عن دفعها ، حتى اضطر بعض الناس إلى الاختفاء عن الحياة العامّة .

(٢) وانظر : تاريخ العرب — لفيليب حتى : ٣/٧٩٠ فمابعد .

(٣) ٨٤١هـ — ٨٤٢هـ .
(٤) ٨٤٢هـ — ٨٥٧هـ .
(٥) ٨٥٧هـ — ٨٥٧هـ .
(٦) ٨٥٧هـ — ٨٦٥هـ .
(٧) ٨٦٥هـ — ٨٦٥هـ .
(٨) ٨٦٥هـ — ٨٧٢هـ .
(٩) ٨٧٢هـ — ٨٧٢هـ .
(١٠) ٨٧٢هـ — ٨٧٢هـ .
(١١) ٨٧٢هـ — ٩٠١هـ .
(١٢) ٩٠١هـ — ٩٠٤هـ .
(١٣) ٩٠٤هـ — ٩٠٥هـ .
(١٤) ٩٠٥هـ — ٩٠٦هـ .
(١٥) ٩٠٦هـ — ٩٢٢هـ .

(١٦) يروى أنّ السلطان قانصوه الأشرفي ترك العرش يائسًا وخائفًا ، وهرب في زي امرأة .

(١٧) هما السلطان المنصور عثمان بن جقمق والسلطان الأشرف اينال .

(١٨) هم السلطان المؤيّد أحمد بن إينال والسلطان الظاهر خشقدم ، والسلطان الظاهر بلباي والسلطان الظاهر تمربغا .

الحال الاجتماعية

عاش السيوطيّ في مجتمع لا تجمعه آصرة من جنس أولون أو منزلة آجتماعية ، كما لا تجمعه آصرة من دين أو مذهب تعبّدي ، إلىٰ غير ذلك من الأواصر التي من شأنها أن تجعل لأفراد المجتمع وحدة لها أسسها وأهدافها وغاياتها المشتركة .

كان هذا المجتمع، من ناحية ، مؤلّفاً من طبقتين متميّزتين ، هما : الطبقة الحاكمة ، والطبقة المحكومة ، ومن ناحية أخرىٰ ، كانت الطبقة المحكومة نفسها مؤلّفة من أجناس وطبقات ذات أديان ومذاهب متباينة — نتيجة آزدياد هجرة الناس إلىٰ مصر بعد أن ردّت التتار عن الشرق ، وهذا ما جعل التنافر يدبّ في صفوف المجتمع ولا يكاد يفتر إلاّ لماماً .

فالطبقة الحاكمة ، وهي تتكوّن من السلطان وأمراء دولته وجنوده ، وجملتهم من الجنس الشركسيّ ، آستبدّت بكلّ أسباب القوّة ، وقصرت علىٰ نفسها التعليم العسكريّ وتعاطي الفروسيّة ، وآستأثرت ، كذلك ، بأكثر مناصب الدّولة العليا كالعسكريّة والقضاء والإنشاء وكتابة الدّواوين ، كما توزّعت — فيما بينها — الأراضي الزّراعيّة علىٰ شكل إقطاعات [1] ، و « عاشوا أثناء حكمهم مصر كطائفة منفصلة عمّا حواليها ، وآحتفظوا بشخصيّتهم ، ولم يختلطوا بأيّ عنصر من عناصر السّكان ، سواء في ذلك الأقباط والمسلمون ، ولم يسمحوا لسكان مصر وأيّ جزء من أجزاء ممتلكاتهم بالآنخراط في صفوفهم ، ولم يتزوّجوا منهم إلاّ فيما ندر » [2] .

أمّا الطبقة المحكومة ، وهي عامّة الشعب ، فأغلبها من الجنس العربيّ ، مصريّون وشاميّون وعراقيّون ومغاربة ، وفيها كثير من الأجناس الأخرىٰ ، كالأرمن والرّوم والتّتار والأتراك وجاليات من اليهود والنصارىٰ ، وكانوا يشتغلون بالعلم والتجارة والصناعة والزراعة ووظائف العلم فقط .

وكان هؤلاء جميعاً يعيشون في صعيد واحد ، علىٰ الرغم من آختلاف أجناسهم وطبقاتهم وعاداتهم وتقاليدهم وأسلوب تفكيرهم ومذاهبهم الدينيّ ؛ فآنعكس أثر ذلك كلّه علىٰ هذا المجتمع في صورة آضطراب وتفكّك وتمزّق .

---

(١) وندهش حين نقرأ ما كتبه آبن إياس عن ثروة بعض الوزراء والأمراء والأوصياء والجند في هذا العهد ، وقد بلغت ثروة أحدهم مئات ملايين الدّنانير الذهبيّة ، ومئات القناطير الفضيّة ، وكميّات هائلة من المعادن الكريمة والملابس الرفيعة ، انظر : ١ / ١٥٥ .

(٢) مصر في العصور الوسطىٰ — للدكتور علي إبراهيم حسن : ٥٣٧ .

علىٰ أنّ هذا كلّه قد تبعه غير واحد من عوامل إضعاف هذا المجتمع وإنهاك قواه ، علىٰ ما به من ضعف وخور وإنهاك ؛ فقد حدّثتنا كتب التاريخ عن حوادث كثيرة للغلاء وقعت في سنوات متعدّدة ، قاسىٰ من ورائها الناس مشقّات لا حدود لها ، كما حدّثتنا هذه الكتب عن جملة من الأحداث والنوازل أقضت مضاجع الناس ، وراح ضحيّتها كثير منهم ؛ منها الأوبئة والطواعين والحرائق واضطراب الأمن والعدل من الحكام (١) .

وفي ظلّ هذه الحالة الاجتماعيّة القاسية ، اشتدّت رغبة المصريّين في التصوّف والانقطاع إلىٰ الله والتماس العدالة فيما وراء الدّنيا ؛ فرأينا عكوف الكثير علىٰ العبادة ، والإعراض عن زخرف الدّنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الحاكمون من لذّة ومال وجاه ، ورأينا المعابد من خوانق وربط وزوايا ، والمريدين والأتباع ، والرياضات والمجاهدات المختلفة التي تستغرق حياتهم ، وتحيل بعضهم — في آخر الأمر — إلىٰ طائفة من " المجاذيب " أو " الدراويش " التي تأتي أفعالاً غريبة وتزعم أنّها من الدّين (٢) .

---

(١) والمطلع في تاريخ ابن إياس والمقريزي يقف علىٰ صور بشعة من اعتداءات المماليك علىٰ الناس ، ولا سيما خلال الأزمات وإعداد الحملات الحربيّة ، كما يطلع علىٰ الكوارث المتوالية التي حلّت بمصر في هذا العهد ، من شحّ ماء النيل، وانتشار الوباء ، والطاعون ، والمجاعات ، حتىٰ قيل إنّه كان يخرج من كلّ باب من أبواب القاهرة ، في كلّ يوم ، مايزيد عن سبعمائة ميت ، آنظر : بدائع الزهور : ١/ ١٥٥ فما بعد ، وكتاب السلوك : ١/ ٨١٤ فما بعد .

(٢) وانظر : بدائع الزهور : ٢/ ٦٩ فما بعد .

الحال العلمية

في بعض أطوار تاريخنا الإسلاميّ نجد أنّ الحالة العلميّة تسير في خطّ معاكس للحالة السياسيّة والاجتماعيّة ؛ فقد يكون العلم مزدهراً يسير في خطّ صاعد ، في حين أنّ السياسة والاجتماع متدهوران يسيران في خطّ نازل ، ومن هنا لا نرى شذوذاً في أن يكون مركز مصر العلميّ في عصر المماليك البرجيّة مرتبطاً ، في أذهان بعض الباحثين[1] ، بمركز بغداد قبل سقوطها في يد التّتار سنة ٦٥٦ هـ .

فإنّ القاهرة كانت في هذا العصر ، مثل بغداد ، في عصور ازدهارها العلميّ[2] تعيش عصر سياسة واجتماع مضطرباً ، لما يجري فيه من نظم وظروف وأحداث ، يشيع فيها الزّهد والتنسّك ، كما يشيع فيها التكالب على الأموال والمناصب والفتن ، على نحو ما رأينا قبل قليل .

وعلى ذلك ؛ فليس مطرداً ـ عندنا ـ أن تسير الحياة العلميّة جنباً إلى جنب مع الحياة السياسيّة والاجتماعيّة ، بتدهورها تتدهور ، وبازدهارها تزدهر ، كما يقول بذلك كثير من المؤرّخين لتاريخ العلم والأدب ؛ بدعوى أنّ الحركة الثقافيّة في أمّة من الأمم مرآة صادقة لأوضاع حياتها العامّة ، وأنّ الحياة العلميّة هي وليدة الحياة السياسيّة والاجتماعيّة ، لا يمكن أن تختلف ملامحها عن صورة العصر بأيّ حال[3] .

وبذلك ندفع قول من قال بأنّ عصر المماليك البرجيّة كان عصر انحطاط وانحدار في الثقافة ، لأنّه كان عصر انحطاط وانحدار في السياسة والاجتماع[4] ، ونرى ضرورة تقويمه تقويماً يعتمد على الدراسة الموضوعيّة ، بدل انصراف الباحثين عنه ، والاكتفاء بحكم سريع ظالم عليه .

---

(١) انظر مثلاً : أدب الدّول المتتابعة ـ للدكتور عمر موسى باشا : ص ١٣٤ وما يليها (ط دار الفكر الحديث ـ بيروت ١٩٦٧ م) .

(٢) حين نطلع على تاريخ الحقبة الأخيرة من العصر العباسيّ نجد الثقافة الإسلاميّة قد ارتقت فيها رقياً عظيماً في كافّة العلوم من دين وفلسفة وطبّ وأدب ، ونجد الجوامع والمدارس الآهلة بحلقات العلم ، ومجالس الخلفاء الحافلة بأفاضل العلماء ، وفي الوقت نفسه نجد عدداً من المقاطعات تثور على الخلافة ، ثمّ تستقلّ في حكمها ، ونجد عدداً من المؤامرات والفتن والدّسائس والاغتيالات .

(٣) أنظر مثلاً : نماذج في النقد الأدبي ـ للدكتور إيليا الحاوي : ص ٨٢ فما بعد (ط دار الكتاب اللبنانيّ ـ بيروت ، ط ٢) .

(٤) أنظر مثلاً : مناهج العلماء المسلمين في البحث العلميّ ـ للدكتور فرانتز روزنتال : ص ١٤٣ وما يليها (ترجمة الدكتور أنيس فريحة ـ ط مؤسسة فرانكلين ـ ١٩٦١ م) .

ونحن حين نقول بسير الحالة العلميّة في خطّ معاكس للخطّ السياسيّ والاجتماعي في عصر المماليك البرجيّة — فإنّما نعزو ذلك إلىٰ وصول معظم سلاطين هذه الدولة إلىٰ العرش بعد فتنة وانقلاب سياسي شنيع ؛ فاستلزم ذلك أن يدعموا السلطة بإشغال أفراد الشعب بوظائف العلم وإحياء العلوم ؛ فبجوار التعليم العسكري الذي كان المماليك يعنون به ، ويقصرونه علىٰ أنفسهم ، أفسحوا المجال أمام أبناء الشعب لتعلّم علوم الدّين واللّغة والأدب ؛ فكانت المساجد والخوانق والمدارس دوراً للتعليم ، يقوم فيها للتدريس شيوخ أفاضل ، يتقاضون مرتّبات مجزية ، كما يتقاضىٰ الطلاب رواتب حسنة ويعنىٰ بهذه الدور إدارة أوقاف ، تزوّد الخزائن بكتب ثمينة ، وترحّب بالوافدين إلىٰ مصر من شيوخ العلم وطلّابه من كلّ الأصقاع الإسلاميّة (١) .

ولعلّ مما عاون أهل العلم — في تلك الآونة — علىٰ تحمّل أعباء العلم عناية السلاطين باللّغة العربيّة لعجزهم عن أداء مايتطلّبه العرش من ضبط وربط وبعث مراسلات وكتابة تقاليد وقضاء وتشريع بهذه اللّغة ، وأنّهم كانوا علىٰ جانب من الغيرة علىٰ اللّغة العربيّة وعلمائها وأدبائها ، ثمّ هذه الصبغة الدّينيّة التي كانت غالبة علىٰ المجتمع ؛ فقد كان بالبلاد خليفة عباسيّ من نسل الخليفة الحاكم بأمر اللّه الذي أقيم بمصر في عهد الملك الظاهر : " بيبرس " ، (٢) كما كان القضاء شرعيّاً ، يتولّاه أربعة قضاة ، من كلّ مذهب قاض ، كذلك كان التعليم الدينيّ من أكثر ماعني به من العلوم ، كما كانت المناسبات الدّينيّة فرصة واسعة لإظهار الشعور الدّينيّ وإذكائه ؛ مثل : أوّل العام الهجريّ ، وشهر رمضان ، والعيدين ، والمولد النبويّ الشريف ، ويوم الجمعة .

وهكذا ، أمكن — في بيئة اجتماعيّة واقتصاديّة مضطربة غاب عنها الأمن والطمأنينة ، وجفاها الرّخاء وأسباب العيش الكريم — أن يستمرّ السعي وراء المعرفة ، بل تنشط الحركة الثقافيّة فيها نشاطاً ملحوظاً ؛ فيفزر التأليف والتصنيف ، وينضج الفكر ويخصب ، ويعاد تشييد الصّرح الثقافيّ المنهار في حوادث بغداد من جديد .

---

(١) وانظر : صبح الأعشىٰ — للقلقشندي : ١/٢٤٦ ومايليها .

(٢) وقد أوضح السيوطيّ في كتابه " حسن المحاضرة " : ٢/٦٥ — أهميّة بعث هذه الخلافة في مصر — من جديد — بعد أن ظلّت شاغرة ثلاث سنوات ونصف السنة — عقيب زوال الدّولة العباسيّة ؛ فذكر أنّ مصر حين صارت دار الخلافة العباسيّة عظم أمرها ، وكثرت شعائر الإسلام فيها ، وعلت فيها السنّة ، وعفت فيها البدعة ، وصارت محلّ سكن العلماء ومحطّ الرجال الفضلاء .

لقد أراد اللّه - سبحانه وتعالىٰ - أن يقيم من دولة المماليك ، في هذه الفترة العصيبة من تاريخ المسلمين ، ملاذاً وحامياً للتّراث الإسلاميّ الثرّ ، وملجأ وسأوىً للمسلمين في خارج مصر والشام بعد توالي النكبات علىٰ بغداد وغيرها ، وزوال أهمّ رمز روحي كانوا يجتمعون حوله ؛ فكان علىٰ مصر أن تؤدّي رسالتها في هذا الميدان ، وتكون حافظة أمينة للثقافة الإسلاميّة ، وجسرًا تنتقل منه هذه الثقافة مبوّبة مرتّبة منظّمة إلىٰ الأجيال التالية ؛ فيعكف علماؤها علىٰ ماوصل إليهم من تراث السالفين ، لفهمه والإفادة منه ، ثم إحيائه وتجديده .

وإذا كان لكلّ عصر مميّزاته التي يتميّز بها عن غيره من العصور ، وملامحه وسماته التي يعرف بها ، ومعالمه التي تمكّن الباحث من فهمه وتقديره ؛ فإنّ من مميّزات عصر المماليك - عندنا - أن علماءها حفظوا لنا تراث الدّين واللّغة أحسن حفظ ، وأدّوه أحسن أداء ؛ فقد ظهرت بوادر التّخصّص في التأليف - أوّل ماظهرت - عندهم ، ومردّ ذلك النضج في التفكير ، والتعمّق في الأبحاث ، ممّا دفع السيوطيّ إلىٰ تصنيف العلماء في بعض كتبه ، ضمن زمر خاصّة بحسب العلوم والفنون التي يغلب عليهم فيها التأليف ؛ فذكر فقهاء المذاهب الأربعة ، وخصّ كلّ مذهب بجماعة ، وذكر المحدّثين ونقّاد الحديث ، وأئمة القراءات ، وأئمة اللّغة والنّحو والصّرف ، وأشهر المؤرّخين والنابهين من الأدباء والشعراء .

الباب الأول

سيرة السيوطي وآثاره العامة

الفصل الأول

سيرته [1]

أسرته :

هو سليل أسرة كريمة اشتغل أغلب أبنائها بالعلم ، عرفوا به وبرّزوا فيه ، و" كانوا من أهل الوجاهة والرّئاسة ، منهم من ولي الحكم ببلده ، ومنهم من ولي الحسبة بها ، ومنهم من كان تاجراً في صحبة الأمير شيخون وبنى مدرسة بأسيوط ، ووقف عليها أوقافاً ، ومنهم من كان متولّاً ، ولا أعرف منهم من خدم العلم حقّ الخدمة إلاّ والدي "[2] .

فأبوه : أبوبكر الكمال بن محمد بن سابق الدّين بن الفخر عثمان بن ناظر الدّين محمد بن سيف الدّين خضر بن نجم الدين أبي الصّلاح أيّوب بن ناصر الدّين محمد بن الشيخ همام الدّين الهمام الخضيريّ السيوطيّ الشافعيّ ـ ولد بأسيوط سنة ٨٠٤هـ[3] ، ونشأ بها وحفظ القرآن وألفية النحو ، واشتغل فيها على جماعة ، كالسراج الحمصيّ ، والشهاب الدّمنهوريّ ، حتى اشتهر أمره ، فتولّى قضاء مدينة أسيوط زمناً[4] .

ثمّ قدم إلى القاهرة ، ولازم القاياتي في الفقه والأصول والنّحو والمعاني والمنطق ، وأخذ في علم الحديث ـ عن الحافظ ابن حجر ، وفي الفقه عن الونائيّ والعزّ المقدسيّ ، وفي المعاني والبيان عن الشيخ ياكير ، وفي العربيّة عن الشهاب الصنهاجيّ ، وفي الفرائض عن ابن المجديّ ، وسمع على الزركشيّ والتفهنيّ ، حتى أتقن علوماً جمّة ، وبرع في صناعة التوقيع والإنشاء[5] .

---

(١) ترجم السيوطيّ نفسه في كتابيه " حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة" و" التّحدث بنعمة الله " مقتدياً بالمحدّثين من العلماء ، قبله ، ممن ترجموا نفسهم في بعض كتبهم " كالإمام عبد الغافر الفارسيّ في "تاريخ نيسابور" ، وياقوت في "معجم الأدباء" ، ولسان الدّين ابن الخطيب في "تاريخ غرناطة" ، والحافظ تقي الدّين الفاسيّ . . . . تحدّثاً بنعمة الله وشكراً ، لا رياءً ولا سمعة ولا فخراً " ، انظر : التّحدث بنعمة الله : ص ٤ .

(٢) حسن المحاضرة : ١ / ١٨٨ .

(٣) هذا ماذكره السخاويّ في " الضوء اللاّمع " وفي " التّبر المسبوك" جعل مولده سنة ٨٠٩هـ ، ونحن نميل إلى أنّه ولد سنة ٨٠٤هـ ، لأنّ السيوطيّ قد ذكر في البغية " أنّ والده ترك أسيوط بعد عام ٨٠٢هـ ، واستقرّ به المقام في القاهرة ، وهناك لازم علماءها ، وتردّد على مشاهيرهم ، ودرس الفقه والأصول والنّحو والمعاني والمنطق والكلام على القاياتيّ ، وهذا لا يتحصّل عليه راشد ، وإذا قلنا بولادة والد السيوطيّ سنة ٨٠٩هـ ، فمعنى هذا أنّه ترك أسيوط إلى القاهرة غلاماً لم يتجاوز من العمر أحد عشر عاماً .

وأسيوط أو سيوط "مدينة جليلة كبيرة تقع غربيّ النيل في صعيد مصر" وفيها " خمس لغات : أسيوط ـ بضمّ الهمزة وفتحها ، وسيوط ـ بتثليث السين ـ أي بضمّ السين وفتحها وكسرها" ، أنظر : لبّ اللّباب في تحرير الأنساب ـ للسيوطيّ : ١٥ـ١٦ (طليدن ١٨٤٢) .

(٤) انظر : حسن المحاضرة : ١ / ٢٥١ ، والضّوء اللاّمع : ١١ / ٧٢ .

(٥) انظر : حسن المحاضرة : ١ / ٢٥١ ، وبغية الوعاة : ١ / ٤٧٢ .

وفي سنة ٨٤٢هـ ترك القاهرة ، وقصد مكة المكرمة ، وجاور بها ، وأدّى فريضة الحجّ ؛ وفيها لازمه جماعة ، منهم قاضي مكة برهان الدين ابن ظهيرة وابن عمّه المحبّ بن أبي السعادات ، وانتفعوا به [(١)] ، ثم عاد إلى القاهرة ، ونَاب في القضاء وفي الخطابة بجامع ابن طولون ، ودرّس بالجامع الشيخوني وغيره ، وأفتى وجمع حاشية على شرح الألفية لابن المصنف ، وصل فيها إلى أثناء الإضافة في كراريس ، وأخرى على العضد تنتهي إلى أثناء مبادئ اللغة ، وكتب رسالة في نصب ضبة من قول المنهاج "[(٢)] ، وقرأ عليه الخليفة العباسي المستكفي باللّه شيئا من العلم ، وكان إماما له في الصلاة ، وكان يجلّه إلى الغاية ، ويعظّمه ، ولم يكن يتردّد إلى أحد من الأكابر غيره ... فقد كان على جانب عظيم من الدين والتحري في الأحكام ، وعزّة النفس ، والصيانة ، يغلب عليه حبّ الانفراد ، وعدم الاجتماع بالناس ، صبورا على كثرة أذاهم له ، مواظبا على قراءة القرآن ، يختم كلّ جمعة ختمة "[(٣)] .

ذلك أبوه [(٤)] ، وأما جدّه الأعلى همام الدين ، فقد كان " من أهل الحقيقة ، ومن مشايخ الطرق "[(٥)] ، وإذا تركنا أباه وجدّه الأعلى هذا ، ومضينا إلى غيرهما ، وجدنا طائفة من رجال العلم والرياسة ، لكلّ منهم مقامه فيهما في زمنه ، ولا نرى التعرّض لذكرهم ، فأمرهم معروف في التاريخ ، فليرجع — إلى كتب التاريخ والطبقات — من يريد معرفة ماكان لهم من كبير المنزلة وعظيم الأثر [(٦)] .

أمّا من جهة أمّه ، فلاتكاد نعرف عنها غيرماذكره السيوطي نفسه بأنّها شركسيّة ، وماذكره العيدروسيّ بأنّها أم ولد تركيّة [(٧)] .

---

(١) انظر : نظم العقيان : ص ٢٠ ، والضوء اللامع : ١١/ ٧٣ .

(٢) الضوء اللامع : ١١/ ٧٢ — ٧٣ .

(٣) نظم العقيان : ص ١١٧ ، وحسن المحاضرة : ١/ ٢٥١ .

(٤) مات — رحمه اللّه — في الخامس من صفر سنة ٨٥٥هـ ، وكان له من العمر إحدى وخمسون سنة (على أنه ولد سنة ٨٠٤هـ) ، وللسيوطي أقلّ من ست سنوات ، وقد رثاه كثيرون ، طالع — مثلا — رثاء الشهاب المنصوري في "حسن المحاضرة" : ١/ ٤٤٢ ويبدو — من عهده بالوصية على السيوطي — أنّه لم ينجب غيره ، فقد عهد بالوصية عليه لبعض الفضلاء الصالحين ، انظر : التحدّث بنعمة اللّه : ص ٢٣٦ .

(٥) حسن المحاضرة : ١/ ٣٣٦ ، وفيه ذكر أنّ له ترجمة سيأتي ذكرها في قسم الصوفيّة ، ولم نعثر له على هذه الترجمة في الكتاب كلّه ، ولعلّ هذا يعني أنّ ثمة سقطا قد حدث في النسخ التي اعتمد عليها الناشرون للكتاب .

(٦) أنظر مثلا : بدائع الزهور — لابن إياس : ٤/ ٨٣ ، ٨٤ ، والبدر الطالع — للشوكاني : ١/ ٣٢٨ ، وتاريخ الخلفاء — للسيوطي : ٥١١ ، ٥١٢ (ط الأستاذ محمد محي الدين عبد الحميد — القاهرة ١٩٦٩م) .

(٧) انظر : النور السافر عن أخبار القرن العاشر : ق ١٦٢/ أ — ب .

نسبه :

ينتمي السيوطي ـ كما مرّ معنا في ترجمة والده ـ إلى أسرة كانت مستقرّة في مدينة أسيوط ، وقد ورد في نسبه أنّه " خضيري " ولم يقطع السيوطي في حقيقة هذه النسبة،حين قال : " وأمّا نسبتنا إلي الخضيري ، فلا أعلم ماتكون إليه هذه النسبة ، إلا أنّ الخضيريّة محلة في بغداد [1] ، وقد حدّثني من أثق به أنّه سمع والدي ـ رحمه اللّه تعالى ـ يذكر أنّ جدّه الأعلى كان أعجميّا أو من الشرق ،فالظاهر أنّ النسبة إلى المحلّة المذكورة " [2] .

إنما الذي قطع في هذه النسبة صاحب " الضوء اللامع "،حين قال إن السيوطي من أصل طولوني [3] ، ولكنّنا نتوقّف من قبول هذا القول ـ لأمرين : أحدهما ـ أنّه قول يتيم لم نعثر له على نظير يؤيّده أو حتى يلمح إليه ، والآخر ـ أنّنا نعرف ماكان بين صاحب هذا القول والسيوطي من خصومات .

ثم إنّ السيوطي لم يجزم بشيء ، وعبارته تدلّ على أنّه يرجح نسبته إلى محلّة في بغداد ، استنادا على انتسابه إليها ، واشتهار اسمه بها ، والناس مؤتمنون على أنسابهم .

أمّا نسبته إلى " أسيوط " فهي بحكم إقامة أسرته بها " [4] .

---

(١) جاء في" معجم البلدان " أنّ" الخضيريّة بلفظ تصغير خضرة ـ محلّة كانت ببغداد ، تنسب إلى خضير مولى صالح صاحب الموصل ، وكانت بالجانب الشرقي" : ٢/٣٧٧ ، وانظر : لبّ اللّباب : ص ١٢١ .

(٢) حسن المحاضرة : ١/٣٣٦ .

(٣) انظر : الضوء اللامع : ٤/٦٥ .

(٤) والذين انتسبوا ـ مثله ـ إلى أسيوط من علمائنا كثيرون ، منهم : أبو الحسن علي بن الخضر بن عبد اللّه الأسيوطي (ت ٣٧٢هـ) وشمس الدين محمد بن الحسن الأسيوطي (ت ٨٠٨ هـ) ، وشمس الدين محمد بن أبي بكر بن ناصر الدين الشافعي الأسيوطي (ت ٨٤٢هـ) ، وصلاح الدين محمد بن السيد الشريف ناصر الدين الأسيوطي (من علماء القرن التاسع الهجري) ، والشريف صلاح الدين محمد بن أبي بكر المعروف بالشريف الأسيوطي (ت ٨٥٦هـ) ، والشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن شهاب الدين أحمد بن علي المنهاجي الأسيوطي (ت٨٨٠هـ) ، والكمال أبو بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر السيوطي (ت ٨٥٥هـ) ، وقاضي القضاة ولي الدين أحمد بن عبد الخالق الأسيوطي الشافعي (ت ٨٩١هـ) .

مولـــــــده :

كان مولـده بعد المغرب ليلة الأحد مستهلّ رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة في القاهرة [(١)] ، وكان أبوه قد ترك أسيوط إليها سنة ٨٢٠هـ ؛ كما مرّ معنا ؛

وقد اكتنف ولادته حادثة طريفة ، ذكرها صاحب النور السافر ؛ قال : " وكان يلقّب بابن الكتب ؛ لأنّ أباه كان من أهل العلم ، واحتاج إلى مطالعة كتاب ، فأمر أمّه أن تأتيه بالكتاب من بين كتبه ، فذهبت لتأتي به ، فجاءها المخاض ، وهي بين الكتب ، فوضعته " [(٢)]

وقد حقّق اللّه تعالى ماكان يتكهّن به أهل السيوطي لولدهم ، ويرجونه له من خدمة العلم،وتبريزه فيه حين لقبوه بابن الكتب ، وهو مايزال وليدا .

وذكر السيوطي أنّه حمل ، وهو طفل رضيع ، إلى رجل من كبار الأولياء ، وهو الشيخ محمد المجذوب ؛ فدعا له بخير ، وبرك عليه [(٣)] .

البيئة التي نشـــأ فيها :

أكد العلم الحديث ماعرفه القدامى من علماء المسلمين من أنّ للوراثة والبيئة أثرا كبيرا فيما يكون عليه الإنسان في مستقبل أيامه ، وأنه بالوراثة تنتقل الاستعدادات العقليّة والخَلقيّة والخُلقيّة من جيل إلى جيل ، وأنّ البيئة هي التي تمهّد لظهور هذه الاستعدادات .

وقد جمع اللّه للسيوطي من الاستعدادات ماجعل منه رجلا فذّا في عصره ، وإماما مجتهدا ضاربا في كلّ علم بسهم ، ونابغا في معظم الفنون التي اشتغل بها ؛ فقد ورث السيوطي — عن آبائه وأجداده — الولع بالعلم والتأليف منذ صغره ، والصبر على مشقاته ومكارهه ، كما ورث أخلاق العلماء وجهاد الصابرين ، ونشأ في بيت علم وفضل ، وفي إحدى مدائن العلوم الكبيرة منذ أقدم الأزمان ، تحت بصر بعض الفضلاء الصالحين ممن عهد لهم أبوه بالوصية عليه بعد وفاته .

فقد كان والده شديد الحرص — في حياته — على أن يتجه ابنه نحو العلم وحلقات الدرس ؛ لذا رأيناه يحضره ، وهو صغير ، أكبر مجالس العلم في زمانه ؛ مثل

---

(١) انظر:حسن المحاضرة : ١/ ٣٣٦ ، والضوء اللامع : ٤/ ٦٥ ، والنور السافر : ق ١٦٢/أ .

(٢) تقدم ترجمته .

(٣) انظر: حسن المحاضرة : ١/ ٣٣٦ ، والتحدّث بنعمة اللّه : ١٨٣ .

مجلس الحافظ ابن حجر [1] ، ويوصي عليه جماعة من العلماء ، حين مرض مرض الموت. [2]

وعقب وفاة أبيه ، أحضر إلى وصيّه العلاّمة كمال الدين بن الهمام [3] ، وله من العمر دون ست سنين ، فأولاه رعايته ، و" كان علاّمة في الفقه والأصول والنحو والتصريف والمعاني والبيان والتصوف والموسيقى وغيرها ، محقّقا جدليا نظّارا ... غير ملتفت إلى أحد من الأكابر وأرباب الدولة ... حسن اللّقاء والسمت والبشر والبزّة ، طيّب النغمة ، مع الوقار والهيبة ، والتواضع المفرط والإنصاف والمحاسن الجمّة ، وكان أحد الأوصياء عليّ " [4] .

فانتفع به السيوطي أعظم انتفاع ، إذ ختم القرآن على يديه ، وسنّه دون ثماني سنين ، ثم حفظ عمدة الأحكام ، ومنهاج النووي والبيضاوي ، وألفية ابن مالك ، وعرضها عليه ، وهو دون البلوغ ، وهو يلحظه بنظره ودعائه ، ثمّ مالبث أن قرّره في وظيفة الشيخونيّة ، بعد أن وجد فيه النباهة والنبوغ المبكرين ، فقد كان يحمل عدّة العلم عن آبائه .

وحين توفي الكمال بن الهمام ، لقي من الأوصياء عليه من مشاهير علماء عصره الصلحاء - من يلحظه بنظره واهتمامه ، مثل : العلم البلقيني ، والشرف المناوي ، والعزّ الحنبلي ، والأقصرائي ، والكافيجي ، فانقطع إليهم ، وانجمع عن كلّ مايصرفه عنهم ، دون أن ينفك عن أحد منهم إلى الآخر إلاّ بالموت .

شيوخه :

أخذ السيوطي العلم عن علماء كثيرين كانوا مختلفي المناحي ، ولذلك تنوّعت ثقافته وغزرت ، فمن شيوخه : المفسّر ، والمحدّث ، والفقيه ، واللّغوي ، والنحوي ، والأديب ، ويعزو الخوانسارى كثرتهم إلى " أنّ قراءته وأخذه وروايته في مراتب المعقول والمنقول ، قد انتهت إلى جماعة كثيرة ، لم يعهد مثلها لأحد من الفحول بحيث ذكر بعضهم أنّه أخذ عن غالب علماء عصره ، وبلغ مجموع شيوخه نحو ثلاثمائة شيخ " [5] .

وهناك أرجوزة نظمها السيوطي في شيوخه ، عدّ منهم ستمائة شيخ [6] ، فيما نقله عنه تلميذه الشعراني في ذيل طبقاته ، إذ ذكر أنّه " كان يقول : أخذت العلم

---

(١) انظر : شذرات الذهب : ٨/٥٢ ، والكواكب السائرة : ٢/٢٢٦ .
(٢) انظر : التحدّث بنعمة الله : ٢٣٦ . (٣) وكان من كبار أصدقاء أبيه .
(٤) البغية : ١/١٦٦ / ش ١٦٧ . (٥) روضات الجنات : ٤١٥ .
(٦) ذيل طبقات الشعراني : ٣/أ - ب ، ولعلّ هذه الأرجوزة ممّا فقد من تراث السيوطي ، وقد تتبّعنا كلّ مابأيدينا من فهارس المخطوطات ، فلم نعثر لها على ذكر .

عن ستمائة نفس ، وقد نظمتهم في أرجوزة ؛ قال : وهم أربع طبقات ؛ الأولى — من يروي عن أصحاب الفخر بن النجّار، والشرف الدمياطي، ووزيره، والحجّار، وسليمان بن حمزة، وأبي النصر بن الشيرازي ونحوهم ، والثانية — من يروي عن السراج البلقيني، والحافظ أبي الفضل العراقي ونحوهما ، وهي دون التي قبلها في العلوّ ، والثالثة — من يروي عن الشرف بن الكويك، والجمال البجيلي، ونحوهما ، وهي دون الثانية ، والرّابعة — من يروي عن أبي زرعة العراقي، وابن الجزري، ونحوهما ، وهذه لتكثير العدّة وتكثير الحجّة ".

وقد ترجم السيوطي شيوخه الذين أخذ عنهم في خمسة مصنّفات ؛ هي : حاطب ليل وجارف سيل [(١)] ، وزاد المسير في الفهرست الصغير ، [(٢)] وفهرست المرويّات [(٣)] ، والمنتقى ، [(٤)] والمنجم في المعجم [(٥)] ، ولا ندري لم لم يضمّ السيوطي شيوخه في معجم واحد ، ويجتزئ

---

(١) ذكره في "حسن المحاضرة" : ١ / ١٩٤ ؛ وقال عنه إنّه "معجم شيوخي الكبير" ، وذكره إسماعيل البغدادي في "هدية العارفين" : ٥٣٨ ؛ وقال عنه : "حاطب ليل وجارف سيل في معجم الشيوخ" ، ولم نعثر له على أية معلومات أخرى فيما تحت يدينا من كتب التراجم والفهارس .

(٢) ذكره في "فهرس مؤلفاته" : ق ٤ / أ (نسخة المدينة المنورة) ، وذكره إسماعيل البغدادي في "هدية العارفين" : ٥٣٩ ، وفي دار الكتب المصريّة نسخة منه خطيّة تحت رقم ٨٠ مصطلح الحديث ، وذكر في الفهرس أنّه يتضمن مروياته مع ذكر أسانيدها ، وذلك بأن يذكر الكتاب ، وعمن تلقاه ، مسندا هذا التلقي إلى المصنف .

(٣) ذكره في "فهرس مؤلفاته" : ق ٣ / ب (نسخة الرباط) ، ق ٣ / أ (نسخة المدينة المنورة) ؛ وفيهما أنّه "يسمى أنشاب الكتب في أنساب الكتب — مجلد" ، وذكره إسماعيل البغدادي في "هدية العارفين" : ٥٣٦ .

(٤) ذكره في "حسن المحاضرة" : ١ / ١٩٤ ؛ وقال إنّه معجم شيوخه الصغير ، ولعلّه أن يكون مختصرا لمعجم شيوخه الكبير "حاطب ليل وجارف سيل" أو منتقى منه ، وهو غير "المنتقى من الينبوع" ، و"المنتقى من الأدب المفرد" ، و"المنتقى من مستدرك الحاكم" و"المنتقى من شعب الإيمان" ، و"المنتقى من مصنف عبد الرازق" وغيره من المنتقيات .

(٥) ذكره في "فهرس مؤلفاته" : ق ١٠ / ب (نسخة الرباط) ، ق ٧ / أ (نسخة المدينة المنورة) ، وذكره إسماعيل البغدادي في "هدية العارفين" : ٥٤٣ ، وفي مكتبة شيخ الإسلام بالمدينة المنورة نسخة نفيسة منه تحت رقم ٢٤٢ تاريخ ، وقد أخذنا مصوّرة لها لمكتبنا الخاصة .

يتضمّن هذا المعجم أسماء شيوخه مرتّبين على حروف المعجم ، مع ترجمة موجزة لكلّ منهم ، والطريف في المعجم أنّ السيوطي يعنى فيه بذكر أسماء الذين أخذ عنهم شيوخه ، كأنّه يريد أن يأتي بسند الرجال في كلّ ما أخذه عنهم ، وبذلك ضمّ هذا المعجم أسماء أغلب علماء القرنين الثامن والتاسع ، وأسماء تلامذتهم وشيوخهم .

وقد بلغ عدد شيوخه في هذا المعجم مائة وثمانية وتسعين شيخا .

به عن المعاجم الأربعة الأخرى ؛ ولا يبعد عندنا أنّه تعمّد أن يعدّد معاجمه في شيوخه ، لأنّ لكلّ معجم طريقة خاصة به في تناول شيوخه والترجمة لهم — على نحو مافعل في كثير من مصنّفاته — نظنّ ذلك ولا نقطع به حتى نقف على المعاجم الخمسة كلّها .

ولمّا كان السيوطي قد أكثر من التلقّي عن علماء زمانه ، بحيث ربّما حضر في اليوم الواحد مجلس عدد منهم ، واستفاد الفوائد التي يحتاج غيره من أقرانه في تحصيلها إلى عدد من الأيام ؛ كما يتضح من قوله : " وكنت أذهب من الفجر إلى دروس البلقيني ، فأحضر مجلسه إلى قرب الظهر ، ثم أرجع إلى الشمني ، فأحضر مجلسه إلى قرب العصر ، هكذا ثلاثة أيام في الجمعة : السبت ، والإثنين ، والخميس، وكنت أحضر : الأحد والثلاثاء عند الشيخ سيف الدين بكرة ، ومن بعد الظهر في هذين اليومين ويوم الأربعاء عند الشيخ محي الدين الكافيجي "[(١)] .

لما كان السيوطي كذلك — كان طبيعيّا أن يتتلمذ على بعضهم يسيرا ، وعلى بعضهم كثيرا ، فمن هم شيوخه الذين أكثر من التلمذة لهم ؟

بتتبع التراجم وسير العلماء في " البغية " و " حسن المحاضرة " و " طبقات الحفّاظ " و " طبقات المفسّرين " و " نظم العقيان في أعيان الأعيان " و " المنجم في المعجم " وقفنا على شيوخه الذين لازمهم ملازمة تامة ، وأخذ عنهم أخذا كثيرا ، بحيث كانوا له المنهل العذب الذي ارتشف منه معظم ثقافته — وبخاصة في علوم العربية — وكانوا له القدوة الصالحة التي احتذى بها ، فتركت آثارها الواضحة عليه ، ويمكن حصر هؤلاء في ثمانية شيوخ أجلّاء :

١ — ويأتي شيخه محي الدين الكافيجي — علّامة وقته — على رأس هؤلاء الثمانية ؛ فقد لازمه السيوطي أطول مدّة تتلمذ فيها على شيخ ، ذكر أنّه لازمه مدّة أربع عشرة سنة[(٢)] ، وأخذ عنه فنون التفسير والأصول والنحو وسائر العلوم العربية ، وقال إنّه كان " سليم الفطرة ، صافي القلب ، كثير الاحتمال لأعدائه ، صبورا على الأذى ، واسع العلم جدا . . . ماجئته مرّة إلاّ وسمعت منه من التحقيقات والعجائب مالم أسمعه قبل ذلك "[(٣)] ، وقال : " ماكنت أعدّ الشيخ إلاّ والدا لي بعد والدي ، لكثرة ماله عليّ من الشفقة والإفادة "[(٤)] .

---

(١) التحدّث بنعمة الله : ص. ٢٤٠—٢٤١ .

(٢) من أول سنة ٨٦٥هـ إلى أن توفي سنة ٨٧٩هـ ، وذكر أنّه كان يحضر عنده الأحد والثلاثاء والأربعاء من بعد الظهر ، انظر : التحدّث بنعمة الله : ٢٤١ .

(٣) البغية : ١/ ١١٨ .

(٤) نفسه .

٢ — ويبدو — من كثرة نقول السيوطي عن شيخه تقي الدين الشمني في مختلف مصنّفاته النحويّة واللّغويّة — أنّه كان من أبرز شيوخه في النحو بخاصة ؛ فهو " المحدّث الأصوليّ المتكلّم النّحويّ البيانيّ المحقّق ، إمام النّحاة في زمانه "[1] ، وذكر أنّه لزمه من أول سنة ثمان وستين وثمانمائة ، ولم ينفك عنه إلى أن مات في ذى الحجة سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة ، فرثاه بأربع قصائد[2] .

٣ — وبعد الكافيجيّ والشمنيّ — في طول الملازمة وكثرة التلقّي — يأتي شيخه محي الدين عبد القادر بن ابى القاسم الأنصاريّ المالكيّ النحويّ ، فقد قال عنه : " تصدّر بمكة للإفتاء وتدريس الفقه والتفسير والعربيّة وغير ذلك . وهو إمام علّامة بارع في هذه العلوم الثلاثة ، ليس بعد شيخيّ الكافيجيّ والشمنيّ أنحى منه مطلقا . . . لا تملّ مجالسته ، كثير العبادة والصلاة والقراءة والتواضع ومحبّة أهل الفضل والرغبة في مجالستهم ، ولم ينصفني — في مكة — أحد غيره[3] ، ولم أتردّد فيها إلى غيره ، ولم أجالس بها سواه "[4] .

وكان محي الدين هذا قد أقام في القاهرة قبل أن يتصدّر في مكة للإفتاء وتدريس الفقه والتفسير والعربيّة ، وفيها قرأ عليه السيوطي[5] .

٤ — ومن أبرز العلماء الذين أكثر التلمذة عليهم بعد الثلاثة المتقدّمين شيخه علم الدين البلقينيّ — ابن شيخه سراج الدين البلقينيّ — فقد لازمه عقيب وفاة والده في الفقه خاصة[6] ، ملازمة طويلة ، وألّف في زمنه[7] شرح الاستعاذة والبسملة[8] وأوقفه عليه ، فكتب له عليه تقريظا ، وأجازه بالتدريس

---

(١) البغية : ١/ ٣٧٥ . (٢) انظر : التحدّث بنعمة اللّه : ٢٤٦ — ٢٤٧ .
(٣) ربّما يريد : في مسألته التي اختلف فيها مع ابن ظهيرة (ت ٨٩١ هـ) قاضي مكة ، حين حلّ بها مجاورا سنة ٨٦٩ هـ سنة كاملة ، انظر : نظم العقيان : ١٧ — ٢٣ .
(٤) البغية : ٢/ ١٠٤ . (٥) نفسه .
(٦) ذكر السيوطي في " التحدّث بنعمة اللّه " أنّه لزم دروس شيخه العلم البلقينيّ من أول شوال سنة خمس وستين وثمانمائة ، واستمر ملازما له ، ولم ينفك عنه إلى أن مات سنة ثمان وستين وثمانمائة ، انظر : ٢٤٠ — ٢٤١ .
(٧) سنة ٨٦٦ هـ .
(٨) ذكر السيوطي أنّه لا يعتدّ بهذين الكتابين ، مع اشتمالها على فوائد يبتهج بها المبتدئ ؛ وقال : لولا أنّ شيخنا شيخ الإسلام وقف عليهما ، وشرّفهما بخطّه — لفسلتهما في جملة ماغسلته ، فإني غسلت ماهو أجلّ بالنسبة إليهما ، وإنما أبقيتهما لشرف خطّه وبركته " ، انظر : التحدّث بنعمة اللّه : ٢٣٩ .

والإفتاء [1] ، وحضر تصديره [2] .

٥ — فلمّا توفي ، لازم شيخه قاضي القضاة شرف الدين المناوي ، آخر علماء الشافعيّة ومحقّقيهم ، وقرأ عليه عددا كبيرا من الكتب في فنون مختلفة ، وبخاصة الفقه ، ولأنّه كان من أهمّ شيوخه في الفقه ، فقد بدأ بالبلقيني ، ثمّ ثنّى به حين عرض لسلسلة شيوخه في الفقه [3] .

٦ — وكان شيخه شمس الدين السيرامي ، الإمام بالخانقاه الشيخونيّة ، أوّل شيوخه في العربيّة ، وهو ممن لازمهم السيوطي طويلا إلى أن لحقوا بالرفيق الأعلى [4] ؛ قرأ عليه من الكتب المدوّنة في علم العربيّة ما لا يحصى ، فمهر على يديه ، ثمّ على يدي شيخه الكافيجي — في علم العربيّة ، فقد طالع عليهما كتبا كثيرة ؛ قال : " وأظنّ أنّ كتب العربيّة التي وقفت عليها لم يقف عليها غالب أهل العصر ، ولا كثير ممن قبلهم . . . ثم انتقلت تلك الهمة إلى الفقه ، ولله الحمد ، فهما الآن أحسن معارفي ، وتليهما المعاني والإنشاء واصطلاح الحديث ، وأمّا الفرائض فمالي فيها إلاّ مشاركة ، وأمّا الحساب والعروض فمعرفتي بهما نزرة ، وأمّا المنطق وعلوم الفلسفة فلم أشتغل بهما لأنّها حرام " [5] .

ولأنّ شيخه السيرامي كان أوّل شيوخه في العربيّة فقد قال في حقّه : " قرأت عليه دراية : ألفية ابن مالك — من أولها إلى آخرها ، فما ختمتها إلاّ وقد صنّفت ، فأجازني بالإقراء والتدريس في مستهلّ سنة سمت وستين ، وكتب لي إجازة عظيمة " [6] .

٧ — وعلى الشيخ شمس الدين المرزباني الحنفي قرأ السيوطي الكثير في العربيّة قراءة بحث ، مثل : كافية ابن الحاجب وشرحها للمصنّف [7] ، والشافية [7] ،

---

(١) سنة ٨٦٧ هـ .
(٢) انظر : حسن المحاضرة : ١/١٨٩ .
(٣) انظر : نفسه : ١/٤٤٥ ، والمنجم في المعجم : ق ٢١/أ .
(٤) ذكر السيوطي في كتابه التحدّث بنعمة الله أنّه حضر دروس شيخه السيرامي من ابتداء شهر ربيع الأول سنة أربع وستين حتى توفاه الله ، وقد توفي الشيخ سنة ٨٧١ هـ .
(٥) التحدّث بنعمة الله : ص ٢٣٧ .
(٦) مطبوعان عدّة طبعات .
(٧) مطبوعة عدّة طبعات .

وقطعة من كتاب سيبويه [١] ، وسمع الكثير في الفنون ؛ مثل : شرح العقائد للتفتازاني [٢]، وتلخيص المفتاح [٣] ؛ فقد كان عالما بالفنون ، صالحا ، مشهورا بالصلاح ، متصديا لنفع الطلبة ، مقيما بالخانقاه الشيخونية ، وهو خازن كتبها ، وما تزوج قط ، ولا تردد إلى أحد ، وكان شيخنا العلامة محي الدين الكافيجي يعظمه [٤] ، وقد نصّ في ترجمته الشيخ على أنه حضر دروسه من أول سنة ٧٦٤هـ إلى أن مات سنة ٨٦٧هـ ، وذكر أنه " كان الغالب عليّ في هذه المدة النظر في علم العربية ؛ فطالعت من الكتب المدونة فيها ما لا يحصى ... وكتبت مسودات تصانيف ، فكتبت على الآجرومية شرحا منثورا ، ثم شرحا منظوما ، ثم على الجمل للزجاجي ، ثم على الكافية الكبرى لابن مالك ، وعلى كتب أخرى ومسائل شتى وآيات متفرقة ، ثم غسلت الجميع بعد ذلك ، فلم يبق له أثر " [٥] .

٨ — ولزم السيوطي في الحديث والعربية شيخه تقي الدين الشبلي الحنفي ؛ قال : " واظبته أربع سنين ، وكتب لي تقريظا على شرح ألفية ابن مالك [٦] ، وعلى جمع الجوامع في العربية [٧] — تأليفي — وشهد لي غير مرة بالتقدم في العلوم بلسانه وبنانه ، ورجع إلى قولي مجردا في حديث ؛ فإنه أورد — في حاشيته على الشفاء — [٨] حديث ابن أبي الجمراء في الإسراء ، وعزاه إلى تخريج ابن ماجه ، فاحتجت إلى إيراده بسنده ، فكشفت ابن ماجه في مظنته ، فلم أجده ، فمررت على الكتاب كله ، فلم أجده ، فاتهمت نظري ، فمررت مرة ثانية ، فلم أجده ، فعدت ثالثة ، فلم أجده ، ورأيته في معجم الصحابة لابن قانع [٩] ،

---

(١) طبع الكتاب عدة طبعات .

(٢) وهو شرح سعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٣هـ) على العقائد النسفية — لأبي حفص عمر النسفي ، مطبوع في الآستانة سنة ١٣١٣هـ .

(٣) لجلال الدين الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ)، وهو ملخص من مفتاح العلوم — لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي — مطبوع في بيروت سنة ١٣٠٢هـ .

(٤) نظم العقيان : ص ١٤٩ .

(٥) التحدث بنعمة الله : ص ٢٣٨ .

(٦) يعني : كتاب البهجة المرضية في شرح الألفية — للسيوطي ، وهو مطبوع في مصر سنة ١٣١٠هـ .

(٧) مطبوع مع شرحه ممزوجا باسم " همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية " في مصر سنة ١٣٢٧هـ .

(٨) وهو : كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى — للقاضي عياض (ت ٥٤٤هـ) ، وهو مطبوع في فاس سنة ١٣١٣هـ .

(٩) مطبوع في دهلي سنة ١٣١١هـ .

فجئت إلى الشيخ وأخبرته ، فبمجرّد ماسمع منّي ذلك أخذ نسخته ، وأخذ القلم ، فضرب على لفظ ابن ماجه ، وألحق ابن قانع في الحاشية ، فأعظمت ذلك ، وهبته ؛ لعظم منزلة الشيخ في قلبي ، واحتقاري في نفسي، فقلت ؛ ألا تصبرون ، لعلكم تراجعون ، فقال : لا ، إنّما قلّدتُ في قولي : ابن ماجه ـ البرهان الحلبي . ولم أنفك عن الشيخ إلى أن مات "[1].

على أنّنا نلمح في جملة هؤلاء الذين لازمهم السيوطي طويلا ، غير موسوعيّة التكوين العلمي ـ الضلاعة في علوم العربيّة ، مع الصلاح والعفّة والتواضع وأخذ النفس بجدّ العالم ووقاره وعزّته ، فهل بثّوا فيه كلّ هذه السجايا الممتازة ، كما بثوا فيه موسوعيّتهم ، وضلاعتهم في علوم العربيّة ؟

تكوّنه العلميّ :

وعلى ضوء ماتقدّم ؛ نخلص إلى أنّ السيوطي قد درج ـ في حياته العلميّة ـ على مرحلتين : أولاهما ـ مرحلة الطلب ، وفيها تعلّم مبادئ العربيّة ، وحفظ القرآن ، وحفظ عمدة الأحكام ، ومنهاج الفقه والأصول ، وألفية ابن مالك ، وعرض ماحفظه على شيوخه : العلم البلقيني ، والشرف المناوي ، والعزّ الحنبلي ، والأقصرائي ، وله دون أربع عشرة سنة ، ثم شرع في الاشتغال بالعلم ، وله من العمر خمس عشرة سنة ، فلازم أكثر شيوخ عصره ، وأخذ عنهم مختلف فنون الثقافة ، مع حرصه على المتابعة الشخصيّة ، فقد أولع ـ من صغره ـ بدراسة البحث والتحقيق ؛ لذا نراه يقول : " ولم أكثر من سماع الرواية ؛ لاشتغالي بما هو أهمّ ، وهو قراءة الدراية "[2] ، فرزقه الله الانتهال من كلّ فنّ ، والتبحّر في سبعة علوم ؛ وهي : التفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو ، والمعاني ، والبيان ، والبديع .[3]

ولم يكن ، بطبيعته السمحة ـ يميل إلى بعض العلوم ؛ كالمنطق والحساب ، قال : " وقد كنت في مبادئ الطلب قرأت شيئا في علم المنطق ، ثم ألقى الله كراهته في قلبي ، وسمعت أنّ ابن الصلاح أفتى بتحريمه ، فتركته لذلك ، فعوّضني الله تعالى عنه علم الحديث الذي هو أشرف العلوم . . . وأمّا علم الحساب ، فهو أعسر شيء عليّ وأبعده عن ذهني ؛ وإذا نظرت في مسئلة تتعلّق به ، فكأنّما أحاول جبلا أحمله "[4] .

---

(١) حسن المحاضرة : ١/ ١٨٩ . (٢) نفسه : ١/ ٣٣٩ .
(٣) نفسه : ١/ ٣٣٨ . (٤) نفسه : ١/ ٢٤٢ .

وفي هذه المرحلة أجيز بتدريس العربيّة ، وله من العمر ست عشرة سنة ، وبتدريس الفقه والأصول والإفتاء وإملاء الحديث ، وله من العمر خمس وعشرون سنة ، وفيها بدأ في التصنيف ، وكان أوّل شيء ألّفه شرح الاستعاذة والبسملة .

وكان ، مع تصدّيه للتدريس والتأليف في هذه المرحلة ، يطلب العلم لا يقتصر منه على شيء ؛ فكلّما ازداد معرفة استشعر في نفسه بالجهل ، ولم يتوان عن العكوف على الكتاب ، أيّا كان قدره ونوعه ، وعلى ملازمة الشيوخ، دون أن يقتصر منهم على مايلائم منهجه أو مذهبه الديني ، ويبدو هذا واضحا من دراسته على شيوخ الحنفيّة والمالكيّة والحنبليّة في عصره ، ولا أن يقتصر منهم على القريبين منه ؛ فقد تردّد على الفيّوم والمحلّة ودمياط والإسكندريّة ، وسافر إلى الحجاز ، وطوّف في بلاد الشام واليمن والهند والمغرب والتكرور، طلبا للعلم والاختبار ، والتزوّد بالرؤية ، والاتصال بأهل العلم .

أمّا المرحلة الثانية — مرحلة الإحاطة بكلّ ماطلبه ؛ ففيها غدا السيوطي موئل استفتاء الناس وسؤالهم والرجوع إليه في شؤون الدين والعربيّة ؛ فقد تولّى سنة ٨٧٢هـ ، وله من العمر اثنتان وعشرون سنة ، منصب الأستاذيّة في جامع طولون ، ثمّ في المدرسة الشيخونيّة سنة ٨٧٣هـ ، ثم تولّى مشيخة التصوّف بتربة برقوق سنة ٨٨٠هـ ، فمشيخة الخانقاه البيبرسية سنة ٨٩٢هـ ، ودأب كثير من الطلبة على الرحلة إليه ، والتلمذة له ، وانتشرت أخباره وكتبه في العالم الإسلامي ؛ فعرفه العلماء في كثير من الأصقاع ، وكاتبوه ، واستجازوه ، وقدّروه حقّ قدره (١) .

ومازال السيوطي يتصدّر للتدريس والإفتاء وإملاء الحديث ، ويطلب العلم ، ويبذله ، ويصنّف التصانيف ، حتى راح يعتدّ بنفسه ، ويدلّ بعلمه وتصانيفه ؛ ويقول : " قد كملت عندى — الآن — آلات الاجتهاد ، بحمد الله تعالى ؛ أقول ذلك تحدّثا بنعمة الله تعالى ، لا فخرا ، وأيّ شيء في الدّنيا حتى يطلب تحصيلها بالفخر (٢) ، وقد أزف الرّحيل، وبدا الشيب،وذهب أطيب العمر ، ولو شئت أن أكتب في كلّ مسألة مصنّفا بأقوالها وأدلّتها النقليّة والقياسيّة ومداركها ونقوضها وأجوبتها والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها ، لقدرت على ذلك من فضل الله ، لا بحولي ولا بقوتي ، فلاحول ولا قوة إلاّ بالله " (٣) ؛ فقد غدا بحرا زاخرا من العلم ، وطرقا متشعّبة من المعارف ، يضلّ

---

(١) كما يتجلّى ذلك من صلاته القويّة بهم ، وإجازاته التي حفظ لنا بعضها في تواريخه وبعض كتبه .

(٢) كذا .

(٣) حسن المحاضرة : ١/ ١٩٠

سالكها ، متمكّنا من موضوعه ، قابضا على ناصيته ، متصرّفا فيه كيف شاء ، مستنبطا دقيقا ذا بصر ثاقب ، وملاحظة نافذة ، وحافظة نادرة المثال ؛ بحيث لا تنسى شيئا مما حفظ حتى قضى نحبه ، شهد له بذلك تلاميذه والمنصفون من معاصريه (١) .

وضعه الاجتماعيّ :

ترك لنا — رحمه الله — معلومات قيمة عن نشأته ودراسته وشيوخه ومؤلّفاته في أكثر من كتاب له ، وسكت عن ذكر أي شيء يتصل بوضعه الاجتماعيّ ، أمّا الذين ترجموه فلم يزيدوا على ما أفصح به عن حياته شيئا ، ولم يزيدوا على سكوته عن بعض الأمور فيها إلاّ سكوتا ، ولم نر أحدا في الباحثين المعاصرين حقق في شيء من ذلك ، أو عرض له مجرّد عرض ، والمؤرّخون يضربون — في الغالب — صفحا عن الخوض في الوضع الاجتماعيّ لمن يترجمونه ؛ لأنّه لا يترتّب على الخوض فيه — على مشقّته — أمر ذو بال .

ومع أنّ أخبار حياته التي انتهت إلينا لا تدلّنا على أنه كان متزوّجا معقّبا ، بل تجعلنا نرجّح أنّه كان عزبا ، لم يتزوّج قطّ ؛ لما كان يأخذ به نفسه من الخشونة والعزوف عن الدّنيا ، والانقطاع إلى العلم والتصنيف والعبادة منذ فتح عينيه على الحياة ؛ فقد وقعنا على نصّين ، يطلعنا السيوطي في أحدهما على اسم زوجه التي كان مقترنا بها حتى فارقت الحياة ، وفي الآخر على اسم أحد أبنائه وكان ممن أخذوا عن شيخه الشمني .

ففي معرض كلامه عن التورية في كتابه " شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان (٢) " أراد أن يضرب مثلا ، يبيّن فيه المعنى القريب في التورية وذلك البعيد المورى عنه ؛ فقال : " وقلت في ذلك ، أرثي غصونا أمّ أولادي — رحمها الله تعالى :

يا من رآني بالهموم مطوّقا ... وظللتُ من فقدي غصونًا في شجون
أتلومني في عظم نوحي والبكا ... شأن المطوّق أن ينوح على غصون (٣) "

وفي أثناء ترجمته شيخه تقي الدين الشمني في " البغية " ذكر أن ولده محمدا ممن حضروا عليه ، وأخذوا عنه ؛ فقال : " سمعت عليه قطعة كبيرة من المطوّل — للشيخ سعد الدين ، ومن التوضيح لابن هشام قراءة تحقيق ، وسمعت وقرأت عليه في الحديث عدّة أجزاء (٤) ، وحضر عليه في الأولى ولدي ضياء الدين محمد أشياء ذكرتها في معجمي (٥) " .

---

(١) انظر : الضوء اللامع : ٤/ ٦٥ ، ٦٨ (٢) مطبوع في مصر عدّة طبعات.
(٣) ص ١١٤ . (٤) تعقّبنا هذه الأشياء في معجم شيوخه "المنجم في المعجم" ، فلم نعثر عليها .
(٥) البغية : ١/ ٣٧٧ .

خلقـــــــــه :

كان البيت الذى درج فيه السيوطي ، وليدا ، بيت علم وفضل ونبل ، ومجتمع الشيوخ الذين كانوا يحوطونه برعايتهم ، طفلا ثم شابا يافعا ، مجتمع تهذيب وكمال وعلو أخلاق ، مجتمعا جليلا محتشما كبير الشأن .

فلا عجب — إذن — إذا كان السيوطي كريم الأخلاق جمّ المزايا، طيّب النفس، ليّن العريكة ، يحثّ — دائما — على التحلّى بكريم الخلق وحميد السجايا ويرى أنّ التجمّل بهما أفضل من طلب العلم (١) ، ويمقت هجر القول وفاحش الكلام حتى في ردوده على خصومه (٢) ، ويدعو إلى ترويض النفس على الزّهد والورع (٣) ، وتجميلها بالتواضع وحبّ الحقّ ، وتوطينها على الخشونة والقلّة والعفّة (٤) ، مع ماعرفنا عن الحياة الاجتماعيّة في هذا العصر ، وماأصابها من الجهل والانحراف .

ولعلّ من أبرز ما اتّصف به السيوطي من خلق العلماء الذين تتلمذ لهم كبر النفس ، وأوّل ماشاهدناه من كبر نفسه زهده في جاه حاضر ، ودنيا مقبلة مع مجد طريف تالد عند السلطان ، فقد كان هذا ميسورا ، على حبل الذراع منه ، لأنّ أباه كان في صحبة المستكفي بالله محظوظا لديه ، وكان السلاطين والأمراء يخطبون ودّه (٥) ، ولكنّه صدف عن ذلك كلّه ، وقصر حياته على نشر العلم وخدمة طلّابه ، تورّعا وزهدا ، وابتغاءً لمرضاة اللّه وحسن ثوابه .

ثمّ لم يورثه كفاف العيش ولا حاجته إلى المال تبذّلا ولا تذلّلا، وإنّما أورثاه شدّة في الاعتداد بالنفس ، والزهد ، والورع ؛ بحيث إنّه كان في عزلته عن الحياة العامة "إذا احتاج شيئا ، باع من كتبه ، واعتاش بثمنها" (٦) ، في الوقت الذى "كانت

(١) انظر : المقامة اللّؤلؤية : ق ٢/ب ومايليها .
(٢) انظر : اللّفظ الجوهريّ في ردّ خباط الجوهريّ : ق ٢/أ ومايليها .
(٣) قال ، مثلا ، يردّ على الجوجري في فتوى باطلة أفتى بها : "ولو استحييتَ من ربّك ، لتثبتّ فيما تقول ، ولو استحضرتَ أنّ فتواك تعرض عليك يوم القيامة ، وتسأل عنها حرفا حرفا ، لتحرّزتَ فيما تكتبه ، كأنّك ماسمعتَ قول القائل :
فلاتكتبْ بخطّك غيرَ شيءٍ يسُرّكَ يومَ القيامةِ أنْ تَرَاهُ"
انظر : التحدّث بنعمة اللّه : ص ١٧٧ — ١٧٨ .
(٤) انظر : التحدث بنعمة الله : ٢٠ ، ١٣٨ ، ١٧٨ ، ٢٤١ ، وذيل طبقات الشعرانى : ق ٣/أ ومايليها ، وفيه : "كان الشيخ جلال الدين — رحمه اللّه تعالى — مجبولا على الخصال الحميدة من صفاء الباطن ، وسلامة السريرة ، وحسن الاعتقاد ، زاهدا ، ورعا ، مجتهدا في العلم والعمل ، لم يتردّد إلى أحد من الأمراء والملوك ولا إلى غيرهم مدّة حياته — رضي اللّه عنه — وكان يظهر كلّما أنعم اللّه به عليه من العلوم ولا يكتم منها إلاّ ماأمر بكتمانه — عملا بقوله تعالى : وأمّا بنعمة ربّك فحدّث ، وكان من لا يعرف مقصده يقول : فلان عنده دعوى عظيمة" . (٥) نفسه : ق ١٦/ب . (٦) نفسه .

الأمراء والأغنياء يأتون إلى زيارته ، ويعرضون عليه الأموال النفيسة ، فيردّها ؛ وأرسل له السلطان الغوري خصيّا وألف دينار ، فردّ الألف وأخذ الخصيّ ، فأعتقه ، وجعله خادما في الحجرة النبويّة ، وقال لقاصده : لا تعدْ تأتِنا قطّ بهديّة ، فإنّ اللّه أغناني عن مثل ذلك "[1] .

ومن زهده ، كذلك ، تحرّيه الحقّ دائما ؛ فلم يجامل فيه أحدا ، ولم يداري سلطانا ، بل مضى في إحقاقه متحمّلا المكاره والشدائد ، غير مبال بالنتائج ؛ قيل له مرّة : إنّ بعض الأولياء كان يتردّد على الملوك والأمراء في حوائج الناس ، فقال : اتّباع السلف الصالح في عدم تردّدهم أسلم لدين المسلم ، وكذلك في ردّ أموالهم عليهم "[2] .

وحدث أن مرض أحد السلاطين الذين عاصرهم " مرضا شديدا أشرف فيه على الموت ، وطلع له العلماء وغيرهم يهنّئونه بالسلامة ، فلم يطلع الشيخ له ، فأرسل له قاصده يطلبه ، فأبى . وأوقد ابن الكركي عليه النار ، وقال : هذا عاصي اللّه ورسوله في عدم إجابة ولي الأمر . قال الشيخ : ثم إنّ السلطان أرسل إليّ قاصده يخوّفني بأمور يوقعها ، فقلت لقاصده : قل له إنّ لك سلطانا نيّفا وعشرين سنة ، فما رأينا منك سوءا ، فإن لم ترجع عنّي وإلاّ توجّهت فيك إلى رسول اللّه يحكم بيني وبينك . حتى طلع مشايخ الإسلام يهنّئونه بالشهر ، فاستفتاهم في عدم الطلوع له بسلوك طريق السلف في ذلك ، فما منهم أحد نصر الحقّ ولا قال فيما يلزمه من أنّ عدم طلوع العلماء للمولوك سنة ، ولا قال هو سنّة السلف . فعزلت نفسي عن سائر الوظائف التي لهم عليها ولاية "[3] .

ومع كبر نفسه ، وزهده في الدنيا ، وتحرّيه الحقّ ، كان مثلا بليغا في التواضع ، وخفض الجناح ؛ فهو لا يدّعي لنفسه شيئا ليس له ، ولا يستعلي على غيره ، ولا يرى بأسا في أن يأخذ العلم عن أقلّ الناس علما ؛ فإنّ العلم ضالّة المؤمن ، من حيث أخذه نفعه ، وفي معجم شيوخه " المنجم في المعجم " ترجم طائفة ممن تتلمذ لهم من نساء عصره ، وأقرانه ، وممن يصغرونه سنّا[4] .

---

(١) ذيل طبقات الشعراني : ق ١٧/ب .
(٢) نفسه : ق ١٨/أ .
(٣) نفسه : ق ١٩/أ ، ثم ألّف في هذه الحادثة رسالة سمّاها " ماروّاه الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين " .
(٤) انظر : المنجم في المعجم : ق ١٣/ب ، ١٤/أ ، ١٦/أ ، ١٧/أ — ب ، ٢٤/أ — ب ، ٣٣/ب ، ٣٤/أ — ب .

وللسيوطي ، إلى جانب فضائله ، أشياء ربّما عدّها بعض المؤرّخين من العيوب ؛ من بينها مجاهرته بالفضل لنفسه ، وحدّة مزاجه ، وفي تقديرنا أنّ هاتين الصفتين دعت إليهما دواعي الخصومة بينه وبين بعض معاصريه ؛ فهما طارئتان عارضتان ، فلقد كان موقف خصومه منه يقتضيه العنف والحدّة ، فقابل حسدهم وكيدهم له بازدرائه وإدلاله بعلمه .

خصوماته :

لم تترك الصّراحة والحدّة والصّلابة والاعتداد بالنفس للسيوطي صديقا ولا شفيعا عند الناس ؛ لأنّهم مفطورون على حبّ المصانعة والمداراة والتسامح والتساهل فيما يمسّ حقوق الآخرين وحظوظهم ، وظلّ — رحمه اللّه تعالى — يتلقّى عواقب هذه الشمائل ، طول حياته ، ولا يزيده ذلك إلاّ مضيّا في سبيله ، وعنادا في جداله .

وجرّ عليه ازدياد فضله ، وعلوّ شأنه ، وذيوع صيته ، وتقدّمه في مختلف الفنون ، ثم دعواه الاجتهاد (١) ، وأنّه مجدّد المائة التاسعة (٢) ، وانتشار فتاواه ومؤلّفاته في عصره ، وعدم مخالطته الأمراء والأعيان ولا السلاطين — جرّ عليه كلّ ذلك ما جرّ من تأليبهم عليه ، وحسدهم إيّاه ، وبقي — إلى آخر حياته — مضايقا من أقرانه ، مطعونا في طباعه ومواهبه وعلمه ومؤلّفاته ، مرميّا بما ليس فيه ؛ فقد ضلّلوه ، وحمّقوه ، وجهّلوه ، ونسبوه إلى التكبّر والاستعلاء وبذاءة اللّسان ، واتّهموه بالهوس واختلاس تصانيف العلماء (٣) ، وحذّروا منه العوام ، وطاردوه بدعاواهم الظالمة .

---

(١) في كتبه : " الردّ على من أخلد إلى الأرض وجهل أنّ الاجتهاد في كلّ عصر فرض " ، وفي " حسن المحاضرة " ، وفي " الكوكب الساطع شرح جمع الجوامع " وفي " مسالك الحنفاء " ، قال السيوطي : " قد أشاع الناس عنّي أنّي ادّعيت الاجتهاد المطلق — كأحد الأئمة الأربعة ، وذلك باطل عنّي ، إنّما مرادي بذلك المجتهد المنتسب ، فإنّ الاجتهاد على نوعين ، أحدهما : المجتهد المطلق المستقلّ ؛ وهذا النوع قد فقد من القرن الرابع ، ولا يتصوّر وجوده الآن ، ولم يدعه أحد بعد الإمام الشافعي ، إلاّ ابن جرير ، خاصة . النوع الثاني : المجتهد المطلق المنتسب ؛ وهذا هو المستمر إلى أن تقوم الساعة ، وفي أصحاب الشافعي من هذا النوع ، كثير " ، انظر : ذيل طبقات الشعراني : ق ١ / أ ومايليها .

(٢) في " تحفة المهتدين بأسماء المجدّدين " .

(٣) انظر ، مثلا ، الضوء اللامع : ٤ / ٦٥ — ٧٠ .

وحدث أن " قام عليه صوفيّة الخانقاه البيبرسيّة ؛ وكان قد قال لهم : لستم بصوفيّة ، وإنّما الصّوفيّ من تخلّق بأخلاق الأولياء ، كما يشهد لذلك كتاب الحلية — لأبي نعيم (١) ، ورسالة القشيريّ (٢) ، وغيرهما من الكتب ، ومن يأكل المعلوم بغير أن يتخلّق بأخلاقهم حرام . فلمّا اشتدّ الأمر ، وسعوا في قتله عند السلطان ؛ لم يتغيّر منه شعرة واحدة (٣) ، ثم إنّ جميع من قام على الشيخ حصل له مقت بين العباد ، ومات على أسوأ حال . وقد رأيت أنا بعيني من صار يأكل حراما سحتا . وبعضهم ابتلي بالإنكار على الأولياء والعلماء ، حتى ظهرت عليه أمارات الشقاء عند الموت من فقد الشهادتين ، وزرقة العينين ، وسواد وجهه ، نسأل الله تعالى العافية " (٤) .

وكان السيوطيّ يتحمّل صنوف الأذى من الحسّاد صامتا حينا ، وينفّس عن نفسه بأبيات يرسلها ، أو كتب ورسائل يصنّفها حينا آخر ؛ كلّ ذلك في رجولة وشموخ واحتساب للأجر ؛ يقول الشعراني — فيما يرويه عنه" وكان — رضي الله عنه — يقول : مما أنعم الله به علي هو : الجماعة الذين انتصبوا لعداوتي وآذوني ؛ وذلك ليكون لي أسوة بالأنبياء والمرسلين " (٥) ؛ ويقول عنه يصف موقفه منهم : " وامتحن الشيخ المحن الكثيرة ، وما سمعته يوما واحدا يدعو على من آذاه من الحسدة ، ولا يقابله بسوء ، وإنّما يقول : حسبنا الله ونعم الوكيل " (٦) .

أمّا منافسوه وأقرانه من العلماء فقد تحامل عليه منهم كثيرون ، وله معهم قصص خلاف كثيرة ، ومنازعات في مسائل مختلفة ؛ منهم : ابن الكركي ، وابن العليف ، والجوجري ، والقسطلاني ، والباني ، فألّفوا في سبّه واستنقاصه وذكر مثالبه المؤلّفات ، بدعوى الردّ عليه في مسألة من مسائل العلم ، وألّف السيوطي الردود بلغة لم تخلُ من

---

(١) هو كتاب " حلية الأولياء" لأبي نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) ، وهو مطبوع في حيدر آباد بالهند سنة ١٣٢٠هـ.

(٢) وهي الرسالة القشيرية ، وتعرف بالرسالة في رجال الطريقة ، أو الرسالة المباركة ، وهي مطبوعة في بولاق سنة ١٣٣٠هـ.

(٣) فقد صرف عن منصب الأستاذيّة في هذه المدرسة البيبرسيّة في رجب سنة ٩٠٦هـ بالتهمة التي ألصقوها به ؛ وهي خيانة الأمانة فيما عهد إليه من إدارة أملاك هذه المدرسة ؛ حيث حوكم ، ورتّبوا عليه تهمة الاستيلاء على دارهم الصوفيّة ، بعد أن فشلوا في قتله بتهم أخرى .

(٤) ذيل طبقات الشعراني : ق ١٩/ب .

(٥) نفسه : ق ٥/ب.

(٦) نفسه : ق ٢٠/ب، وقد صنّف في هذا المعنى كتابا سماه " تأخير الظلامة إلى يوم القيامة".

القسوة وألفاظ التهكّم في كثير من الأحيـــان .

أما خصومة السخاوي له ، فهي ذائعة مشهورة ، أخذت بينهما زمنا ليـــس بقليل ، كما شغلت من أوقات الناس — في زمنهما — كثيرا ، وقد فصّل القول فيهـــا غير واحد من القدماء والمحدثين (١) .

على أنّنا لا نشفق على السيوطي فيما لقيه من أحقاد معاصريه وقسوة أقرانه عليه ، في حياته ؛ فقد كانوا مسرفين في الخصومة له ، وكان يقابل إسرافهم بإسراف مثلـــه أحيانا ، ويتحاملون عليه في ترجمته تحاملا مظلما ، ويتحامل عليهم في ترجمتهم تحاملا يدنو من تحاملهم أحيانا ، وبسبب المعاصرة نفسها لقي العلماء ، قبله ، مالقيه مـــن الحسّاد والخصوم ممن لم يدانوهم من صغار العلماء وغيرهم ؛" يطلب الرجل منهم فنّا مـن فنون الآداب ، فيقسم له حظّ فيه ، وينال درجة منه ، فلا يرى أنّ اسم العالم يتمّ لـــه ، ولا أنّ الرياسة تنجذب إليه ، إلاّ بالطعن على العلماء ، والوضع من ماضيهم ، والاستحقار لبتاقيهم . ويكثر ذاك على لسانه حتى يكون أجلّ فوائده ، وأكثر مايمرّ في مجلسـه" (٢) .

غير أنّ موضع الاشفاق في نكد السيوطي هو أنّ خصومة الناس له لم تنقطع بموتـــه ، بل استمرّ حظّه السيّء ينسج حول اســـمه ذيولا من الانتقاص والعيب ، حتى صرنـــا نرى الباحث الحديث ، إذا استفاد من كتبه أو اقتبس منها شيئا ، عقّب عليه بما يشعرنا بعدم الاحترام ، وقد مضى السيوطي ومعاصروه جميعا إلى ربّهم يحاسبهم ، وهو مـــن يضع الموازين القسط ، ولا تظلم عنده نفس شـــيئا .

المرحلة الأخيرة من حياتـــه :

منذ بلغ السيوطي أربعين سنة أخذ في التجرّد للعبادة والانقطاع إلى اللّـــه — عزّ وجلّ — وبالاشتغال به صرفا ، والإعراض عن الدنيا وأهلها حتى كأنّه لم يعرف أحـــدا منهم ، وشرع — في هذه الأثناء — في تحرير مؤلّفاته ، مع قيامه بإدارة أملاك المدرســـة البيبرسيّة .

---

(١) انظر ، مثلا ، البدر الطالع ، وشذرات الذهب ، ومقدّمة نظم العقيان ، وسنعرض لأهمّ ماجاء في هذه الخصومة مما يتّصل ببحثنا في الفصل الذي عقدناه لآراء القدماء والمحدثين في السيوطي — في الباب الخامس " نقد وتقويم " .

(٢) أخبار أبي تمّام — للصّوليّ : ص ٦ وما يليهـــا (ط الدكتور خليل عساكر ورفيقيه القاهرة ١٣٥٦ هـ) .

فلمّا كانت حادثة الصوفيّة الذين رتّبوا عليه تهمة الاستيلاء على دارهم الصوفيّة، لأنّه قطع عنهم جعيلتهم، فعزل عن إدارة المدرسة البيبرسيّة، هنالك قطع صلته بالحياة العامة، واعتكف في جزيرة الرّوضة بالمنيل، ولم يتحوّل عنها إلى أن مات.(١)

وكانت وفاته سحر، ليلة الجمعة، تاسع شهر جمادى الأولى سنة ٩١١هـ، وقد استكمل من العمر إحدى وستين سنة وعشرة أشهر وثمانية عشر يوما، فيما يرويه ابن إياس والشعراني؛ وهما ممن حضروا الصلاة عليه عقيب صلاة الجمعة.(٢)

ويروى أنّه كان قد تمرّض بورم شديد في ذراعه الأيسر، لسبعة أيام قبل موته، وأنّه قرأ — عندما حضرته الوفاة — سورة يس، وأنّه كان لتشييعه مشهد عظيم، ودفن في قبر والده، بجوار خانقاه قوصون، خارج باب القرافة، وأنّ والدته عملت على قبره — بعد ذلك — بناء لطيفا، وعمل له الأمير قرقاش صندوقا كبيرا من الخشب وسترا أسود مطرّزا بآية الكرسي، وأنّ ضريحه غدا مقصودا للزيارة.(٣)

ورووا أنّه لم يتعرّض أحد لتركته، مع أنّ الزّمن كان زمن جور، كما تقدّم، ونقلوا عن قانصوه الغوري أنّه قال: "لم يقبل الشيخ منّا شيئا في حياته"(٤)، فلا نتعرّض لتركته بعد مماته".(٥)

---

(١) انظر: ذيل طبقات الشعراني: ق ١٧/أ.

(٢) انظر: بدائع الزهور: ٣/٦٣، ٤/٧٩، وذيل طبقات الشعراني: ق ١١/أ.

(٣) انظر: المصدرين السابقين.

(٤) يشير إلى الهدية التي كان قد بعث بها إليه، فأخذ منها الخصيّ، وأعتقه، وردّ الألف، قائلا: لا تعدْ تأتِنا، كما يشير إلى عرضه عليه أن يعود إلى مشيخة الخانقاه البيبرسية، بعد حادثة الصوفيّة، مارّة الذكر، فرفض.

(٥) السنا الباهر: ص ٩٢.

الفصل الثاني
آثاره العامة

سمات آثاره :

إذا كان لكلّ عمل علميّ سمة يوسم بها ، في وقتنا الحاضر ، أو ميدان يختصّ به ، من لغة أو أدب أو تاريخ أو سياسة أو آثار أو بلدان ؛ فإنّ عدداً غير قليل من كتب السيوطيّ يمكن أن يوسم بكلّ هذه الميادين مختصّاً بها اختصاصاً جزئياً أو كلّياً ؛ فقد أسهم في كلّ ميدان منها بنصيب وافر من الكتب الكبيرة الضافية الشمول أو الرّسائل الصغيرة التي يتناول في كلّ منها موضوعاً واحداً محدّداً من جميع نواحيه ـ مما يمكن أن نضعه تحت اسم " الكتب المتخصّصة "[1] .

حقّاً ، لقد ساد هذا الاتّجاه في التأليف ، وفشا ـ بصورة واضحة ـ في عصر السيوطيّ ؛ حيث انكبّ العلماء المسلمون فيه على مختلف فروع الثقافة الإسلاميّة ، ينهلون منها ، ويدرسونها ، ثمّ يأخذون في التصنيف فيها جميعاً ، دون أن يقتصروا على فرع واحد منها غالباً ،[2] حتى غدا الإسهام بالتأليف في مجالات الثقافة الإسلامية المختلفة من أظهر سمات الشخصيّة الثقافيّة للعلماء في هذا العصر .

وسار السيوطيّ سير علماء عصره في هذه السمة التأليفيّة ؛ فانعطف على مختلف العلوم بالاطّلاع الكثير على المصادر ، والأخذ الكبير عنها ، ثم انعطف عليها جامعاً ، شارحاً ، ملخّصاً ، مختصراً ، أوّل عهده بالتأليف ، ثمّ انعطف عليها ـ أخيراً ـ بالتأليف الجامع المتخصّص الذي له طبيعته وملامحه ودوافعه .

ولكن هل كانت مؤلّفات السيوطيّ ، كما وصفها بعض الباحثين بأنّها ذات طابع الجمع ، لا التأليف بالمعنى الصحيح[3] ـ تبعاً لحكمهم المطلق على مؤلّفات العصر

---

(١) أي التي تخصّصت في علم واحد أو فنّ واحد ، وتعمّقت فيه ؛ وهي تقابل كتب التبسّط والشمول في جميع حقول المعرفة ، تلك التي تأخذ من كلّ فنّ بطرف.

(٢) انظر في " البغية " مثلاً : ١/١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٣٠ ، ١٣٤ ، ١٤٥ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ٣١٣ ، ٢/٣٤٤ .

(٣) انظر مثلاً : المؤرّخون في مصر في القرن الخامس عشر ـ للدكتور مصطفى زيادة : ص ٩١ (ط لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٦٩م) ، وقصّة الأدب في مصر ـ للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي : ٢/١١٦ (ط دار الطباعة المحمّديّة بالأزهر ١٩٥٦م) ، والأدب المصريّ من قيام الدّولة الأيوبيّة إلى مجيء الحملة الفرنسيّة ـ للدكتور عبد اللطيف حمزة : ص ٢٤٥ (ط دار مكتبة النهضة المصريّة بالقاهرة) .

بأنّها شروح وتلخيصات واختصارات وحواشٍ على مختلف العلوم الإسلاميّة السابقة ، وكتب المتقدّمين ؛ بغية الحفاظ على التراث الثقافيّ في مختلف فروعه ؟

الحقّ أنّ معظم مؤلّفات السيوطيّ ، وبخاصة المتأخرة منها ، تعطينا صورة واضحة عن رغبته في تحقيق مظاهر التأليف العلميّ الصحيح في كتبه ؛ فهو دائم الاطلاع والبحث في كتب المتقدّمين والمعاصرين له ، شديد الدّقّة في ملاحظة الزّيادة التي يضيفها أحدهم إلى الآخر ، دائب التّتبّع في ذكر الإضافات التي يجدها في موضوع ما وضمّها إلى محيط ذلك الموضوع ، كثير الاستدراك والتنبيه والنقد والتعقيبات ، وهو القائل : " لا ينبغي لحصيف يتصدّى لتصنيف أن يعدل عن غرضين ؛ إمّا أن يخترع معنىً ، وإمّا أن يبتدع وضعاً ومبنىً ، وماسوى هذين الوجهين فهو تسويد الورق "[1] .

ونظرة واحدة في كتبه ورسائله ، وأخرى في كتب معاصريه ورسائلهم تبيّن أنّ السيوطيّ كان منهجيّاً في التأليف إلى حدّ بعيد ؛ فقد جمع — إلى احتوائه المجالات المختلفة في الثقافة الإسلاميّة في عصره — الأسلوب العلميّ في وضع المؤلّفات ؛ فهو في كلّ مؤلّف له ، يحدّد منهجاً لا يكاد ينفلت منه ؛ فإذا ألّف في اللّغة لم تجده يخرج عنها إلى فنّ آخر إلاّ مايكون سوقه مرتبطاً بمسألة لغويّة ، وإذا ألّف في التاريخ لم تجده يتركه ويمضي إلى غيره من الفنون الأخرى إلاّ إذا كان مايمضي إليه متعلّقاً بسبب إلى المادّة التاريخيّة التي يتناولها ، وهكذا ؛ فلم نر عنده سعة وشمولاً غير محدودين ، ولا تسامحاً في الاستطراد بشكل يدعو إلى الاضطراب ، ولا خروجاً عن الموضوع الأصليّ إلى غيره ، دون العودة إلى الموضوع الأساسيّ ، ولا عشوائيّة في تقسيم أبواب الكتب وترتيب موادّها ، بل رأينا كتباً ورسائل جامعة مانعة ، كلّ منها في بابه ، وانسجاماً في التأليف ، ووحدة موضوعيّة ، وتقسيماً منهجيّاً ، وتفصيلاً منطقيّاً ، وتقيّداً بعنوان الموضوع.

ولا شكّ أنّ هذا الأسلوب المنهجيّ في التأليف يخالف أسلوب الغالبيّة العظمى من مؤلفي عصر المماليك ، فإنّ مؤلّفاتهم تنطلق — دون حدود أو قيود — في دنيا المعرفة طولاً وعرضاً ، وفي ميادين العلوم تنوّعاً وشمولاً ، حتى راح عدد غير قليل من الدّارسين يطلق عليها اسم " دوائر المعارف "[2] .

فالنويريّ ، مثلاً ؛ يقتصر على جمع ماوجده أمامه من كتب المتقدّمين ، في مختلف الموضوعات ، ويجرّد من هذا المجموع كتاباً لا يهدف من ورائه الإسهام في الإنتاج العلميّ،

---

(١) التعريف بآداب التأليف : ق٢/أ .

(٢) انظر مثلاً : تاريخ الأدب العربيّ — لبروكلمان : ٢/١٧٥—١٨١ : قائمة مؤلفي دوائر المعارف والكتب الجامعة (الأصل الألمانيّ)

وإنّما ليستأنس به هو نفسه ، ويرجع إليه متى أراد ، فهو موسوعة حاوية لمختلف العلوم والفنون ، تستوعب ما طالعه ؛ فإذا نسي أو أنفلت من ذاكرته شيء منها سهل عليه الرجوع إليها ، وقد نصّ على ذلك ؛ فقال : " آثرت أن أجرّد منها كتاباً أستأنس به ، أو أرجع إليه ، وأعوّل — فيما يعرض لي من المهمات — عليه " [1] ، وكان طبيعيّاً ، بعد ذلك ، حين غيّر رأيه لما وجد من أهميّة هذا المجموع ، فأخرجه للناس ليكون مرجعاً في مختلف الفنون — أن يأتي أغلب كتابه جمعاً وتلخيصاً ، ثمّ رصفاً وخلطاً في الموضوعات.

وابن فضل الله العمريّ يؤلّف كتبه — كذلك — بطريقة موسوعيّة تستهدف — في المقام الأوّل — حفظ قدر ملحوظ من تراثنا القديم ، دون نظر كبير إلى درسه أو ترتيبه بطريقة تسهّل على الباحثين سبيل الإفادة منه ، وهو ينصّ على هذه الطريقة التأليفيّة ؛ فيقول : " كان الباعث عليها [2] ، كما قلنا ، هو جمع المعارف الإنسانيّة كلّها في إطار من الأدب ، مرّة ، كما في نهاية الأرب — للنويريّ [3] ، ومن الجغرافيا كما في كتاب الأبصار [4] ، مرّة ثانية ، ومن الكتابة الديوانيّة ، مرّة ثالثة ، كما في كتاب صبح الأعشى [5] [6].

لقد كان السيوطيّ — في الجملة — واسع الاطلاع والثقافة ، دؤوباً على الإحاطة بمختلف العلوم والفنون ، حريصاً على اقتناص المعرفة وهضمها ، ولمّ شعثها ، وتلمّس الحدود الفارقة بين موضوعاتها المختلفة ؛ لتنبثق من خواطره — بعد ذلك — علماً غزيراً فيّاضاً في أسلوب منهجيّ متخصّص يشهد له بالفوق .

ومن هنا ؛ جاءت مؤلّفاته محدّدة بموضوعاتها ، مقيّدة بمناهجها التي رسمت لها ، متميّزة بملامح خاصّة تختلف عن ملامح غيرها من المؤلّفات ، مفصحة عن شخصيّة صاحبها وفكره ، وهذا مما دفع السيوطيّ إلى تصنيف كتبه ضمن زمر خاصّة بحسب العلوم والفنون التي تختصّ بها ؛ فذكر في " فهرس مؤلّفاته " ، الذي وضعه في أخريات أيام حياته ، كتبه في " فنّ التفسير وتعلّقات القرآن الكريم " ، أوّلاً ، ثمّ ذكر كتبه في " فنّ الحديث وتعلّقاته " ، ثم كتبه في " فنّ أصول الفقه وأصول الدّين والتّصوّف " ، فكتبه

---

(١) مقدمة " نهاية الأرب " : ١ / ٣٠ .
(٢) أي : طريقته في نقل الكتب القديمة وجمع الفنون في سجل حافل .
(٣) طبع منه في دار الكتب المصريّة ثمانية عشر جزءاً حتى سنة ١٣٧٤هـ ، وقد بلغنا أنّ الجزء العشرين قد صدر الآن في القاهرة عن الهيئة المصريّة العامّة للكتاب — بتحقيق الدكتور رفعت فتح الله .
(٤) يريد : كتابه " مسالك الأبصار في ممالك الأمصار " ، وهو لا يزال مخطوطاً فيما نعلم .
(٥) مطبوع في الأميريّة بمصر سنة ١٣٨٣هـ في أربعة عشر جزءاً .
(٦) مقدّمة كتاب " مسالك الأبصار " — مخطوطة بدار الكتب المصريّة تحت رقم ٣٠٠٣ .

في " فنّ اللّغة والنّحو والتّصريف " ، فكتبه في " فنّ المعاني والبيان والبديع " ، فكتبه في " الكتب الجامعة لفنون عديدة " ، فكتبه في " فنّ الأدب والنوادر والإنشاء والشعر " ، فكتبه في " فنّ التاريخ " .

بل بلغت المنهجيّة في التأليف بالسيوطيّ إلىٰ الحدّ الذي جعله يضع الكتاب الواحد في الموضوع الواحد - أحياناً - مرّتين ، كما نصّ هو علىٰ ذلك غير مرّة[1] ؛ يضع الأولىٰ للعلماء المدقّقين ، والثانية للشداة المبادئين ، وفي الأولىٰ يبسط القول ، ويسهب في إيراد الأقوال والرّدود والاستشهادات ، وفي الثانية يوجز القول ، ويعمد إلىٰ تخليص الموضوع من كلّ ما يؤدّي إلىٰ تشعّب البحث فيه ، طلباً للتسهيل والتيسير[2] .

علىٰ أنّ الأمر الذي ينبغي أن نسلّط الضوء عليه هنا ، ونحن نختم حديثنا عن " سمات آثار السيوطيّ العامّة " أنّ آثاره هذه ، علىٰ تخصّصها ، أفسحت من صفحاتها العديدة للغة مكاناً رحيباً ؛ فهو لا يحتفي بشيء قدر احتفائه باللّغة ، فلا يجد مناسبة لذكر فائدة لغويّة حتىٰ يذكرها في حينها ، ولا غرابة في ذلك ؛ فاللّغة هي أوّل فنونه التي عني بها دارساً ومؤلّفاً[3] ؛ وقد قال : " وأظنّ أنّ كتب العربيّة التي وقفت عليها لم يقف عليها غالب أهل العصر ، ولا كثير ممن قبلهم "[4] .

وبكلمة واحدة نقول : إذا ظفر معاصرو السيوطيّ بميزة الجمع دون التأليف المنهجيّ ، فقد فاز هو بالحظّين في آن معاً .

---

(١) انظر مثلاً : خطبة كتابه " الشمعة المضيئة في علم العربيّة " : ق ٢/أ ، والتحدّث بنعمة اللّه : ص ١٣٩ .

(٢) وسنأتي علىٰ ذكر هذه الطريقة التأليفيّة عند بحثنا في " أسباب كثرة مؤلّفاته " في آخر هذا الفصل .

(٣) انظر : البغية : ١/ ٣ .

(٤) التحدّث بنعمة اللّه : ص ١٣٨ .

كثرة مؤلّفاته وما نسب إليه :

ينفرد السيوطيّ ، من بين مخالفيه المؤلّفين في عصره ، بكثرة ماتركه لنا من آثار نفيسة رهيبة لا يكاد يستغني عنها، اليوم ، أحد من المشتغلين بالعلم ؛ فهي زاد ضروري لكلّ باحث ونبع ثرّ العطاء لكلّ من الطالب والأستاذ على حدّ سواء .

ومن المؤسف حقّاً أن يضيق غالب علماء عصره بهذه الكثرة التي اتّصفت بها مؤلّفاته ، حتى يشهروا عليه وعلى كتبه حرباً لا هوادة فيها ، ويبلغ بهم الغيظ أن يتركوها إلى غيرها[1] ، بينما هو يريد أن يسهم بمؤلّفاته هذه في نشر الثقافة الإسلاميّة ، ويحفظ لهذه الأمّة تراثها الفكريّ[2] ، فحصر مهمّته ، طوال عمره ، في الحفظ والاكتساب الواسعين ، ثمّ في الاستظهار والعطاء الواسعين ؛ فتوفّر على التأليف في مختلف فنون المعرفة وأبواب العلوم المعاصرة له ، بشكل غزير يدنو من التفرّد ، فإنّ هذه الكثرة في مؤلّفاته جديرة بأن تستنفد من الجهود مايحتاج إلى أعمار متعدّدة ، فضلاً عن عمر واحد .

قسّم السيوطيّ مؤلفاته إلى سبعة أقسام[3] :

- القسم الأول : ما ادّعى به التفرّد[4] .
- القسم الثاني : ماينا ظره[5] .
- القسم الثالث : ماتمّ من الكتب المعتبرة الصغيرة الحجم من كراسين إلى عشرة[6] .

---

(١) لعلّ هذا واحد من الأسباب التي جعلت بعضاً من مؤلّفات السيوطيّ لا تصل إلينا ؛ فقد تكون قد أحرقت أو أصابها أيّ مكروه ، وجعلت — في الوقت نفسه — كثيراً من المؤلّفات التي وصلت الينا لا تلقى — على نفاستها — من حظّ الشهرة مالقيه غيرها من الكتب الأخرى لمؤلّفي عصره ، لأنّها ماتزال مخطوطة — حتى الآن — في مختلف مكتبات العالم التي تعنى بالتراث الإسلاميّ ؛ فلا تكاد تخلو أيّة خزانة من خزائن المخطوطات من أن تضمّ العشرات من مؤلّفاته ، إن لم نقل المئات.

(٢) انظر : التحدّث بنعمة اللّه : ١٣٨ فما بعد ، وحسن المحاضرة : ١/ ٣٣٩ ، ودائرة المعارف الإسلاميّة : ١٣/ ٢٧ ، وصفحات من تاريخ مصر في عصر السيوطيّ : ٦١ .

(٣) انظر : السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر — للشبلّيّ ، مخطوط بدار الكتب المصريّة رقم ١٥٨٦ تاريخ : ق ٤٠/ ب .

(٤) مثل : المزهر في علوم اللّغة وأنواعها ، والاقتراح في علم أصول النحو وجدله ، وهمع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربيّة ، انظر : مقدّمات هذه الكتب ، فقد أشار فيها إلى أنّه تفرّد في تأليفها ولم يسبق إلى مثلها .

(٥) مثل : الإفصاح في زوائد القاموس على الصحاح ، وشرح لمعة الإشراق في الاشتقاق ، وضوء الصباح في أسماء النكاح .

(٦) مثل : المتوكليّ فيما في القرآن من اللّغات العجميّة (خمس ورقات) والتعريف بآداب التأليف (ورقة واحدة) ورسالة في بيان الألفاظ المعرّبة في القرآن (ست ورقات) .

— القسم الرابع : ما كان كرّاسًا ونحوه [1].
— القسم الخامس : ما ألّف في واقعات الفتاوى من كرّاس وفوقه ودونه [2].
— القسم السادس : مؤلّفات لا عتداد بها (ألّفها زمن السماع) [3].
— القسم السابع : ما بدأ بتأليفه ، ثم فتر عنه عزمه ، فلم يتمّه [4].

وقد ذكر أنّ مؤلّفاته هذه قد بلغت ثلاثمائة مصنّف، سوى ما غسله ، ورجع عنه [5]، وهذا الرقم لا يؤخذ به ؛ لأنّنا نعتقد أنّ السيوطيّ ذكره في وقت متقدّم من حياته العلميّة [6] ، وأنّ نشاطه في التأليف قد بلغ ذروته في أواخر حياته ؛ إذ اعتزل الناس كافّة ، وترك الإفتاء والتدريس ، وانزوى في بيته في الرّوضة ، ولم يتحوّل منه إلى أن مات [7] ؛ يدلّ على ذلك أنّ ابن إياس ، وهو ممن تلمذوا له ، نسب إليه نحوا من ستمائة مؤلّف [8] ، ونسب إليه ابن طولون هذا الرّقم نفسه [9] ، وذكر ابن العماد

---

(١) مثل : التبرّي من معرّة المعرّي (ورقتان) وبذل المجهود في خزانة محمود (ورقتان) والوجه الناضر فيما يقتضيه الناظر (ورقة واحدة) .
(٢) مثل : فجر الشمد في إعراب أكمل الحمد (ورقتان) وألوية النصر في خصيصى بالقصر (ورقة واحدة) والزند الوريّ في الجواب عن السؤال السكندريّ (ورقتان) .
(٣) مثل : شرح الحوقلة والعيعلة ، وشرح الاستعاذة والبسملة ؛ قال السيوطيّ في حقّهما : " وهذان الكتابان ، ولئن اشتملا على فوائد يبتهج بها المبتدئ ، فإنّي لا أعتبرهما الآن ، ولولا أنّ شيخنا شيخ الإسلام يعني علم الدين البلقيني وقف عليهما ، وشرّفهما بخطّه ، لغسلتهما في جملة ما غسلته ، فإنّي غسلت ما هو أجلّ بالنسبة إليهما " : كتاب التحدّث بنعمة الله : ٢٣٩ .
(٤) مثل : الترشيح على الجامع الصحيح (وهو غير الترشيح على الجامع الصحيح في الحديث) ، وطبقات المفسّرين ، ومقدّمة الابتهاج في نظم المنهاج ، انظر : فهرس مؤلّفات السيوطيّ : ق ٢/أ ، ٧/ب ، ٤/ب (نسخة المدينة المنورة ٧٤ مجاميع) .
(٥) أنظر : حسن المحاضرة : ١/ ٣٣٨ ، وقال الشعرانيّ في حقّ هذه الكتب التي رجع عنها السيوطيّ : " وغسل قبيل موته عدّة كتب لا يعلم أهل عصره لها نظيرا " (ذيل الطبقات : ق ١٢/ب) .
(٦) فكتاب " حسن المحاضرة " من الكتب التي صنّفها السيوطيّ في أوائل عهده بالتصنيف ، يشهد بذلك منهج الكتاب ومادّته وديباجته ، وأنّ السيوطيّ لم يشر إليه في ترجمته الذاتيّة التي أفردها في كتاب " التحدّث بنعمة الله " ، وقد نصّ على أنّه فرغ من تأليفه سنة ٨٩٣هـ ، وأنّنا ، كذلك ، نجد السيوطيّ يذكر ، في كتاب آخر له ، أنّ له خمسمائة مصنّف ، وهذا الكتاب هو " التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كلّ مائة " وقد نصّ ناسخها على أنّه فرغ من نسخها سنة ٨٩٩هـ ، انظر : التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كلّ مائة : ق ٢٢/ب (نسخة دار الكتب المصريّة رقم ٦٣ نحو) .
(٧) قال الشعرانيّ : " وبلغنا أنّه لم يفتح طاقات بيته التي على بحر النيل ، مدّة سكناه " ، الذيل : ق ١٧/أ .
(٨) انظر : تاريخ مصر : ٤/ ٥٨٣ — ٣/ ٦٣ .
(٩) انظر : مفاكهة الخلّان في حوادث الزمان : ١/ ٣٠٢ (مط دار إحياء الكتب ١٩٦٢م) .

الحنبليّ أنّ الحافظ شمس الدّين الداوديّ ، تلميذ السيوطيّ ، قد استقصى مؤلّفات شيخه السيوطيّ ؛ فوجدها نافت على خمسمائة مؤلّف (١) ، وذكر الكتانيّ أنّه ظفر بكرّاسة من تأليف السيوطيّ عدّد فيها تصانيفه إلى سنة ٩٠٤هـ (٢) ؛ أي قبل وفاته بسبع سنين ، فبلغت خمسمائة وثمانية وثلاثين كتاباً ، مرتّبة حسب الفنون العلمية (٣).

وللسيوطيّ نفسه فهرس مؤلّفات من وضعه ، ضمّنه غالب مؤلّفاته ، ولا نعرف — بالتحديد — تاريخ وضعه هذا الفهرس ، حتى نتبيّن صحّة الرّقم الذي بلغت إليه مؤلّفاته فيه ، وهذا الفهرس يحتوي على خمسمائة وأربعة كتب ، مرتبة بحسب الفنون العلمية (٤).

على أنّنا نرى أنّ مؤلّفات السيوطيّ تربو على الستمائة ؛ لأنّ جميع من ترجموا له من القدماء المعاصرين له ، ممن عدّدوا مؤلّفاته ، اتفقت كلمتهم على أنّ مؤلّفاته قد نافت على الخمسمائة ، كما رأينا قبل قليل ، ولكن قد يفهم من عبارة بعضهم أنّ استقصاءه لم يشمل جميع مؤلّفات السيوطيّ ، وإنّما يشمل الكبيرة منها فقط .

هذا هو الصحيح (٥) ، ونعجب من أنّ الذين ترجموا للسيوطيّ — بعد هؤلاء من المتأخّرين ، منذ حاجي خليفة في كشف الظّنون — يتخبّطون في الأرقام ، ويختلفون اختلافا بيّنا فيما بينهم في تحديد مقدار مؤلّفاته ؛ ففي كشف الظنون ، مثلاً ، يسرد له حاجي خليفة ٤٥٧ مؤلّفاً (٦) ، ويعدّ له إسماعيل البغداديّ في " هدية العارفين " ٥٨٤ مؤلّفاً (٧) ، ويذكر له جميل العظم في " عقود الجوهر " ٥٧٦ مؤلّفاً (٨) ، ويذهب الدكتور عدنان سلمان إلى أنّ له أكثر من سبعمائة مؤلّف (٩) ،

(١) أنظر : شذرات الذهب : ٨/٥٣ .

(٢) ونحن نعلم أنّ للسيوطيّ ، بعد هذا التاريخ ، عددًا من أنفس مؤلّفاته وأينع ثمراته ؛ مثل : كتاب الجامع الصغير ؛ فقد نصّ على أنّه فرغ من تأليفه سنة سبع وتسعمائة ، وكتاب ديوان الحيوان وذيله ، وقد نصّ على أنّه فرغ من تأليفهما سنة سبع وتسعمائة ، وكتاب الوشاح في فوائد النكاح ، وقد نصّ على أنّه فرغ من تأليفه سنة عشر وتسعمائة .

(٣) أنظر : فهرس الفهارس — لمحمد عبد الحي الكتانيّ : ٢/٣٥٩ (مط الجديدة — فاس ١٣٤٦هـ) .

(٤) وهو مطبوع في آخر الجزء السادس من كتاب " كشف الظّنون " المطبوع في أوربا ، ومنه نسخة مخطوطة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة تحت رقم ٧٤ مجاميع ، ونسخة في الخزانة العامّة بالرّباط رقم ١٠٣٢/١١ .

(٥) وهو ما انتهينا إليه بعد أن تتبّعنا مؤلّفات السيوطيّ المطبوعة والمخطوطة والمفقودة في سائر ما تيسّر لنا من البيليوغرافات وفهارس المخطوطات وكتب التراجم .

(٦) انظر : كشف الظّنون : ٦/٦٦٥ — ٦٧٩ . (٧) انظر : ١/٥٣٤ — ٥٤٤ .

(٨) انظر : ١٩٤ — ٢١٦ (مط الأهليّة — بيروت ١٣٢٦هـ) .

(٩) السيوطيّ النّحوي : ص ١٠٥ .

ويثبت له العلاّمة فلوجل ٥٦١ مؤلّفاً[١] ، ويورد له بروكلمان في" تاريخ الأدب العربيّ" ٤١٥ مؤلّفاً[٢] .

وربّما كان لهذا الاختلاف بين الدّارسين مايبرّره ؛ فقد تبيّن لنا ، بعد أن تتبّعنا مؤلّفات السيوطيّ ، أنّ كتبه متفاوتة من عدّة وجوه ؛ فهي متفاوتة من حيث الحجم ؛ فقد يبلغ بعضها المجلّدات ؛ مثل : الجامع الكبير في الحديث[٣] ، والدرّ المنثور في التفسير بالمأثور[٤] ، والاشباه والنظائر في النحو[٥] ، ومنها مايأتي في كرّاس أوكرّاسين ؛ مثل : بلوغ المآرب في قصّ الشارب[٦] ، وعمل اليوم والليلة[٧] ، ورشف الزّلال من السّحر الحلال[٨] ، ومنها مايجيء في بضع ورقات ؛ مثل : التهذيب في أسماء الذيب[٩] ، والأجر الجزل في الغزل[١٠] ، ونظام البلّور في أسامي السنّور[١١] .

---

(١) انظر : نظم العقيان في أعيان الاعيان — مقدّمة الدكتور فيليب حتّى : ع ح ، وانظر : معجم المطبوعات العربيّة : ٦/١٠٧٤ .

(٢) انظر : ٢/١١٤ — ١٥٨ ، والذيل : ٢/١٧٨ — ١٩٨ (الأصل الألمانيّ) .

(٣) كان مجمع البحوث الإسلاميّة بالأزهر قد أصدر قراراً سنة ١٩٦٥م بوقف طبع هذا الكتاب ، وعلى الرغم من ذلك صدر الكتاب — مؤخّراً — وعلى غلافه اسم المجمع ، فنشأ عن هذا خلاف حادّ بين من يرى في نشره ترويجاً لبعض الأحاديث الضعيفة ، فتكون مادّة دسمة لأعداء الإسلام ، وفتحاً لباب الضلال من جديد بعد ما أغلقه علماء الحديث بجهد كبير ، ومن لا يرى في نشره بأساً ، لأنّ السيوطيّ نفسه قد قرّر أنّ في كتابه هذا مائة ألف حديث ، صحيح وزائف ، وأنّه استخلص منه للمبتدئين — حتى لا يبلبل أفكارهم — عشرة آلاف حديث صحيح ، جمعها في كتابه" الجامع الصغير" ؛ وقال في مقدّمته : " أودعت فيه من الكلم النبويّة ألوفاً ، ومن الحكم النبويّة صنوفاً ، اقتصرت فيه على الأحاديث الوجيزة ، ولخّصت فيه من معادن الأثر إبريزه ، وبالغت في تحرير التخريج ، فتركت القشر وأخذت اللّباب ، وصنته عما تفرّد به وضّاع أو كذّاب" : ص ٣ .

(٤) طبع في الميمنيّة ١٣١٤هـ بهامش القرآن الكريم مع" تنوير المقباس تفسير ابن عبّاس" ، ثم طبع مستقلاً في بيروت ١٩٦٢م .

(٥) مطبوع في حيدر آباد ١٣١٦هـ و١٣٥٩هـ ، ثم نشره الأستاذ طه عبد الرؤف سعد في مصر ١٣٩٥هـ .

(٦) نشره الشيخ محمد مصطفى أبو العلا في مكتبة الجندي بمصر ١٣٧٥هـ .

(٧) مطبوع في مط البابي الحلبي بمصر ١٣٦٥هـ .

(٨) مخطوط ، ومنه نسخة — أخذ لنا رسمها بالتصوير الشمسي — في مكتبة شيخ الإسلام بالمدينة المنورة ، رقمها ١٠ مجاميع .

(٩) مخطوط ، ومنه نسخة — أخذ لنا رسمها بالتصوير الشمسي — في مكتبة شيخ الإسلام بالمدينة المنورة ، رقمها ١٧ لغة (ضمن كتاب ديوان الحيوان) .

(١٠) مخطوط ، ومنه نسخة وقفنا عليها في مكتبة شيخ الإسلام بالمدينة المنورة ، رقمها ١٠٨ مجاميع .

(١١) مخطوط ، ومنه نسخة — أخذ لنا رسمها بالتصوير الشمسي — في مكتبة شيخ

وهي متفاوتة،أيضاً ، من حيث : حظوتها عند الناس ؛ فبعضها لقي من حظّ الشهرة مالقيه ، وبعضه الآخر ظلّ دون أن ينال نصيباً من هذه الحظوة .

فمن النوع الأول : تفسير الجلالين ، والإتقان في علوم القرآن ، والمزهر في علوم اللّغة ، والبغية ، والحاوي للفتاوىٰ ، وتاريخ الخلفاء ، وهمع الهوامع (١) ،

ومن النوع الثاني : مفحمات الأقران في مبهمات القرآن (٢) ، وديوان الحيوان وذيله (٣) ، والوشاح في فوائد النكاح (٤) ، وديوان شعره المسمىٰ " حديقة الأريب وطريقة الأديب " (٥) ، ومقاماته (٦) ، ونوادره ، وكلّ كتبه الأدبيّة .

وكتب السيوطي متفاوتة ، كذلك ، من حيث : صحّة نسبتها إليه ؛ فانّ هناك كتباً كثيرة قد نسبت إليه خطأ ، وهي - في الحقيقة - ليست له ، هي إمّا لسيوطيّ آخر ، وقد ذكرنا في الحديث عن " نسب السيوطيّ " الذين سمّوا بهذا الاسم (٧) ، وإمّا نسبت إليه لمجرّد أنّها تشبه ، في طريقة التأليف ، كتب السيوطيّ ، وإمّا نسبت دسّاً عليه من حسّاده ، أو أضافها بعض الكاتبين والناسخين لترويجها والتكسّب منها .

ومن الكتب التي نسبت إلىٰ السيوطيّ خطأ : الكنز المدفون والفلك المشحون (٨) ،

---

(١) وكلّ هذه الكتب مطبوعة عدّة طبعات في مصروبيروت.

(٢) مطبوع في ليدن ١٨٣٩م.

(٣) مخطوط ومنه نسخة - أخذ لنا رسمها بالتصوير الشمسي - في مكتبة شيخ الإسلام بالمدينة المنورة ، رقمها ١٧ لغة.

(٤) مخطوط ، ومنه نسخة - أخذ لنا رسمها بالتصوير الشمسي - في قسم المخطوطات بجامعة الرياض ، رقمها ٧٩٧ ، ونسخة أخرىٰ وقفنا عليها في قسم المخطوطات بالمكتبة المركزيّة بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة ، رقمها ١١٩٩ .

(٥) مخطوط ، ومنه نسخة - أخذ لنا رسمها علىٰ الفوتوستات - في دار الكتب المصريّة ، رقمها ٧٤٦ مجاميع .

(٦) مطبوعة في الجوائب ١٢٩٨هـ ، وهي اثنتا عشرة مقامة فقط ، وقد عدّ له حاجي خليفة تسعاً وعشرين مقامة ، انظر الكشف : ٢/٥٣٤ فما بعد .

(٧) انظر : ص ١٤

(٨) مطبوع في بولاق ، أولاً ، سنة ١٢٨٨هـ ، ثمّ في مصر سنة ١٣٠٣هـ منسوباً إلى السيوطيّ ، وهو لشرف الدين يونس المالكيّ ، أحد تلاميذ شمس الدين الذهبيّ ، وقد نبغ سنة ٧٥٠هـ .

وبرد الأكباد عند فقد الأولاد[1] ، والمرج النضر والأرج العطر[2] ، وغلطات العوام[3] ، والفاشوش في أحكام قراقوش[4] ، والرحمة في الطب والحكمة[5] ، وإتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى[6] .

أما "الكنز المدفون والفلك المشحون" ؛ فهو ليونس المالكيّ ، وقد ورد اسمه صريحاً في الكتاب نفسه ؛ حين قال : "الحمد لله من كلام كاتبه ، جامع هذا الكتاب ، الفقير يونس المالكيّ ، خدم بها — يعني : قصيدته في مدح النبيّ عليه السلام — سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنشدها بالحضرة الشريفة[7]" .

---

(١) مطبوع في مصر ١٣٢٩هـ — منسوباً إلى السيوطيّ ؛ وهو لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن ناصر الدين الشافعيّ الأسيوطيّ (ت ٨٤٢هـ) .

(٢) مطبوع ؛ طبع منه بعض نبذ في باريس ١٨٢٨م بتحقيق الأستاذين كوزغارتن وغراتحره دي لاغرانج ، ويبدو — من مقدّمة النبذ التي ظهرت — أنّ الكتاب كبير ؛ فقد قال : "الحمد لله فارض المكتوبات ؛ وهي خمس ، وجاعل الملاذ في الحواسّ الخمس ، قال لما وقف بعض الأصحاب على كتابي : رياض الآداب ومحاسن الألباب — أعجب به ، ورأى أنّ اختصاره يقصر بالراغبين طلبه ، فأحببت أن أنسج على هذا المنوال ، وأزيد عنه أمثال [كذا!] ، وجمعت هذا الكتاب وبنيته على خمسة أبواب ، وفصلت كلّ باب منه خمسة فصول في : المحبّة والغزل والنّسيب ، والخمريّات والروحيّات ، والأدبيّات ، والخامس فيما لا يلزم من غير ما تقدّم ..." ، وقد طبع هذا الكتاب منسوباً إلى السيوطيّ ، وهو لصلاح الدّين محمد بن السيد الشريف ناصر الدّين الأسيوطيّ ؛ من علماء القرن التاسع للهجرة .

(٣) مخطوط ؛ ومنه نسخة في دار الكتب المصريّة رقم ٣٤٨ لغة — طلعت ، وقد ورد منسوباً إلى السيوطيّ ، وهو لابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) .

(٤) مطبوع في مصر ١٣١١هـ — منسوباً إلى السيوطيّ .

(٥) مطبوع عدّة طبعات ، آخرها في مصر ١٣١١هـ — منسوباً إلى السيوطيّ ، وهو للشيخ مهدي بن علي بن إبراهيم الصيريّ اليمنيّ المهجميّ المقريّ (ت ٨١٥هـ) .

(٦) مطبوع ؛ طبع منه بعض نبذ في كوبنهاجن عن (هونيد) سنة ١٨١٧م ، بتحقيق الأستاذ لامنغ ، وطبعت ترجمة قسم منه باللّغة الانجليزيّة ، مع نسبة الكتاب إلى السيوطيّ ، بتحقيق الأستاذ "رينوفولندن ١٨٣٦م ، وهو لشمس الدين محمد ابن أحمد بن عليّ بن عبد الخالق السيوطيّ الشافعيّ (ت ٨٨٠هـ) .

(٧) الكنز المدفون والفلك المشحون : ص ٢١٦ .

والذين نسبوا هذا الكتاب إلىٰ السيوطيّ [(١)] ، لم يدققوا النظر فيه ، ولا تناولوه بالبحث والدّرس ؛ فهو يشبه كتب السيوطيّ في شموليّتها ، واعتمادها علىٰ الجمع ، وقد أوهمهم ما وجدوه في " فهرس مؤلّفاته " أنّ له كتاباً اسمه " الفلك المشحون " [(٢)] ، فأراحوا بالهم من عناء التحقيق في نسبته للسيوطيّ .

وأمّا " برد الأكباد عند فقد الأولاد " ؛ فهو لشمس الدّين الأسيوطيّ ، كما جاء في نسخة قسم المخطوطات بجامعة الرياض رقم ١٧٧ ، وقد أشار سركيس إلىٰ أنّ الكتاب قد طبع بمصر ونسب وهماً إلىٰ الجلال السيوطيّ ، وذكر أنّ الكتاب إنّما هو لشمس الدّين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن ناصر الدّين الشافعيّ (ت ٨٤٢هـ) [(٣)] .

ولم نعثر لهذا الكتاب علىٰ ذكر في " فهرس مؤلّفات السيوطيّ " ، وترجمته الذاتيّة التي وضعها لنفسه في كتاب " حسن المحاضرة " ، وفي كتاب " التحدّث بنعمة اللّه " .

والذين نسبوا هذا الكتاب إلىٰ السيوطيّ [(٤)] ، خلطوا — فيما نظنّ — بينه وبين كتاب آخر له في الموضوع نفسه ، هو كتاب " فضل الجلد عند فقد الولد " [(٥)] .

وأمّا " المرج النّضر والأرج العطر " ؛ فقد ذكر السيوطيّ نفسه أنّ صلاح الدّين محمد بن أبي بكر الأسيوطي الشافعيّ (ت ٨٥٩هـ) قد " جمع في الأدب مجاميع منها : رياض الألباب ومحاسن الآداب ، والمرج النّضر والأرج العطر ، ومطلب الأديب " [(٦)] ، حين ترجمه في كتابه " نظم العقيان " ، وليس في " فهرس مؤلّفاته " ، ولا في إحدىٰ الترجمتين اللّتين وضعهما لنفسه في " حسن المحاضرة " و" التحدّث بنعمة اللّه " سوىٰ

---

(١) منهم : الأستاذ عبدالوهاب حمودة في كتابه " صفحات من تاريخ مصر في عصر السيوطيّ " ، انظر : ص ٢٤٢ — ٢٤٥ ، والأستاذ محمود رزق سليم في كتابه " عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلميّ والأدبيّ " ، انظر : ٣/٣٦٧ ، وذكر أنّه وقف علىٰ نسخة منه في دار الكتب بالمنصورة .
ونسب هذا الكتاب لصاحبه يونس المالكيّ في نسختين وقفنا عليهما ، الأولىٰ في مكتبة الحرم النبويّ الشريف رقمها ٢٨ تصوف ، والأخرىٰ في قسم المخطوطات بجامعة الرياض رقمها ١٣١ .

(٢) انظر : فهرس مؤلّفاته : ق ٦/ب (نسخة المدينة المنورة) .

(٣) انظر : معجم المطبوعات العربيّة : ١/١٠٧٦ ، ٢/١٦٢٦ .

(٤) وقد وقفنا علىٰ نسخة من الكتاب في الخزانة العامّة بالرّباط رقمها ١٩٥٤ د ، منسوبة إلىٰ السيوطيّ .

(٥) ذكره السيوطيّ في " فهرس مؤلّفاته " ، انظر : ق ٣/ب (نسخة المدينة المنورة) .

(٦) نظم العقيان في أعيان الأعيان : ص ١٤١ .

كتاب له يتفق بعض كلمات عنوانه مع عنوان الكتاب المذكور ؛ هو كتاب " الأرج في الفرج "[1]، وليس بعيداً أن يكون هذا هو السبب في أنّ بعض الذين نسبوا[2] الكتاب إلى السيوطيّ قد وهموا أنّه له .

وأمّا " غلطات العوام "، فقد ذكر الدكتور رمضان عبد التّواب في كتابه " لحن العامّة والتطوّر اللّغوي "[3] أنّه لابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) ، وأنّه وقف على نسختي مكتبة طلعت[4] وكبريلّي[5] ؛ فتبيّن له أنّهما نسختان أخريان من كتاب " تقويم اللّسان " لابن الجوزي هذا ، ورجّح أن يكون " السبب في نسبة هاتين النسختين خطأ إلى السيوطيّ أنّهما ربّما نقلتا عن نسخة بخطّ السيوطيّ من كتاب (تقويم اللّسان) ضاع منها العنوان ، وأمهرها السيوطيّ بتوقيعه في آخرها ، فترتّب على ذلك أن وهم النسّاخ ، فنسبوا ما نسخوه منها في عامي ٩٨١هـ /٩٨٧هـ إلى السيوطيّ — رحمه اللّه تعالى — في مخطوطتي كبريللي وطلعت "[6] .

وقد وقفنا على بحث قيّم للأستاذ حمد الجاسر " حول تراثنا المبعثر في مكتبات العالم " ، يدفع فيه ما قيل عن أن الكتاب لابن الجوزي ؛ فقد " نسب هذا الكتاب في الفهرس — يعني : فهرس المكتبة السليمانيّة العامّة — برقم ٢٥٧٣ إلى ابن الجوزي ، ولكن تبيّن لي من مطالعته أنّه للسيوطيّ "[7] .

---

(١) وهو كتاب لخّص فيه كتاب " الفرج بعد الشدّة " لابن أبي الدّنيا ، وزاد عليه ، طبع بهامش كتاب " معيد النعم ومبيد النقم " لتاج الدين السبكي ، وانظر : فهرس مؤلّفات السيوطيّ : ق ٣/أ (نسخة المدينة المنورة) ، وحسن المحاضرة : ١/ ١٩١ ، والتحدّث بنعمة اللّه : ص ٢٤٧ .

(٢) ومنه في خزانة جامع الزيتونة بالمكتبة الأحمديّة بتونس نسخة ، منسوبة إلى السيوطيّ ، رقم ٤٦٧٥ .

(٣) أنظر : ص ٢٨٤ — ٢٨٦ (ط ١ . دار المعارف بمصر ١٩٦٧م) .

(٤) برقم ٣٤٨ لغة .

(٥) برقم ٦٩٢ لغة .

(٦) لحن العامّة والتطوّر اللّغوي : ٢٨٦ .

(٧) مجلّة العرب : الجزء الثالث — السنة الثانية — رمضان ١٣٨٧هـ .

ومع أنّنا لم نتمكّن من الوقوف على إحدى هذه النسخ الثلاث التي مرّ ذكرها للكتاب ، لفحصها ومقابلتها بكتاب " تقويم اللّسان " والتحقّق من أنّ " غلطات العوام " و " تقويم اللّسان " كتاب واحد ، كما قال بذلك الدكتور رمضان عبد التّواب ، أوكتابان كما ذكر الأستاذ حمد الجاسر ؛ نرى أنّ نسبة كتاب " غلطات العوام " إلى السيوطيّ خطأ ووهم ، لأمرين اثنين :

أوّلهما : أنّ السيوطيّ لم يذكره في فهرس مؤلّفاته ، ولا ترجمتيه اللّتين وضعهما لنفسه في " حسن المحاضرة " و " التحدث بنعمة اللّه " .

ثانيهما : أنّه لم يذكره واحد ممن ترجموا له ، غير ماذكره الأستاذ حمد الجاسر ، فيما نعلم .

أمّا " الفاشوش في أحكام قراقوش " ؛ فقد أشار بروكلمان وسركيس والأستاذ عبد الوهاب حمودة إلى أنّه قد نسب خطأ إلى السيوطيّ (١) ، ولم يذكره السيوطيّ بين مؤلّفاته في " فهرس مؤلّفاته " وترجمة نفسه في " حسن المحاضرة " و " التحدّث بنعمة اللّه " ، ولم ينسبه إليه أحد من الذين ترجموا له ، فيما وقفنا عليه من كتب التراجم والطبقات ، وما اعتمدنا عليه — في حصر مؤلّفاته — من البيليوغرافات ، ومارواه حاجي خليفة في " كشف الظّنون " ، وإسماعيل البغدادي في " هديّة العارفين " ، وجرجي زيدان في " تاريخ آداب اللّغة " ، وجميل العظم في " عقود الجوهر في تراجم من لهم خمسون تصنيفًا فمائة فأكثر " ، سوى الأستاذ محمود رزق سليم في " عصر سلاطين المماليك " (٢) .

وأمّا " الرّحمة في الطبّ والحكمة " ؛ فمع أنّ كثيرا من الذين ترجموا للسيوطي ، أو عدّدوا مؤلّفاته من الباحثين (٣) — قد عدّوا هذا الكتاب في كتبه المطبوعة الشائعة التي تداولتها الأيدي (٤) ، وأصبحت نسبتها إليه أمرًا مسلّمًا به ؛ اغتبطنا بفوزنا بما يجزم

---

(١) انظر : دائرة المعارف الإسلاميّة : ٣١/١٣ ، ومعجم المطبوعات العربيّة : ١٠٨٢/١ ، وصفحات من تاريخ مصر في عصر السيوطيّ : ٢٥٦ .

(٢) انظر : ٣٦٨/٣ .

(٣) منهم : سركيس في " معجم المطبوعات العربيّة " : ١٠٨٠/١ ، والأستاذ محمود رزق سليم في " عصر سلاطين المماليك " : ٣٦٨/٣ .

(٤) فقد طبع الكتاب ، أولًا ، في مصر سنة ١٣١١هـ ، ثمّ في البابي الحلبي سنة ١٣٥٧هـ ، ثمّ توالت الطبعات على هاتين الطبعتين في مصر وبيروت بالأوفست .

ببطلان ماذهبوا إليه وعوّلوا عليه ؛ فقد عثرنا على نسخة نفيسة للكتاب في دار الكتب المصريّة [١] ، رقمها ٥٠٦١ ل ، منسوبة إلى صاحبها شيخ الأطباء جمال الدّين محمد المهدي بن علي بن إبراهيم الصبيريّ اليمنيّ (ت ٨١٥هـ) ؛ فقد كتب بأوّله أنّه " تأليف محمد المهدي ابن علي بن إبراهيم الصبيريّ اليمنيّ المتوفى سنة ٨١٥هـ . بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله الذي اخترع من العدم الموجودات الكائنات . . . " ، وبفحص هذه النسخة ، ومقابلتها بالنسخة المطبوعة ، ثمّ مقابلتهما بكتاب السيوطيّ في " الطبّ النبويّ " [٢] تبيّن لنا ، من ترتيب أبواب الكتابين ، وأسلوب عرض المادّة العلميّة فيهما ، والديباجة ، والخاتمة أنّ نسبة كتاب " الرحمة في الطبّ والحكمة " إلى السيوطيّ لا يصحّ فيها طريق .

وأمّا كتاب " إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى " ؛ فقد نسبه حاجي خليفة في "كشف الظّنون" [٣] إلى كمال الدّين محمد بن محمد بن أبي شريف الشافعيّ المصريّ (ت ٩٠٦هـ) ، ونسبه الأستاذ يحيى محمود ساعاتي ورفيقاه في " فهرس مخطوطات جامعة الرياض " [٤] إلى إبراهيم بن محمد الأسيوطيّ الشافعيّ (ت ١٠٧٩هـ) ، وكذلك وردت نسبته في نسخة مكتبة شيخ الإسلام بالمدينة المنورة رقم ١٦ تاريخ .

والصحيح أنّ الكتاب لشمس الدّين محمد بن أحمد بن عليّ بن عبد الخالق السيوطيّ المنهاجيّ الشافعيّ (ت ٨٨٠هـ) ؛ كما نصّ على ذلك السيوطيّ نفسه في كتابه " حسن المحاضرة " [٥] ، والسخاويّ في " الضوء اللامع " [٦] ، وابن العماد في " شذرات الذهب " [٧] ، والزّركليّ في " الأعلام " [٨] ، وورد كذلك في أوّل نسخة دار الكتب المصريّة رقم ١٠٦٧٣ ح ، ونسخة الخزانة الظاهريّة بدمشق رقم ٩٢ مجاميع ، ونسخة لاله لي باستامبول رقم ١٩٩٢ .

---

(١) وقد أخذ لنا رسمها بالتصوير الشمسي على مايكرو فيلم.
(٢) مطبوع ، في مصر ، طبع حجر (دون تاريخ) ، وبهامشه كتاب " تسهيل المناقع في الطبّ والحكمة " لإبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن الأزرق (ت ٩٦٧هـ) ، وقد ذكره السيوطيّ في " فهرس مؤلّفاته " : ق ٢/أ .
(٣) انظر : ٢/١٩٧ .
(٤) انظر : ١/٢ .
(٥) انظر : ١/٢٥٠ .
(٦) انظر : ٧/١٣ .
(٧) انظر : ٧/٢٦٦ .
(٨) انظر : ٦/٢٣١ .

وعلىٰ الرغم من أنّ مؤلّفات السيوطيّ قد بلغت من الكثرة هذا المبلغ ، لا نكاد نجد في كتبه تكراراً ؛ فلا يغني أحدها عن الآخر ، وإنّما يكمل بعضها بعضاً ، فكلّ كتاب منها ، يتناول موضوعاً محدّداً في نطاق ميدان ما ، فيشكّل حلقة متمّمة لغيره في نطاق الميدان نفسه ، ثمّ يشكّل الجميع سلسلة متصلة الحلقات ؛ إن نحن حشدناها في صعيد واحد ، جعلنا منها موسوعة جامعة ودائرة معارف حافلة في بابها (١) .

---

(١) وقد أشار السيوطيّ نفسه إلى أسلوبه هذا في التأليف ، غير مرّة ، فقد قال — مثلاً — في خطبة كتابه " أسرار التنزيل " : " إن اللّه — سبحانه ، وله الحمد — قد منّ عليّ بالنظر في علوم القرآن ، وحقائقه ، وتتبّع أسراره ، ووقائعه ، حتىٰ صنّفت في تعلّقاته كتباً شتىٰ ؛ منها : التفسير ، الملقّب : ترجمان القرآن — وهو الوارد بالإسناد المتصل عن رسول اللّه — صلى اللّه عليه وسلم — وأصحابه الذين شاهدوه ، وتلقّوا منه الوحي والتنزيل ، وسمعوا منه التفسير والتأويل . . . ولمّا كان هذا التفسير المشار إليه نقلاً محضاً ، ليس فيه إعراب ولا سرّ بيانيّ ، أردفته بكتب ؛ من ذلك كتاب (الإتقان في علوم القرآن) ؛ وهو كالمقدّمة لمن يريد التفسير ، وأكثره قواعد كلّية . . . ثمّ وضعت في الأحكام كتاب " (الإكليل في استنباط التنزيل) ، وهو مجلد لطيف يشتمل على جميع ما ذكره المصنفون في أحكام القرآن . . . ثمّ أفردت كتاباً في أسباب النزول سمّيته (لباب النقول) . . . ثمّ أفردت كتاباً وجيزاً في المبهمات لم يؤلّف في نوعه أجمع ولا أوجز — يعني : كتاب مفحمات الأقران في مبهمات القرآن — . . . ثمّ أفردت كرّاسة فيما وقع فيه من الألفاظ المعرّبة — يعني : كتاب المهذّب فيما وقع في القرآن من المعرّب — . . . ثم كرّاسة سمّيتها (معترك الأقران في مشترك القرآن) ، فائقة معناها ، ثمّ مختصراً يسمىٰ (مجاز الفرسان إلىٰ مجاز القرآن) ، وهذا لم يتمّ بعد ، ثمّ كتاباً يسمىٰ (خمائل الزهر في فضائل السور) ، وهذا كتاب — يعني : كتاب قطف الأزهار — شفعت به تلك ، ونظمته معها في سلك أسرار التنزيل ، أذكر فيه جميع ما وصل إلىٰ علمي من كلام العلماء في النظم القرآنيّ . . . فإذا تمّ هذا الكتاب ، وانضم إلىٰ تلك الكتب استغنىٰ بها محصّلوها عن جميع التفاسير " : ق ٢/أ — ب (نسخة مراد بخاري في المكتبة السليمانية باستانبول رقم ٤) .

أسباب كثرة مؤلّفاتـــه :

هذه الكتب الكثيرة التي ساهم السيوطيّ بها في نشـر الثقافة الإسلاميـّـة ، فانتشرت في كافّة الأقطار ، وذاع صيت صاحبها ، دعت كثيراً من الذين ترجموه ، في الماضي ، إلىٰ بحث أسباب كثرتها ؛ ماتكون ؟

وإذا كان الأمر كذلك في الماضي ، فمن باب أولىٰ أن يقفز إلىٰ أذهان بعض الباحثين المحدثين اليوم هذا السؤال ؛ فهو سؤال حقّ في زمان مثل زماننـــــا ، تقاصرت فيه هممنا ، حتىٰ أصبحنا غير قادرين علىٰ تمثّل طاقات رجل كالسيوطـــيّ ، فنتوقّف ــ بين مصدّقين ومكذّبين ــ عند مدىٰ إمكانه أن يقدّم ــ وحده ــ كلّ هـذا العلم الوفير القيّم المتنوّع .

١ ــ فمن قائل بأنّ الرجل كانت له كرامات لا تحصر ؛ و" لولم يكن له من الكرامـات إلاّ كثرة المؤلّفات مع تحريرها وتدقيقها لكفىٰ ذلك شاهداً لمن يؤمن بالقـدر"[1] .

٢ ــ ومن قائل بأنّ السبب الذي يسّر له ذلك: سرعته في الكتابة والتأليف ؛ فإنـّه كان لا يستحضر شيئاً في ذهنه إلاّ سجّله في قرطاس تمهيداً لضمّه في كتـاب ، كما لوكان قد خلق لمهنة التأليف ؛ و" بالجملة فهو سريع الكتابة"[2] .

٣ ــ ومن قائل بأنّ من الأسباب التي أدّت إلىٰ زيادة إنتاجه: كثرة ما لديه من الرسائل الصغيرة التي عدّت كتباً و"أنّ تصانيفه زادت علىٰ ثلثمائة كتاب ، رأيت منهـا ما هو في ورقة ، وأمّا ما هو دون كرّاسة فكثير"[3] .

٤ ــ ومن قائل بأن السيوطيّ كان لا يملّ من الكتابة ، وأنّ هذا هو السبب في كثرة مؤلّفاته ؛ فإنّ " يراعة السيوطيّ التي لم تعرف الملل لم تترك ، قطّ ، موضوعاً في حقل المعرفة إلاّ تناولته ، فمن علوم قرآنيّة وحديثيّة وفقهيّة ، إلىٰ علـوم فلسفيّة وتاريخيّة ، إلى علوم فنيّة وأدبيّة ولغويّة ــ إلىٰ غير ذلك من مختلـف العلوم الرائجة"[4] .

---

(١) شـذرات الذهب : ٧/٥٤ .

(٢) الضوء اللامع : ٤/٦٩ ، وقد حدثنا تلميذه الداودي أنّه رأىٰ " الشيخ وقـد كتب في يوم واحد ثلاثة كراريس ، تأليفاً وتحريرا ، وكان مع ذلك يملي الحديث ويجيب عن المتعارض منه بأجوبة حسنة " ذيل الطبقات : ق ١٢/أ .

(٣) الضوء اللامع : ٤/٦٩ .

(٤) نظم العقيان : مقدّمة الدكتور فيليب حتى : ص خ .

٥ — ومن قائل بأنّه كان واسع العلم ، عظيم الهمّة ، قويّ الذّاكرة ، ذكيّاً ، تفقّه بمعظم علوم عصره ، وتوسّع فيها ، وشرع في التأليف منذ كان في السابعة عشرة من عمره ، ومازال مثابراً على التأليف ، مخلصاً له ، حتى توفي ؛ وأنّ هذه من أسباب كثرة مؤلّفاته .(١)

٦ — ومن قائل بأنّ السيوطيّ قد آتاه اللّه بسطة في العمر وفسحة في الأجل ، فقضاها كلّها في تحصيل العلم ، ثمّ في التأليف فيه ، وأحسن الانتفاع بمكتبة والده ومكتبات شيوخه ، كما أحسن الانتفاع بمكتبة المدرسة المحموديّة ، وكان بها كتب الإسلام من كلّ فنّ .(٢)

٧ — ومن قائل بأنّ السيوطيّ كان كثير التصنيف لأنّ هناك أسباباً يسّرت له ذلك ؛ فقد "انصرف إلى الاشتغال بالتصنيف منذ بدء حياته العلميّة ، كما زاد تجرّده بالتأليف في أواخر عمره ؛ فاعتزل الناس ، وترك وظائفه من تدريس وإفتاء ، وشرع في تحرير مؤلّفاته ، وألّف كتابه : التنفيس في الاعتذار عن ترك الإفتاء والتدريس(٣) ، وأقام في روضة المقياس ، فلم يتحوّل عنها إلى أن مات رحمه اللّه "(٤) .

٨ — ومن قائل بأنّه "كان لتصدّره للتدريس والإفتاء أثر فعّال في زيادة نشاطه التأليفيّ" ؛ وهو سبب مهمّ ، لم يقل به — فيما نعلم — غير الدكتور عدنان محمد سلمان في رسالته "السيوطيّ النحويّ"(٥) ، فإنّ الناس كانوا يستفتون السيوطيّ ، ويسألونه ، وكان يجيب عن فتاواهم وأسئلتهم ، وكان علماء عصره يرتّبون له أسئلة ، على سبيل الاختبار أو غيره ؛ فيكتب عنها إجابات ، على طريقة الاجتهاد(٦) ، فجرّ هذا إلى التأليف الكثير ، بل إلى تألّب الناس عليه ، أيضاً ، وحسدهم له ، خاصّة حين قال بالاجتهاد ، وأنّه المبعوث على رأس المائة التاسعة لتجديد شباب الدّين الإسلاميّ .(٧)

---

(١) انظر : تاريخ آداب اللّغة : ٣/ ٢٣٩ — ٢٤٠ .

(٢) انظر : تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي : مقدّمة الأستاذ عبد الوهاب عبد اللّطيف : ص ١٤ — ١٥ .

(٣) مخطوط ، ومنه نسخة أخذ لنا رسمها على الفوتوستات — في قسم المخطوطات بجامعة الرياض ، رقمها ١١٦١ ، وهي نسخة منقولة عن نسخة دار الكتب سنة ١٣٤٧هـ بخطّ السيّد عبد العزيز عطية محمود .

(٤) طبقات الحفّاظ — مقدّمة الأستاذ علي محمد عمر : ص ١٤ .

(٥) ص ١٠٧ .

(٦) انظر : التحدّث بنعمة اللّه : ١٦٣ فما بعد .

(٧) انظر : الفصل الذي عقده السيوطيّ في كتابه "التحدّث بنعمة اللّه" : ٢١٥ فما بعد .

وهذا ، بدوره ، دفع السيوطيّ ، إلىٰ التأليف للردّ علىٰ خصومه ومنافسيه وحسّاده ؛ فألّف مثلاً : الكاوي في الردّ علىٰ السخاوي (١) ، واللّفظ الجوهريّ في ردّ خباط الجوهريّ (٢) ، والقول المجمل في الردّ علىٰ المهمل (٣) ، والدّوران الفلكي علىٰ ابن الكركي (٤) ، والردّ علىٰ من أخلد إلىٰ الارض وجهل أنّ الاجتها في كلّ عصر فرض (٥) ، والكرّ علىٰ عبد البرّ (٦) .

وهناك أمر آخر ، قد يلزم منه السيوطيّ نفسه في بعض كتبه (٧) ، ولم يفطن له أحد — فيما نعلم — من الذين ترجموه ، فتعرّضوا للحديث عن مؤلّفاته والأسباب التي أدّت إلىٰ كثرتها ؛ وهو : طريقة السيوطيّ في تأليف الكتاب الواحد — أحياناً — مرّتين ، إحداهما — للمبتدئين ، والأخرىٰ — للمنتهين ؛ فعل هذا مثلاً في : الشمعة المضيئة في علم العربيّة (٨) — وضعه للمبتدئين ، وهمع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية (٩) — وضعه للمنتهين ، والوفية في اختصار الالفيّة (١٠) — وضعه للمبتدئين ، والبهجة المرضيّة في شرح الالفيّة (١١) — وضعه للمنتهين ، والمتوكّلي فيما في القرآن من اللّغات العجميّة (١٢) (وهو مختصر كتاب : المهذّب فيما وقع في القرآن من المعرّب) — وضعه للمبتدئين ، والمهذّب فيما وقع في القرآن

---

(١) مخطوط ؛ ومنه نسخة — أخذ لنا رسمها علىٰ الماكروفيلم — في دار الكتب رقم ٢٠٢ مجاميع .

(٢) مخطوط ؛ ومنه نسخة — أخذ لنا رسمها علىٰ الفوتوستات — في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة رقم ٤ مجاميع .

(٣) مخطوط ؛ ومنه نسخة — أخذ لنا رسمها علىٰ الماكروفيلم — في دار الكتب رقم ٣٣٢ مجاميع لغة — تيمور .

(٤) مخطوط ؛ ومنه نسخة — أخذ لنا رسمها علىٰ الماكروفيلم — في دار الكتب رقم ٢٠٢ مجاميع .

(٥) مطبوع في مط الثعالبيّة بالجزائر ١٩٠٧م .

(٦) مخطوط ؛ ومنه نسخة في سليم أغا باستانبول رقم ١٦١ .

(٧) انظر : خطبة كتابه " الشمعة المضيئة في علم العربيّة " : ق ٢/أ ، وكتاب التحدّث بنعمة اللّه : ص ١٣٩ ، وفهرس مؤلّفاته : ق ٢/أ (نسخة عارف حكمت بالمدينة المنورة رقم ٧٤ مجاميع) .

(٨) مخطوط ؛ ومنه نسخة — أخذ لنا رسمها علىٰ الفوتوستات — في قسم المخطوطات بجامعة الرياض رقم ٩٢١ .

(٩) مطبوع عدّة طبعات .

(١٠) ذكره السيوطي في فهرس مؤلّفاته : ق ٦/أ (نسخة المدينة المنورة) .

(١١) مطبوع عدّة طبعات .

(١٢) مخطوط ؛ ومنه نسخة — أخذ لنا رسمها علىٰ الفوتوستات — في مكتبة عارف حكمت بالمدينة رقم ١٢٥ تفسير .

من المعرّب [١] — وضعه للمنتهين ، وكفاية الطالب اللّبيب في خصائص الحبيب [٢] — للمبتدئين ، والمعجزات والخصائص الكبرىٰ [٣] — وضعه للمنتهين ، والجامع الصغير [٤] — وضعه للمبتدئين ، وجامع المسانيد (ويسمىٰ: الجامع الكبير ، وجمع الجوامع) [٥] .

---

(١) مخطوط ؛ ومنه نسخة — أخذ لنا رسمها علىٰ المايكرو فيلم — في دار الكتب رقم ١٢٣ مجاميع .

(٢) مطبوع في دائرة المعارف بحيدر آباد ١٣٤٠هـ .

(٣) مطبوع في دائرة المعارف بحيدر آباد ١٣٢٠هـ .

(٤) مطبوع عدّة طبعات .

(٥) مطبوع في مصر ١٩٦٥م عن مجمع البحوث الإسلاميّة بالأزهر .

الباب الثاني

آثاره اللغوية

توطئة

ضرب السيوطيّ بسهم وافر في حركة التأليف اللّغويّ في عصره ، فترك لنا تراثاً لغويّاً كبيراً ، له قيمته وأهميّته البالغتان في دراسة علوم اللّغة العربيّة وأنواعها ومدى تطوّرهـــا .

وممّا يدعو إلى الغبطة أنّه قد انتهى إلينا ، من هذا التّراث ، معظمه وأهـــمّ مافيه ، فقد سلم من العوادي ، وطُبع بعضه ، ومازال ينبوعاً للبحث والدّرس ، وينتظر الباقي دوره في الطبع ، ليكون في متناول يد الباحثين والدّارسين .

أمّا ما لم ينته إلينا ، من هذا التراث ، ولم نهتد — بعد — إلى نصّ يكشـــف عنه أو دليل يدلّ عليه — على الرغم من قلّته — فعسى أن لا يطول فقده ، وأن يوفّق اللّـــه تعالى الباحثين إلى العثور عليه وإحيائه .

ولمّا كانت الكتابة التحليليّة المفصّلة عن تراث السيوطيّ اللّغويّ جميعه بحاجة إلـــى عمل واسع وجهد كبير ، فقد رأينا أنّ من تمام البحث وكماله أن نكتفي ، من هذه الكتابـــة ، بالتعريف الموجز بكلّ ما وصل إلينا من تراث السيوطيّ اللّغوي أوّلاً ، ثم بعرض أنموذج مطبـوع منه وآخر مخطوط ، بشيء من التفصيل والتحليل .

وطبيعيّ أنّنا لن نعرض ، خلال كلامنا في هذا الباب ، لشيء من تراثه النّحـويّ ، لأنّه ليس مدار بحثنا ، بعد أن تمّ انفصال مسائل النّحو عن مسائل اللّغة انفصالاً كاملاً علـــى يد السيوطيّ نفسه ، كما سيأتي في حينه .

ولن نعرض ، كذلك ، لشيء من كتبه الجامعة التي بثّ فيها كثيراً من المسائل اللّغويّة ، مثل : إتمام الدّراية لقرّاء النّقاية (١) ، والحاوي للفتاوي (٢) ، وحلّ العقود (٣) ، لأنّ اللّغـة

---

(١) وهو شرح وضعه على كتابه " النّقاية " الذي ضمّنه خلاصة أربعة عشر علماً ، هي : علم أصول الدّين ، وعلم التفسير ، وعلم الحديث ، وعلم أصول الفقه ، وعلم الفرائض ، وعلم النّحـو ، وعلم التصريف ، وعلم الخطّ ، وعلم المعاني ، وعلم البيان ، وعلم البديع ، وعلم التّشريـح ، وعلم الطبّ ، وعلم التّصوّف .
نشره مصطفى البابي الحلبي ، في القاهرة ، سنة ١٣٥٤هـ .

(٢) في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنّحو والإعراب وسائر الفنون ، نشره الأستاذ محمد محيي الدّين عبد الحميد ، في مطبعة السعادة بالقاهرة ، سنة ١٩٥٩م .

(٣) وهو شرح وضعه على ألفيّته التي نظمها في علم المعاني والبيان ، وأسماها : " عقـــود الجمان " ، والكتاب مطبوع في مطبعة البابي الحلبي في القاهرة سنة ١٣٥٨ هـ .

ليست هي الطابع العامّ - في الأقلّ - لمثل هذه الكتب .

ولا لكتب التفسير التي أولىٰ اللّغة فيها أهميّة كبيرة في تفهّم معاني القرآن الكريم وإدراك أسراره ، مثل : تفسير الجلالين (١) ، والدرّ المنثور في التفسير بالمأثور (٢) ، ونواهد الأبكار ، وشوارد الأفكار (٣) ، لأنّ ما جاء في مثل هذه الكتب من قطوف ولمسات لغويّة لا يشكّل خطرا ، ولا يعرض لثقافته اللّغويّة بصورة واضحة .

علىٰ أنّنا ، بعد أن تتبّعنا تراث السيوطيّ اللّغويّ - في ضوء هذه الاعتبارات - في كلّ ما وقع تحت يدينا من كتب التراجم ومعاجم المطبوعات وفهارس المخطوطات ، فخرجنا بعدد كبير من المؤلّفات ، حاولنا - جاهدين - أن نتعرّف علىٰ تاريخ كلّ مؤلّف منها - علىٰ حده - بغية ترتيبها ترتيباً زمنيّاً بحسب زمان وضعها ، ليكون تاريخ الإنتاج أساس هذا الترتيب ، فنقف علىٰ مدى التطوّر الفكري عند السيوطيّ ، ولكن عبثاً حاولنا ، لأنّ السيوطيّ غالباً ما يغفل الإشارة إلىٰ تاريخ فراغه من تأليف كتبه ، وبعض هذه الكتب ما يزال في ضمير الغيب ، لا نعرف عنه أكثر من اسمه ، مع ما يبدو في كتبه المطبوعة والمخطوطة التي وقفنا عليها من دلائل التطوّر العقليّ وآثاره ، بحيث تجعلنا نقدّر - مجرد تقدير - أنّ الكتاب الذي يظهر فيه العمق والنضج يكون خالفاً ، والذي تبدو فيه السطحيّة والضعف يكون سالفا .

ومن ثمّ عمدنا إلىٰ ترتيب هذه المؤلّفات حسب أحرف الهجاء ، مع توثيق كلّ منها إلىٰ السيوطيّ ، وذلك بذكر المراجع التي أشارت إليه .

---

(١) تكملة تفسير شيخه جلال الدّين المحليّ (ت٨٦٤هـ) ، وذلك من أوّل القرآن إلىٰ آخر سورة الإسراء ، وكان المحليّ قد بدأ في تفسيره من أوّل الكهف إلىٰ آخر القرآن ، لسبب أو لآخر لم نتبيّنه ، فلمّا أتمّه السيوطيّ عرف - بعد ذلك - بتفسير الجلالين .
طبع عدّة طبعات ، أوّلها في بومباي سنة ١٨٦٩م ، وآخرها - فيما نعلم - طبعة دار العربيّة ودار مروان في بيروت سنة ١٩٧٤م .

(٢) نشرته الميمنيّة بالقاهرة سنة ١٣١٤ هـ ، وبهامشه القرآن الكريم وتنوير المقباس تفسير ابن عبّاس ، في ستة أجزاء .

(٣) وهي حاشية وضعها علىٰ تفسير البيضاوي (ت ٦٨٥ هـ) ، وهي ما تزال مخطوطة ، ومنها نسخة نفيسة في مجلّد ضخم بدار الكتب المصريّة ، محفوظة تحت رقم ٤٣٣ تفسير .

الفصل الأول

آثاره المطبوعة والمخطوطة والمفقودة

أولاً ـ الآثار المطبوعة :

١ ـ الإتقان في علوم القرآن : ذكره (١) السيوطيّ في فهرس مؤلّفاته (٢)، وفي حسن المحاضرة (٣)، وفي كتاب الاقتراح (٤)، وفي المتوكلي فيما في القرآن من الألفاظ الأعجميّة (٥).

وذكره حاجي خليفة في كشف الظّنون (٦)، والشوكانيّ في البدر الطّالع (٧)، والخوانساريّ في روضات الجنّات (٨)، وإسماعيل البغداديّ في هديّة العارفين (٩) وبروكلمان في تاريخ الأدب العربيّ (١٠)، ودائرة المعارف الإسلاميّة (١١)، وفيليب حتّى في مقدّمة نظم العقيان (١٢).

وهو كتاب جامع في بابه، يتضمّن خلاصة وافية للمباحث القرآنيّة، من وصف للقرآن ولسوره وآياته وقراءاته وصنوف رسمه ودلائل إعجازه، ومباحث في التجويد وعلوم اللّغة، فيتكلّم عن بيان أحكامه في الإمالة، والفتح، والإدغام، والإظهار، والإخفاء، والإقلاب، والمدّ، والقصر، وتخفيف همزه، كما يتكلّم عن غريبه، وما نزل منه بغير لغة الحجاز، وبغير لغة العرب، ويتكلّم عن خاصّه وعامّه، ومجمله ومبيّنه، ومشكله وموهم الاختلاف فيه، ومطلقه ومقيّده، ومنطوقه ومفهومه، وحقيقته ومجازه، وإيجازه وإطنابه، وأمثاله، وأسمائه، وكناه، وألقابه، وآداب كتابته.

وقد ذكر السيوطيّ في خطبة كتابه هذا ما يفيد أنّ التّصنيف في هذا الباب أمنية كانت تجول في خاطره منذ أمد بعيد، وتتعاظم يوماً بعد يوم، وهو يرى كثيراً من المصنّفين منصرفين إلى التّصنيف في علوم الحديث النبويّ الشريف، فحسب، وأنّ أحداً منهم لم يتجرّد لجمع المسائل الخاصّة بالقرآن الكريم في تصنيف واسع يروي غلّة الباحثين فيه، حتّى وجد نفسه منتدباً للقيام بهذا العمل، فألّف " التحبير في علوم التفسير " (١٣).

---

(١) لم يحقق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم نسبة هذا الكتاب إلى السيوطيّ.

(٢) نسخة الخزانة العامّة بالرّباط ١٠٣٢ : ق ١/أ، ونسخة عارف حكمت ١٧٤ مجاميع: ق ٢/أ. (٣) ١/١٩٠/أ. (٤) ١٦. (٥) ق ٢/أ.

(٦) ١/٨. (٧) ١/٣٢٨. (٨) ٣١٤. (٩) ٥٣٥.

(١٠) ٢/١٨٢ (الأصل الألمانيّ). (١١) ١٣/٢٨. (١٢) د.

(١٣) وهو ما يزال مخطوطاً حتّى الآن ـ فيما نعلم ـ ومنه نسخة في الخزانة التيموريّة تحت رقم ٧٣ مجاميع، وقد بلغت الأنواع القرآنيّة التي تكلّم عنها في هذا الكتاب، على الرغم من صغر حجمه، مائة وأحدى وخمسين.

ثم خطر له أن يضع كتاباً أوفى ، في هذا الباب ، وأكثر بسطاً وضبطاً واستقصاءً ؛ ليكون مقدّمة لتفسيره الكبير المسمى " مجمع البحرين ومطلع البدرين "(١) ، وبينما هو يتردّد في هذا الأمر ، ويقدّم فيه رجلاً ويؤخّر أخرى ، وهو يظنّ أنّه فيه متفرّد غير مسبوق ، إذ بلغه أنّ الزركشيّ قد وضع كتاباً حافلاً على الطريقة التي كان يفكّر هو بها ، وهو "البرهان في علوم القرآن "(٢) فتتطلّبه ، حتى إذا وقف عليه ، ازداد به سروراً وقوّة عزم على الشروع في التصنيف الذي كان يبغيه ، قال : " فوضعت هذا الكتاب العليّ الشأن ، الجليّ البرهان ، الكثير الفوائد والإتقان ، ورتّبت أنواعه ترتيباً أنسب من ترتيب البرهان ، وأدمجت بعض الأنواع في بعض ، وفصّلت ما حقّه أن يبان ، وزدته على ما فيه من الفوائد والفرائد ، والقواعد والشوارد ، ما يشنّف الآذان ، وسمّيته بالإتقان في علوم القرآن "(٣) .

وقد طبع هذا الكتاب عدّة طبعات ، طبع — لأوّل مرة — في كلكتا سنة ١٢٧١ هـ ، ثم طبع في مصر سنة ١٢٧٨ هـ ، وفي المطبعة الكاستليّة سنة ١٢٧٩هـ(٤) ، وفي مطبعة عثمان عبد الرازق سنة ١٣٠٦ هـ ، وفي المطبعة الميمنيّة سنة ١٣١٧هـ ، وفي المطبعة الأزهريّة سنة ١٣١٨هـ ، ثم توالت الطبعات ، حتى نشره الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم سنة ١٣٨٧ هـ محقّقاً .(٥)

ومن هذا الكتاب نسخة خطية محفوظة بالمكتبة الآصفيّة بحيدرآباد بالهند تحت رقم ١٦٣ — تفسير ، وهي النسخة الوحيدة التي اتّخذ المحقّق من مصوّرتها(٦) أصلاً في تحقيق الكتاب(٧) ، على الرغم من أنّ عدداً كبيراً من نسخه يتوزّع في مكتبات العالم(٨) ، وهناك نسخة نفيسة وقفنا عليها في المكتبة المحموديّة بالمدينة المنورة

---

(١) وكان السيوطيّ قد شرع فيه ، حال تردّد هذا الخاطر عليه ، ولا ندري هل أتمّه أم لا ، كما هو الحال في بعض كتبه .
على أنّنا لم نعثر على شيء يطمئننا بعدم فقدان الكتاب ، في تمامه أو نقصه .
(٢) نشره الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم في دار إحياء الكتب العربيّة ١٩٥٧م .
(٣) الإتقان : ١/ ١٤ .
(٤) تمتاز هذه الطبعة عن سواها بما ألحق بها من تصحيحات وتعليقات وضعها الشيخ نصر الهوريني .
(٥) في أربعة أجزاء تقع في ١٣٣٠ صفحة من القطع المتوسط .
(٦) هي ممّا صوّره معهد المخطوطات ، نسخها جرامرد الناصري الحنفي ، تلميذ السيوطيّ وراوي كتبه ، سنة ٨٣٣هـ ، ثم قرأها على شيخه السيوطيّ ، فأجازها له .
(٧) انظر : ١/ ١١ .
(٨) انظر مثلاً ، مخطوطات جامعة الرياض : ٢٥١ ، وفهرست المخطوطات بدار الكتب المصريّة : ١/ ١٠ ، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان (الأصل الالمانيّ) ٢/ ١٨٢ .

تحت رقم ٦ ــ تفسير ، تمّ نسخها سنة ٨٩٢ هـ .

٢ ــ الأخبار المرويّة في سبب وضع العربيّة : ذكره السيوطيّ في فهرس مؤلّفاته (١) ، وفي حسن المحاضرة (٢) ، بهذا الاسم ، كما ذكره حاجي خليفه في كشف الظنون (٣) ، وإسماعيل البغدادي في هديّة العارفين (٤) ، وبروكلمان في تاريخ الأدب العربيّ (٥) ، وفي دائرة المعارف الإسلاميّة . (٦)

وذكر الدكتور علي صافي حسين أنّه رأى كتابا مطبوعاً مستقلاً للسيوطيّ ، باسم " سبب وضع علم العربيّة " غير كتاب " الأخبار المرويّة في سبب وضع العربيّة " (٧) .

وقد نشر هذا الكتاب (٨) الأب أنستاس ماري الكرملي باسم " سبب وضع علم العربيّة " .

وبالرجوع إلى النسخة التي رسمت لنا بالتصوير الشمسي من الكتاب عن مخطوطة برلين التي عنوانها " سبب وضع علم العربيّة " (٩) ، وجدنا أنّها هي نفسها النسخة المطبوعة من الكتاب ، ومن ملاحظة ديباجة السيوطيّ في النسختين ، وجدناه يقول : " بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه نستعين . الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، وبعد ، فهذا جزء جمعت فيه الأخبار المرويّة في سبب وضع العربيّة ..." (١٠)

فالخلط الحاصل من فهرست مخطوطاتنا القديمة ، وعدم التثبّت من أسمائها الأصليّة ، ومن ثمّ ظهور الكتاب بعنوان يختلف عمّا نعرفه ، أوهم بأنّ هناك كتابين اثنين في موضوع واحد ، أحدهما يحمل اسم " سبب وضع علم العربيّة " ، وهو الكتاب المطبوع المتداول ، والآخر يحمل اسم " الأخبار المرويّة في سبب وضع العربيّة " ، وهو ما يزال مخطوطاً ، فوجب التنبيه .

---

(١) نسخة الرّباط : ق٦/أ ، ونسخة المدينة المنورة : ق ٨/ب .
(٢) ١/١٩٤ .
(٣) ١/٣٠ . (٤) ٥٣٥ . (٥) ٢/١٨٢ (الأصل الألمانيّ) .
(٦) ١٣/٣٠ . (٧) انظر : كتاب جلال الدّين السيوطيّ : ص ٥٧ ــ ٦٠ .
(٨) ضمن مجموعة " التحفة البهيّة والطرفة الشهيّة " في مطبعة الجوائب بالقسطنطينيّة سنة ١٣٠٢هـ ، وطبعت هذه المجموعة للمرّة الثانية في بغداد بمطبعة الأيتام سنة ١٩٣٣م . وفي ذيل تاريخ الأدب العربيّ لبروكلمان (٢/١٥٣) أنّ الكتاب قد طبع أيضاً في مجموعة رسائل ثمانية للسيوطيّ في لاهور سنة ١٨٩٣م .
(٩) وهي محفوظة تحت رقم ٦٨٥١ .
(١٠) طبعة الكرملي : ص ٤٩ ، ونسخة برلين : ق ٢/أ .

ألّف السيوطيّ هذا الكتاب ليضمّنه ما قيل من أخبار رواها العلماء في متفرّقات كتبهم عن وضع العربيّة ؛ متىٰ وضعت ضوابطها وقواعدها ، ومن وضعها ، وما الحكمة الدّاعية إلىٰ الوضع ، وانتهىٰ إلى أنّها وضعت علىٰ زمن سيّدنا علي ابن أبي طالب - رضي اللّه تعالىٰ عنه - وأنّ " أوّل من أسّس العربيّة ، وفتح بابها ، وأنهج سبيلها ، ووضع قياسها : أبو الأسود الدّؤلي ، وإنّما فعل ذلك حين اضطرب كلام العرب "(١) .

قال : " وأمّا التصريف ؛ فقد ذكر شيخنا العلّامة محيي الدّين الكافيجيّ - رحمه اللّه - في أوّل كتابه : شرح القواعد (٢) ، أنّ أوّل من وضعه : معاذ بن جبل - رضي اللّه عنه - ولم تطمئن النفس إلىٰ ذلك ، وسألته عنه لمّا قرأته عليه ، وما مستنده في ذلك ، فلم يجبني بشيء ، ولم أقف علىٰ سند لشيخنا في ذلك .

"ثمّ رأيت في ترجمة معاذ الهرّاء - رحمه اللّه - أنّ أبا مسلم مؤدّب ولد عبد الملك بن مروان كان نظر في النّحو ، ثم لمّا حدث التصريف جلس إلىٰ معاذ الهرّاء - رحمه اللّه - فسمعه يقول لرجل : كيف تبني من توزّهم أزّاً ؛ مثل : يا فاعل افعل ، فأنكره أبو مسلم - رحمه اللّه - وقال : كان أخذهم في النّحو يعجبني ، حتىٰ تعاطوا كلام الزّنج والنّوبة في أبيات أخر ، وأجابه معاذ الهرّاء - رحمه اللّه - بأبيات أوردتها في طبقات النّحاة (٣) ؛ فوضح بهذا أنّ واضع التصريف : معاذ بن مسلم الهرّاء - رحمه اللّه تعالىٰ - وأنّه تخرّج علىٰ شيخنا معاذ بن جبل - رضي اللّه عنه "(٤) .

٣ - الاقتراح في علم أصول النّحو وجدله : ذكره السيوطيّ في فهرس مؤلّفاته (٥) ، وفي حسن المحاضرة (٦) ، وذكره حاجي خليفة في كشف الظّنون (٧) ، والخوانساري في روضات الجنّات (٨) ، والبغدادي في هديّة العارفين (٩) ، وذكره بروكلمان في تاريخ الأدب العربي (١٠) ، وأشار في ذيله (١١) إلى أنّ للسيوطيّ كتاباً آخر في " أصول النّحو " غير "الاقتراح" ، وذكر أنّ منه نسخة في لبنان (١٢) . وهذا مالم يقل به غيره

---

(١) طبعة الكرملي : ص ٥٣ .
(٢) لم نعثر علىٰ معلومات دقيقة عن هذا الكتاب .
(٣) ذكرت في " البغية " : ٢/٢٩١ .
(٤) طبعة الكرملي : ص ٥٣ .
(٥) نسخة الرّباط : ق ٦/أ ، ونسخة المدينة : ق ٨/ب .
(٦) ١/١٩٤ .
(٧) ١/١٣٥ .
(٨) ٣١٥ ؛ وفيه : "كتاب له في أصول النّحو ؛ علىٰ طراز ما رسموه في أصول الفقه ، نادر في معناه ، ظريف جدا " .
(٩) ٥٣٥ .
(١٠) ٢/١٨٢ (الأصل الألماني)
(١١) ٢/١٥٣ (الأصل الألماني)
(١٢) ١٤٧ - الدحداح .

ـ فيما نعلم ـ والذي نعتقده هو أنّ الكتاب واحد ، ولكن اختلفت التسميات .

والكتاب مطبوع عدّة طبعات ، طبع ـ لأوّل مرّة ـ في حيدرآباد بالهند سنة ١٣١٠هـ (١) ، ثمّ في دهلي سنة ١٣١٣ هـ ، وفي حيدرآباد بالهند سنة ١٣٥٩هـ (٢) ، وفي سوريا بدون تاريخ (٣) .

ولكنّه ـ على الرّغم من ذلك ـ مايزال بحاجة إلى أن يكفله أحد الباحثين بنشره ـ من جديد ـ نشرًا علميًّا دقيقًا ، فهو على إيجازه ـ وصغر حجمه ـ معلمة ضمّت خلاصة وافية لمعظم ما كتب في أصول النّحو وجدله ، وحقيق بمثله أن يجد طريقه إلى كتب الباحثين ، يفيدون منها ، ويحتجّون بها ، ويرون فيها الدليل ، تمامًا على الذي حقّقته كتب ابن جني وابن الأنباري (٤) من فوائد ، بعد أن اتجه إليها الخاصة من علمائنا بالتحقيق والنشر (٥) .

ومنه نسخة خطيّة نفيسة ، وقفنا عليها في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة (٦) ، وهي من خطوط القرن العاشر الهجري (٧) ، ونسخة أخرى جيّدة ، وقفنا عليها في قسم المخطوطات بجامعة الرياض (٨) ، وهي من خطوط القرن الثاني عشر الهجري تقديرا (٩) .

ومنه نسخة ، في مصر ، في دار الكتب بالمنصورة ضمن مجموع (١٠) ، ونسخة في المكتبة الأحمديّة بتونس محفوظة تحت رقم ٦٧٧٠ لغة (١١) ، ونسخة في المتحف البريطانيّ تحت رقم ٥٢٦ ، ونسخة في الأسكوريال تحت رقم ١٠٧ و ١٨٦ (١٢) ، ونسخة في سليم أغا تحت رقم ١٠٧٩ ، ونسخة في داماد زاده تحت رقم ١٦٥٢ ، ونسخة في الرباط تحت رقم ٢٧٥ (١٣) .

---

(١) وهي الطبعة التي لم يكن قد لحقها التصحيح أو المراجعة أو المقابلة بعد .
(٢) وعني بتصحيح الكتاب ـ في هذه الطبعة ـ وراجع أصوله ، وقابله على ثلاثة أصول خطيّة الأساتذة : عبد الرحمن بن يحيى اليماني ، وسعيد بن عبد الله العمودي ، وأحمد بن محمد اليمني .
(٣) وهي طبعة مضروبة بالأوفست في دار المعارف بحلب .
(٤) في أصول النّحو .
(٥) وحين كنّا في المغرب الأقصى نتقصّى مخطوطات السيوطيّ اللّغويّة ، علمنا من الدكتور عبد السلام الهرّاس ، الأستاذ المساعد بكليّة الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط ، أنّ أحد الدّارسين بالكليّة يعمل على تحقيق كتاب " الاقتراح " لنيل درجة الماجستير في فقه اللغة .
(٦) تحت رقم ٣ ـ لغة .
(٧) بخطّ يوسف شعراوي .
(٨) تحت رقم ١٣٨٢ م .
(٩) بخطّ محمد البوصيري .
(١٠) انظر : مجلّة معهد المخطوطات العربيّة : مج ٤ ، ج ٢ ، ص ٢٩٠ .
(١١) انظر : فهرس مخطوطات المكتبة الأحمديّة بتونس (خزانة جامع الزيتونة) : ٢٣٦ .
(١٢) انظر : تاريخ الأدب العربيّ ـ لبروكلمان : ١٨٢/٢ فما بعد .
(١٣) انظر : ذيل تاريخ الأدب العربيّ ـ لبروكلمان : ١٥٣/٢ .

بنى السيوطيّ كتابه هذا على خطبة وعشر مقدّمات وسبحة كتب، تطرّق في الخطبة إلى إطراء الكتاب ، وأنّه لم يسبق إلى ترتيبه ولم يتقدّم إلى تهذيبه (١) ، وتطرّق في المقدّمات إلى عشر مسائل أصوليّة ؛ هي : حدّ أصول النّحو (٢) ، وحدّ النّحو (٣) ، وحدّ اللّغة (٤) ، وعلاقة اللّفظ بالمعنى (٥) ، والدلالات النحويّة (٦) ، والحكم النّحويّ (٧) ، وتقسيم آخر للحكم النحويّ (٨) ، وتعلّق الحكم النّحويّ (٩) ، والواسطة في اللّغة (١٠) ، وأقسام الألفاظ (١١) .

أمّا الكتب السبعة ؛ وهي موادّ " الاقتراح " الأساسيّة ؛ فقد تناول — في كلّ منها — مسألة أصوليّة محدّدة ، فبحث — في الأول — السماع (١٢) ، وفي الثاني الإجماع (١٣) ، وفي الثالث القياس (١٤) وفي الرابع استصحاب الحال (١٥) ، وفي الخامس بحث أنواع الاستدلالات النّحويّة (١٦) ، وفي السادس مسائل تتعلّق بتعارض الأدلّة والأحكام والآراء ، والترجيح فيما بينها (١٧) ، وفي السابع أحوال مستنبط هذا العلم ومستخرجه ، وفيه عقد مقارنة لطيفة بين نحاة البصرة والكوفة ، ورجّح مذهب البصريين على مذهب الكوفيين (١٨) .

وقد عرف القدماء قيمة كتاب " الاقتراح " ، وكانت له بينهم منزلة سامية ، وقد أفاد منه الكثيرون ، واتخذوه مصدرًا من مصادرهم ، وأقبل عليه بعضهم يتدارسونه ويشرحونه ،

---

(١) انظر : ص ٢ ، وسيأتي الكلام عن هذا في الباب الذي عقدناه للنقد والتقويم آخر البحث .
(٢) انظر : ص ٤ — ٥ .
(٣) انظر : ص ٦ .
(٤) انظر : ٦ — ٨ .
(٥) انظر : ٨ — ٩ .
(٦) انظر : ٩ — ١٠ .
(٧) انظر : ١٠ — ١١ .
(٨) انظر : ١١ — ١٢ .
(٩) انظر : ١٢ — ١٣ .
(١٠) انظر : ١٣ — ١٤ .
(١١) انظر : ١٤ .
(١٢) انظر : ١٤ — ٣٥ .
(١٣) انظر : ٣٥ — ٣٨ .
(١٤) انظر : ٣٨ — ٧٢ .
(١٥) انظر : ٧٢ — ٧٣ .
(١٦) انظر : ٧٣ — ٧٧ .
(١٧) انظر : ٧٧ — ٨٤ .
(١٨) انظر : ٨٤ — ٨٦ .

على نحو ما فعل محمد بن علي بن علّان الصدّيقيّ الشافعيّ في حاشيته التي وضعها على الكتاب ، وأسماها : " داعي الفلاح لمخبّئات الاقتراح "(١) ومحمد بن الطيّب الفاسيّ المالكيّ في شرحة الذي وضعه على الكتاب ، وأسماه " فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح "(٢) .

٤ ـ رسالة في علم الخطّ : نشرها الأب أنستاس ماري الكرملي ضمن مجموعة " التحفة البهيّة والطرفة الشهيّة "(٣) ، ونصّ على أنها " رسالة في علم الخطّ " للسيوطيّ(٤) .

ومع أنّنا لم نعثر على اسم هذه الرسالة في مؤلفات السيوطيّ التي عدّدها هو نفسه في " حسن المحاضرة " وفي " فهرس مؤلّفاته " وفي " كتاب التحدّث بنعمة اللّه " أو في المصادر التي ترجمت له ونقلت عن آثاره ، أو في معاجم الكتب أو فهارس المخطوطات التي بين أيدينا ، إذا استثنينا ما جاء في ذيل تاريخ الأدب العربيّ لبروكلمان(٥) من أنّ للسيوطي كتاباً باسم " رسالة في رسم الخطّ " ، وأنّ منه نسخه بالقاهرة بهذا الاسم(٦) ، فإنّ مما يوثّق نسبة الكتاب إلى السيوطيّ قوله فيه : " إنّ علم الخطّ علم يبحث فيه عن كيفيّة كتابة الألفاظ ، مع مراعاة حروفها ، لفظاً أو أصلاً ، والزيادة والنقص والوصل والفصل والبدل ، وألّف فيه جماعة منهم : أبو القاسم الزجاجيّ ، واستوفيته في خاتمة جمع الجوامع(٧) بما لا مزيد عليه "(٨) .

ثم ربّما كان هذا الكتاب مما وضعه السيوطيّ متأخّراً عن " حسن المحاضرة " ، و " فهرس مؤلّفاته " ، و " كتاب التحدّث بنعمة اللّه " ، فتابعه ـ في عدم ذكره ـ المترجمون له وأصحاب معاجم الكتب الذين لا التزمون ـ عادة ـ ذكر جميع المؤلّفات ، حين يعرضون للكلام عن آثار الأعلام الذين يترجمون لهم .

---

(١) وهو شرح ممزوج ، ومنه في دار الكتب المصريّة نسختان ، الأولى محفوظة تحت رقم ٥٠٣ ـ نحو تيمور ، والأخرى تحت رقم ٦٦٦ ـ نحو تيمور ، ونسخة في مكتبة الأزهر تحت رقم ٩٥ ، وقد يسّر اللّه تعالى بالوقوف على النسخة التيموريّة الأولى من خلال صوّرتها التي جلبناها لمكتبتنا الخاصّة .

(٢) ذكره إسماعيل البغدادي في " إيضاح المكنون " : ٢١٦/٢ ، وفي " هديّة العارفين " : ٣٣١/٢ بهذا الاسم ، وورد اسمه في كتاب " لهجات العرب " لأحمد تيمور باشا : ص٢١ " نشر الانشراح " ، ونصّ على أنّه حاشية على " الاقتراح " .
ومنه في دار الكتب المصريّة ثلاث نسخ مخطوطة ، الأولى محفوظة تحت رقم ٢٢٤ نحو ، والثانية تحت رقم ١١٠٩ نحو ، والثالثة تحت رقم ٤٤٦ نحو تيمور .

(٣) في مطبعة الآباء اليسوعيين ببغداد ١٩٣٣م . (٤) وهي الرسالة الخامسة في المجموعة .

(٥) ١٥٣/٢ (الأصل الألماني) .

(٦) لم يذكر بروكلمان المكتبة التي تحتفظ بهذه النسخة ، ولم نعثر على اسم هذه النسخة في كلّ ما رجعنا إليه من فهارس دار الكتب ، والكتبخانة الخديويّة ، والخزانة التيموريّة ومكتبة الأزهر ، ومعهد المخطوطات .

(٧) انظر : همع الهوامع : ٢٣١/٢ ـ ٢٤٤ . (٨) مجموعة التحفة : ص٥٤ .

يتناول الكتاب الكلام على رسم اللّفظ بالحروف الهجائيّة ، فيتحدّث عن بعض مبادئه العامّة ، فيتطرق إلى أحوال الهمزة - أوّلاً - في الوصل والقطع ، ووقوعها في أوّل الكلمة وفي وسطها ومتطرّفة ، ووقوعها مفتوحة ومكسورة ومضمومة وساكنة ، وأحكام تحقيقها وتسهيلها وحذفها ، ثم يتطرّق إلى ما الموصولة بفي ومن - دون غيرهما - في الإثبات ، وبما وبفي ومن في الاستفهام ، ثمّ يتحدّث عن رسم المصحف ، ووضع النقط ، وكيف أنّه لا يقاس ، فهو - على هذا - لا يقصد الخطّ بمعناه الضيّق ، أي الرسم ، كما قد يفهم من عنوان الرسالة ، وإنّما هو يضيف إلى ذلك بعض قواعد الإملاء وعلامات الترقيم ، وهذه الأخيرة تتصل بتقسيم الكلام إلى جمل تامّة وغير تامّة .

٥ - المزهر في علوم اللّغة وأنواعها : ذكره (١) السيوطيّ في فهرس مؤلّفاته (٢) ، وفي حسن المحاضرة (٣) ، وفي ديوان الحيوان (٤) .

وذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (٥) ، والخوانساري في روضات الجنّات (٦) ، وإسماعيل البغدادي في هديّة العارفين (٧) ، وصديق حسن خان في البلغة في أصول اللّغة (٨) ، وماء العينين في ثمار المزهر (٩) .

وسنفرد لهذا الكتاب ، يلي هذا الفصل ، بحثاً مستقلاً .

٦ - المعاني الدّقيقة في إدراك الحقيقة : ذكره السيوطي في فهرس مؤلّفاته (١٠) ، وذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (١١) ، وإسماعيل البغدادي في هديّة العارفين (١٢) .

---

(١) لم يحقّق الأساتذة محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ومحمد أحمد جاد المولى نسبة هذا الكتاب إلى السيوطيّ .

(٢) باسم " المزهر في علوم اللّغة " في " فهرس مؤلّفات السيوطيّ " : نسخة الخزانة العامّة بالرباط المحفوظة تحت رقم ١٠٣٢ : ق ٦/ب ، وباسم " المظهر في علوم اللّغة " في نسخة مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة المحفوظة تحت رقم ١٧٤ - مجاميع : ق ٥/ب .

(٣) ١/١٩٤ . (٤) ق ١٧/ب . (٥) ٢/١٦٦٠ .

(٦) ٣١٥ باسم "مظهر اللّغة" . (٧) ٥٤٢ .

(٨) ص ٤ ، وسيأتي الكلام عن هذا الكتاب في " أثر المزهر في الدّراسات بعده " .

(٩) ص ٣ ، وسيأتي الكلام عن هذا الكتاب في " أثر المزهر في الدّراسات بعده " .

(١٠) نسخة الرباط : ق ١/ب ، ونسخة المدينة المنورة : ق ٢/أ .

(١١) ٢/١٧٢٩ .

(١٢) ٥٤٣ .

وأشار سركيس في معجم المطبوعات (١) إلى أنّ الكتاب قد طبع يلي كتاب " طرح الدرّ " (٢) ليوسف بن محمد (٣) ، في مصر سنة ١٢٨٥هـ .

ومن الكتاب نسخة جيّدة في قسم المخطوطات بجامعة الرياض (٤) ، تمّ نسخها سنة ١١٣٩ هـ ، وناسخها خليل بن محمود ، وله نسخة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة (٥) ، من خطوط القرن الثاني عشر الهجري ، ناسخها الرقباوي الجندي ، وله نسخة في الخزانة العامّة بالرباط (٦) .

وموضوع الكتاب هو الإبانة عن " مسائل مهمّة خفيت عند كثير من الناس ، أكثروا من استشكالها ، وأبدوا لها تأويلاً لما خفي عليهم من حالتها .. وكلّ هذا ذهول عن إدراكه بالحقيقة ، وقد وقع عندي — في الدّرس — نظير ذلك أنّ بعض الفضلاء استشكل قوله تعالى : " (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ، ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ) (٧) ، فقال : عرض الأجسام ممكن ، فكيف عرض المعاني المعقولة التي لا شخص لها في الخارج " (٨) .

وأوضح السيوطيّ أنّ جميع المعاني المعقولة صوّرت عند الله تعالى بصورة الأجسام ، ومشخّصة بهيئة الأشخاص ، ولو كنّا لا نحسّ ذلك لكوننا محجوبين عنه واستشهد — على ذلك — بطائفة من الأحاديث النبويّة الشريفة ، وأقوال أرباب الحقيقة .

وقد تناول السيوطيّ هذه الآية الكريمة في النوع الأوّل من المزهر (٩) ، حين تكلّم عن مسألة وضع اللّغة ، أتوقيف هي أم وهي ، أم اصطلاح وتواطؤ .

ويفهم من كلامه — في هذا الكتاب — أنّه يذهب مذهب القائلين بالتوقيف (١٠)

---

(١) ١٠٨٤/١ ، ١٩٥٧/٢ .
(٢) قال سركيس في التعريف بهذا الكتاب " هو شرح مهمل على قصيدة مهملة " .
(٣) ذكر سركيس أنّ " طرح الدرّ " ليوسف بن محمد ، في كلامه على يوسف بن محمد هذا ، وذكر أنّه لعلي بن يوسف ، في كلامه عن السيوطيّ وكتاب " المعاني الدقيقة في إدراك الحقيقة " ، ولأنّنا لم نتمكّن من الوقوف على الكتاب لم نتبيّن أهو ليوسف بن محمد أو لعلي بن يوسف ، ولم نحل على ترجمة صاحب الكتاب ، تبعًا لذلك .
(٤) محفوظة تحت رقم ٢٢٧٦ م ، وهي من المخطوطات التي وفقنا إلى اقتناء صورها على الفوتوستات من القسم لمكتبتنا الخاصّة .
(٥) محفوظة تحت رقم ١٠٨ م. اميح .
(٦) محفوظة تحت رقم ١٤٠ .
(٧) سورة البقرة — آية ٣١ .
(٨) نسخة الرياض ٢٢٧٦ م : ق ٢/أ .
(٩) انظر : ٨/١ — ٩٦ .
(١٠) انظر : ق ٨/أ .

٧ ـ معترك الأقران في مشترك القرآن : ذكره (١) السيوطيّ في فهرس مؤلّفاته (٢) ، وفي حسن المحاضرة (٣) ، وفي الإتقان (٤) بهذا الاسم .

وذكره حاجي خليفه في كشف الظنون (٥) ، وإسماعيل البغدادي في هديّة العارفين (٦) بهذا الاسم أيضا .

وهو واحد من التآليف التي اطلعنا عليها في رحلتنا إلى المغرب الأقصى ، محفوظ في الخزانة الملكيّة بالرباط تحت رقم ٤٢٢١ باسم " معترك الأقران في مشترك القرآن " .

فأصبح من المقطوع به أنّ اسم الكتاب هو " معترك الأقران في مشترك القرآن " ، وكان حقيقًا بالأستاذ علي محمد البجاوى ، حين تصدّى لتحقيق الكتاب ، أن يترك اسمه على أصله صيانة لحرمته ، فلا يغيّره إلى " معترك الأقران في إعجاز القرآن " لمجرّد أنّه وجده مسمًّى بهذا الاسم في المخطوطتين الوحيدتين اللّتين اعتمد عليهما في نشر الكتاب (٧) .

حقًّا ، إنّ السيوطيّ يبحث ـ في هذا الكتاب ـ وجوه إعجاز القرآن الكريم ، فيحيط بها إحاطة تامّة ، على عادته في التأليف ، ولكنّه يعنى بوجه الإعجاز في ألفاظه المشتركة عناية كبيرة دون بقية الوجوه ، بحيث يبدو واضحًا أنّه هو الذي دعاه للتأليف (٨) ، قال : " وهذا الوجه من أعظم إعجازه ، بحيث كانت الكلمة الواحدة تتصرّف إلى عشرين وجهًا ، وأكثر وأقلّ ، ولا يوجد ذلك في كلام البشر .

---

(١) لم يحقّق الأستاذ علي محمد البجاوى نسبة الكتاب إلى السيوطيّ ، حين قام بتحقيقه .

(٢) نسخة الرباط : ق ١ /ب ، ونسخة المدينة المنورة : ق ٢/أ .

(٣) ١٩١/١ .

(٤) ١٢١/٢ .

(٥) ١٧٣١/٢ .

(٦) ٥٤٣ .

(٧) وهما محفوظتان في دار الكتب المصريّة ، الأولى تحت رقم ٢٠٣٤٧ب ـ تفسير ، والأخرى تحت رقم ٤٧٦ ـ تفسير ، وانظر : فهرس مخطوطات دار الكتب التي اقتنتها من سنة ١٩٣٦ ـ ١٩٥٥ : ٧٤/٣ .

(٨) يقع الكتاب في ثلاثة أجزاء من الحجم الكبير ، جاء الأول منه في ٦٤٣ صفحة ، والثاني في ٦٨٧ صفحة ، والثالث في ٦٤٣ صفحة ، وضمّ الكلام على الألفاظ المشتركة في القرآن الكريم ثلث الجزء الأوّل ، وكامل الجزء الثاني والثالث .

" وقد صنّف في هذا النوع وفي عكسه - وهو ما اختلف لفظه واتحد معناه - كثير من المتقدّمين والمتأخّرين ، منهم ابن الجوزي ، وابن أبي المعافى ، وأبو الحسين محمد ابن عبد الصمد المصريّ ، وابن فارس ، وآخرون ...

" وقد منّ الله علينا في جلب بعض ألفاظ في هذا المعنى ، وكان هو السبب في هذا المبنى ، فاشدد - بكلتا يديك - على هذا الكتاب ... وأنا أرغب ممن وقع بيده هذا الكتاب أن يدعو للساعي له فيه ، لأنه يجد فيه مالا يجده في كثير من المطوّلين الصعاب ، وكيف لا يذكره عند ربّه وقد استخرجته له منهم سهل المرام ، فخفّ عليه حمله وثمنه ، وقرّبت عليه الفهم باختصار الكلام ، وأيمُ الله لو أراد الاستغناء به عن النظر في غيره لكفاه .

" مع أنّي زدت - مع اللفظ المشترك - تفسير مفردات لابدّ له منها ، ليتمّ له معناه ، وأعقبت كلّ حرف بحروف تشاكلها منها من الأسماء والظروف ، لأنّ معرفة ذلك من المهمّات المطلوبة ، لاختلاف مواقعها ، ولهذا يختلف الكلام والاستنباط بحسبها ".(١)

وقارىء الكتاب يحسّ أنّ السيوطيّ لم يترك كتاباً ألّف في موضوع المشترك اللفظيّ في القرآن الكريم ، وما يتصل به إلاّ قرأه ، واستعان به في كتابه ، ولذلك فهو يعدّ - بحقّ - مرجعاً في موضوعه لايستهان به .

وطريقته في عرض مادّة هذا الكتاب كطريقته في عرض مادّة كتبه الأخرى ، بدأ الحديث في كلّ مسألة بذكر من ألّف فيها من المتقدمين والمتأخرين ، ثم عمد إلى تقويم مؤلّفاتهم ووصفها بشيء من الإيجاز .

ومن ثمّ تناول الألفاظ المشتركة في القرآن الكريم بالتحليل والدرس ، فرتّبها على حسب حروف الهجاء ، وفسّرها ، وأحاط بمعانيها المختلفة ، مسترشداً - في ذلك - بكتب التفسير والحديث واللغة وغيرها ، فجاء الكتاب كما لو كان معجماً لغوياً خاصاً يشمل ألفاظ القرآن الكريم المشتركة ويشرحها ، تقصد الأخذ بيد قارىء القرآن الكريم ، ومساعدته على فهمه وحلّ ما قد يعترضه فيه من مشكلات لغوية بسبب الألفاظ المشتركة .

٨ - مفحمات الأقران في مبهمات القرآن : ذكره السيوطيّ في فهرسرمؤلّفاته (٢) ، وفي حسن المحاضرة (٣) .

وذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (٤) ، وإسماعيل البغدادي في هدية

---

(١) معترك الأقران في إعجاز القرآن : ١/٥١٤ - ٥١٦ .
(٢) نسخة الرباط : ق ١/ب ، ونسخة المدينة المنورة : ق ٢/أ .
(٣) ١/١٩١ . (٤) ٢/١٧٧١ .

العارفين (١)، وبروكلمان في "دائرة المعارف الإسلاميّة" (٢)، وفي تاريخ الأدب العربيّ (٣).

وقد طبع الكتاب، للمرّة الأولى، في ليدن سنة ١٨٣٩م، ثمّ في بولاق سنة ١٢٨٤ هـ، وفي مصر سنة ١٣٠٩ هـ (٤)، وفي المطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣٠٩ أيضاً (٥).

ويقع الكتاب - في طبعته الأخيرة، وهي التي وقفنا عليها - في خمس وخمسين صفحة من القطع المتوسط، وموضوعه - كما يشفّ لك عنه اسمه - غريب القرآن.

وهو - على إيجازه وصغر حجمه - ضمّ مجموعة كبيرة من الكلمات الغريبة في القرآن الكريم، وناقش عدداً لا بأس به من الشواهد التي تحتاج إلى بيان وتفسير.

وطريقته أن يذكر معنى الكلمة في موقعها من القرآن الكريم، لا معناها العامّ في اللّغة، وقد يذكر الاثنين معاً في بعض الأحيان، كما قد يذكر معنى الكلمة واختلافها باختلاف القراءات في الآية، مرتّباً كلّ ذلك ترتيباً أبجديّاً دقيقاً.

ثانياً - الآثار المخطوطة:

٩ - الإفصاح في أسماء النكاح: ذكره السيوطيّ في فهرس مؤلّفاته (٦)، وفي الوشاح في فوائد النكاح (٧)، وفي مباسم الملاح ومياسم الصباح في مراسم النكاح (٨).

وذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (٩)، وإسماعيل البغدادي في هدية العارفين (١٠)، وبروكلمان في تاريخ الأدب العربيّ (١١).

ومن توثيق الكتاب أنّ السيوطيّ في كتابه "الوشاح في فوائد النكاح" (١٢) -

---

(١) ٥٤٣.
(٢) ١٣/٢٨.
(٣) ٢/١٨٢ (الأصل الألماني)، وفيه أشار إلى أماكن وجود نسخه الخطيّة.
(٤) ومعه - في هذه الطبعة - شرح منظومة السجاعي في بيان الأنبياء المذكورين في القرآن الكريم، المسماة "فتح المنّان لبيان الرسل التي في القرآن".
(٥) انظر: معجم المطبوعات: ١/١٠٨٤، ١/١٠٠٧.
(٦) نسخة الرباط: ق ٦/ب، وورد اسمه في نسخة المدينة المنورة: ق ٥/ب: "الإفصاح في أسماء النكاح".
(٧) ق ٢/ب. (٨) ق ٤/أ. (٩) ١/١٣٢. (١٠) ٥٣٥.
(١١) ٢/١٨٢ (الأصل الألماني).
(١٢) سيأتي الكلام عنه بعد قليل.

يتحدّث عن قصّة تأليفه ، فيقول : " أكثر الناس من التصنيف في فنّ النكاح ، ما بين مسهب ومختصر ، ومستوعب ومقتصر . وعلى الجملة ، فأحسن كتاب ألّف - في ذلك - وأجمعه لفوايد هذه المسالك كتاب : تحفة العروس ومتعة النفوس (١) - لأبي عبد الله محمد بن أحمد التجاني . وقد سوّدت - في ذلك - مسوّدات متعدّدة ، فأوّل ما عملت - في ذلك - كتاب : الإفصاح في أسماء النكاح ، وهو لغة صرف مبسوط بنقوله وشواهده ، في مجلّد لطيف " .

والكتاب مايزال مخطوطاً ، وفي مكتبة تشستربيتي في دبلن نسخة منه محفوظة تحت رقم ٤٦٤١ (٢) ، وذكر سركيس في معجم المطبوعات (٣) كتاباً بعنوان " الإيضاح في علم النكاح " ضمن كتب السيوطيّ المطبوعة ، ولم يتيسّر لنا الوقوف عليه ، كما لم يتيسّر لنا الوقوف على نسخة تشستربيتي .

١٠ - التبرّي من معرّة المعرّي : ذكره السيوطيّ في فهرس مؤلّفاته (٤) ، وفي ديوان الحيوان (٥) .

وذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (٦) ، وإسماعيل البغدادي في هدية العارفين (٧) ، وبروكلمان في تاريخ الأدب العربي (٨) .

وفي مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة نسخة منه محفوظة تحت رقم ١٧ - لغة (٩) ، تمّ نسخها سنة ٩٧٨هـ ، وناسخها محمد بن سلام الفيوميّ ، وفي الظاهريّة بدمشق نسخة تحت رقم ٥٨٩٦ - علم (١٠) ، وذكر بروكلمان في تاريخ الأدب العربي (١١) وذيله (١٢)

---

(١) وهو مطبوع في مصر سنة ١٣٠١هـ باسم " تحفة العروس ونزهة النفوس " .
(٢) انظر : تاريخ الأدب العربيّ لبروكلمان : ٢/١٨٢ (الأصل الألماني) .
(٣) انظر : ١/١٠٧٦ ، وفيه أنّ هذا الكتاب قد طبع طبعة حجريّة في مصر سنة ١٢٧٩هـ .
(٤) نسخة المدينة المنورة : ق٦/أ ، وورد فيها اسم الكتاب " التبرّي من معرّة المعرّي في أسماء الكلب " .
(٥) ق ٢٣٢ /أ .
(٦) ١/ ٣٣٧ .
(٧) ٥٣٦ .
(٨) ٢/١٨٢ (الأصل الألماني) ، والذيل : ٢/١٥٣ (الأصل الألماني) .
(٩) ضمن كتابه " ديوان الحيوان " .
(١٠) مفرداً مستقلاً عن " ديوان الحيوان " ، كما جاء في فهرس المكتبة .
(١١) ٢/١٨٢ (الأصل الألماني) .
(١٢) ٢/١٥٣ (الأصل الألماني) .

أنّ للكتاب نسخاً أخرىٰ في المكتبة التيموريّة تحت رقم ٢٠١ ـ مجاميع (١)، ومكتبة البلديّة في الإسكندريّة تحت رقم ١٢٠ ـ فنون، وبرلين تحت رقم ٧٠٥٦، وبتنة تحت رقم ٣٩٥.

والكتاب منظومة تنتظم في سبعة وثلاثين بيتاً، أحصىٰ فيها السيوطيّ أسماء الكلب، وقدّم لها بقوله: "دخل ـ يوماً ـ أبو العلاء المعرّيّ علىٰ الشريف المرتضىٰ، فعثر برجل، فقال الرجل: من هذا الكلب؟ فقال أبو العلاء: الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً، قلت: وقد تتبّعت كتب اللّغة، فحصّلتها، ونظمتها في أرجوزة، وسمّيتها: التبرّي، من معرّة المعرّي" (٢).

وقد بلغ السيوطيّ في عدّ أسماء الكلب السبعين فصاعداً، إذ اعتبر في العدّ: لغات القصر والمدّ وتغيّر البنية، كالكلب والكالب، والكلاب (٣)، وفي تلك الأسماء ما كان صفة، فغلبت عليه الاسميّة، مثل: البصير، والمنذر (٤)، ومنها ما هو ألقاب جعلت علىٰ الكلب، لأنّ معانيها فيه، كداعي الكرم، وداعي الضمير (٥).

وكأنّ السيوطيّ قد اجتهد في تحصيل هذه الأسماء من كتب اللّغة والأدب، حتىٰ بلغت سبعين عدّاً، فأكثر، لكيلا يكون كلباً، عند أبي العلاء مع الذين لا يعرفون للكلب سبعين اسماً، ولا يناله شيء من تعييره.

وهذه الأرجوزة من بين ما أودعه السيوطي في كتابه "ديوان الحيوان" (٦) ـ الذي سنأتي علىٰ ذكره بعد قليل.

١١ ـ التهذيب في أسماء الذيب: ذكره السيوطيّ في فهرس مؤلّفاته (٧)، وفي ديوان الحيوان (٨).

وذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (٩)، وإسماعيل البغدادي في هدية العارفين (١٠)، وبروكلمان في تاريخ الأدب العربي (١١).

---

(١) وذكر أنّها بلا نسبة لمؤلف.
(٢) ق ١/أ.
(٣) انظر: ق ١/ب.
(٤) نفسه.
(٥) نفسه.
(٦) ق ٢٣٢ ـ ق ٢٣٣.
(٧) نسخة الرباط: ق ٨/ب، ونسخة المدينة المنورة: ق ٦/أ.
(٨) ق ١٥٤/أ
(٩) ١/٥١٧.
(١٠) ٥٣٧.
(١١) ٢/١٨٢ (الأصل الألماني).

ومنه نسخة مخطوطة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة ، محفوظة تحت رقم ١٧ ـ لغة (١) ، تمّ تسخها سنة ٩٧٨ هـ ، والناسخ محمد بن سلام الفيوميّ ، عليها حـــواش وتعليقات وآثار رطوبة خفيفة ، ومنه نسخة كذلك في مكتبة الأزهر محفوظة تحت رقم ١٣٢ ـ مجاميع ، ونسخة في بتنه ٢/٣٩٥ . (٢)

جاء في أوّله : " الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى . وبعد ، فهذا جزء سمّيته : التهذيب في أسماء الذيب ، وهو : الأحوَص ، الأرشَح ، الأزل " (٣) .

وجاء بآخره : " ومن محاسن التضمين تولي في التسميط مشيرًا إلى طالب كـــان يتردّد إلى الاستفادة ثلاث سنين ، ويتملّق ويتذلّل ، ثمّ بدا منه سوء أدب ، فطردتـــه :

لولا رأيتُ النقلَ فيه مُـــدَوَّنًا ، سطّرتُه ، أو كنتُ أذكره هنـــا
فإذا جهلتَ النقلَ أنتَ وجئتَنا ترجو الفوائدَ مِنْ لدينا بالهنـــا
وتجي بذوق هَلْ رأيتَ الذيبَ قـــطّ

" نقلت للذوق من اللبن المخلوط بالماء إلى [ ] (٤) ونقلت التشبيه بالذيب في لونـــه إلى التشبيه به في عدوه وختله . انتهى " (٥) .

تبلغ عدّة أسماء الذئب التي أودعها السيوطيّ في هذا الكتاب مائة وتسعـــــة وسبعين اسما باسقاط المكرّر ، مائة منها بين أسماء وصفات ، والبقية بين كنىً وأسماء ولـــد وأنثى .

وهذا أنموذج من الشروح التي وضعها على بعضها : " ذُوَالَة : اسم معرفة ، كأُسَامَة للأسد ... وفي الحديث أنّ النبيّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ مرّ بجارية سوداء ، وهي ترقّص صبيًّا لها ، وتقول : ذُوَالُ يا ابن القوم يا ذُوَالَة ، فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ لا تقولي : يا ذُوَالَ ، فإنّ ذُوَالَ شرّ السباع . قلت : أورده القيّ (٦) في الأمثال (٧) ، وذُوَالُ ترخيم ذُوَالَة " (٨) .

---

(١) ضمن كتابه " ديوان الحيوان " .
(٢) انظر : تاريخ الأدب العربيّ لبروكلمان : ٢/١٨٢ (الأصل الألماني) .
(٣) ق ١/أ . (٤) بياض بالأصل . (٥) ق ٥/أ .
(٦) نظام الدين حسن بن محمد النيسابوري ، المعروف بنظام الأعرج .
(٧) مخطوط بالأسكوريال ١٧٠٥ .
(٨) ق ١/أ ـ ب .

١٢ ـ حسن السير فيما في الفرس من أسماء الطير : ذكره السيوطيّ في فهرس مؤلّفاته (١) وفي ديوان الحيوان (٢) .

وذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (٣) ، وإسماعيل البغدادي في هديّة العارفين (٤) .

ومنه نسخة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة ، محفوظة تحت رقم ١٧ ـ لغة ، تمّ نسخها سنة ٩٧٨ هـ ، وناسخها محمد سلام الفيوميّ ، وهي في ورقة واحدة ، أحصى فيها السيوطيّ معظم ما وجده في كتب اللّغة من أسماء الطير التي أطلقت على الفرس ونظمها في أرجوزة ، عدّة أبياتها اثنا عشر ، قدّم لها بقوله : " ... وقد نظمتها في أرجوزة سمّيتها : حسن السير فيما في الفرس من أسماء الطير " ، ثمّ سرد أرجوزته قائلاً :

" الحمدُ للّه مسخّر اللّيلْ وجاعلِ العزّة في ظهرِ الخيلْ
ثمّ صلاتُه على المُختارِ وآلِه وصحبِه الأبرارِ
دونَكَ نظماً وأدعه : حُسْنَ السَّيْرِ فيما حَوَتْه الخَيْلُ مِنْ أسماءِ الطّيرِ
حرّرتُه من كتبِ اللّغاتِ وصُنْتُه خَوْفاً مِنَ الشّتاتِ
عدّتُها قريبةٌ من أربعينْ واللّهُ ربّي لا سِوَاهُ أستَعِينْ ... "

وهي ممّا أودعه السيوطيّ في كتابه " ديوان الحيوان " . (٥)

١٣ ـ ديوان الحيوان وذيله : ذكرهما السيوطيّ في فهرس مؤلّفاته (٦) ، وذكرهما حاجي خليفة في كشف الظنون (٧) ، وإسماعيل البغدادي في هديّة العارفين (٨) .

وسنتكلّم عن هذين الكتابين بشيء من التفصيل في البحث الخاصّ بهما في الفصل الثالث من هذا الباب .

---

(١) نسخة الرباط : ق ٨/ب ، ونسخة المدينة المنورة : ق ٦/أ .
(٢) ق ١١٩/ب .
(٣) ١/٦٦٦ ـ ٦٦٧ .
(٤) ٥٣٨ .
(٥) ق ١١٩/ب .
(٦) نسخة الرباط : ق ٨/ب ، ونسخة المدينة المنورة : ق ٦/أ .
(٧) ١/٧٨٦ .
(٨) ٥٣٩ .

١٤ — رسالة في أستعمالات حروف الهجاء في كلام العرب : ذكرها السيوطيّ في "كتاب التحدّث بنعمة الله" [١] ، وذكرها بروكلمان في "تاريخ الأدب العربيّ" بهذا الاسم [٢] ، وجاءت في فهارس مكتبة الحرم المكيّ الشريف بأسم "رسالة في حروف الهجاء" [٣] ، وفي فهرس مخطوطات جامعة الرياض بأسم "أسئلة عظيمة للسيوطيّ ، وأجوبتها للشنوانيّ" [٤] .

هكذا وجدنا أسم هذه الرسالة مختلفاً ، وبدا لنا — أوّل الأمر — أنّ الأول والثاني أسمان لمسمًّى واحد ، وتوهّمنا أنّ الثالث كتاب آخر مستقلّ ، حتىٰ إذا وقفنا عليها جميعاً وجدناها كتاباً واحداً ، ورجّحنا أن يكون عنوانه : "رسالة في أستعمالات حروف الهجاء في كلام العرب" ؛ وهو ماذكره بروكلمان ، لأنّه أسم جامع يدلّ علىٰ مضامين الكتاب دلالة أمينة .

وعزونا هذا الاختلاف لأحد أثنين : "تحريف الناسخين ، أو تساهل المفهرسين ؛ فإنّهم إذا وجدوا الكتاب خلواً من العنوان لم يروا بأساً من وضع عنوان له ، أستناداً إلىٰ موضوعه أو ماشاع بين الناس من أخباره .

أمّا نسخة مكتبة الحرم المكيّ الشريف من الكتاب ؛ فمحفوظة تحت رقم ٦٧ — مجاميع ، ونسخة قسم المخطوطات بجامعة الرياض ، تحت رقم ١٤١٣ ، ونسخة الموصل وهي التي أشار إليها بروكلمان ، تحت رقم ٢٩٧ .

وقد جاء في أوّلها جميعاً : "هذه أسئلة الحافظ جلال الدّين السيوطي [٥] في حروف الهجاء ، وأجوبتها للشيخ العلاّمة أبي بكر الشنواني الشافعيين — رحمهما الله — أمّا الأسئلة فسبعة . . . " [٦] .

---

(١) ص ١٧٣ .
(٢) ٢/١٥٣ الذيل (الأصل الألمانيّ) .
(٣) ص ٦٧ .
(٤) ص ٤ .
(٥) في نسخة جامعة الرياض "الجلال" .
(٦) انظر ق ١ في النسخ الثلاث مارّة الذكر ، وجاء أوّلها في "كتاب التحدّث بنعمة الله" هكذا : " الحمد لله . يقول الفقير العاجز عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطيّ ، منادياً علىٰ رؤوس الأشهاد : من أدّعىٰ أنّه في العلم والفهم مقدّم فليجب عمّا أستبهم من الأسئلة المتعلّقة بحروف المعجم ، ومن عجز عن تحرير ألف باء تاء ثاء فليستصغر نفسه عن أن يقرّر أبحاثا . . . " : ص ١٧٣ .

وجاء بآخرها : " حكمها عند التسمية ؛ فما كان منها غير مركّب ولا أعجميّ ، فهو معرّب منصرف ، إن سمّي به مذكّر ، وغير منصرف إن سمّي به مؤنّث ، والأعجميّ غير منصرف مطلقاً ، وأمّا حكمها عند الرسم ؛ فهو (١) أنّها ترسم بصورة لفظها ، بتقدير الابتداء بها والوقف عليها ، لأنّ ذلك قاعدة الرسم ، إلاّ ما استثني منها (٢) ، ولم نر من استثنىٰ هذه ولا بعضها ، والله أعلم ورسوله " (٣) .

وكان السيوطيّ قد سأل لغويي زمانه — علىٰ سبيل التباهي بعلمه — أن يجيبوه عن سبعة أسئلة ؛ هي : " الأول : ما هذه الأسماء : ألف باتا ثا إلى آخرها ، وما مسماها ، وهل هي أسماء أجناس أو أسماء أعلام ، فإن كان الأول ؛ فمن أيّ نوع الأجناس هي ؟ وإن كان الثاني ؛ فهل هي جنسيّة أو شخصيّة ؟ فإن (٤) كانت جنسيّة ، فهل هي من أعلام الأعيان أم المعاني ؟ وإن كانت شخصيّة ، فهل هي منقولة أم مرتجل (٥) ؟ فإن كان الأول فمم نقلت : أمن حروف أم أفعال أم أسماء أعيان أم مصادر أم صفات ؟ (٦) .

" الثاني : (٧) من وضع هذه الحروف ؟ وفي أيّ زمن وضعت ؟ وما مستند واضعها : هل هو العقل (٨) أو النقل ؟

" السؤال الثالث (٩) : هل (١٠) هي مختصّة باللّغة العربيّة أم عامّة في جميع اللّغات ؟ .

" السؤال الرابع : (١١) هل الألف والهمزة مترادفان أم مفترقان ؟ وعلىٰ الثاني ، فما الفرق ؟ وأيّهما الأصل ؟

" السؤال الخامس (١٢) : أجمع علماء اللّغة والعدد وغيرهم من المتكلّمين علىٰ المفردات علىٰ الابتداء بحرف الهمزة ، وهل (١٣) هو أمر اتفاقيّ أو لحكمة ؟

---

(١) في نسخة مكتبة الحرم : " فهي " .
(٢) في نسخة جامعة الرياض : " زمنها " .
(٣) في نسخة جامعة الرياض : " والله أعلم " .
(٤) في نسخة جامعة الرياض : " وإن كانت " .
(٥) كذا في نسختي مكتبة والرياض .
(٦) تكلّم سيبويه عن أبجد ... إلخ ، وفي الكافية ، وفي شرحها : ٢ / ١٣٢ ، وللتفتازاني كتاب في فهرست التوحيد ، اسمه " شرح المقاصد " ؛ مطبوع ، وهو مخطوط في مكتبة الحرم المكي الشريف برقم ٩٧ .
(٧) في نسخة جامعة الرياض : " ثانيها " (٨) في نسخة مكة " هل هو الفعل أو النقل " .
(٩) في نسخة الرياض : " ثالثها " . (١٠) في نسخة الرياض : " هل " ساقطة .
(١١) في نسخة الرياض : " رابعها " . (١٢) كذا في النسختين .
(١٣) كذا في النسختين .

" السؤال السادس: [(١)] كلمات أبجد هوز ... إلخ ، هل هي [(٢)] مهملة ، أو [(٣)] مستعملة ؟ وماعُني بها ؟ وما أصلها ؟ وكيف نقلت إلى المراد بها ؟ وما ضبط ألفاظها ؟

" السؤال السابع : [(٤)] ماحكمها في الابتداء والوقف والمنع والصرف والتذكير والتأنيث والإعراب والبناء واللفظ والرسم ، وعند التسمية بها ؟ وماحكمها عند نقشها على ثوب أو بساط أو حائط أو سقف ؟ وهل للحروف [(٥)] المجتمعة منها والمفترقة حرمة [(٦)] ؟

" فهذه سبع سؤلات [(٧)] ؛ من أجاب عنها فهو من فحول الرجال ، وإلا فلا مزية له على الأطفال ".

ويبدو أنّ أحداً من لغويي زمانه لم يجب عن هذه الأسئلة بشيء [(٨)] ، حتى جاء — بعده — أبو بكر الشنواني ، فأجاب عنها إجابات شافية .

فالأسئلة — إذن — للسيوطيّ ، والإجابات للشنواني ، ولم نقف — حتى الآن — على الذي جمع الأسئلة والإجابات في هذا المؤلّف ، من المتأخّرين .

١٥ — رسالة في أعضاء الإنسان وأسمائها : ذكرها الأستاذ محمود رزق سليم في كتابه " عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي " [(٩)] ، وقال إنّه وقف على نسخة خطيّة لها في مكتبة معهد دمياط الديني — ضمن مجموع .

١٦ — رسالة في بيان الألفاظ المعرّبة في القرآن : (انظر : المهذّب فيما وقع في القرآن من المعرّب) .

---

(١) في نسخة جامعة الرياض : " سادسها ".
(٢) " هي " ساقطة في نسخة جامعة الرياض .
(٣) " أم " ساقطة فيها أيضا .
(٤) في نسخة جامعة الرياض : " سابعها ".
(٥) في نسخة جامعة الرياض : " للحرف".
(٦) في نسخة جامعة الرياض : " حرمة أم لا " .
(٧) كذا في النسختين .
(٨) قال في " كتاب التحدّث بنعمة الله " : " ... ثمّ رتبت أسئلة تتعلّق بحروف المعجم وأخرجتها لمن أبرز قوّته في هذه المسئلة من الرؤوس ؛ فلم يحر أحد منهم عنها جواباً من ذلك الحين وإلى الآن ... " : ص ١٧٣ .
(٩) ٣/٣٦٨ .

١٧ — زبدة اللّيق في النوادر : ذكرها السيوطيّ في " فهرس مؤلّفاته "[١] ضمن كتبه في فنّ اللّغة والنّحو والتّصريف .

وذكرها حاجي خليفة في " كشف الظنون "[٢] ، وإسماعيل البغدادي في " هديّة العارفين "[٣] .

وذكرها بروكلمان في كتابه " تاريخ الأدب العربي "[٤] باسم " زبدة اللّبن — من وجهات نظر مختلفة : اللّغة والحديث والطّب " .

ومنها نسخة في برلين ، وميونخ ، وليدن[٥] .

وقد جمع السيوطيّ في هذا المصنّف فوائد لغويّة وحديثيّة وطبيّة طريفة ، على ما يحكيه حاجي خليفة في " كشف الظنون "[٦] ، وذلك مبلغ علمنا — الآن — بهذا الكتاب ، حتى يتيسّر لنا الوقوف على إحدى نسخه الثلاث المذكورة في ألمانيا وهولندا .

١٨ — شرح الشاطبيّة الألفيّة في القراءات العشر — للقاسم الشاطبي : ذكره السيوطيّ في " فهرس مؤلّفاته "[٧] ، وفي كتابه " حسن المحاضرة "[٨] ضمن كتبه في فنّ التفسير وتعلّقات القرآن .

وذكره حاجي خليفة في " كشف الظنون "[٩] ، وإسماعيل البغدادي في " هديّة العارفين "[١٠] .

وذكره العيدروسي في كتابه " النور السافر في أخبار القرن العاشر "[١١] .

وذكره ناشر كتاب " طبقات المفسّرين " للسيوطيّ ، في إضافاته[١٢] .

ومنه نسخة في دار الكتب المصريّة برقم ٣٣ مجاميع[١٣] ، ونسخة أخرى في الظاهريّة بدمشق برقم ٢٩٩ قراءات[١٤] ، وشرح الدكتور عزّة حسن فكرة الكتاب

---

(١) نسخة المدينة المنورة : " ق ٧/ب ، ونسخة الرباط : ق ١٠/أ .
(٢) ٢/٩٥٣ . (٣) ٢/٥٣٩ .
(٤) ٢/١٨٣ (الأصل الألماني) . (٥) نفسه .
(٦) أنظر : ٢/٩٥٣ .
(٧) نسخة المدينة المنورة : ق ٢/أ ، ونسخة الرباط : ٢/أ .
(٨) ١/١٩١ .
(٩) ١/٦٤٦ — ٦٥٠ .
(١٠) ١/٥٤٠ .
(١١) ق ٦٩/أ .
(١٢) انظر : إضافات الناشر الأوربي للكتاب : ص ٢٤ — ٢٥ .
(١٣) فهرس مخطوطات الدار : ١/٣١١ .
(١٤) انظر : فهرس دار الكتب الظاهريّة (علوم القرآن) : ص ١٢٢ .

فذكر أنّه شرح للقصيدة المسماة " حرز الأماني ووجه التهاني "[1] والمشهورة بالشاطبيّة، في القراءات السبع ، لأبي محمد القاسم الشاطبي ؛ إمام القرّاء الضرير ، والتي أوّلها :

" بدأتُ ببسم اللّه في النّظم أوّلا تبارك رحماناً رحيماً مؤثّلا "[2]

وقال إن شرح السيوطيّ للشاطبيّة تميّز من غيره من الشروح بأنّه شرح مختصر ممزوج بألفاظ القصيدة ، ووصف نسخة المكتبة الظاهريّة منه بأنّها قريبة من الجيّد ، وأنّها من خطوط القرن الحادي عشر تقديراً[3] ، وعدد أوراقها ١٢٢ ورقة .

١٩ — شرح القصيدة الكافية في التصريف : ذكره السيوطيّ في " فهرس مؤلّفاته "[4] ، وفي كتابه " حسن المحاضرة "[5] ، وفي كتابه " التحدّث بنعمة اللّه "[6] ضمن كتبه في فنّ اللّغة والنّحو والتصريف .

وذكره حاجي خليفة في " كشف الظنون "[7] ، وإسماعيل البغدادي في " هديّة العارفين "[8] ، وبروكلمان في " تاريخ الأدب العربي "[9] .

وهو شرح وضعه على قصيدته الكافية في التصريف — التي أوّلها :

" أقولُ وَفِي قَرِيضِي مَا كفَاكَا فخذْ مافيه كي تَحْوِي مُنَاكَا "

ومنه نسخة في الأسكوريال برقم ٨٦[10] .

٢٠ — شرح لمعة الإشراق في الاشتقاق : ذكره السيوطيّ في " فهرس مؤلّفاته "[11] ، وفي كتابه " حسن المحاضرة "[12] ضمن كتبه في فنّ اللّغة والنّحو والتصريف .

---

(١) مطبوع بهذا الاسم ؛ طبع حجر ، في بشاور بالهند سنة ١٢٧٨هـ مع شروح ثلاثة : الأول — كنز المعاني لأبي عبد اللّه محمد المعروف بشعله ، والثاني — شرح ملّا علي القارئ ، والثالث — الكشف باللّغة الفارسيّة .

(٢) وعدّة أبياتها ألف ومائة وثلاثة وسبعون .

(٣) أنظر : فهرس دار الكتب الظاهريّة (علوم القرآن) : ص ١٢٢ .

(٤) نسخة المدينة المنورة : ق ٦/أ ، ونسخة الرباط : ق ٨/أ .

(٥) ١/١٩٤ .

(٦) ٢٣٨ .

(٧) ٢/١٣٤٥ .

(٨) ١/٥٤٠ .

(٩) ٢/١٨٢ (الأصل الألماني) ، وذكر أنّ السيوطي أكمل تصنيف كتابه هذا في ١٧ من المحرم ٨٨٤هـ .

(١٠) نفسه .

(١١) نسخة المدينة المنورة : ق ٨/أ .

(١٢) ١/١٩٤ .

وذكره إسماعيل البغدادي في "هديّة العارفين" [(١)].

ومنه نسخة في مكتبة الأزهر برقم ٢٠٤ مجاميع.

وهو يبحث في موضوع الاشتقاق من مختلف جوانبه ؛ طريق معرفته ، وأقسامه ، والأصل فيه من المصادر أو الأفعال ، وبيان الفرق بينه وبين التصريف — على ما جاء في فهرس مكتبة الأزهر [(٢)].

٢١ — ضوء الصباح في لغات النكاح : ذكره السيوطي في "فهرس مؤلّفاته" [(٣)] ، وفي كتابه "الوشاح في فوائد النكاح" [(٤)] ضمن كتبه في فنّ اللّغة والنّحو والتّصريف.

وذكره حاجي خليفة في "كشف الظنون" [(٥)] ، وإسماعيل البغدادي في "هديّة العارفين" [(٦)].

ومنه نسخة في دار الكتب المصريّة برقم ٣٣٢ لغة — تيمور.

يعدّ هذا الكتاب حلقة من سلسلة متكاملة ، قام بتأليفها السيوطيّ ؛ تناول فيها مختلف أمور النكاح ، "فأوّل ما عملت ، في ذلك ، كتاب : "الإفصاح في أسماء النكاح ، وهو لغة صرف مبسوط بنقوله وشواهده — في مجلّد لطيف ، ثمّ عملت : اليواقيت الثمينة في صفات السمينة ، وهو مفيد في وعه ، ثم سوّدت مسوّدة كبرى ، سمّيتها : مباسم الملاح ومياسم الصباح في مراسم النكاح ، مشتملة على سبعة فنون ؛ الأوّل — في الحديث والآثار ، الثاني — فنّ اللّغة ، الثالث — فنّ النوادر والأخبار ، الرابع — فنّ السجع والأشعار ، الخامس — فنّ الترشيح ، السادس — فنّ الطب ، السابع — فنّ الباه" [(٧)].

ثم لخّص من كتابه "مباسم الملاح ومياسم الصباح في مراسم النكاح" ما أودعه فيه من فوائد النكاح ، وأفرده في كتاب سمّاه "الوشاح في فوائد النكاح" مشتملاً على الفنون السبعة المذكورة نفسها.

أمّا كتاب "ضوء الصباح في لغات النكاح" فقد ألّفه ليضمّن فيه ، على صغر

---

(١) ١/٥٤٠.

(٢) وفي النوع الثالث والعشرين من المزهر : ١/٣٤٥ — ٣٥٤ طرق السيوطيّ الموضوع نفسه ، وانظر : فهرس مكتبة الأزهر : ص ٧٤.

(٣) نسخة الرباط : ق ٦/ب ، ونسخة المدينة المنورة : ق ٥/ب.

(٤) ق ٢/ب.

(٥) ٢/١٠٨٩.

(٦) ١/٥٤٠.

(٧) الوشاح : ق ٢/ب — ٣/أ.

حجمه ، خلاصة وافية لما جاء في كثير من المؤلّفات اللّغويّة من أسماء النكاح بلغات القبائل العربيّة المختلفة .

ويتضح من مقدّمة هذا الكتاب أنّ السيوطيّ قد اشتغل به ، أوّلاً ، بسبب كلمة قالها الثعالبيّ في كتابه " فقه اللّغة " ؛ فقد " دعا إلىٰ تأليفه قول أبي منصور الثعالبي في كتاب فقه اللّغة : لعلّ أسماء النكاح تبلغ مائة كلمة عن ثقات الأئمة ، بعضها أصليّ ، وبعضها مكنيّ [1] ، وقد تتبّعتها في كتب اللّغة ، كصحاح الجوهريّ ، والجمهرة لابن دريد ، والمجمل لابن فارس ، والغريب المصنّف لأبي عبيد ، وديوان الأدب للفارابي ، والأجناس للأصمعي ، ونوادر أبي زيد ، ونوادر أبي عمروالشيباني ، وإصلاح المنطق لابن السكيت ، وتهذيبه للتبريزي ، ومختصر العين للزبيدي ، والقاموس للشيرازي ، وغير ذلك ؛ فوجدتها ثلاثمائة اسم ، فجمعتها مرتّبة علىٰ حروف المعجم في هذا الكتاب " [2] .

ويمتاز هذا الكتاب من كتاب " فقه اللّغة " أيضاً ، في نظرنا ، بأنّ السيوطي يوجّه فيه عنايته — بصورة كبيرة — إلى إيراد الألفاظ المفردة لا إلىٰ التراكيب المنتقاة ، وبأنّه يبذل وسعه في سبيل تحديد مدلولات هذه الألفاظ ، وبيان مابينها من فروق .

كما يمتاز منه بورعه العلمي في الجمع والنقل ؛ فكثيرًا مانراه — في حال اختلاف من ينقل عنهم كاختلافهم مثلاً في تحديد معنىٰ لفظة أو صيغة من صيغها — يذكر الروايات المتضاربة كلّها ، ويضعها أمام القارئ دون أن يقطع بإحداها .

واتّبع السيوطيّ ، في ترتيب موادّ كتابه ، طريقة الصحاح ، واللّسان ، والقاموس ؛ بأن صنّف أسماء النكاح في ثمانية وعشرين باباً بعدد حروف الهجاء ، مع مراعاة أواخر الكلمة ، أوّلها باب الهمزة ، وآخرها باب الألف اللّينة ، ثم أثبت كلّ اسم من هذه الأسماء في باب الحرف الأخير منه ، ولم يذكر السيوطيّ ، في مقدّمة كتابه ، الأسباب التي حملته علىٰ اتباعه هذه الطريقة في ترتيب هذا الكتاب ، دون أكثر كتبه الأخرىٰ ، ولعلّ كنّا نرجّح أنّه اتبعها رغبة في تيسير اختيار القوافي علىٰ الناظمين في عصره .

فهو يبدأ بقوله : " حرف الهمزة : الباء الباءة بالهمزة ، وقال ثعلب : الباءة موضع الذكر في الفرج ، وترك الهمزة خطأ وَبَوْأَ الرجل تَبْوِيئاً : نَكَحَ ، ويقال :

---

(١) أنظر : فقه اللّغة وسرّ العربيّة — للثعالبيّ : ص ١٨٥ .

(٢) ضوء الصباح : ق ٢/أ (نسخة الدار ٣٣٢ لغة — تيمور) .

حَتَأَ المرأة ـ كمنع : إذا جامعها ، وكذا حَزَأَها ، وحَشَأَها ، يَحْشَأُها حَشْـئًا ، وحَطَأَها ، وحَلَأَها ، وحَنَأَها ، وخَجَأَها خَجْئًا ، ورَشَأَها ، ورَطَأَها ، وزَكَأَهـا ، وشَطَأَها ، وطَشَأَها ، وفَجَأَها ، وفَطَأَها ، وكَشَأَها ـ لغات . . . حرف البـاء : الدَّحْب ، والدَّعْب ، والزَّكْب ، والضَّغْب ، واللَّحْب ـ بالحاء المهملة ـ والوَظْـب والفعل ـ لغات" (١) وهكذا .

٢٢ ـ الطرثوث في فوائد البرغوث : ذكره السيوطيّ في " فهرس مؤلّفاته " (٢) ، وفـي كتابه " ديوان الحيوان " (٣) ضمن كتبه في فنّ اللّغة والنحو والتصريف .

وذكره حاجي خليفة في " كشف الظنون " (٤) ، وإسماعيل البغدادي في " هديّة العارفين " (٥) .

ومنه نسخة جيّدة في مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة برقـم ١٧ لغة ؛ تمّ نسخها سنة ٩٧٨هـ ، ونسخة أخرىٰ في الخزانة العامّة بالرّباط ؛ تـمّ نسخها سنة ١٠٠٧هـ ، رقمها ١٨٥٤هـ .

والكتاب نمط من رسائل السيوطيّ اللّغويّة ؛ جمع فيه ـ بلا ترتيب ـ مايتعلّـق بالبرغوث من فوائد لغويّة ، فدوّن كثيرًا من أسمائـه وألقابه وكناه ، وفسّرها ، وسـجّل بعضًا من صفاته وماضرب به من الأمثال العربيّة ، وما قيل فيه من الأراجيز .

وقد بناه السيوطيّ علىٰ : مقدّمة ، ومقصد ، وخاتمة ؛ تناول في المقدّمـة التعريف بالبرغوث ، وفي المقصد مايتعلّق به من فوائد ، وفي الخاتمة الشعر .

وهذا بعض ماذكره السيوطيّ في مقدّمته ، نثبته هنا ليستدلّ به القارئ علـىٰ هذا النمط من الطريقة التي اتّبعها في تصنيفـه ؛ " البرغوث ـ بضمّ الباء أكثـر من كسرها ، وتارة مثلّثة ، والواحدة : برغوثة ، وجمعه : براغيث .

" ومن أسمائه : القذّة والقذذ ، والجمع : قذان بالكسر ، والأبّاد بوزن كتان ، والقِدّان ـ بالكسر وتشديد الدال المهملة ، قال الراجز :

يَا أَبَتَا أَرَّقَنِي القِـــدّانْ فَالنَّوْمُ لا تَطْعَمُـهُ العَيْنَـــانْ

---

(١) ضوء الصباح : ق ٢/ب .
(٢) نسخة المدينة المنورة : ق ٤/أ ، ونسخة الرباط : ق ٤/ب .
(٣) ق ٣٠/أ .
(٤) ١١١٠/٢ .
(٥) ٥٤٠/١ .

" ويقال له : طامر ابن طامر ، ويكنىٰ : أبا طامر ، وأبا عدي ، وأبا الوثاب ؛ وهو من الحيوان الذي له الوثب الشديد ، ويثب إلىٰ ورائه ، وذكر الجاحظ عن يحيىٰ البرمكي أنّه من الخلق الذي يعرض له الطيران كما يعرض للنمل ، وهو يطيل السّفاد ، ويبيض ، ويفرخ بعد أن يتولّد وينشأ ، أوّلاً ، من التراب، وسلطانه آخر فصل الشتاء وأول فصل الربيع . . .

" وقالوا في الأمثال : أطمر من برغوث ، وأطير من برغوث ، ولا أفعله حتىٰ يحجّ البرغوث ، ذكره القمّي في الأمثال . . . "[1] .

وهذا الكتاب مما أودعه السيوطيّ في معجمه الكبير الجامع " ديوان الحيوان "[2] الذي يعدّ أحفل معاجم المعاني بالفائدة ، وأقربها إلى فكرة المعجم .

٢٣ — طون الحمامة : ذكره السيوطيّ في " فهرس مؤلّفاته "[3] ، وفي كتابه " ديوان الحيوان "[4] ضمن كتبه في فنّ اللّغة والنحو والتصريف .

وذكره حاجي خليفة في " كشف الظنون "[5] ، وإسماعيل البغدادي في " هديّة العارفين "[6] .

وفي مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة نسختان منه ، الأولىٰ نادرة ، وهي محفوظة تحت رقم ١٧ — لغة[7] ؛ تمّ نسخها سنة ٩٧٨هـ ، وناسخها محمد بن سلام الفيومي ، والأخرىٰ جيّدة ، رقمها ١٠٨ مجاميع ، وهي من خطوط القرن الحادي عشر تقديرًا ، وناسخها الرقباوي الجندي .

والكتاب مما أودعه السيوطيّ في كتابه " ديوان الحيوان "، وهو في ذكر أسماء الحمام وكناه وألقابه وأنواعه وفوائده وبعض ما جاء فيه من الحديث النبويّ الشريف وما قيل

---

(١) ق ٢/أ .
(٢) انظر : ق ٣١/أ — ق ٣٤/أ .
(٣) نسخة المدينة المنورة : ق ٣/أ ، ونسخة الرباط : ق ٤/ب .
(٤) ق ٨٢/أ .
(٥) ٢/١١١٨ .
(٦) ١/٥٤٠ .
(٧) ضمن كتابه : " ديوان الحيوان " .

فيه من الأمثال والأشعار والنوادر ؛ وقدّم له بقوله : " الحمد للّه مجير الحمام في البيت الحرام ، والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله وصحبه الكرام . هذا تأليف في الحمام يسمّى : طوق الحمام — دعا إلى تأليفه سؤال سئلته : هل ورد أنّ رجلاً شكا إلى النبيّ — صلى اللّه عليه وسلم — الوحشة ، فأمره أن يتّخذ له زوج حمام ؛ ورتّبته على: مقدّمة ومقصد وخاتمة . . . "[1] .

تناول ، في المقدّمة ، التعريف بالحمام ؛ فذكر أنّه "عند العرب : ذوات الأطواق ؛ نحو : الفواخت ، والقماري ، وساق حرّ ، والقطا ، وأشباه ذلك ، يقع على الذكر والأنثى ؛ لأنّ الهاء إنّما دخلته على أنّه واحد من جنس التأنيث . وعند العامّة : هي الدواجن فقط ؛ الواحدة : حمامة . . ."[2] .

ثمّ راح يعدّد صنوف الحمام ، ويحصي أسماءه ، ويشرح معانيها ، ويذكر مابينها من فروق ، حتى ذكر نيّفاً وثمانين اسماً ، وانتهى إلى أنّ "الحمام كلّ ماعبّ وهدر ، وإن تفرّقت أسماؤه ، والعبّ : شدّة جرع الماء من غير تنفّس ، والهدير : ترجيع الصوت ومواصلته من غير تقطيع له . . . "[3] .

وتناول ، في المقصد ، مسائل مختلفة ؛ أولاها الحديث النبويّ الشريف الذي سئل عنه : هل ورد أنّ رجلاً شكا إلى النبيّ — صلى اللّه عليه وسلم — الوحشة ، فأمره أن يتّخذ له زوج حمام ؟ فذكر طرقه وشواهده وما يشاكله من الأحاديث النبويّة الشريفة الأخرى في الحمام ، وانتهى إلى أنّ سند الحديث المذكور ضعيف .

واختتم الكتاب بطائفة من الأمثال والأشعار والنوادر المتعلّقة بالحمام.

٢٤ — غاية الإحسان في خلق الإنسان : ذكره السيوطيّ في " فهرس مؤلّفاته "[4] ، ضمن كتبه في فنّ اللّغة والنحو والتصريف .

وذكره حاجي خليفة في " كشف الظنون "[5] ، وإسماعيل البغدادي في " هديّة العارفين "[6] ، وبروكلمان في " تاريخ الأدب العربيّ "[7] .

---

(١) ق : ٢/أ .
(٢) نفسه .
(٣) ق ٢/ب .
(٤) نسخة المدينة المنورة : ق ٥/ب ، ونسخة الرباط : ق ٦/ب .
(٥) ٢/١١٨٨ — ١١٨٩ .
(٦) ١/٥٤٠ .
(٧) ٢/١٨٣ (الأصل الألمانيّ) .

استهلّ السيوطيّ كتابه هذا ، كعادته ، بذكر مراجعه ، وهي كتب خلق الإنسان التي وضعها اللّغويون قبله ؛ في أسمائه وصفاته المختلفة التي تعترى كلّ عضو من أعضائه ، وفي أخلاقه وأحواله ونواحيه الاجتماعيّة ؛ مثل : كتاب خلق الإنسان لأبي عبيدة[١] ، والأصمعي[٢] ، ومحمد بن حبيب[٣] ، وأبي محمد ثابت بن أبي ثابت[٤] ورّاق أبي عبيد ، وأبي إسحاق الزّجاج[٥] ، وأبي جعفر أحمد بن محمد النحّاس[٦] ، وذكر أنّه عالج موادّهم اللّغويّة ، وزاد عليها موادّ أخرى كثيرة .

ثمّ قسّم كتابه أقساماً ثلاثة : مقدّمة ، ومقصد ، وخاتمة ؛ وتناول — في المقدّمة — بعض الأمور العامّة ؛ مثل : الحمل والولادة والسنّ ، وتناول — في المقصد — الوصف العامّ للإنسان ؛ مايطلق على شخصه عامّة ، ثمّ مايطلق على أجزاء جسمه واحداً بعد الآخر ، مبتدئاً بالرأس ، ومنتهياً بالقدم ، ومايعتري كلّ جزء من صفات وأحوال ، وتناول — في الخاتمة — مايتصل بهذا الباب من الأحاديث النبويّة الشريفة والآثار والنكات اللّغويّة والأخبار والنوادر والأمثال والأشعار .

وفي مكتبة الأزهر نسخة منه وقفنا عليها برقم ١٨٧ مجاميع ، وذكر بروكلمان أنّ هناك نسخاً ثلاثاً في برلين برقم ٧٣٨ ، وفي ليدن برقم ٢٨ ، وفي السليمانيّة برقم ١٠٣٠[٧] .

وكان الدكتور رمضان عبد التّواب ، أستاذ فقه اللغة بجامعة عين شمس ، يعمل على تحقيق هذا الكتاب ، ولعلّه أن يكون قد فرغ منه الآن ، ودفع به إلى النشر ؛ ليضيف إلى المكتبة اللّغويّة واحداً من الكتب الحافلة التي بقيت لدينا من كتب التراث في خلق الانسان .

٢٥ — كتاب التذييل والتذنيب على نهاية الغريب : ذكره السيوطيّ في " فهرس مؤلّفاته "[٨] ضمن كتبه في فنّ اللّغة والنحو والتصريف .

---

(١) ت ٢١٠هـ .
(٢) ت ٢١٣هـ .
(٣) ت ٢٤٥هـ .
(٤) ت ٢٧٦هـ .
(٥) ت ٣١٠هـ .
(٦) ت ٣٣٨هـ .
(٧) انظر : تاريخ الأدب العربيّ : ٢/ ١٤٥ ، والذيل : ٢/ ١٥٥ (الأصل الألماني) .
(٨) نسخة المدينة المنورة : ق ٤/ب .

وذكره حاجي خليفة في " كشف الظنون " [١] ، وإسماعيل البغدادي في " هديّة العارفين " [٢] ، والدكتور حسين نصّار في كتابه " المعجم العربي " [٣] .

وقد شرح الدكتور فكرة الكتاب ، فقال إنّ السيوطيّ قد أراد أن ينتفع الناس بما في كتاب " النهاية في غريب الحديث والاثر " [٤] لأبي السعادات ابن الاثير — من لغويّات ، فحذف أحاديثها جملة ، واقتصر على ما فيها من تفسير ألفاظ ، ثم زاد عليها تفسيرات وفوائد ، وأخرجها جميعًا في كتابه " الدرّ النثير " [٥] ، ثمّ أفرد زياداته التي أوردها على نهاية ابن الاثير في كتابه " التذييل والتذنيب على نهاية الغريب " .

وفي مكتبة الأوقاف العامّة في بغداد نسخة برقم ٦٥٧٦ مجاميع ؛ وصفها الأستاذ عبد الله الجبوري [٦] بأنّها جيّدة ، وذكر أنّها كتبت سنة ١١٠١هـ .

٢٦ — الكرّ على عبد البرّ : ذكره السيوطيّ في " فهرس مؤلّفاته " [٧] — بهذا الاسم — ضمن كتبه في فنّ اللّغة والنحو والتصريف .

وذكره إسماعيل البغدادي في " هديّة العارفين " [٨] ، وبروكلمان في " تاريخ الأدب العربي " [٩] بالاسم نفسه .

وذكره آدم متز في " الحضارة الإسلاميّة " [١٠] ، والأستاذ أحمد عبد الغفور عطّار في " الصّحاح ومدارس المعجمات العربيّة " [١١] باسم " الكرّ على ابن عبد البرّ " .

ومنه نسخة في سليم أغا في استانبول برقم ١٦١ في مجموع — باسم " الكرّ على عبد البرّ " .

---

(١) ١٩٨٩/١ .
(٢) ٥٤١/١ .
(٣) ٦٢/١ .
(٤) مطبوع في مط الخيريّة بمصر — بدون تاريخ .
(٥) أنظر : فهرس المخطوطات العربيّة في مكتبة الأوقاف العامّة في بغداد : ١٧٢/١ .
(٦) نفسه .
(٧) نسخة المدينة المنورة : ق ٦/أ ، ونسخة الرباط : ق ٨/ب .
(٨) ٥٤١/١ .
(٩) الذيل : ١٥٣/٢ (الأصل الألماني) .
(١٠) ٤٣٧/١ (تعريب الأستاذ محمد عبد الهادي أبو ريدة ، ط ٤ بيروت ١٩٦٧م) .
(١١) ٢١٦ (ط ٢ بيروت ١٩٦٧م — دار العلم للملايين) .

ألّف السيوطيّ هذا الكتاب ردّاً على الكتاب الذي ألّفه معاصره أبو البركات سريّ الدّين عبد البرّ بن محمد بن الشحنة الحلبي (ت ٩٢١هـ) في نقد كتاب " الصّحاح " للجوهري ؛ وانتصر له ، وأشاد به ، واعتذر لغلطاته وأخطائه . (١)

٢٧ — المتوكلي فيما في القرآن من اللّغات العجميّة : (وهو مختصر كتابه : المهذّب فيما وقع في القرآن من المعرّب) ، ذكره السيوطيّ في " فهرس مؤلّفاته " (٢) ضمن كتبه في فنّ التفسير وتعلّقات القرآن .

وذكره حاجي خليفة في " كشف الظنون " (٣) .

ومنه نسخة خطيّة جيّدة في مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة ، تمّ نسخها سنة ١١٧٣ ، رقمها ١٢٥ تفسير .

ومنه نسخة في الظاهرية بدمشق ؛ ورد عنوانها هكذا : " الكتاب المتوكلي في الألفاظ التي وقعت في القرآن من غير العربيّة " ، رقمها ٩٠٥١ . (٤)

وذكر الدكتور صبحي الصالح في كتابه دراسات في فقه اللّغة " (٥) أنّه وقف على نسخة من الكتاب في مكتبة الأستاذ أحمد عبيد الخاصّة ، في دمشق ؛ جاء عنوانها " المتوكلي فيما وقع في القرآن من المعرّب " .

ألّف السيوطيّ هذا الكتاب لكي يودع بخزانة الإمام المتوكل على الله ، فأطلق عليه اسم " المتوكلي " ، جرياً على عادة أهل زمانه ؛ " فقد برز الأمر الشريف من الإمام الأعظم الهاشمي العباسي المتوكلي ، أمير المؤمنين ، وابن عمّ سيّد المرسلين ، ووارث الخلفاء الراشدين ، الإمام المتوكل على الله ، أدام الله عزّه وأعزّ ببقائه الدين ، أن أكتب له مؤلّفا في الألفاظ التي وقعت في القرآن الكريم ، وذكر الصحابة والتابعون أنّها بلغة الحبشة أو الفرس أو غيرهم مما سوى العرب ، فامتثلت ذلك ، وألّفت هذا الكتاب المختصر ، ملخّصاً ، من كتابي المبسوط المسالك ؛ وسميته : المتوكلي — اقتداء بالإمام أبي بكر الشاشي ؛ من أصحابنا ، حيث ألّف كتاباً في الفقه بأمر الخليفة المستظهر بالله ؛ وسماه : المستظهري ، وبإمام الحرمين ؛ حيث ألّف كتاباً في الفقه باسم الوزير غياث الدين نظام الملك ؛ وسماه : الغياثي ... " (٦)

---

(١) أنظر : إضافات الناشر الأوربي لكتاب " طبقات المفسّرين " : ص ٢٤ — ٢٥ .
(٢) نسخة المدينة المنورة : ق ٢/أ .
(٣) ٢/١٥٨٥ .
(٤) انظر : فهرس دار الكتب الظاهريّة (علوم القرآن) : ١/٣٠١ .
(٥) ٣١٦ — ٣١٧ .
(٦) ق ٢/أ — ب .

ويعدّ هذا الكتاب ، على صغر حجمه ، من أوفى الكتب التي تناولت ، بالاستقصاء ، الألفاظ المعرّبة في القرآن الكريم ، وقد بناه السيوطيّ على تسعة فصول ، وهي :

١ — ذكر ماورد في القرآن بلغة الحبشة .
٢ — ذكر ماورد في القرآن بالفارسيّة .
٣ — ذكر ماورد في القرآن بالهنديّة .
٤ — ذكر ماورد في القرآن من العبرانيّة .
٥ — ذكر ماورد في القرآن بالنبطيّة .
٦ — ذكر ماورد في القرآن بالقبطيّة .
٧ — ذكر ماورد في القرآن بالتركيّة .
٨ — ذكر ماورد في القرآن بالزنجيّة .
٩ — ذكر ماورد في القرآن بالبربريّة .

ويتضح من النماذج التي أوردها السيوطيّ خصائص طريقته في كتابه هذا ؛ فهو يحاول — في كلّ فصل يعقده لما ورد في القرآن الكريم بلغة من اللّغات — أن يستقصي ، كعادته ، مايقع عليه من الألفاظ مما يتعلّق بهذا الفصل .

كما يتضح ، أيضاً ، عناية المصنّف بذكر مصادره ؛ فهو يكثر من الإشارة إلى العلماء الذين ينقل عنهم ، ممن قالوا بوقوع المعرّب في القرآن الكريم .

ويرى بعض الباحثين في هذا الكتاب أنّه " كان للسيوطيّ في جمعه فضل التنسيق والتصنيف ، وتوجيه الأنظار وجهة جديدة لا ترى في تعريب القرآن للأعجميّ خطراً ، بل ترى في ذلك مزيّة له على الكتب السابقة ".(١)

٢٨ — معرّبات القرآن : (أنظر : المهذّب فيما وقع في القرآن من المعرّب).

٢٩ — المنى في الكنى : ذكره السيوطيّ في " فهرس مؤلّفاته "(٢) ، وفي كتابه " حسن المحاضرة "(٣) ضمن كتبه في فنّ اللّغة والنحو والتصريف .

---

(١) دراسات في فقه اللّغة — للدكتور صبحي الصالح : ٣١٦ .
(٢) نسخة المدينة المنورة : ق ٦/أ ، ونسخة الرباط : ق ٨/ب .
(٣) ١/١٩٥ .

وذكره حاجي خليفة في " كشف الظنون "[1]، وإسماعيل البغدادي في " هدية العارفين "[2].

وذكر بروكلمان في كتابه " تاريخ الأدب العربي "[3] بأسم " كتاب الكنى ".

ومنه نسخة جيّدة في مكتبة شيخ الإسلام بالمدينة المنورة برقم ٨٠ مجاميع ؛ تمّ نسخها سنة ٩٨٤هـ ، وناسخها أحمد بن عبد القادر الغنيمي ، ونسخة أخرى في مكتبة الأزهر برقم ٢٠٤ مجاميع ، وذكر بروكلمان أنّ منه نسخة ، أيضاً ، في الأسكوريال[4] برقم ١٧٩٨ .

وهو كتاب جمع فيه السيوطي : ماورد في متفرّقات كتب اللّغة من الكنى ، وما قيل فيها ، على غرار ما درج عليه اللّغويّون قبله وجامعو اللّغة ورواتها من صانعي المعاجم اللّغويّة التي تجمع الألفاظ الخاصّة بنوع من أنواع الحيوان أو النبات أو الجماد ، أو قسم من أقسام المعاني .

ثمّ رتّب ماجمعه من الكنى على ترتيب الحروف الهجائيّة . (نشره محمد عزير شمس في مجلة الجامعة السلفية بنارس الهند، ١٩٨٤م)

٣٠ — المهذّب فيما وقع في القرآن من المعرّب : ذكره السيوطيّ في " فهرس مؤلّفاته "[5]، وفي كتابه " الإتقان في علوم القرآن "[6] ، وفي كتابه " معترك الأقران في مشترك القرآن "[7] ، وفي كتابه " حسن المحاضرة "[8] . ضمن كتبه في فنّ التفسير وتعلّقات القرآن — بهذا الأسم .

وذكره حاجي خليفة في " كشف الظنون "[9] بأسم " المذهّب فيما وقع في القرآن من المعرّب " ، والأستاذ محمود رزق سليم في " عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي "[10] بأسم " معرّبات القرآن ".

---

(١) ٢/١٨٨٨ .
(٢) ١/٥٤٣ .
(٣) الذيل : ٢/١٥٣ (الأصل الألماني) .
(٤) نفسه .
(٥) نسخة المدينة المنورة : ق ٢/ب ، ونسخة الرباط : ٢/ب.
(٦) ٢/١٠٥ .
(٧) ١/١٩٥ .
(٨) ١/١٩١ .
(٩) ٢/١٩١٤ .
(١٠) ٣/٣٦٧ .

ومنه في دار الكتب المصريّة نسختان خطيّتان ؛ الأولىٰ برقم ٣٣٢ لغة ـ تيمور ، والأخرىٰ برقم ١٢٣ مجاميع ، بأسم " رسالة في بيان الألفاظ المعرّبة في القرآن " ، ومنه في مكتبة الأوقاف العامّة في بغداد نسخة برقم ٧٠٧٣ مجاميع ، بأسم " المهذّب فيما وقع في القرآن من المعرّب " [(١)] ، وذكر الدكتور صبحي الصالح في كتابه " دراسات في فقه اللّغة " [(٢)] أنّه اطّلع علىٰ نسخة خطيّة من الكتاب في مكتبة الأستاذ أحمد عبيد الخاصّة ، في دمشق ، بأسم " المهذّب فيما وقع في القرآن من المعرّب " .

وبالرّجوع إلىٰ نسختي الدار ، ومقارنتهما بكتاب " المتوكلي فيما في القرآن من اللّغات العجميّة " وهو مختصر " المهذّب فيما وقع في القرآن من المعرّب " رجّحنا أن يكون " المذهّب فيما وقع في القرآن من المعرّب " ، و " معرّبات القرآن " ،و " رسالة في بيان الألفاظ المعرّبة في القرآن " مسمّيات لمسمًّى واحد ؛ وهو " المهذّب فيما وقع في القرآن من المعرّب " .

جاء في أوّله : " الحمد للّه الذي فضّل هذه الأمّة بالكتاب العربيّ ، والصلاة والسلام علىٰ سيّدنا محمد أشرف رسول وأكرم نبيّ . هذا كتاب تتبّعت فيه الألفاظ المعرّبة التي وقعت في القرآن ، مستوعبًا ماوقفت عليه من ذلك ، مقرونًا بالعدّ والتبيان ، وعلىٰ اللّه الاعتماد ، وإليه أضرع في الهداية إلىٰ طرق السداد " [(٣)] .

وجاء في آخرها :

" وَزِدْتُ يَاسِينَ وَالرُّجْزَ مَعْ ملكـ ـو ت ثمّ سنينَ شَطْرَ البيتِ مَشْـهور
ثمّ الصّراطَ يعوقَ يحورَ ومـر جانَ اليمّ مَعَ القِنْطارِ مذكُـور

... هذا آخر الرسالة ، واللّه أعلم بالصّواب ، وإليه المرجع ، ولا حول ولا قوّة إلاّ باللّه العلي العظيم ، وصلى اللّه علىٰ سيّدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم " [(٤)] .

بنىٰ السيوطيّ هذا الكتاب علىٰ مقدّمة وثمانية وعشرين فصلاً ؛ تناول في المقدّمة اختلاف الأئمة في وقوع المعرّب في القرآن ، ثمّ رتّب علىٰ حروف المعجم مارجّح أنّه أعجمي ، مع أنّه وارد في القرآن الكريم ،فذكر زهاء مائتي كلمة من هذه المعرّبات القرآنيّة .

---

(١) أنظر : فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد : ١/٣٢٣ .
(٢) ٣١٧ — ٣١٨ .
(٣) ق ٢/أ (نسخة الدار : ٣٣٢ لغة تيمور) .
(٤) ق ١٦/أ .

٣١ — نظام البلّور في أسامي السنّور : ذكره السيوطيّ في كتابه " ديوان الحيوان "[١] بهذا الاسم .

وذكره حاجي خليفة في " كشف الظنون "[٢] بهذا الاسم أيضاً ، وذكره إسماعيل البغدادي في " هديّة العارفين "[٣] باسم " نظام البلّور في أسماء السنّور ".

ومنه نسخة في مكتبة شيخ الإسلام بالمدينة المنورة برقم ١٧ لغة[٤] ، ونسخة في الظاهريّة بدمشق برقم ٨٩٦٥ عام.

والكتاب في ووقة واحدة ، أحصى السيوطيّ فيها ماوجده في كتب اللّغة من أسماء السنّور ، ونظمها في أرجوزة ، عدّة أبياتها عشرة ، قدم لها بقوله : "... السِّنَّوْر — جمعه سَنَانِير ، وله أسماء كثيرة ، قيل إنّ أعرابيّاً صاده ، فلم يعرفه ، فتلقاه رجل ، فقال : ماهذا ؟ فقال : السنّور ، ثمّ سأل آخر ، فقال : الخيطل ، ثم آخر ، فقال : الدّم ، فقال الاعرابيّ : أحمله وأبيعه ، فسيجعل الله لي فيه مالاً كثيراً ، فلمّا أتى السّوق ، قيل له : بكم هذا ؟ قال : بمائة درهم ، فقيل : إنّه يساوي نصف درهم ، فقال : لعنه الله ما أكثر أسماءه وأقلّ ثمنه . وقد أفردت في أسمائه أرجوزة سمّيتها : نظام البلّور في أسامي السنّور ؛ وهي هذه ..."[٥] ، ثمّ سرد أرجوزته قائلاً :

" الحَمْدُ للهِ وصَلّى اللّهُ ... عَلَى نَبِيّهِ الّذي اصْطَفَاهُ
يا مَعْشَرَ الأَصْحَابِ وَالأَحْبَابِ ... وَمَنْ يَوَدُّونَ الخَوْضَ فِي الآدَابِ
دُونَكُمْ هٰذا نِظَامُ البِلّوْرِ ... أَفَدتُكُمْ فِيهِ أَسَامِي السِّنَّوْرِ
القِطُّ وَالبِهرُّ كَذَاكَ الخَيْطَلُ ... وَبَعْدَهُ السِّنَّوْرُ ثُمَّ الخَنْطَلُ "...[٦]

فأحصى فيها عشرين اسما للسّنّور ؛ وهي مما أودعه السيوطيّ في كتابه " ديوان الحيوان "[٧] .

٣٢ — نظام اللّسد في أسامي الأسد : ذكره السيوطيّ في " فهرس مؤلّفاته "[٨] ، وذكره في كتابه " ديوان الحيوان "[٩] — بهذا الاسم — ضمن كتبه في فنّ اللّغة والنحو والتصريف.

---

(١) ق ١٦٧/ب.
(٢) ٢/١٩٥٩.
(٣) ١/٥٤٣.
(٤) ضمن كتاب "ديوان الحيوان".
(٥) ق ١ .
(٦) نفسه.
(٧) انظر : ق ١٦٧/ب — ١٦٨/أ.
(٨) نسخة المدينة المنورة : ق ٦/أ ، ونسخة الرباط : ق ٨/ب.
(٩) ق ٢/ب.

وذكره حاجي خليفة في "كشف الظنون" [١]، وإسماعيل البغدادي في "هدية العارفين" [٢]، وبروكلمان في "تاريخ الأدب العربي" [٣] باسم "نظام اللسد في أسماء الأسد".

وعدّ إسماعيل البغدادي في "هدية العارفين" [٤]، للسيوطي كتابًا آخر في أسماء الأسد غير "نظام اللسد في أسامي الأسد"، سمّاه "قطام الأسد في أسماء الأسد"، ولم نر أحدًا من الذين ترجموا للسيوطي، في القدماء والمحدثين، ذكر له كتابين في أسماء الأسد؛ كما فعل إسماعيل البغدادي، ونرجّح أن يكون قد اطلع على نسختين للكتاب؛ جاء في إحداهما "نظام اللسد" محرّفًا إلى "قطام الأسد"، وجاء في الأخرى كما ذكره السيوطي في "فهرس مؤلّفاته" وفي كتابه "ديوان الحيوان"؛ فأوهم هذا بأنّ "نظام اللسد" و"قطام الأسد" كتابان.

ومنه نسخة مخطوطة نفيسة في مكتبة شيخ الإسلام بالمدينة المنورة — برقم ١٧ لغة — كتبت سنة ٩٧٨هـ.

ومنه نسخة في الظاهرية بدمشق — برقم ٥٨٩٦ عام.

ومنه نسخة في بريلّي [٥].

وهي إحدى الرسائل اللّغويّة الصغيرة [٦] التي ألّفها السيوطيّ، أوّلاً، ليستقلّ كلّ منها بألفاظ نوع من الحيوان، ثمّ أودعها جميعًا في كتابه "ديوان الحيوان".

وذكر السيوطيّ في الداعي إلى تأليف هذه الرسالة أنّه "أفرد أسماء الأسد بالتأليف جماعة من اللّغويين؛ منهم: ابن خالويه، رأيته قديمًا، وليس هو الآن عندي، وأبو سهل محمد بن علي الهروي، في مجلّد ضخم ذكر فيه ستمائة اسم، وقد تتبّعت كتب اللّغة المشار إليها في الخطبة، فجمعت منها خمسمائة اسم، ثمّ وقعت على كتاب الزنبيل المدور [٧] لابن خالويه، فالتقطت منه أكثر من مائة وخمسين اسمًا أخرى، وأفردتها بتأليف لطيف، سميته: نظام اللسد في أسامي الأسد ..." [٨].

---

(١) ٢/١٩٦٠.
(٢) ١/٥٤٣.
(٣) الذيل: ٢/١٥٣ (الأصل الألماني).
(٤) ١/٥٤١.
(٥) أنظر: تاريخ الأدب العربي — لبروكلمان: الذيل ٢/١٥٣ (الأصل الألماني).
(٦) عدّة أوراقها عشر في نسخة شيخ الإسلام، من ق ٢/ب إلى ق ١١/أ.
(٧) لم نعثر لهذا الكتاب على ذكر فيما رجعنا إليه من كتب التراجم وفهارس المخطوطات.
(٨) ق ٢/ب.

وقد اتبع السيوطيّ ، في ترتيب هذه الأسماء التي وقع عليها من كتب اللّغة ، المنهج المعجميّ أيضاً ؛ فرتّبها على الحروف ، مع مراعاة أوائلها ، على طريقة " المصباح المنير " ، ومراعاة الحروف الثواني والثوالث في كلّ اسم ، من غير خروج أو شذوذ عن القاعدة ؛ فهو يذكر ، في حرف الهمزة مثلاً : " الأجوف ، الأحمر ، الأحول ، الأختم ، الأخفش ، الأدفر ، الأدلم ... " ، ثمّ يذكر " الأسود ، الأشجع ، الأشدخ ، الأشدق ، الأشرس ، الأشهب ... " ، ثمّ " الأبسر ، الأنكب ، الأهتر ، الأهيب ، الأورق ... "[1] وهكذا .

٣٣ — النكت على الألفيّة والكافيّة والشافيّة وشذور الذهب والنّزهة : ذكره السيوطيّ في " فهرس مؤلّفاته "[2] ، وفي كتابه " حسن المحاضرة "[3] ضمن كتبه في فنّ اللّغة والنحو والتصريف .

وذكره حاجي خليفة في " كشف الظنون "[4] باسم " النكت على الألفيّة والكافيّة والشافيّة وشذور الذهب " ، وذكره إسماعيل البغدادي في " هديّة العارفين "[5] على أنّه خمسة كتب هي : " نكت على الألفية " و " نكت على الشافية " و" نكت على شذور الذهب " و" نكت على الكافية " و " نكت على النّزهة " .

وذكره بروكلمان في " تاريخ الأدب العربي "[6] ، وقال إنّ السيوطيّ بدأ في تصنيفه سنة ٨٦٧هـ ، وأكمله سنة ٨٧٦هـ و ٨٨٥هـ ، وانتهى منه سنة ٨٩٥هـ .

ومنه نسخة نفيسة في مكتبة شيخ الإسلام بالمدينة المنورة كتبت سنة ٨٩٥هـ ، رقمها ٢٠٧ نحو ، ونسخة جيّدة في قسم المخطوطات بجامعة الرياض كتبت سنة ١١٩٤هـ ، رقمها ٠٨٤٥ .

ومنه ست نسخ في دار الكتب المصريّة ؛ الأولى برقم ٣٥٩ ، كتبت سنة ٨٩٦ هـ ، وهي منقولة عن نسخة بخط المؤلّف ، والثانية برقم ٣٦٠ ، كتبت سنة ٩٧٢هـ ، والثالثة برقم ٢٨٦ ، كتبت سنة ١١٣٨هـ ، والرابعة برقم ١٧٢ نحو تيمور ، والخامسة برقم ٤٧٦ نحو تيمور ، والسادسة برقم ٤٧٧ نحو تيمور .

وذكر الدكتور داود الجلبي في " كتاب مخطوطات الموصل ومدارسها الدينيّة ومدارس ملحقاتها " أنّه وقف على نسخة خطيّة للكتاب في مكتبة مدرسة الحجيّات بالموصل

---

(١) ق ٢/ب . (٢) نسخة المدينة : ق ٥/ب ، ونسخة الرباط : ق ٨/أ .
(٣) ١/١٩٤ . (٤) ٢/١٩٧٧ .
(٥) ١/٥٤٣ . (٦) ٢/١٤٣ (الأصل الألماني) .

برقم ٢٧٩ ،كتبت في عهد المؤلّف ، وبآخرها نقص .[١]

وذكر بروكلمان أنّه وقف علىٰ نسختين خطّيّتين للكتاب في ليدن والأسكوريال[٢] ؛ وأنّ عنوان إحداهما جاء " النكت علىٰ الألفية والكافية والشافية ونزهة الطرف وشذور الذهب " ، وعنوان الأخرىٰ " المشنّف علىٰ ابن المصنّف "[٣] ، وهذا غريب ؛ لأنّ " المشنّف علىٰ ابن المصنّف " كتاب آخر للسيوطيّ ، في النحو ،علّق فيه علىٰ شرح ابن الناظم للألفية[٤] ، وقد ذكره السيوطيّ في " فهرس مؤلّفاته "[٥] ، ومنه نسخة خطّيّة في دار الكتب برقم ١١٨ مجاميع .

أمّا كتاب " النكت علىٰ الألفية والكافية والشافية وشذور الذهب والنزهة " فهو في شرح بعض المسائل الصرفيّة والاشتقاقيّة في كتاب " الخلاصة — المشهورة بالألفية في النحو "[٦] لابن مالك ، وكتاب " الكافية — في النحو "[٧] ، وكتاب " الشافية — في التصريف "[٨] لابن الحاجب ، وكتاب " شذور الذهب في معرفة كلام العرب "[٩] لابن هشام ،وكتاب " نزهة الطرف في علم الصرف "[١٠] للميداني .

ونصّ عبارته : " أمّا بعد حمد الله علىٰ نعمه الكافية ومننه الشافية . . . فهذه نكت حررتها علىٰ كتب في علم العربيّة ؛ وهي : الخلاصة — لابن مالك ،والكافية والشافية — لابن الحاجب . . . "[١١] .

ومع أنّ السيوطيّ قد بنىٰ كتابه هذا علىٰ نمط ألفية ابن مالك في المسائل والأبواب؛ فجاءت أبوابه علىٰ ترتيب أبوابها ، وكان في منهجه الذي سلكه في هذه النكت هو أن يذكر عبارة الألفية أو غيرها،ثمّ يعقّب عليها باعتراضاته واستدراكاته ، إلاّ أنّ الأبواب التي ركّز عليها واتخذها مدارًا لتعليقاته كانت هي أبواب فنّ الصرف ؛ فهو يعنىٰ كثيرًا

---

(١) أنظر: ص ١١٨ .
(٢) الذيل : ١٥٣/٢ (الأصل الألماني) .
(٣) نفسه .
(٤) مطبوع باسم " شرح ألفية ابن مالك — لابن الناظم " ، في مط القديس جاورجيوس في بيروت سنة ١٣١٢هـ ، بتحقيق محمد بن سليم اللبابيدي .
(٥) ٦/أ (نسخة المدينة المنورة) .
(٦) مطبوع عدّة طبعات .
(٧) طبع مع شروح عليه مرارًا ، وفي أكثر البلاد الإسلاميّة .
(٨) طبع في روما سنة ١٥٩٢م ،وفي كانبور سنة ١٨٨٨م، وفي قازان سنة ١٨٨٩م ، وفي طاشكند سنة ١٣١١هـ، وفي بولاق سنة ١٢٤١ هـ .
(٩) طبع عدّة طبعات. (١٠) مطبوع في مط الجوائب سنة ١٣٠٣هـ.
(١١) ق ٢/أ (نسخة جامعة الرياض)

بباب أبنية المصادر ، وأبنية أسماء الفاعلين والصفات المشبّه بها ، وأسماء الأفعال والأصوات ، والمقصور والممدود ، والإمالة ، والتصريف ، ومعاني الأبنية ، والزيادة ، وتخفيف الهمزة ، والإبدال ، والخط .

والكتاب ، على نفاسته وشموله واتساع حجمه [1] ، لم يجد طريقه — بعد — إلى كتب الباحثين ؛ يحفلون به ، ويفيدون منه ؛ ليصبح مثل " المزهر " أو " الهمع " ، وهو — في نظرنا — معلمة يمكن أن يفتح آفاقاً جديدة في الدراسات العربيّة ، إذا اتجه إليه الخاصّة من علمائنا بالتحقيق والإخراج .

حقّاً ؛ هو مجموعة تعاليق واستدراكات وشروح ، ولكنّه كان خلاصة وافية لكثير من المؤلّفات التي صنّفت في فنّ الصّرف ، بوجه خاصّ ؛ استوعب فيه جلّ ما قيل فيه من أيام الخليل وسيبويه إلى عصره ، وكان مجموعة من المقارنات بين أقوال العلماء ، ومفاضلات المصنّف ؛ تماماً على الذى جاء في كتابه " الهمع " .

ولعلّ السبب في نفاسة الكتاب وشموله واتساع حجمه يعود إلى تريّثه في وضعه وحرصه على استيفائه ؛ فقد كان شروعه فيه " في سنة سبع وستين وثمانمائة ، فكتبت منه كرّاسة واحدة — إلى أثناء المعرّب والمبني ، ثمّ فتر العزم عنه إلى سنة ست وسبعين ، فكتبت منه حروف الجرّ — إلى آخر عطف البيان ، ثمّ فتر العزم عنه إلى سنة خمس وثمانين ، فكتبت منه من أوائله — إلى حروف الجر ، فاتصلت القطع المكتوبة ، من أوّل الكتاب — إلى العطف . . . ثمّ فتر العزم عنه ، فلمّا كان رمضان سنة خمس وتسعين — شرح الله صدري لإكماله ، فأخذت في ذلك ، وانتهى فراغه يوم الخميس تاسع شوال من السنة المذكورة "[2].

وقد نظم السيوطيّ شعراً يطري به كتابه ؛ فقال :

" ألا أيّها النّحويّ هذا مؤلّف ... يعينك مهما تقرئ النّاس وتُمْلِ
ثلاثين عاماً ظلْتُ أرقبُ جمعَه ... وأجمعُ فيه ما تفرّقَ في النّقْلِ
يحرّر كُتْباً عمّ في النّاس نفعُها ... وسارتْ به الرّكْبانُ في الوَعْرِ والسّهْلِ
يقيّد إطلاقاً ويوضحُ مبهماً ... ويفتح أغلاقاً لِمَا كانَ في قُفْلِ
وكم فيه من نقلٍ غريبٍ وجودُه ... يعزّ على مَنْ رامَ إلاّ على مثلي
فدونَكَ تأليفاً مفيداً محرّراً ... من النّاس لم يسمع بذا أحدٌ قبلي
ولله كلّ الحمدِ ثمّ صلاتُه ... وتسليمُه الوافي على خاتَمِ الرُّسْلِ "[3]

---

(١) وعدّة أوراقه في نسخة جامعة الرياض ثلاثمائة وثماني أوراق ؛ وهي مكتوبة بحرف دقيق .
(٢) النكت : ق ٣٠٨/أ .
(٣) نفسه .

٣٤ — نواضر الأيك : ذكره السيوطيّ في " فهرس مؤلّفاته "[١] — بهذا الاسم — ضمن كتبه الجامعة لفنون عديدة .

وذكره حاجي خليفة في " كشف الظنون " مرّتين[٢] باسم " نواضر الأيك في . . . "، وذكره إسماعيل البغدادي في " هديّة العارفين "[٣] بالاسم الذي ذكره السيوطيّ .

ومنه في دار الكتب نسخة فريدة — ضمن مجموع برقم ٣٨٠٩ ؛ تمّ نسخها سنة ٩٦٢هـ باسم " نواضر الأيك في معرفة . . . ".

قدّم السيوطيّ لكتابه بمقدّمة ذكر فيها الدّاعي إلىٰ تأليفه ؛ فقد جمع فيه من كتابه الكبير " مباسم الملاح ومياسم الصباح في مراسم النكاح " مايتصل بالنكاح من أسماء وصفات وأنواع ، وانتخب فيه أحاسن ماجاء فيه من نظم ونثر ، وزاد عليه مما وجده في كتب اللّغة والأدب من نكات وفوائد[٤] .

ومع تفرّد السيوطيّ — في نظرنا — بالأصالة في تناول هذا الموضوع الدقيق بهذا الشمول والتنسيق ،في نطاق سعيه الدائب إلىٰ تدوين ألفاظ اللّغة مرتّبة في مؤلّفات متفرّقة محدودة الموضوع ، مبنيّة علىٰ معنىً من المعاني أو علىٰ حرف من الحروف — ظلّت مثل هذه الكتب منحجبة عن أنظار الدّارسين وغيرهم ؛ فالسيوطيّ لم يستح فيها من أن يتناول ألفاظ اللّغة الجنسيّة[٥] ، وخاض في الحديث المباشر عمّا يكنّي عنه الإنسان عادة ، وهو أمر " لا مناص لسالك طريقه من الانزلاق في المجونيّات ، والخوض في الأدب المكشوف . . . ومن حام حول الحمىٰ يوشك أن يقع فيه "[٦] !

والحقّ أنّ الكتاب — علىٰ صغر حجمه[٧] — وافٍ في بابه ، ودليل علىٰ مقدرة السيوطيّ علىٰ التّفنّن في مختلف فروع المعرفة ، ودليل — أيضاً — علىٰ حرصه الشديد علىٰ البحوث المبتكرة والتأليف في أبواب الفنون المهملة — علىٰ غير مثال سابق .

٣٥ — الوشاح في فوائد النكاح : ذكره السيوطيّ في " فهرس مؤلّفاته "[٨] ، وفي كتابه "ضوء الصباح في لغات النكاح"[٩] — بهذا الاسم — ضمن كتبه في فنّ اللّغة والنحو

---

(١) نسخة الرباط : ق ٩/أ .
(٢) ٢/١٩٨١ ، ٢/٢٠١١ .
(٣) ١/٥٤٣ .
(٤) ق ٢/أ .
(٥) انظر ماذكره بروكلمان في " دائرة المعارف الإسلاميّة " : ١٣/٣١ .
(٦) عصر سلاطين المماليك : ٥/٢٨٣ .
(٧) عدّة أوراقه ، في نسخة دار الكتب ، إحدىٰ عشرة ورقة فقط.
(٨) نسخة المدينة المنورة : ق ٦/ب ،ونسخة الرباط: ق ٩/أ .
(٩) انظر : ق ٢/أ .

والتصريف .

وذكره حاجي خليفة في " كشف الظنون "[١] بهذا الاسم أيضاً ، وذكره إسماعيل البغدادي في " هدية العارفين "[٢] باسم " الوشاح في معرفة النكاح ".

وفي المكتبة المركزية بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة نسخة جيدة منه برقم ١١٩٩ ؛ تم نسخها سنة ١١٧٣هـ ، وناسخها عبد الفتاح السمار ، وفي قسم المخطوطات بجامعة الرياض نسخة أخرى منه جيدة ، كذلك ، برقم ٧٩٧ ؛ تم نسخها سنة ١١١٦ هـ ، وناسخها عمر القباني ، وكلتا النسختين باسم " الوشاح في فوائد النكاح ".

وهو تأليف لطيف جمع فيه السيوطي ما يتصل بالنكاح من حيث أسمائه ولغاته ، وما ورد فيه من الأحاديث والآثار والنكات اللغوية والنوادر والأمثال والأشعار ؛ قدم له بقوله : " سبحان الله خالق المفارش والمراشف والمشافر ، فاتق المشارع للأشاعر والمشاعر ، رب المغارب والمشارق ، مذلل الضفائم بالمراشف ، الذي أسر الكواكب في الأرض والجبال في السماء ، وسير المطايا في الماء ، وأعلى الإبل في الهواء ، وأجرى الجواري في المفاوز بغير قوائم ، وصير الليل والنهار بأجنحة فيها الخوافي والقوادم ، وزين المرأة بالحشفة . . .

" وبعد ؛ فقد أكثر الناس من التصنيف في فن النكاح ما بين مسهب ، ومختصر ، ومستوعب ، ومقتصر . . . وقد سودت ، في ذلك ، مسودات متعددة ، فأول ما عملت في ذلك : كتاب الإفصاح في أسماء النكاح — وهو لغة صرف مبسوط بنقوله وشواهده في مجلد لطيف ، ثم عملت : اليواقيت الثمينة في صفات السمينة — وهو مفيد في وقته ، ثم سودت مسودة كبرى سميتها : مباسم الملاح ومياسم الصباح في مراسم النكاح . . . فتضمنت من الفوائد جملاً ومن الفوائد كثيراً مفصلاً ومجملاً ، غير أنها بلغت نحو خمسين كراساً ، فاستطلتها ، وسئمت من طولها ، وملتها ، فاختصرت منها هذا المختصر في نحو عشرها . . . "[٣]

بنى السيوطي كتابه هذا على سبعة أبواب ؛ تناول في كل منها فناً ؛ فالفن الأول — في الحديث والآثار ،[٤] والثاني — في اللغة ،[٥] والثالث — في النوادر والأخبار ،[٦] والرابع — في السجع والأشعار[٧] ، والخامس — في الترشيح[٨] ،

---

(١) ٢/٢٠١١ ، ٢/١٩٨١ .
(٢) [illegible]
(٣) ق٢/[illegible] أ — ق٢٤/أ .
(٤) ق ٣/ب — ق٢٤/أ .
(٥) [illegible]
(٦) ق ٤٨/أ — ٨٢/أ .
(٧) ق٨٢/أ — ٩٥/أ .
(٨) ق ٩٥/أ — ١٠٢/ب .

والسادس — في الطب ،[1] والسابع — في الباه ،[2] وجعل كلّ فنّ في أقسام ؛ فالفنّ الثاني — مثلاً — ينقسم إلىٰ أربعة أقسام ؛ الأوّل — في أسماء الجماع ، والثاني — في أسماء الذكر ، والثالث — في أسماء الفرج ، والرابع — في اللّفات المتعلّقة بأفعال الجماع مرتّبة علىٰ حروف المعجم ، مراعىً فيها أوّل الكلمة ، وجعل كلّ قسم مشتملاً علىٰ مقدّمة ومقصد وخاتمة ؛ وهكذا .

يعدّ هذا الكتاب — في جملته — معجماً لغويّاً من أوفىٰ المعاجم في هذا الباب ، إن لم يكن أوفاها علىٰ الإطلاق ؛ حشد فيه السيوطيّ نحواً من ألف اسم مابين صريح ومكني، وفسّر معانيها ، ووضّح مشكلها ، وروىٰ مايتصل بها من ألنكات اللّغويّة والطرائف الأدبيّة وآراء العلماء ؛ وهو دليل جيد علىٰ همّة مؤلّفه ، وصبره علىٰ البحث والتّتبّع ، مع جمال عرضه ، وأمانته في النقل .

ثالثاً — الآثار المفقودة[3] :

٣٦ — الإفصاح في زوائد القاموس علىٰ الصحاح : ذكره السيوطيّ في " فهرس مؤلّفاته "[4] ضمن كتبه في فنّ اللّغة والنحو والتصريف .

وذكره حاجي خليفة " كشف الظنون "[5] ، وإسماعيل البغدادي في " هدية العارفين "[6] ،

ويفهم من أقوال محمد بن عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١ هـ) في " شرح خطبة القاموس المحيط "[7] أنّ السيوطيّ لم يتمّ هذا الكتاب ، وأنّه بيّن فيه مازاده

---

(١) ق١٠٢/ب — ١١٣/ب . (٢) ق١١٣/ب — ١٢٦/ب .

(٣) إنّ ماعددناه في الآثار المفقودة هنا لا يعني بحال أنّه انقطع الأمل في العثور عليه ، ولكنّه يعني — فقط — أنّه لم يُعثر عليه حتىٰ الآن ؛ وقد تجود به الأيام ، فيظهر ضمن المخطوطات غير المفهرسة في كثير من المكتبات في وطننا الإسلاميّ ، أو في إحدىٰ المكتبات الخاصّة .

وقد عددنا هذه الآثار في كتب السيوطيّ اللّغويّة لأحد سببين ؛ إمّا لأنّ السيوطيّ نفسه قد ذكرها — في فهرس مؤلّفاته أو أحد كتبه التي ترجم فيها نفسه — ضمن مؤلّفاته في فنّ اللّغة ، أو لأنّها هي نفسها تنمّ عن موضوعها اللّغويّ ، في جانب من جوانبه الكثيرة .

أمّا الآثار التي وقفنا علىٰ أسمائها ، ثمّ لم نعثر علىٰ أدنىٰ إشارة لها في سائر مارجعنا إليه من الكتب ، ولم ندر يقيناً أنحو هي أم لغة فقد أسقطناها من حسابنا تماما .

(٤) نسخة المدينة المنورة : ق٥/ب . (٥) ١/١٣٢ . (٦) ١/٥٣٥ .

(٧) مخطوط بدار الكتب المصريّة رقم ٦ لغة .

الفيروزآبادي علىٰ الجوهري من صيغ ومعان ، لا موادّ فحسب ؛ كما قد يفهم من عنوان الكتاب .

٣٧ — الإلماع في الإتباع : ذكره السيوطي في " فهرس مؤلّفاته " [١] ، وفي كتابه " المزهر " [٢] ضمن كتبه في فنّ اللّغة والنحو والتصريف .

وذكره حاجي خليفة في " كشف الظنون " [٣] ، وإسماعيل البغدادي في " هديّة العارفين " [٤] .

قال السيوطيّ في معرفة الإتباع ، في النوع الثامن والعشرين من كتابه المزهر ، في الداعي إلىٰ تأليف هذا الكتاب : " وقد ألّف ابن فارس . . . تأليفاً مستقلّاً في هذا النوع [٥] ، وقد رأيته مرتّباً علىٰ حروف المعجم ، وفاته أكثر ممّا ذكره ، وقد اختصرت تأليفه ، وزدت عليه ما فاته في تأليف لطيف ، سمّيته : الإلماع في الإتباع " [٦] .

٣٨ — التبر الذائب في الأفراد والغرائب : ذكره السيوطيّ في " فهرس مؤلّفاته " [٧] ضمن كتبه في فنّ اللّغة والنحو والتصريف .

وذكره إسماعيل البغدادي في " هديّة العارفين " بإسم " التبر الذائب في الأفراد والغرائب " مرّة [٨] ، وبإسم " نثر الذائب في الأفراد والغرائب " مرّة أخرىٰ [٩] ، علىٰ أنّهما كتابان ؛ وهو وهم دعا إليه التحريف في الإسم الأول للعنوان .

٣٩ — تذكرة في العربيّة : ذكره حاجي خليفة في " كشف الظنون " [١٠] ، وإسماعيل البغدادي في " هديّة العارفين " [١١] ، والخوانساري في " روضات الجنّات " [١٢] .

---

(١) نسخة المدينة المنورة : ق ٥/ب ، ونسخة الرباط : ٦/ب .
(٢) ١/٤١٤ . (٣) ١/١٥٨ . (٤) ١/٥٣٦ .
(٥) يريد : كتابه " الإتباع والمزاوجة " ، وقد نشر هذا الكتاب ، أوّلاً ، المستشرق رود ولف برونو في " جيسن " بألمانيا سنة ١٩٠٦م — علىٰ نسخة خطيّة مؤرّخة في ٦٢٦هـ ، ثمّ أعاد نشره الأستاذ كمال مصطفىٰ في القاهرة سنة ١٩٤٧م ، بمطبعة السعادة ، محقّقاً علىٰ نسختين : نسخة برونو المذكورة ونسخة خطيّة محفوظة في دار الكتب مؤرّخة في ٧١١هـ .
(٦) ١/٤١٤ .
(٧) نسخة المدينة المنورة : ق ٥/ب ، ونسخة الرباط : ق ٨/أ .
(٨) ١/٥٣٦ . (٩) ١/٥٤٣ .
(١٠) ١/٣٩٣ . (١١) ١/٥٣٧ .
(١٢) ٣١٥ .

٤٠ — الترصيف على شرح التصريف : ذكره السيوطيّ في " فهرس مؤلّفاته "[1] ضمن كتبه في فنّ اللّغة والنحو والتصريف .

وذكره إسماعيل البغدادي في " هديّة العارفين "[2] .

٤١ — التطريف في التصحيف : ذكره السيوطي في " فهرس مؤلّفاته "[3] ضمن كتبه في فنّ اللّغة والنحو والتصريف .

وذكره حاجي خليفة في " كشف الظنون "[4] ، وإسماعيل البغدادي في " هديّة العارفين "[5] . ثم عثرت منه على نسخة خطية في تركيا ، (غير)

٤٢ — تعريف الأعجم بحروف المعجم : ذكره السيوطي في " فهرس مؤلّفاته "[6] ، وفي كتابه " حسن المحاضرة "[7] ضمن كتبه في فنّ اللّغة والنحو والتصريف .

وذكره إسماعيل البغدادي في " هديّة العارفين "[8] .

٤٣ — جناس الجناس : ذكره الأستاذ محمود رزق سليم في "كتابه " عصر سلاطين المماليك "[9] ضمن كتب السيوطيّ في العلوم العربيّة .

٤٤ — حاشية على شرح التصريف للتفتازاني : (انظر : الترصيف على شرح التصريف) .

٤٥ — حاشية على شرح الشذور : (انظر : نشر الزهور على شرح الشذور) .

٤٦ — رسالة في تفسير ألفاظ متداولة : ذكرها السيوطيّ في كتابه " حسن المحاضرة " ضمن كتبه في فنّ اللّغة والنحو والتصريف[10] ، ولم نجد أحدًا من الذين ترجموا له ذكرها في كتبه .

٤٧ — رفع الأسل في ضرب المثل : ذكره السيوطيّ في " فهرس مؤلّفاته "[11] ، ولم نعثر على أدنى إشارة له في كل ما رجعنا إليه من كتب التراجم وفهارس المخطوطات.

(١) نسخة المدينة المنورة : ق ٦/أ ، ونسخة الرباط : ق ٨/أ .
(٢) ١/٥٣٧ (٣) نسخة المدينة المنورة : ق ٣/أ .
(٤) ١/٤١٥ (٥) ١/٥٣٧ .
(٦) نسخة المدينة المنورة : ق ٦/أ ، ونسخة الرباط : ق ٨/أ .
(٧) ١/١٩٤ (٨) ١/٥٣٧ (٩) ٣/٣٦٧ .
(١٠) ١/١٩٥ .
(١١) نسخة المدينة المنورة : ق ٧/ب ، ونسخة الرباط : ق ١٠/أ .

على أنّ للسيوطيّ كتاباً آخر أسماه " رفع الباس وكشف الالتباس في ضرب المثل من القرآن والاقتباس " [١] ، وذكره في " فهرس مؤلّفاته " [٢] بهذا الاسم ، وذكره إسماعيل البغدادي في " هديّة العارفين " [٣] باسم " رفع اللّباس وكشف الالتباس في ضرب المثل من القرآن والاقتباس ".

٤٨ — الرّياض الأنيقة في شرح أسماء خير الخليقة : ذكره السيوطيّ في " فهرس مؤلّفاته " [٤] ، وفي كتابه " حسن المحاضرة " [٥] ضمن كتبه في فنّ الحديث وتعلّقاته ؛ وذكر أنّه صنّفه ليشرح به كتابه " البهجة السويّة في الأسماء النبويّة " ، ويزيد في تحريره وتفصيله .

وذكره حاجي خليفة في " كشف الظنون " [٦] ، وإسماعيل البغدادي في " هديّة العارفين " [٧] .

٤٩ — سدرة العرف في إثبات المعنى في الحرف : (انظر : شذا العرف في إثبات المعنى للحرف) .

٥٠ — سرّ الزبور على شرح الشذور : ذكره السيوطيّ في " فهرس مؤلّفاته " [٨] ضمن كتبه في فنّ اللّغة والنحو والتصريف .

وذكره إسماعيل البغدادي في " هديّة العارفين " [٩] .

٥١ — سلسلة الذهب في البناء من كلام العرب : ذكره السيوطيّ — ضمن كتبه في فنّ اللّغة والنحو والتصريف — في " فهرس مؤلّفاته " [١٠] بهذا الاسم ، وذكره في كتابه " حسن المحاضرة " [١١] باسم " السلسلة الموشحة ".

وذكره حاجي خليفة في " كشف الظنون " [١٢] ، وإسماعيل البغدادي في " هديّة العارفين " [١٣] ، وبروكلمان في " تاريخ الأدب العربيّ " [١٤] باسم " السلسلة الموشّحة في العلوم العربيّة ".

---

(١) وهو مطبوع ضمن كتابه " الحاوي للفتاوى " باسم " رفع الباس وكشف الالتباس في ضرب المثل من القرآن والاقتباس ، انظر : ١ / ٣٩٩ — ٤٠٣ ؛ ومنه نسخة خطيّة جيّدة كتبت في القرن الحادي عشر محفوظة في مكتبة جامع الشيخ بالإسكندريّة برقم ٣١ .

(٢) نسخة المدينة المنورة : ق ٥/أ ، ونسخة الرباط : ق ٦/أ . (٣) ١ / ٥٣٩ .

(٤) نسخة المدينة المنورة : ق ٢/أ ، ونسخة الرباط : ق ٢/ب . (٥) ١ / ١٩٢ .

(٦) ١ / ٩٣٥ . (٧) ١ / ١٣٩ . (٨) نسخة المدينة : ق ٦/أ .

(٩) ١ / ٥٣٩ . (١٠) نسخة المدينة : ق ٥/ب ، ونسخة الرباط : ق ٨/أ .

(١١) ١ / ١٩٤ . (١٢) ٢ / ٩٩٦ . (١٣) ١ / ٥٣٩ .

(١٤) ٢ / ١٤٣ (الأصل الألماني) ، وذكر أنّ شهاب الدين أحمد بن عبد الغفار شرح هذا الكتاب بمؤلّف سمّاه (المنقّح) ، وأنّه وقف على نسخة منه في باريس .

٥٢ — شذا العرف في إثبات المعنىٰ للحرف : ذكره السيوطي في كتابه " حسن المحاضرة " [١] ضمن كتبه في فنّ اللّغة والنحو والتصريف — بهذا الاسم.

وذكره حاجي خليفة في " كشف الظنون " [٢] ، وإسماعيل البغدادي في " هديّة العارفين" [٣] باسم " سدرة العرف في إثبات المعنىٰ في الحرف".

٥٣ — شرح تصريف المزّي : ذكره السيوطيّ في كتابه " حسن المحاضرة " [٤] ضمن كتبه في فنّ اللّغة والنحو والتصريف ، ولم يذكره أحد ممن ترجموا له .

٥٤ — شرح ضروري التصريف — لابن مالك : ذكره السيوطيّ في كتابه " حسن المحاضرة " [٥] ضمن كتبه في فنّ اللّغة والنحو والتصريف .

وذكره حاجي خليفة في " كشف الظنون " [٦] ، وإسماعيل البغدادي في " هديّة العارفين" [٧] .

٥٥ — الطراز اللّازوردي في حواشي الجاربردي : ذكره السيوطيّ في " فهرس مؤلّفاته " [٨] ضمن كتبه في فنّ اللّغة والنحو والتصريف .

وذكره إسماعيل البغدادي في " هديّة العارفين " [٩] .

٥٦ — عنوان الدّيوان في أسماء الحيوان : ذكره السيوطيّ في " فهرس مؤلّفاته" [١٠] ضمن كتبه في فنّ اللّغة والنحو والتصريف .

وذكره حاجي خليفة في " كشف الظنون " [١١] ، وبروكلمان في كتابه " تاريخ الأدب العربيّ" [١٢] .

والكتاب حاشية وزوائد علىٰ كتابه " ديوان الحيوان" [١٣] .

---

(١) ١/١٩٤.
(٢) ٢/٩٨٢.
(٣) ١/٥٣٩.
(٤) ١/١٩٤.
(٥) ١/١٩٤.
(٦) ١/١٠٨٧.
(٧) ١/٥٤٠.
(٨) نسخة المدينة المنورة : ق ٦/أ .
(٩) ١/٥٤٠.
(١٠) نسخة المدينة المنورة : ق ٦/أ ، ونسخة الرباط : ق٨/ب .
(١١) ٢/١١٧٤.
(١٢) ٢/١٨٣ (الأصل الألماني).
(١٣) نفسه.

٥٧ — فلق الإصباح في تخريج أحاديث الصّحاح : ذكره الدكتور حسين نصّار في كتابه " المعجم العربي " [1] ، ضمن الكتب التي تدرس شواهد الصّحاح ، ووصفه بأنّه صغير .

٥٨ — قطف الوريد من أمالي ابن دريد : ذكره السيوطيّ في " فهرس مؤلّفاته " [2] ضمن كتبه في فنّ اللّغة والنحو والتصريف ، وذكر أنّه لخّص فيه هذه الأمالي .

وذكره حاجي خليفة في " كشف الظنون " مرّتين [3] ، وإسماعيل البغدادي في " هديّة العارفين " [4] .

٥٩ — كتاب تهذيب الأسماء : (انظر : مختصر تهذيب الأسماء واللّغات) .

٦٠ — كتاب الدّهر : ذكره بروكلمان في كتابه " تاريخ الأدب العربي " [5] ضمن الكتب التي ألّفها السيوطيّ في فنّ العربيّة .

٦١ — مباسم الملاح ومناسم الصباح في مواسم النكاح : ذكره السيوطيّ في كتابه " الوشاح في فوائد النكاح " [6] ، وذكره في كتابه " ضوء الصباح في لغات النكاح " [7] .

وذكره حاجي خليفة في " كشف الظنون " [8] ، وإسماعيل البغدادي في " هديّة العارفين " [9] .

وهو كتاب كبير بلغت مسوّدته نحوًا من خمسين كرّاسة ، على ما يحكيه صاحب كشف الظنون [10] ؛ جمع فيها السيوطيّ كلّما يتصل بالنكاح من حيث الأحاديث والآثار اللّغويّة والأخبار والنوادر والأمثال والأشعار .

٦٢ — مجال الفرسان إلى مجاز القرآن : ذكره السيوطيّ في " فهرس مؤلّفاته " [11] بهذا الاسم — ضمن كتبه في فنّ التفسير وتعلّقات القرآن .

وذكره حاجي خليفة في " كشف الظنون " [12] ، وإسماعيل البغدادي في " هديّة العارفين " [13] باسم " مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن " .

وفي دار الكتب المصريّة نسخة خطيّة جيّدة من مؤلّف آخر للسيوطيّ أسماه " ميدان الفرسان " [14] ؛ جمع فيه جملة من شواهد القرآن ، والنسخة برقم ١٢٣ مجاميع .

---

(١) ٢/٥٢٨ — ٥٢٩ .
(٢) نسخة المدينة المنورة : ق ٧ /ب .
(٣) ٢/١٦٢ ، ٢/١٣٥٣ .
(٤) ١/٥٤١ .
(٥) الذيل : ٢/١٥٣ .
(٦) ق ٢/أ .
(٧) ق ٩/ب .
(٨) ٢/١٥٧٩ .
(٩) ١/٥٤٢ .
(١٠) ٢/١٥٧٩ .
(١١) نسخة المدينة : ق ٢/أ .
(١٢) ٢/١٥٨٩ .
(١٣) ١/٥٤٢ .
(١٤) ذكره السيوطيّ في "فهرس مؤلّفاته" : ق ٢/أ (نسخة المدينة) باسم "ميدان الفرسان في شواهد القرآن" وذكره إسماعيل البغدادي بالاسم نفسه : الهديّة ١/٥٤٣ .

٦٣ — مختصر تهذيب الأسماء واللّغات — للنووي : ذكره السيوطيّ في " فهرس مؤلّفاته "[١] ، وفي كتابه " حسن المحاضرة "[٢] بهذا الاسم — ضمن كتبه في فنّ اللّغة والنحو والتصريف .

وذكره حاجي خليفة في " كشف الظنون "[٣] ، وإسماعيل البغدادي في " هديّة العارفين "[٤] باسم " تهذيب الأسماء ".

والكتاب في أصله[٥] ، كما ذكر أبو زكريا النووي — في خطبته — يجمع ، على ما جاء في كتب اللّغة المتداولة بين العلماء ، جملاً ممّا يحتاج إليه ممّا ليس فيها من اللّغات العربيّة والعجميّة والمعرّبة وأسماء الرجال والنساء والملائكة والجنّ وغيرهم ، وقد صنّف جماعة في أفرادها مصنّفات غير مستوفاة ، وفي كثير منها إنكار وتصحيف ، فيقبح بمنتصب للإعادة أو التدريس إهمال ذلك "[٦]

٦٤ — المرقاة العليّة في شرح الأسماء النبويّة : ذكره السيوطيّ في كتابه " حسن المحاضرة "[٧] ، وفي " فهرس مؤلّفاته "[٨] ضمن كتبه في فنّ الحديث وتعلّقاته .

وذكره العيدروسيّ في كتابه " النور السافر في أخبار القرن العاشر "[٩] ، وإسماعيل البغدادي في " هديّة العارفين "[١٠] .

٦٥ — نثر الذائب في الأفراد والغرائب : (انظر: التبر الذائب في الأفراد والغرائب) .

٦٦ — نثر الزهور على شرح الشذور : (انظر : نشر الزهور على شرح الشذور) .

٦٧ — نشر الزهور على شرح الشذور : ذكره السيوطيّ — ضمن كتبه في فنّ اللّغة والنحو والتصريف — في " فهرس مؤلّفاته "[١١] بهذا الاسم ، وذكره في كتابه " حسن المحاضرة "[١٢] باسم " حاشية على شرح الشذور ".

وذكره حاجي خليفة في " كشف الظنون "[١٣] باسم " نثر الزهور على شرح الشذور "، وذكره الخوانساري في " روضات الجنّات "[١٤] باسم " حاشية على شرح شذور ابن هشام ".

---

(١) نسخة المدينة المنورة : ق٨/أ . (٢) ١/١٩٥ . (٣) ١/٥١٤ .
(٤) ١/٥٣٧ .
(٥) مطبوع في غوطا بتحقيق الأستاذ وستنفلد سنة ١٢٤٢هـ ، ثمّ في مط المنيريّة بمصر سنة ١٣٦٥هـ .
(٦) ١/٣٠ . (٧) ١/١٩٢ .
(٨) نسخة المدينة المنورة : ق٢/أ ، ونسخة الرباط : ق٢/ب .
(٩) ق٦٩/أ . (١٠) ١/٥٤٢ .
(١١) نسخة المدينة المنورة : ق٦/أ ، ونسخة الرباط : ق٨/أ .
(١٢) ١/١٩٤ . (١٣) ٢/١٠٢٩ — ١٠٣٠ .
(١٤) ٣١٥ .

٦٨ — اليواقيت في الأدوات : ذكره السيوطيّ في " فهرس مؤلّفاته "[١] ضمن كتبه في فنّ اللّغة والنحو والتصريف — بهذا الاسم .

وذكره حاجي خليفة في " كشف الظنون "[٢] ، وإسماعيل البغدادي في " هديّة العارفين "[٣] باسم : " اليواقيت في الحروف الأدن في توجيه قولهم : لاها اللّه إذن ".

---

(١) نسخة المدينة المنورة : ق ٦/أ .

(٢) ٢٠٥٣/٢ .

(٣) ٥٤٤/١ .

الفصل الثاني
المزهر في علوم اللغة

أولاً ـ مواد المزهر :

بنى السيوطيّ كتابه " المزهر " في علوم اللّغة " على خطبة وخمسين نوعاً وخاتمة. تطرّق في الخطبة إلى إطراء الكتاب ؛ وذكر أنّه لم يسبقه أحد إلى تأليف مثله ، من حيث إنّه جمع فيه مفردات علوم اللّغة وأنواعها وشروط أدائها وسماعها ، وربط بعضها ببعض ، وقدّمها على شكل بحوث لغويّة مستقلّة ، على غير مثال سابق ، ومن حيث إنّه سار في تصنيفه سير علماء الحديث في التقاسيم والأنواع ، فأفصح عن أبعاد الصّلة وأوجه المشابهة بين علوم الحديث في تقاسيمها وأنواعها وأصولها وقواعدها ومصطلحاتها ، وعلوم اللّغة في تقاسيمها وأنواعها وأصولها وقواعدها ومصطلحاتها ـ بصورة موسّعة وشاملة ومبتكرة .(١)

ثمّ بيّن في الخطبة ، بعد ذلك ، محتويات الكتاب ؛ فأثبت قائمة بها في ترتيب مفصّل على شكل فهرس ، بغية تسهيل استعمال الكتاب لدى القارئ .(٢)

ثمّ قدّم لكتابه بمقالة نقلها من كتاب " الصّاحبيّ في فقه اللّغة " لابن فارس ، من أوّل قوله : " اعلم أنّ لعلم العرب أصلاً وفرعاً ؛ أمّا الفرع فمعرفة الأسماء والصّفات ، كقولنا : رجل ، وفرس ، وطويل ، وقصير ، وهذا هو الذي يُبدأ به عند التعلّم . وأمّا الأصل فالقول على وضع اللّغة وأوّليّتها ومنشئها ، ثمّ على رسوم العرب في مخاطباتها ، ومالها من الافتنان تحقيقاً ومجازاً .

" والناس في ذلك رجلان : رجل شغل بالفرع ، فلا يعرف غيره ، وآخر جمع الأمرين ، وهذه هي الرتبة العليا ، لأنّ بها يعلم خطاب القرآن والسّنة ، وعليها يعوّل أهل النّظر والفتيا . . . " .(٣)

إلى قوله : " ثمّ قال : والذي جمعناه في مؤلّفنا هذا مفرّق في أصناف مؤلّفات العلماء المتقدّمين ـ رضي اللّه عنهم وجزاهم عنّا أفضل الجزاء ـ وإنّما لنا فيه اختصار مبسوط ، أو بسط مختصر ، أو شرح مشكل ، أو جمع متفرّق .

" وبمثل قوله أقول في هذا الكتاب ، وهذا حين الشروع في المقصود بعون الملك المعبود " .(٤)

---

(١) أنظر : ق ١/أ (نسخة عارف حكمت ٥٦ لغة) .
(٢) نفسه .
(٣) ق ٢/أ (نسخة عارف حكمت ٥٦ لغة) ، والصّاحبيّ : ٢٦ .
(٤) ق ٢/ب (نسخة عارف حكمت ٥٦ لغة) ، والصّاحبيّ : ٣١ .

ونعتقد أنّه إنّما نقل هذه المقالة وقدّم لكتابه بها لأنّه وجدها أصدق تعبيراً عمّا في نفسه ، ووصفاً لكتابه — من ابن فارس وكتابه ؛ فهو يجمع فيه ما تفرّق في كتب المتقدّمين أكثر مما يجمعه ابن فارس في كتابه «وكتاب المزهر — في الوقت نفسه — أكثر اختصاراً لما هو مبسوط ، أو بسطاً لما هو مختصر ، أو شرحاً لما هو مشكل ، أو جمعاً لما هو متفرّق في أصناف كتب العلماء — من كتاب الصاحبي .

وبعد أن أنهى السيوطيّ خطبة الكتاب بدأ يفصّل القول في قضايا الوضع اللّغوي ومتعلّقاته ؛ فتناول بالبحث ، أولاً ، التعريف باللّغة وبيان حدّها وآراء العلماء المختلفة في الوضع : هل اللّغة إلهام ، وتوقيف أم اصطلاح وتواطؤ ، ووجوه احتجاجات القائلين بالتوقيف أو الاصطلاح وما قيل في الردّ على كلا الفريقين .

ثمّ عرض لقضيّة نشأة اللّغة ، وتعيين محلّ الوضع اللّغوي ، وسبب وضع اللّفظ المعيّن وصلة ذلك بمدلوله ؛ فأبان عن التصوّر اللّغوي عند علماء اللّغة العرب للصلة بين الألفاظ ومعانيها ، ومن ثمّ أبان عن تصوّرهم لهذه القضيّة وصلتها بقضيّة الوضع اللّغوي .

ثمّ أخذ في بحث شروط رواية اللّغة ، وطرق أخذها ، وعمن تؤخذ ؛ حتى أتى على قضايا الوضع اللّغوى ومتعلّقاتها المختلفة في ثمانية أنواع من أنواع الكتاب الخمسين ؛ وهي على الترتيب : معرفة الصحيح الثابت ، معرفة ماروي من اللّغة ولم يصحّ ولم يثبت ، معرفة المتواتر والآحاد ، معرفة المرسل والمنقطع ، معرفة الأفراد ، معرفة من تقبل روايته ومن تردّ ، معرفة طرق الأخذ والتحمّل ، معرفة المصنوع — وهو الموضوع .

ثم انتقل ، بعد ذلك ، إلى بحث القضايا اللّغوية المتصلة بالألفاظ ؛ فبيّن أحوالها وأنواعها ومراتبها ووجوه صلة بعضها ببعض ، ثم وجوه صلتها جميعاً بقضيّة الألفاظ اللّغويّة ، وعرض للقبائل التي فصحت لغتها وعنها أخذت اللّغة ، تلك التي تنزّهت عن عيوب النطق التي تلحق بالألفاظ ، وابتعدت عن المؤثّرات الأجنبيّة ؛ مثل : مخالطة الأعاجم أو مجاورتهم ، وابتعدت عن المواطن الحضاريّة ؛ فضمنت نقاءها وبداوتها ، ثمّ عرض للقبائل التي ترك الأخذ عنها لوقوع عيوب في نطقها ، أو لمجاورتها الأعاجم والحضر ممن فسدت ألسنتهم ولم تتحقق فيهم الفصاحة .

ودرس ، في هذا الباب ، الفصيح في الألفاظ المفردة وشروط تحقّق الفصاحة فيها ، ومراتب ألفاظ اللّغة ودرجاتها من الفصاحة والتغييرات التي تلحق صيغ الألفاظ وتراكيبها ، وحالتها من حيث القياس والاستعمال والإهمال ، وبيان مدى الاحتجاج بالألفاظ المفاريد ، ثمّ درس الضعيف والمنكر والمتروك ، والرديء والمذموم ، والمطّرد

والشاذّ ، والحوشي والشارد والغريب والنادر من الألفاظ ممّا انعدم فيه استيفاؤه مقاييس الفصاحة ، على الرغم من ثبوت نقله عن العرب ؛ ودرس هذا كلّه لاتصاله بقضيّة الألفاظ اللّغويّة من حيث بيان أحوال هذه الألفاظ ومرتبتها مقابل اللّفظ الفصيح .

ودرس المعرّب ، أيضاً ، والمولّد ، والألفاظ الإسلاميّة ؛ أمّا المعرّب فلاتصاله بقضيّة الألفاظ اللّغويّة من حيث بيان وقوع التوافق بين اللّفظ العربيّ والأعجميّ ، عن طريق مناسبة الألفاظ للمعاني ، أو بيان الألفاظ التي استعملتها العرب لمعان في غير لغتها ، فخضعتها لموازين كلامها ، وأمّا المولّد فلاتصاله بقضيّة الألفاظ اللّغويّة من جهة بيان مايولّده العامّة من ألفاظ محدثة لا أصل لها في العربيّة ، وأمّا الألفاظ الإسلاميّة فلاتصالها بقضيّة الألفاظ اللّغويّة من جهة بيان انتقال بعض الألفاظ من مواضع إلى مواضع أخر بعد مجيء الإسلام .

وقد تناول السيوطيّ بحث هذه المسائل المتعلّقة بقضايا الألفاظ اللّغويّة في ثلاثة عشر نوعاً ؛ هي على الترتيب : معرفة الفصيح ، معرفة الضعيف والمنكر والمتروك من اللّغات ، معرفة الرديء المذموم من اللّغات ، معرفة المطّرد والشاذّ ، معرفة الحوشي والغرائب والشوارد والنوادر ، معرفة المهمل والمستعمل ، معرفة المفاريد ، معرفة مختلف اللّغة ، معرفة تداخل اللّغات ، معرفة توافق اللّغات ، معرفة المعرّب ، معرفة الألفاظ الإسلاميّة ، معرفة المولّد .

بعد هذه الأنواع الثلاثة عشر المتقدّمة التي احتفل السيوطي فيها بدراسة القضايا المتعلّقة بالألفاظ اللّغويّة ، تلاها بدراسة القضايا المتعلّقة باللّغة من حيث معانيها في ثلاثة عشر نوعاً أخرى — بالاحتفال نفسه ؛ وهي مساواة عجيبة في طريقة تناول هذين الجانبين من البحث اللّغوي بالدراسة ، وفي مبلغ الاهتمام بقضايا اللّفظ والمعنى ؛ بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر ، وإنّما يتوازيان ، ويتضامّ الجانبان ، ليكوّنا معاً صورة هامّة في مجال الدّرس اللّغوي لقضايا اللّفظ والمعنى .

والأنواع الثلاثة عشر الراجعة إلى اللّغة من حيث المعنى هي : معرفة خصائص اللّغة ، معرفة الاشتقاق ، معرفة الحقيقة والمجاز ، معرفة المشترك ، معرفة الأضداد ، معرفة المترادف ، معرفة الإتباع ، معرفة الخاصّ والعامّ ، معرفة المطلق والمقيّد ، معرفة المشجّ[illegible] معرفة الإبدال ، معرفة القلب ، معرفة النّحت .

أمّا خصائص اللّغة فهذا نوع يرجع إلى اللّغة من حيث المعنى لما فيه من بيان سعة اللّغة العربيّة ومقدرة ألفاظها على الإعراب عمّا في النفس ، وما اختصّت به من ضروب

التشبيه والاستعارة والحذف والاختصار والزيادة والتكرير والإعادة والالتفات والإضمار والتعويض والإشارة دون التصريح في الكلام .

وأمّا الاشتقاق فلإفادته ردّ عدد من الهيئات المختلفة في أبنية الألفاظ إلى قدر مشترك من المعنى ، وأمّا الحقيقة والمجاز فلبيان المعاني في أصل ماوضع لها من الألفاظ ، والمعاني التي عدلت عن أصل ماوضع لها من الألفاظ عن طريق المجاز ، وأمّا المشترك فلبيان المعاني المتعدّدة التي يعبّر عنها لفظ واحد ، وأمّا الأضداد فلبيان المعنيين المتضادّين اللّذين يعبّر عنهما لفظ واحد ، وأمّا المترادف فلبيان المعنى الواحد الذي تعبّر عنه ألفاظ متعدّدة ، وأمّا الإتباع فلبيان أنّ هناك ألفاظاً تستخدم، قصد تأكيد الكلام وإشباعه ، وهي لا معنى لها في نفسها على الإطلاق ، وأمّا العامّ والخاصّ فلبيان إمكان انتقال بعض المعاني أو تغيّرها من العامّ إلى الخاصّ ، أو من الخاصّ إلى العامّ — بتغيّر وجوه ماوضع لها أصلاً ، وأمّا المطلق والمقيّد فلبيان المعاني التي قيّدت بأحوال معيّنة ، والمعاني المطلقة ، وأنّ المعاني تختلف أسماؤها وأوصافها باختلاف أحوالها ، وأمّا المشجّر فلبيان مداخلة الكلام للمعاني المختلفة، وأمّا الإبدال والقلب فلأنّهما دليلان على أنّ هناك لغات مختلفة في اللّسان العربي ، تتقارب اللّفظتان في لفتين لمعنى واحد ، حتى لا يختلفا إلاّ في حرف ، وأمّا النحت فلبيان أنّه جنس من الاختصار ، وضرب من ضروب الاشتقاق في لغة العرب.

ثمّ تلا السيوطيّ هذه الأنواع الثلاثة عشر الراجعة إلى اللّغة من حيث المعنى — بخمسة أنواع ترجع إليها من حيث لطائفها وملحها ؛ وهي : معرفة الأمثال ، معرفة الآباء والأمّهات والأبناء والبنات والإخوة والأخوات والأذواء والذّوات ، معرفة ما ورد بوجهين بحيث يؤمن فيه التصحيف ، معرفة ماورد بوجهين بحيث إذا قرأه الألثغ لا يعاب، معرفة الملاحن والألغاز وفتيا فقيه العرب .

أمّا الأمثال فنوع يرجع إلى اللّغة من حيث لطائفها وملحها ؛ لما فيه من بيان لغته وإعرابه وقصصه وأسبابه مايفتح الخلق ويوضح الغرض ؛ وهو مصدر من مصادر دراسة اللّغة وصورة من صور الكلام في أعلا مثل للوجازة وإصابة المعنى وحسن التشبيه ، وأمّا الآباء والأمّهات والأبناء والبنات والإخوة والأخوات والأذواء والذّوات فلأنّه من باب الأسماء اللّغويّة التي اتخذها اللّغويّون مادّة لبحوثهم اللّغويّة ؛ ففسّروا معانيها ، وذكروا مرادفاتها ، واستشهدوا لها بالقرآن أو الشعر أو الأقوال والنوادر الطريفة ، وأمّا ماورد في اللّغة بوجهين بحيث يؤمن فيه التصحيف ، وماورد بوجهين بحيث إذا قرأه الألثغ

لا يعاب فلأنّهما من جملة باب الإبدال ونوادر التصحيف والمصحّفين ، وأمّا الملاحن والألغاز وفتيا فقيه العرب فلأنّهما جميعاً جنس من التورية والتعمية والإلغاز في اللّغة.

ثمّ تناول السيوطيّ ، بعد هذه الأنواع الخمسة الراجعة إلىٰ اللّغة من حيث لطائفها وملحها ، قضيّة اختلاف لغات العرب ، وعدّة أبنيتها ، وما يلحق بها في الوزن ، وضوابطها ، واستثناءاتها ، وأشباهها ونظائرها ، ومسائلها الطريفة ؛ من نحو : الألفاظ التي لا تستعمل إلاّ في النفي ، والأسماء التي لا يتصرّف منها فعل ، والألفاظ التي وردت مثناة ، والمثنىٰ الذي لا يعرف له واحد ، والجموع التي لا يعرف لها واحد ، والألفاظ التي معناها الجمع ولا واحد لها من لفظها ، وما يفرد ويثنىٰ ولا يجمع ، وما يفرد ويجمع ولا يثنىٰ ، وما لا يثنىٰ ولا يجمع ، وما جاء بالهاء من صفات المذكر ، وما جاء من صفات المؤنث من غيرها ، وما يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث ، وما ترك فيه الهمز وأصله الهمز وعكسه ، والألفاظ التي اختلفت فيها لغة الحجاز ولغة تميم ، والفرق بين الضاد والظاء . . .

وهذا النوع يرجع إلىٰ حفظ اللّغة وضبط مفاريدها ، وقد اكتفى السيوطيّ به ، وذكر أنّه " نوع مهمّ ، ينبغي الاعتناء به ، فيه تعرف نوادر اللّغة وشواردها ، ولا يقوم به إلاّ مضطلع بالفنّ ، واسع الاطلاع ، كثير النظر والمراجعة . . . وأنا ذاكر - إن شاء اللّه تعالىٰ - في هذا النوع ما يقضي الناظر فيه العجب ، وآتٍ فيه ببدائع وغرائب إذا وقف عليها الحافظ المطلع يقول : هذا منتهىٰ الأرب "(١) ، فكان ما انتهىٰ إليه وسعه فيه وجهده في الإضافة والتتبّع والتوسّع استغرق ربع الكتاب .(٢)

وبعد أن فرغ من معالجة مفردات هذا النوع الراجع إلىٰ حفظ اللّغة وضبط مفاريدها ؛ وهو الأشباه والنظائر ، انتقل إلى دراسة القضايا المتعلّقة بآداب اللّغوي ، وحملة اللّغة - في ثمانية أنواع ، هي : معرفة آداب اللّغوي ، معرفة كتابة اللّغة ، معرفة التصحيف والتحريف ، معرفة الطبقات والحفّاظ والثقات والضعفاء ، معرفة الأسماء والكنىٰ والألقاب والأنساب ، معرفة المؤتلف والمختلف ، معرفة المتفق والمفترق ، معرفة المواليد والوفيات .

ثمّ ختم كتابه بنوعين أفردهما لدراسة الشعر ، وأوّليته ، وتنقّله في القبائل ، وما يحتجّ به منه ، وطبقات الشعراء ، ثمّ أغلاط العرب ، وأنواعها ، وأسبابها .

---

(١) المزهر : ق ٢٥١/أ (نسخة عارف حكمت ٥٦ لغة) .
(٢) فهو ، وحده ، يقع في ٣٠١ صفحة من النسخة المحققة .

ويتضح، من هذا العرض الموجز لمجالات دراسة اللّغة المختلفة في " المزهر "، أنّ السيوطيّ قد صنّف مباحثه في أبواب كبيرة يحتوي كلّ منها على مجموع المباحث التي تربط بينها قضيّة مشتركة داخل القضيّة الكليّة ؛ بحيث يمكن أن يستقلّ كلّ باب منها في كتاب ؛ فنحن نرى في " المزهر " ستّ صور رئيسيّة في لوحة واحدة ؛ صورة لقضيّة الوضع اللّغوي ومتعلّقاتها ، وصورة لدراسة الألفاظ اللّغويّة ، وصورة لقضايا المعنى اللّغويّ ، وصورة لبعض الظواهر اللّغويّة الطريفة ، وصورة لأبنية العربيّة ، وصورة لرجال اللّغة وحملتها .

وهذه الصور الستّ تشكّل ، في مجموعها ، أجزاء رئيسيّة كبرى من معالم الفكر اللّغوي عند العرب ، كما تشكّل ، في الآن ذاته ، منهجًا تأليفيًّا فريدًا يعكس تصوّر صاحبه لمباحث اللّغة والاعتبارات التي بنى عليها تصوّره هذا حال وضع الكتاب.

ثانيًا — أهميّة المزهر :

لئن كان " فقه اللّغة " — بالمعنى المتعارف عليه اليوم — علمًا حديثًا في العلوم الغربيّة ؛ فإنّ القسم النظريّ منه — في الأقلّ — وهو ذو بحوث شائقة ممتعة ، قد تناوله العلماء العرب — منذ القرن الرابع الهجري — بالدرس والتحليل ، وأفاضوا فيه كلّ الإفاضة ، وبلغوا من وراء ذلك مبلغًا محمودًا ، حتى كادوا أن يجعلوا من الدراسات اللّغويّة السابقة والتصنيفات المتوارثة لجهود المهتمّين بالمعاجم والمفردات والمشتغلين بالنحو والتجويد وبناء الكلمة والجملة — علمًا مستقلًا له كيانه الخاصّ ، وشخصيّته المستقلّة ، أسموه " فقه اللّغة " حينًا ، و " فقه العربيّة " حينًا ، و " علم اللّغات العربيّة " حينًا .

أمّا القسم العلميّ، من هذا العلم ، فقد ضربوا فيه — أيضًا — بسهم وافر ، بقدر ما سمحت به ظروفهم وإمكاناتهم ؛ فهناك دراسة الألفاظ اللّغويّة وعرض المتناسبة منها في ناحية ما ، وحشدها في باب واحد ؛ مثل الألفاظ الخاصّة بخلق الإنسان ، أو الخاصّة بالبناء ، أو الخاصّة بأحد أنواع الحيوان أو النبات ممّا يدخل في باب معاجم المعاني ، وما يعبّر عنه الدارسون في علم اللّغة الحديث — اليوم — بعلم المفردات أو علم المعاجم أو علم الدلالة .

وهذا كلّه يعني — بالضرورة — أنّ العلماء العرب متقدّمون على علماء أوربا في الاشتغال بهذا العلم في ظواهره الصوتيّة والصرفيّة والنحويّة والدلاليّة ، وهي الظواهر الأربع التي حدّد بها الباحثون المحدثون علم اللّغة ، " غير أنّ علم اللّغة

الحديث يدرس هذا القطاع بمعايير جديدة ، ويتوسّل بمناهج مستحدثة في العرض والبحث"(١).

وإذا كان القدماء — قبل السيوطيّ — قد اشتغلوا بالبحوث اللّغويّة المختلفة ، وتكلّموا في جملة الظواهر اللّغويّة في اللّغة العربيّة ، ودلّلوا على نظريّاتهم فيها ؛ ومنهم : ابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) ، وابن جنّيّ (ت ٣٩٢ هـ) ، وابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) ، والثعالبيّ (ت ٤٢٩ هـ) ، والزمخشريّ (ت ٥٣٨ هـ) ، وكثيرون غيرهم من النحويّين والصرفيّين والبلاغيّين وواضعي المعجمات ، وتميّزت جهودهم بانحصار كلّ منها في تناول عدد من البحوث والظواهر اللّغويّة المفردة في تآليف متعدّدة ، دون أن تتحقّق لها صفة الشمول ، أو صفة المنهجيّة — فإنّ السيوطيّ قد اشتغل بكلّ هذه البحوث والظواهر اللّغويّة ، بعددهم ، بصورة شاملة ، ولغويّة خالصة ، وعالجها — جميعاً — في كتاب واحد ، وبحث في تفاصيلها ودقائقها بحثاً مستفيضاً ؛ بحيث جاءت كلّ قضيّة على حدة ، حاويّة على مسائلها ونظريّاتها وأمثلتها ، متصلة بالقضيّة الكلّيّة في النوع المعيّن من الأنواع الخمسين التي بنى عليها كتابه ؛ مما يجعل النوع الواحد يغطي جوانب قضيّته كلّها ، ويستوعب الحديث عنها بصورة مفصّلة منظّمة .

وإذا كنّا على اقتناع بأنّ تاريخ العلم الحقّ ما هو إلا بناء متصل على أسس وضعتها الأجيال السابقة من العلماء ، وأنّ لكلّ متأخّر أن يصرف همّته إلى النظر والبحث في علوم المتقدّمين ؛ فيستدرك عليهم أشياء ، ويفطن لفوائد ، مادام البحث لا ينقطع ، بل يستمر من جيل من العلماء إلى جيل آخر — شهدنا للسيوطيّ بالزيادة والفضل ؛ فقد جاء ، فوجد مفردات علوم اللّغة مبعثرة ، لم تجتمع أشتاتها في كتاب مستقلّ ، ولا قام واحد من علماء زمانه ، فتجرّد لدراسة هذا الفنّ ، والتعريف بأبعاده ومراميه ، وتحديد ميدانه ، ومايخرج منه ومايدخل فيه ؛ وهو ما افتقرت إليه اللّغة العربيّة ؛ فأوقف نفسه لهذه المهمّة ، فطاف على مؤلّفات كثيرة العدد ، مختلفة المشارب ، متعدّدة المذاهب ، فحقّق فيها ، ونظر وتأمّل ، حتى استبانت له وجوه الاتفاق والافتراق بين مختلف علوم اللّغة العربيّة ، ثمّ أقام — من مجموع الظواهر اللّغويّة التي تعدّ في نطاق " فقه اللّغة العربيّة " اليوم — كتابه " المزهر" على هذا النحو الجديد .

لقد جرت العادة أن توصف الأعمال العلميّة القيّمة بأنّها مبتكرة ، وليس معنى ذلك — بطبيعة الحال — أنّ صاحبها يجيء من عنده بكلّ شيء ؛ بل إنّ العمل العلميّ المبتكر هو العمل الذي لا يتجاهل صاحبه شيئاً مما كتب قبله في موضوعه ، وبغير هذا الاستيعاب العلميّ الضروري لمفردات الموضوع في كتب المتقدّمين — لا يمكن للعمل الجديد

(١) علم اللّغة بين التراث والمناهج الحديثة : ص ٨ ، وانظر : عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلميّ والأدبيّ : ٣ / ٣٧١ ومايليها .

بحالٍ أن يسجّل في مضمار العلم الذي يطرقه خطوة التقدّم التي لابدّ منها ليكون مبتكـــرًا ؛ ولهذا صحّ — عندنا — أن يفضّل السيوطيّ على بعض اللّغويّين المتقدّمين والمتأخّرين ممـــن لم يعنوا كثيرًا بمصادرهم ، أو لم يستفيدوا منها بشكل منهجيّ ، ولم يخترعوا معـــنىً ، أو يبتدعوا وضعًا ومبنىً ألبتة .

وهذا الكلام نوجّهه للذين يأخذون على السيوطيّ — دون تدبّر — كثرة نقلـــه من كتب المتقدّمين في هذا الكتاب بالذات ، دون أن يصرف همّته فيه إلى استنباط الجديد ، ويتفرّغ لابتداع الفكرة المستقلّة ؛ فبالإضافة إلى أنّ هذه الكثرة الرائعة من منقولاته شاهدة بسعة اطّلاعه ، وامتداد أفقه ، وحدّة ذهنه ، وحسن تأتّيه للمتفرق المشتّت ، وأنّه فـــاق معظم معاصريه في تحقيقاته فيها مما لا ينكره منصف أنّه قيّم جليل ، وفي سبقه إلى تصـــوّر مجالات فقه اللّغة ، والاعتبارات التي أخذ بها نفسه حين ألّف الكتاب .

بالإضافة إلى هذا كلّه ، فإنّ المنصف من يعدّ هذا العمل التأليفيّ من الأعمال التي تعود على صاحبها بالحمد والفخار ، لأنّه لا يخلو من مشقّة ولا يسلم من عنت ، ولأنّه ضروريّ في حياتنا الثقافيّة ضرورة ملحّة .

وبالجملة ، فقد توفّر السيوطيّ في " المزهر " على إنجاز أشمل كتاب عرفته العربيّة حتى عصره ، في ميدان " فقه اللّغة العربيّة " ، فهو أكمل ما رأينا في هذا الميدان مـــن كتب القدماء ، وأحسنها نظامًا ، وأوسعها مادّة ؛ ضمّنه السيوطيّ كلّما يتصل بهـــذا الميدان — في عصره — من قريب أو بعيد ، على الرغم من أنّ بحوث هذا العلم لم تكـــن — يومئذ — مستقرّة ولا مستقلّة ، ولا كان مصطلح " فقه اللّغة " دالاً عليه دلالة اختصاص، على نحو ما بيّنّا في غير هذا المقام .

ثالثًا — أثره في الدّراسات بعـــده :

لمّا كان كتاب " المزهر " فتحًا جديدًا في تاريخ فقه اللّغة العربيّة ، ودفعـــة موفّقة إلى الأمام في ميدان البحث اللّغويّ ؛ لأنّه أوّل كتاب جمع مفردات هذا الباب فـــي صعيد واحد ، واتّجه — في تأليفها — اتجاهًا لغويًا خالصًا — كان لابدّ أن يترك أثـــرًا بارزًا بين علماء اللّغة ، منذ الوهلة الأولى التي ظهر فيها إلى الحياة .

وظلّ " المزهر " موضع اهتمام العلماء وعنايتهم ؛ فكانوا يحفظونه ويتدارسـونه ، ويثنون عليه ، ويصفونه بأرفع الصفـات ، فذكروا ، فيما ذكروا ، أنّه " من أجمع ما ألّـف

وأنفع ما صنّف " [١] و" من أجلّ ما ألّف في فقه اللّغة العربيّة " [٢] و " ألصق المؤلّفات بفقه اللّغة " [٣] و " هو أهمّ كتبه اللّغويّة ، وهو فريد في بابه ... وهو كتاب عظيم الأهميّة للباحث اللّغوي ، او الناظر في فلسفة اللّغة " [٤] ، وذكروا أنّه " تناول السيوطيّ ميدان فقه اللّغة بأسره في موسوعة جليلة القدر ، وافية كلّ الوفاء ، عنوانها : المزهر في علوم اللّغة " [٥] وأنّه " حاكىٰ به علوم الحديث في التقاسيم والأنواع ، وأتىٰ فيه بنفائس كثيرة تهتزّ لها الطباع ، ولطائف شريفة تطرب بها الأسماع " [٦] .

وكان أثره فيما جاء بعده من كتب اللغة ـ ذا اتجاهات ثلاثة :

١ ـ اختصاره : وقد وصل إلينا من هذا النوع كتاب " البلغة في أصول اللّغة " لمحمد صديق حسن خان ؛ وقد طبع الكتاب في مطبعة الجوائب بالقسطنطينيّة سنة ١٢٩٦هـ .

ويقع الكتاب في ثمان وستين صفحة من القطع الكبير ، وقد بناه المؤلّف علىٰ خمسين نوعًا ؛ كما فعل السيوطيّ تمامًا ، وسار فيه علىٰ نظام المزهر ؛ قال المؤلّف : " أفرغته في قالب الإيجاز بحسن الانسجام لتقاصر همم أبناء الزمان عن بلوغ ذروة الكمال ، وتقاعدهم عن التمسّك بأذيال كمال العرفان ؛ لضيق المجال ، مع التزام إتمام المعاني ، وإبرام قواعد المباني " [٧] .

فهذا ـ إذن ـ سبب اختصاره الكتاب ، فمع أنّه كتاب مقيّد لسلّاك اللّغة ، فإن بينه وبين طلبه نوازع تحول ، لما أصاب الناس ـ في زمنه ـ من تقاصر الهمم والتقاعد عن المعالي ؛ ولذلك أصبح لزامًا علىٰ عارفي فضله أن يتصدّوا له بالاختصار الشافي ، الذي يعنىٰ بإبراز محاسنه ، وتوضيح مشكله ، من غير حذف أصل منه ولا فائدة .

والحقّ ، أنّ هذا المختصر جاء ـ علىٰ صغر حجمه ـ شافيًا يوفي بالغرض الأصلي من الكتاب ؛ لأنّه جمع مادّته مع طرح الشواهد والأمثلة

---

(١) الدّرر اللّوامع : ١ / ٢ .
(٢) فقه اللّغة ـ للدكتور علي عبد الواحد وافي : ص ٢٧٣ (ط . لجنة البيان ١٩٥٦م) .
(٣) دراسات في فقه اللّغة : ص ٢٥ . (٤) تاريخ آداب اللّغة : ٣ / ٢٣٩ .
(٥) دائرة المعارف الإسلاميّة : ١٣ / ٢٧ . (٦) البلغة في أصول اللّغة : ص ٤ .
(٧) نفسه .

الكثيرة ، ونسّقها ، وأسفر من جميع فوائده ؛ قال : " لخّصته مطروح الزوائد ، مجموع الفوائد ، مع زيادة نزرة آمتلأ بها الوطاب ، وتصرّف يسير آعتلىٰ منه الخطاب "(١).

٢ — نظمه : ومن هذا النوع وصل إلينا كتاب " ثمار المزهر " لمحمد فاضل بن مامين ؛ وقد طبع الكتاب في مطبعة يمني بفاس سنة ١٣٢٤هـ ، في ثلاث وتسعين صفحة من القطع الصغير.

وقد قال عبد الرحمن بن جعفر الكتاني في تقريظه من شعر :

" خلّ عنّا نفحات المزهر ... وأنلنا من ثمار المزهر
روض علم أينعت أزهاره ، ... فغدا جامع معنًى أزهر
مال قلبي نحوه لما بدا ... مثل ميل العين نحو العبهر
يغبط الشيخ به لو أبصرتْ ... ـه عيون المجد ، بل والجوهري
ويقيناً لو رأىٰ أزهاره ... لتمنّاه الإمام الأزهري
حقّ أن يبذل ذو اللّب لتحـ ... ـصيله أبهىٰ صحاح الجوهر
فآبذل المجهود فيه لو تجدْ ... في تعاطيه عناء الأبهر
فلقد أبرزه الطبع لنا ... في سماء الكتْب كبدر أشهر "(٢).

وعدّة هذه المنظومة ألفان وسبعة وستون بيتاً ؛ موزّعة علىٰ أربعة وأربعين نوعاً ، آبتداءً من " معرفة الصحيح الثابت "، حتىٰ " معرفة الطبقات والحفّاظ والثقات والضعفاء " ، وأهمل الأنواع الستة الباقية من أصل الكتاب ؛ وهي : معرفة الأسماء والكنىٰ والألقاب والأنساب، معرفة المؤتلف والمختلف ، معرفة المتفق والمفترق ، معرفة المواليد والوفيات ، معرفة الشعر والشعراء ، معرفة أغلاط العرب ، مكتفياً عنها بقوله :

"وخَتْمُ الكتاب أيضاً بملحْ ... من المقطّعات عمّن قد فصَحْ
ونظمُها أكدّ منه ماسواهْ ... لذاك ذا الكتاب جاء منتهاهْ "(٣)

ولعلّه أن يكون قد فعل ذلك علىٰ سبيل الآختصار ، أو لأنّه لم ير بأساً من ترك ما ترك من الأنواع ، ما دام قد نظم زبدة ما في الكتاب،

---

(١) البلغة في أصول اللّغة : ص ٤ .
(٢) نشرت في مقدّمة الكتاب .
(٣) ص ٩٣ .

قال في مقدّمة منظومته هذه ما قد يؤدي إلى هذا المفهوم :

" قال عبيدُ اللّه ما العَيْنَين ... يرجو القبولَ عندَ ذي الكونَين
الحمدُ للّه الذي شرّفنا ... بلغة النبيّ إذْ عرّفنا
صلّىٰ عليه اللّه ما قد فتحا ... لسانَ شخص عن ضمير شرحا
وبعد ذا فهاكموا أهلَ اللّغات ... نظماً يفيد في اللّغات السائغات
نظمتُه من مزهر السيوطي كي ... يفيد ذا فصاحة وكلّ عي
نوّعته كماله قد نوّعا ... لكنّ ذا مختصر نظماً سعىٰ
سمّيته لذا ثمارَ المزهرِ ... وصفته من جوهر كالجوهرِ "(١) .

٣ - الاستفادة به في جمع المادّة اللّغويّة أو التأليف اللّغويّ : وقد شمل ذلك معظم ما جاء بعده من مؤلّفات لغويّة ، فما من كتاب ألّف بعده - في تقديرنا - إلاّ نهل منه، وأفاد .

رابعاً - طبعات المزهر :

كنّا - منذ البداية - نجد تناقضاً ظاهراً بين أسلوب السيوطيّ الصحيح في التصنيف ، وأمانته العلميّة وتحرّيه في عزو المنقولات إلىٰ أصحابها ، وبين ما هو أمامنا في كتابه المتداول " المزهر " من نقول بها شيء غير قليل من التحريف والتغيير .

ثمّ وقفنا ، في مكتبة شيخ الإسلام بالمدينة المنورة ، علىٰ نسختين خطيّتين للكتاب (٢) ، فرأينا عجباً منذ بدأنا نقلّب الصفحات الأولىٰ منهما ؛ إنّ جميع النصوص والمنقولات التي قابلناها بأصولها ومصادرها - توافق ما جاء فيها ، وتخالف كلّ الطبعات التي ظهرت للكتاب حتىٰ الآن .

ولمّا لم يسمح لنا ضيق الزمان أن نستنسخ هاتين النسختين - أخذنا رسمهما كاملين بالتصوير الشمسي ، وأرسلنا في طلب النسخ الأخرىٰ التي ترامىٰ إلىٰ سمعنا

---

(١) ثمار المزهر : ص ٣ .

(٢) وهما النسختان اللّتان تحتفظ بهما المكتبة تحت رقم ٥٦ لغة ، ورقم ٥٤ لغة ، أولاهما هي النسخة الفريدة التي كتبها ضياء الدّين محمد الزرعيّ الأنصاريّ الحنفيّ عن نسخة بخطّ يد السيوطيّ نفسه ؛ كما ذكر في ختام النسخة ، ويرجع تاريخها إلىٰ سنة ٩٨٥هـ ، والأخرىٰ نسخة جيّدة ، لم يذكر ناسخها اسمه عليها ، وهي من خطوط القرن الحادي عشر الهجري تقديراً ، وفي عديد من صفحات هاتين النسختين كثير من التعليقات والشروح مما يجعلنا نرجّح أنّهما كانتا محلّ عناية بعض أهل العلم .

أنّها من مقتنيات دار الكتب المصريّة [١] ، والخزانة الملكيّة بالرباط [٢] ، ومعهد الدّراسات الشرقيّة ببرلين [٣] ، ومكتبة مدرسة جامع الباشا بالموصل [٤] .

وشغلنا زمناً بدراسة نسخة شيخ الإسلام ٥٦ لغة ، والنظر فيها ؛ فهي تعدّ من أقدم ما وقفنا عليه من نسخ الكتاب ، وأصحّها على الإطلاق ، وأخذنا نعارض فيها منقولات السيوطيّ بمراجعه الأصليّة ، وننبّه فيها إلى وجوه الاختلاف بينها وبين الطبعات التي ظهرت للكتاب ؛ حتى أيقنّا أن لا تناقض بين أسلوب السيوطيّ الصحيح في التصنيف وأمانته العلميّة وتحرّيه في عزو المنقولات إلى أصحابها ، وبين ما هو أمامنا في كتابه المتداول " المزهر " من نقول بها شيء غير قليل من التحريف والتغيير ، فقد طبع الكتاب أربع مرّات ؛ أولاها في المطبعة الأميريّة سنة ١٢٨٢هـ ، والثانية في مطبعة السعادة (بدون تاريخ) ، والثالثة في مطبعة محمد علي صبيح (بدون تاريخ أيضاً) ، والرابعة في دار إحياء الكتب العربيّة سنة ١٣٦٤هـ — بتحقيق الأساتذة محمد أحمد جاد المولى ، وعلي محمد البجاوي ، ومحمد أبي الفضل إبراهيم ، وقد ملئ جميعها بالأخطاء والتحريفات والمخالفات للأصل ؛ تلك التي شوّهت الكتاب ، وحالت دون الإفادة منه ، بالصورة المطلوبة ، على الرغم من أنّه من الكتب المتداولة كثيراً ، وأننّا لا نظنّ أنّ هناك مشتغلاً بالثقافة العربيّة يجد نفسه في غنىً عن الرجوع إليه لاستشارته في المسائل المتعلّقة باللّغة وفقهها .

---

(١) في دار الكتب المصريّة نسختان جيّدتان ، أخذ لنا رسمهما على المايكروفيلم ؛ أولاهما محفوظة تحت رقم ٦٤٢ ، وناسخها هو أبو يعقوب يوسف بن نجم الدّين ابن يحيى بن علي الشهير بابن المبلط الشافعيّ ، وتمّ نسخها سنة ٩٦٧هـ ، والأخرى محفوظة تحت رقم ٢٣٦ ، ولم يذكر ناسخها اسمه عليها ، وهي من خطوط القرن الثاني عشر الهجري تقديرا .

(٢) في الخزانة الملكيّة بالرباط نسخة نفيسة ، أخذ لنا رسمها على المايكرو فيلم ، محفوظة تحت رقم ٢٥٤٦ ، وناسخها هو ابن نعيم القطّان ، وتمّ نسخها سنة ٩٦٣هـ ، وقد كانت هذه النسخة — لنفاستها — حقيقة بأن تكون مع نسخة شيخ الإسلام ٥٦ لغة — الأساس في المعارضة ، ولكنّ وقوفنا عليها كان متأخرا .

(٣) في معهد الدّراسات الشرقيّة ببرلين نسخة جيّدة ، أخذ لنا رسمها على المايكرو فيلم ، محفوظة تحت رقم ٦٢٧٢ ، وناسخها إبراهيم بن نجم الدّين ، وتمّ نسخها سنة ٩٧٠هـ .

(٤) في هذه المكتبة نسخة برقم ٢٧٨ ، وصفت لنا بأنّها قديمة ، وقد كتبنا لمدير المكتبة في السماح بتصويرها لنا ، ولم نتلق منه ردّاً إلى الآن .

وقد اقتضى الوقوف على هذه النسخ الخطيّة بعد اجتلاب مصوّراتها مصابرة ومطاولة دائبتين دون أن يكون عملنا الذي نعتزم إنجازه، في هذه الرّسالة، هو تحقيق الكتاب، أو تعقّب كلّ التحريفات التي بدت لنا في طبعاته؛ لأنّنا أردنا — فقط — أن نستأنس بدليل يجعلنا نطمئنّ إلى سلامة النصوص التي نعالجها من الكتاب، ولم نجد أمامنا — منذ البداية — إذا استبعدنا فكرة تحقيق الكتاب تحقيقاً علميّاً سليماً، وتعقّب أوهام طابعيه، إلاّ أن نحاول تتبّع نقول السيوطيّ في مصادرها؛ فتبيّن لنا — بصورة واضحة — أنّ هذه النقول أكثر ما تكون صحّة ومطابقة لأصولها — في نسخة شيخ الإسلام ٥٦ لغة، فاتخذنا من ذلك دليلاً على أنّ ما نعتمد عليه هو الصحيح؛ فعوّلنا عليه.

ولئن كانت الطبعات الثلاث الأولى للكتاب: الأميريّة، والسعادة، وصبيح — مليئة بالتصحيف والتحريف والتشويه؛ فشفيعها في ذلك أنّها — على مطلع نهضتنا العلميّة — أدّت خدمة، وأتاحت لطلبة العلم في أماكن متعدّدة أن تفيد من الكتاب، وإن لم يكن فيها أيّ أثر للتحقيق، وقد أصبحت هذه الطبعات الثلاث الآن — لقدمها — نادرة عزيزة المنال.

أمّا الطبعة الأخيرة التي قام بها الأساتذة الفضلاء؛ فقد اجتهدوا في تقويم المعوجّ فيها وإصلاح الخطأ، وحاولوا أن يخرجوا الكتاب إخراجاً سليماً، ولكنّهم لم يوفّقوا لاستيفاء شرائط التحقيق في عملهم بهذه الطبعة، ولم يتجاوزوا الطبعات السابقة كثيراً فيما حقّقوه من إصابات، وما أصابوه من تحقيقات.

ومعلوم أنّ من يتصدّى لتحقيق كتاب ما — لابدّ، إلى جانب بصره بالموضوع، أن يعدّ العدّة لاستيفاء شرائط التحقيق فيه؛ في النواحي التالية: عنوان الكتاب، واسم المؤلّف، ونسبة الكتاب إلى مؤلّفه، ومتن الكتاب — باستخدام كلّ نسخه التي في المكتبات، ومقابلة الثانويّة منها على الأصل بالتدقيق، حتى يظهر الكتاب مطابقاً لنصّ مؤلّفه أو مقارباً — على أقلّ تقدير.

حقّاً، إنّه لا يمكن — بوجه قاطع — أن يعثر على جميع نسخ الكتاب الخطيّة، ولكن على الدارس أن يديم البحث عنها حتى يغلب على ظنّه أنّه قد حصل على قدر كافٍ مما يريد، يمكّنه من إخراج الكتاب كما وضعه مؤلّفه، وهو أمر غاية في الأهمّيّة، كما هو غاية في الصعوبة؛ ولذلك قال الأستاذ عبد السلام هارون في كتابه "تحقيق النصوص ونشرها": "إنّ التحقيق نتاج خلقيّ، لا يقوى عليه إلاّ من وهب خلّتين شديدتين:

الأمانة والصبر ، وهما ماهما "[١] .

ولكن يبدو أنّ محققي " المزهر " لا يريدون أن يلتزموا بهذه الشرائط المطلوبة في التحقيق أصلاً ؛ فلا تحقيق لعنوان الكتاب ، ولا لاسم المؤلّف ، ولا لنسبة الكتاب إليه ، ولا لمتنه ، ولم يعتمدوا على أيّ نسخة خطيّة أثناء عملهم بتحقيق نصوصه[٢] ، ولم يرجعوا إلى المصادر التي نقل السيوطيّ عنها إلاّ لماماً[٣] ، وإنّما كانوا يعمدون — في الغالب — إلى مقابلة الطبعات الثلاث السابقة إحداها على الأخرى[٤] ، ويبيحون لأنفسهم التصحيح والزيادة على المتن[٥] ، وينبّهون القارئ إلى مالم يوفّقوا لتحقيقه أو يهتدوا إلى حقيقته[٦] ، ويتعلّلون بأنّ السيوطيّ " كان — أحياناً — يبتر العبارة أو يختصر المطوّل ، فيستبهم الغرض ، ويدقّ المعنى المراد ؛ لذلك كنّا — عند الحاجة — نكمل مانقله المؤلّف بكلمات أو عبارات توضّح المعنى أو تكمله ، ونضعها بين قوسين هكذا [ ] ، أمّا إذا رأيناه قد أهمل كثيراً ممّا يستحقّ الرجوع إليه فنكتفي بالتنبيه إلى ذلك ، ونشير على القارئ أن يرجع إلى الكتاب الآخر إن أراد "[٧] .

هذا الصنيع يجانب — ولا شكّ — الصواب ؛ إنّهم حين يجدون بتراً في العبارة ، أو اختصاراً في المطوّل ، أو استبهاماً في الغرض ، يتركون النسخ الخطيّة للمزهر ، فلا يرجعون إليها ، وهو من عملهم في التحقيق ، ويعودون — أحياناً — إلى الكتب التي نقل السيوطيّ عنها ، ويوازنون بين مافي " المزهر " في طبعاته السابقة — وكتب اللّغة المطبوعة ؛ كأنّ " المزهر " المطبوع من آيات التنزيل .

وأعجب من هذا ، أنّهم يعلّلون تصرّفهم هذا بقولهم : " ولمّا عزمنا على طبع هذا الكتاب رجعنا إلى الثلاث الطبعات[٨] ؛ فوجدناها جميعاً صورة واحدة ، لا تخلف واحدة عن الأخرى "[٩] ، ويقولون : " رجعنا إلى دار الكتب نرجو إطلاعنا على نسخ

---

(١) ص ٤٤ .
(٢) انظر : المقدّمة : ص ب .
(٣) نفسه .
(٤) انظر مثلاً : ١/ ١ ، ٥ ، ٩ ، ١٧ ، ٣٦ ، ٦٨ ، ١٠٧ ، ١٣٣ ، ١٨٢ ، ٢٠١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٩ .
(٥) انظر مثلاً : ١/ ٦٢ ، ٣١٥ ، ٣٧٠ ، ٣٧٧ ، ٣٩٧ ، ٤٠٤ ، ٤٨٤ .
(٦) انظر مثلاً : ١/ ١٠٥ ، ٢٢٥ ، ٣٠٥ ، ٤٠٨ ، ٤٨٥ .
(٧) ص ب .
(٨) يريدون : الطبعة الأميريّة وطبعة السعادة وطبعة صبيح .
(٩) ص ب .

الكتاب المخطوطة، فأجابنا الثقات فيها أنّ المطبوعة الأميريّة لا تختلف في حرف واحد عن النسخ المخطوطة من الكتاب "[1].

وبقطع النظر عمّا في هذه المقالة من مبالغة ؛ فقد كان على المحقّقين ، وقد وجدوا بتراً في العبارة واختصاراً في المطوّل واستبهاماً في الغرض ، أن يستشعروا الحاجة إلى تحقيق المتن ـ بالوقوف على ما في نسخه الخطيّة من أوجه الاتفاق والافتراق ؛ فإنّ الطريقة الوحيدة للتثبّت من صحّة نصّ في مخطوطة ما هي معارضة المخطوطة المراد التحقّق من صحّة نصّ فيها بمخطوطة أو مخطوطات أخرى من نوعها معارضة دقيقة ؛ وهو أمر معروف .

قال الأستاذ عبد السلام هارون في كتابه " تحقيق النصوص ونشرها " : " ليس تحقيق المتن تحسيناً أو تصحيحاً ؛ وإنّما هو أمانة الأداء التي تقتضيها أمانة التاريخ ، فإنّ متن الكتاب حكم على المؤلّف ، وحكم على عصره وبيئته ؛ وهي اعتبارات تاريخيّة لها حرمتها ؛ كما أنّ ذلك الضرب من التصرّف عدوان على حقّ المؤلّف الذي له ـ وحده ـ حقّ التبديل والتغيير "[2] .

ولمّا كان لكلّ ناسخ طريقة خاصّة في الكتابة تستدعي خبرة خاصّة ، وكان لكلّ مؤلّف أسلوبه الخاصّ وعباراته التي يردّدها ، ولوازمه التي تدور في كلامه ، تعيّن على من تجرّد لتحقيق كتبه أن يقرأ كتبه في أصولها الخطيّة الأولى، حتى يعايش صور كتابتها ، ويخبر الاتجاه الأسلوبيّ للمؤلّف ؛ وهذا ما نفتقده في تحقيق الأساتذة الأفاضل الذين صرّحوا ـ نتيجة لذلك ـ بقولهم : " أمّا مالم نهتد إلى ضبطه من الألفاظ ، ومالم نستطع تحريره من العبارات ـ وهو قليل ـ فقد أشرنا إليه في ذيل الصفحات ، ولعلّنا نهتدي ـ بعد ـ إلى جلاء ما أشكل علينا أمره ، وكشف ماطمست الأيام معالمه "[3].

وبالجملة ؛ فإنّ كتاب " المزهر " المتداول بين أيدينا ـ الآن ـ في طبعته المحقّقة وغير المحقّقة ـ على السواء ـ ليس صالحاً لمراجعة الباحثين ، ولا قابلاً للاعتماد عليه ؛ لأنّ نصوصه مضطربة ، فيها شيء غير قليل من التحريف والزيادة والبتر ، ويحتاج إلى إعادة تحقيق من إنسان اكتملت لديه أدواته ؛ بحيث جعل هدفه ـ أولاً ـ أداء الأمانة العلميّة في تحيص نصوص الكتاب وتوثيقها ، لا الربح المادي فحسب ، وهذا يقتضيه جمع أقصى مايمكنه جمعه من المخطوطات ، ثم معايشتها وقراءتها ،

---

(١) ص ب .
(٢) ص ٤٤ .
(٣) ص ج .

حتىٰ يتمكّن - عند التحقيق - من إقامة نصوصه ، علىٰ الوجه الذي آبتغاه المؤلّف ،

ولا بأس - الآن - أن نأتي علىٰ نماذج من النصوص في نسخة شيخ الإسلام ٥٦ لغة ، ونعارضها بما في النسخة المحقّقة ، علىٰ ترتيب صفحات الكتاب نفسه :

* في النسخة ٥٦ لغة " آختلفت أقلام ذوي اللّغات ، كما آختلفت أنفس الأصوات المرتّبة ... "[١] ؛ كما في أصل هذا النصّ بالخصائص .[٢]

وفي المطبوع المحقّق : " آختلفت أقلام ذوي اللّغات ، كما آختلفت ألسن الأصوات المرتبة ... "[٣] ؛ وليست هناك أدنىٰ إشارة إلىٰ هذا الآختلاف في النصّين .

* في النسخة ٥٦ لغة " قال آبن نوفل : سمعت أبي يقول لأبي عمرو بن العلاء : أخبرني عمّا وضعت ممّا سمّيت عربيّة أيدخل في كلام العرب كلّه "[٤] .

وفي المطبوع المحقّق " قال آبن نوفل : سمعت أبي يقول لأبي عمرو بن العلاء : أخبرني عمّا وضعت ممّا سمّيت عربيّة أيدخل فيه كلام العرب كلّه "[٥] .

* في النسخة ٥٦ لغة " وممّا جاء مفتوحاً والعامّة تضمّه : علىٰ فلان قبول ، والمصوص ... "[٦] ؛ كما في أصل هذا النصّ بأدب الكاتب .[٧]

وفي المطبوع المحقّق ذكر المحقّقون في الهامش أنّ " في الأصل : الخصوص ، والتصحيح من أدب الكاتب "[٨] !

* في النسخة ٥٦ لغة " أخبرنا غير واحد من أصحابنا عن أبي محمد بن السيّد البطليوسيّ عن أخيه أبي الحسن الطليوسيّ عن أبي عبد اللّه الحجازيّ "[٩] .

وفي المطبوع المحقّق " أخبرنا غير واحد من أصحابنا عن أبي محمد بن السيّد الطليوسيّ عن أخيه أبي عبد اللّه الحجازيّ "[١٠] ؛ ولم يشر المحقّقون الثلاثة إلىٰ أنّ في هذه العبارة سقطاً ، مع أنّه ظاهر ، فأبو عبد اللّه الحجازيّ ليس أخاً للبطليوسيّ !

---

(١) ق ٣/أ .
(٢) ١/٤٦ .
(٣) ١/١٣ .
(٤) ق ٣٧/أ .
(٥) ١/١٨٤ .
(٦) ق ٦٣/أ .
(٧) ص ٢٢٢ .
(٨) ١/٣١٦ .
(٩) ق ٣٦/ب .
(١٠) ١/١٧٢ .

* في النسخة ٥٦ لغة " وبالجملة ـ فإنّه لم يؤخذ عن حضريّ قطّ . . . ولا من تغلب والنمر ؛ فإنّهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ، ولا من بكر لمجاورتهم للنبط والفرس . . . "(١)

وفي المطبوع المحقّق " وبالجملة ـ فإنّه لم يؤخذ عن حضريّ قطّ . . . ولا من تغلب وليمن ؛ فإنّهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ، ولا من بكر لمجاورتهم للقبط والفرس . . . "(٢) ؛ ولم يشر المحقّقون إلىٰ أنّ في هذه العبارة تحريفين ؛ مع أنّهما ظاهران ؛ فاليمن لا تجاور اليونان ، وبكر لا تجاور القبط والفرس .!

* وفي النسخة ٥٦ لغة " قول العامّة : غَوِيَ يَغْوَىٰ ـ علىٰ وزن جهل يجهل خطأ ، أو لغة رديئة "(٣) .

وفي المطبوع المحقّق " قول العامّة : نحوي لغوي ـ علىٰ وزن جهل يجهل خطأ ، أو لغة رديئة "(٤) ؛ وردّد المحقّقون في الهامش قولهم " لم نقف علىٰ ضبط هذه العبارة " .!

* في النسخة ٥٦ لغة " شتّان مايومي علىٰ كورها ويوم حيّان أخي جابر "(٥) ؛ كما في أصل النصّ بإصلاح المنطق .(٦)

وفي المطبوع المحقّق " شتّان مانومي . . . "(٧) ؛ وأشار المحقّقون في الهامش إلىٰ أنّ رواية اللّسان هي " مايومي " .!

* في النسخة ٥٦ لغة " قال : واعلم أنّ أكثر اللّغة ـ مع تأمّله ـ مجاز لا حقيقة ؛ ألا ترىٰ أنّ نحو : قام زيد ـ معناه كان منه القيام ، وكيف يكون ذلك ، أي هذا الجنس من الفعل . . . "(٨) ؛ كما ورد في أصل النص بالخصائص .(٩)

وفي المطبوع المحقّق " . . . معناه كان منه القيام ؛ أي هذا الجنس من الفعل . . . "(١٠) .

* في النسخة ٥٦ لغة " وكيف يكون ذلك وهو جنس ؛ والجنس يطيق جميع الماضي وجميع الحاضر وجميع الآتي "(١١) ؛ كما في أصل النصّ بالخصائص(١٢) .

---

(١) ق ٩٠/أ .
(٢) ١/٢١٢ .
(٣) ق ٩٤/أ .
(٤) ١/٢٢٥ .
(٥) ق ٦٣/أ .
(٦) ص ٢٨٢ .
(٧) ١/٣١٩ .
(٨) ق ٧١/ب .
(٩) ٢/٤٤٨ .
(١٠) ١/٣٥٧ .
(١١) ق ٧٢/أ .
(١٢) ٢/٤٤٨ .

وفي المطبوع المحقّق " ... والجنس يطلق على جميع الماضي وجميع الحاضر وجميع الآتي ... "[1].

* في النسخة ٥٦ لغة " والقطاة: مقعد الرّدف والغرابان "[2] ؛ كما في أصل النصّ بالأمالي[3].

وفي المطبوع المحقّق " والقطاة : مقعد الرّدف - [خلف الفارس] والغرابان[4] "؛ وأشار المحقّقون في الهامش إلى أنّ هذه الزيادة التي وضعوها بين معقوفتين أضافوها هم من " الأمالي "، وبمعارضة النصّ في " الأمالي " بهذا المنقول منه في " المزهر " ، لم نجد هذه الزيادة التي أضافوها إلى النصّ ، وزعموا أنّهم ظفروا بها في " الأمالي " ؛ وليس هناك أدنى إشارة من ناشره إلى أنّ ثمة نسخة من نسخ الكتاب بها هذه الزيادة !.

* في النسخة ٥٦ لغة " والناهض : اللّحم الذي على أعلى العضد ، والخرب[5] ... "؛ كما في أصل النصّ بالأمالي[6].

وفي المطبوع المحقّق " والناهض : اللّحم الذي يلي العضدين من أعلاهما المجتمع ،والخرب ... "[7] ؛ وأشار المحقّقون في الهامش إلى أنّ " هذه عبارة الأمالي " ؛ في حين أنّ عبارة الأمالي هي " والناهض :اللّحم الذي على أعلى العضد ، والخرب " ؛ وهو يوافق مانقله السيوطيّ في " المزهر "!

* في النسخة ٥٦ لغة " والسّحاة : كلّ ما رقّ وهشّ من العظام ... "[8] ؛ كما في أصل النصّ بالأمالي[9].

وفي المطبوع المحقّق " والسّحاءة ... "[10] ؛ ثمّ أشار المحقّقون في الهامش إلى أنّه " هكذا في الأمالي " دون أن يعيّنوا الطبعة التي كانوا يعوّلون عليها ؛ ولم نجد مثل هذه الألفاظ في الطبعة التي بين أيدينا ؛ وهي طبعة الأستاذ عبدالجواد الأصمعي ؛ وفيها " السّحاة " هكذا[11]!

* في النسخة ٥٦ لغة " فأجيبوا عن هذا الذي ظنّوه ... "[12] ، كما في أصل

---

(١) ١/٣٥٨.
(٢) ق ٧٥/ب.
(٣) ٢/٢٥٢.
(٤) ١/٣٧٧.
(٥) ق ٧٥/ب.
(٦) ٢/٢٥٢.
(٧) ١/٣٧٧.
(٨) ق ٧٥/ب.
(٩) ٢/٢٥٢.
(١٠) ١/٣٧٧.
(١١) ٢/٢٥٢.
(١٢) ق ٨١/أ.

النصّ بأضداد ابن الأنباري[١] .

وفي هامش المطبوع المحقق " في الأصل : فأجابوا "[٢] ؛ وهم يعنون بالأصل الطبعة الأميريّة !

* في النسخة ٥٦ لغة " والعين مبدلة من الحاء ؛ كما قالوا : في عب قرّ — وهو البرد "[٣] ، كما في أصل النصّ بالصّاح .[٤]

وفي المطبوع المحقّق " . . . كما قالوا : حبقر في عبّ قرّ وهو البرد "[٥] .

وقس على هذه النماذج مثيلاتها من الكتاب ؛ فاستقصاؤها يحتاج إلى سفر مستقلّ ؛ أمّا الأخطاء العلميّة الأخرى في التحقيق ، فلابأس — أيضاً — أن نورد — فيما يلي — صوراً منها ؛ لمجرد البيان :

— قال المحقّقون في المقدّمة " ولما كان السيوطيّ قد نقل كتابه — كما أسلفنا — من كتب اللّغة ، فقد رجعنا في تصحيحه إلى ماعثرنا عليه من مراجعه الأصليّة أوّلاً ، ثمّ إلى المعجمات اللّغويّة ثانياً ، وصحّحنا مئات من الأخطاء التي كانت قد شوهت الكتاب " .

وهذا يوهم القارئ بأنّهم كانوا على جانب كبير من الدّقّة في عملهم ، وأنّ الكتاب الذي بين يديه أصبح خلواً من جميع هذه الأخطاء ، والحقّ أنّهم لم يرجعوا إلاّ إلى أقلّ القليل من هذه المراجع ؛ يدلّ على ذلك أنّهم كثيراً مايصرّحون بأنّهم لم يقفوا على ضبط عبارة أو كلمة ؛ من نحو قولهم " هكذا بالأصل ، ولم نقف على ضبطها "[٦] ؛ في حين أنّ السيوطيّ قد نصّ فيها على الكتب التي اقتبسها عنها ، وسهّل لهم طريق الرجوع إليها .

وهم إن رجعوا إلى شيء من هذه المراجع — لم يعيّنوا الصفحة والجزء والطبعة مما يفيد الباحث ويسهّل عليه طريق الرّجوع إليها[٧] ، وإنّما اكتفوا بقولهم مثلاً : " زيادة من الأمالي " أو بقولهم " هكذا في الأصل ، وفي العقد ونهاية الأرب[٨] . . . "

---

(١) ص ٢ .
(٢) ١/٣٩٧ .
(٣) ق ١٠١/أ .
(٤) ٢/٩٣٨ .
(٥) ١/٤٨٤ .
(٦) أنظر : ١/٣٠٥ ، وقد نصّ السيوطيّ على أنّه نقل هذا النصّ من " الجمهرة " ، وهناك أمثلة أخرى شبيهة بهذا ، طالعها — إن شئت — في الكتاب : ١/١٠٥ ، ٢٢٥ ، ٤٠٨ ، ٤٨٥ ، ٢/٧ ، ٣ ، ١٠٠٠ .
(٧) أنظر مثلاً : ١/٥ ، ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٥ ، ٣٤ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٨ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٠٠ .
(٨) ١/٣٧٨ .

وأعجب من هذا أنّك لا تجد فهرساً — في آخر الكتاب — للمراجع التي أحالوا عليها في تحقيق الكتاب ؛ يسجّلون فيه معلومات وافية عنها ، كأنّ عليك أن تشقى في البحث عن الكلمة أو العبارة في كلّ كتاب " الأمالي " ، أو " العقد الفريد " ، أو " نهاية الأرب " ، حتى تعثر على الكلمة أو العبارة التي تريد أن تقف عليها .

— في كثير من الأحيان ، هم لا يعودون إلى المراجع الأصليّة للسيوطيّ ؛ ليعارضوا نصوص " المزهر " بمراجعه ، ويذكروا ما يقعون عليه من خلاف بينهما ، أو ليصوّبوا عبارة من العبارات التي وردت في إحدى الطبعات الثلاث من الكتاب محرّفة أو مصحّفة كما نصّوا على التزام ذلك في المقدّمة ، [(١)] وهم ، في كثير من الأحيان ، أيضاً لا يتركون النصوص كما وردت في الطبعات الثلاث السابقة ، ليبقوها على أصلها أو ما يشبه أصلها ؛ صيانة لحرمتها ، وإنّما يلجئون إلى التزيّد فيها بما يقترحون ويجتهدون ؛ وهو اجتراء واضح على الكتاب ، لم نعهده — من قبل — في أيّ كتاب من كتب التراث المحقّق .

ومثاله ما جاء في متن الكتاب : " فليس القياس الشرعيّ كالقياس اللّغويّ في المعنى ، وإن تمسّكوا بأنّ القياس يجري في المصادر ، نحو : ضرب يضرب ضرباً ، وأكل يأكل أكلاً " ، فلسنا نسلّم أنّ [اللّغة] تثبت بالقياس ؛ وإنّما تثبت نقلاً عن العرب " [(٢)] ؛ فقد أشار المحقّقون في الهامش إلى أنّ [اللّغة] هذه الكلمة التي عمدوا إلى وضعها بين معقوفتين كبيرتين إنّما وضعوها للدّلالة على أنّها مزيدة من عندهم " زيادة يقتضيها السياق " [(٣)] !

وحين عدنا إلى نسخة المدينة الخطيّة للكتاب ٥٦ لغة — وجدنا هذه العبارة منقولة من نصّ طويل لأبي الفتح بن برهان في كتاب الوصول إلى الأصول — كما نصّ على ذلك السيوطيّ نفسه [(٤)] ؛ ووردت فيها كما يلي : " فليس القياس الشرعيّ كالقياس اللّغويّ في المعنى ، وإن تمسّكوا بأنّ القياس يجري في المصادر ؛ نحو : ضرب يضرب ضرباً ، وأكل يأكل أكلاً ، فلسنا نسلّم أنّه يثبت بالقياس ، وإنّما يثبت نقلاً عن العرب " [(٥)]

---

(١) ١/ب .
(٢) ١/٦٢ .
(٣) وقد وردت هذه العبارة " زيادة يقتضيها السياق " تعقيباً على مثل هذا الاجتراء على نصوص الكتاب — غير مرّة في الهوامش ، انظر مثلاً : ١/١٨ ، ٦٢ ، ٢٢٥ ، ٢٦٥ ، ٢/٤٠٦ ... .
(٤) ق١٢/أ .
(٥) ق١٣/ب .

— وذكر المحقّقون في المقدّمة أنّهم اعتمدوا ، في تحقيق الكتاب ، على طبعاته الثلاث : الأميريّة ، والسعادة ، وصبيح — لأنّ الثقات في دار الكتب قالوا لهم إنّ المطبوع من " المزهر " لا يختلف في حرف واحد عن النسخ الخطيّة للكتاب في الدّار .

وكان ينبغي ، بعد ذلك ، عند معارضة طبعة منها بأخرى أن يشير المحقّقون إلى هذه الطبعات بتعيينها وتحديد مكانها ؛ لتسهيل سبيل الرجوع إليها على القارئ ؛ فيقولون مثلاً : " هكذا وردت في الطبعة الأميريّة ج كذا / ص كذا ، وأمّا في طبعة صبيح ج كذا / ص كذا فقد وردت . . . " بدلاً من التمويه في إحالاتهم على النسخ المطبوعة التي رجعوا إليها للكتاب ، بما يشعر القارئ بأنّهم عادوا إلى شيء من النسخ الخطيّة للكتاب ؛ وهو مالم يفعلوه ، وذكروه صراحة في مقدّمة التحقيق .

فهم يقولون — عادة " كذا في جميع النسخ " أو " في بعض النسخ كذا " أو " هكذا في كلّ الأصول " أو " زيادة في الأصل " أو " زيادة في بعض النسخ "[1] إلى غير ذلك من التعبيرات التي توحي بأنّ ثمة نسخاً خطيّة اعتمدوا عليها في نشر الكتاب .

— هناك عناوين جانبيّة لم يلتزم بوضعها المحقّقون في رأس كلّ موضوع ؛ على نحو مافعل الأستاذ عبد السلام هارون في كتاب " الحيوان " مثلاً — لطول الموضوع ، وتداخل بعضه في بعض ، دون أن يفصل بينهما عنوان للمؤلّف .

وهم حين يضعون هذه العناوين،لا يلتزمون — غالباً — الدّقة في اختيار الألفاظ المناسبة[2] ؛ بل قد يخطئون — أحياناً — في وضع بعضها أيضاً .

خذ ، مثلاً ، هذا النصّ : " ممّا يخفّف والعامّة تشدّده : الرباعية — للسنّ التي بين التثنية والناب ، والكراهية ، والرفاهية ، والطواعية . . . "[3] ، تجد المحقّقين قد وضعوا له عنواناً في جانب الصفحة الأيسر يقول : " مما تخفّفه العامّة "[4] ،

---

(١) طالع مثل هذه العبارات للمحققين — ان شئت — في الهوامش : ١/ ١، ٥، ٩، ١٧، ٣٦، ٦٨، ١٠٧، ١٣٣، ١٨٢، ٢٠١، ٢٧٢، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٩٦، ٣٠١، ٣٠٥، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٦، ٣١٩، ٣٢٥، ٣٢٧، ٣٣٦، ٣٤٠، ٣٤٣، ٣٥٦، ٣٧٠، ٣٧٤، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٩٠، ٣٩٤، ٣٩٧، ٣٩٨، ٤٠٠، ٤٠٠ .

(٢) انظر مثلا : ١/ ٣١٢، ٣٢٥، ٣٣١، ٣٥٦ .

(٣) ١/ ٣١٣ .

(٤) نفسه .

وهذا غير صحيح ؛ لأنّ العامّة إنّما تشدّد مثل هذه العبارات : الرباعية ، والكراهية ، والرفاهية ، والطواعية ؛ وهي في الأصل مخفّفة ؛ كما هو واضح من النصّ المتقدّم .

وخذ ، أيضاً ، هذا النصّ : " قال ابن درستويه في شرح الفصيح — وقد ذكر لفظة : وجد — واختلاف معانيها : هذه اللّفظة من أقوى حجج من يزعم أنّ من كلام العرب ما يتفق لفظه ويختلف معناه ؛ لأنّ سيبويه ذكره في أوّل كتابه ، وجعله من الأصول المتقدّمة ؛ فظنّ من لم يتأمّل المعاني ، ولم يتحقّق الحقائق أنّ هذا لفظ واحد قد جاء لمعانٍ مختلفة ، وإنّما هذه المعاني كلّها شيء واحد ؛ وهو إصابة الشيء خيراً كان أو شرّاً ... " (١) ؛ تجد المحقّقين قد وضعوا له هذا العنوان المجافي لمضمون هذا النصّ " من أقوى الحجج على وجود المشترك " (٢) ، ولو أنّهم تأمّلوا قليلاً في منهج السيوطيّ في عرض هذه القضيّة ، وعرفوا أنّه بدأ بتعريف المشترك أوّلاً ، ثمّ أعقبه بإيراد أمثلة منه ، ومن ثمّ أخذ في اختلاف الناس فيه بين قائل بإمكان وجوده ، وقائل بوجوب وقوعه ، وقائل بعدم وجوده ، وتوفّروا على قراءة النصّ المتقدّم بإمعان — لتبيّن لهم أنّ السيوطيّ كان يستعرض فيه رأي أحد المغالين في إنكار المشترك ، وهو ابن درستويه ، ومن ثمّ وضعوا له — مثلاً — هذا العنوان " المغالون في إنكار المشترك " بدلاً من " من أقوى الحجج على وجود المشترك " !

وممّا تقدّم يتبيّن للقارئ أنّ المحقّقين لم ينتفعوا بما سردوه في آخر الجزء الثاني في " فهرس الكتب التي نقل عنها المؤلّف " مع أماكن وجودها في الكتاب (٣) ، لأنّهم هم أنفسهم لم يعودوا كثيراً إلى هذه الكتب لتوثيق النصوص الواردة في " المزهر " ؛ فيزداد قيمة ويقرب منالاً ، ولكن ذلك كان ضرباً من التخييل على القارئ العادي ليثق بدراستهم النصوص دراسة موثّقة كاملة ، بيد أنّ النصوص المطبوعة أمامنا تشهد عليهم بخلاف ذلك ، لأنّ تحقيقهم — للأسف — جاء مستكملاً لأنواع التساهل والعجلة والتحريف .

فأنت حين تنظر إلى أسفل صفحات الكتاب تجد الهوامش تملأ مساحة كبيرة من الكتاب نفسه ، ولكن في غير ما فائدة تعود عليك ؛ تبحث لعلّك تعثر على تثبيت خلاف وارد بين النسخ الخطيّة للكتاب ، أو تعليق يشير إلى تصويب بعض ذلك أو خفائه ، أو تتبّع دقيق للمراجع الأصليّة للكتاب ما كان منها مطبوعاً أو مخطوطاً ، أو إقامة للنصوص الواردة في الكتاب على الوجه الصحيح إقامة أمينة ، أو إحالة صحيحة ودقيقة للمراجع التي عادوا إليها بذكر الكتاب ومؤلّفه والجزء والصفحة ، فلن تجد شيئاً على الإطلاق من التحقيق العلميّ

---

(١) ١/٣٨٤ . (٢) نفسه .

(٣) بلغت الكتب التي نقل عنها المؤلّف — حسب إحصائيّة المحقّقين — سبعة وسبعين كتاباً .

الذي يؤدّي إلىٰ صحّة الكتاب والاطمئنان إلىٰ متنه .

وأخيراً ،فإنّي أرجو أن تكون ملحوظاتي سائغة مقبولة لدىٰ المحقّقين الأفاضل ، والخطأ في معالجة النصوص أمر مشترك بين العلماء جميعاً ؛ لا إثم ولا حوب، ولكنّ الإثم والحوب في كتمان خطئهم حين يخطئون ، والتستر عليهم حين يقصّرون في أداء الأمانة ؛ لأنّ التقصير هنا في حقّ أسلافنا من صانعي الثقافة الإسلاميّة ، والسكوت عنه معناه ـ بالضرورة ـ الرضا عن كلّ عمل يؤدّي إلىٰ التهوين من شأن هذا التّراث الخالد الذي نقف منه جميعاً موقف الإجلال والإكبار ، ونتطلّع ـ بحبّ كبير ـ إلى النهوض بعبء نشره وتجليته ؛ ليكون ذلك وفاءً لعلمائنا ، ووفاءً لأنفسنا .

هذا ؛ ونحن قد هدفنا من وراء هذا التمثيل ، وتعقّب بعض الأوهام إلىٰ بيان أنّ الاعتماد علىٰ النسخ المطبوعة قد يجرّ الباحث إلىٰ إصدار أحكام خاطئة علىٰ السيوطيّ ، لأنّ الناشرين ينسبون إليه من الأقوال مالم يقله ، ومن النقول مالم يصحّ عنه ـ ولولا أنّ الموضوع الذي نعالجه ليس "المزهر" وحده ـ لاستقصينا كلّ ماورد في النسخ المطبوعة من أوهام وزلل ، وبرّأنا ساحة السيوطيّ مما نسب إليه من تغليط، أداءً لأمانة العلم ، ومشاركة في إحقاقه .

الفصل الثالث

ديوان الحيوان وذيله

أولا ـ مواد الكتاب :

بنى السيوطيّ كتابه " ديوان الحيوان " على : مقدّمة ، وثمانية وعشرين باباً ـ بعدد حروف المعجم وترتيبها ، وخاتمة .

نصّ في المقدّمة ـ كعادته ـ على المصادر التي اعتمد عليها في تصنيفه هذا الكتاب ، فذكر أنّ أوّلها هو " كتاب حياة الحيوان "[1] ـ للإمام كمال الدّين الدّميريّ ـ رحمه الله ـ حذفت من حشوه كثيراً ، وعوّضت فيه أمرين : أحدهما ـ زيادة فائدة في الحيوان الذي ذكره : لغويّة ، أو أثريّة ، أو أدبيّة ، والثاني ـ ذكر ما ساقه من الحيوان ملتقطاً لذلك من كتب اللّغة الحاضرة ـ عندي ـ كالغريب المصنّف[2] ـ لأبي عبيد ، والجمهرة[3] ـ لابن دريد ، وديوان الأدب[4] ـ للفارابيّ ، والصّحاح[5] ـ للجوهريّ ـ والمجمل[6] ـ لابن فارس ، ومختصر العين[7] ـ للزّبيديّ ، والقاموس المحيط[8] ـ للفيروزأبادي ، وكتاب الطير[9] ـ للنّضر بن شميل ، وكتاب الطير[10] ـ لأبي حاتم السجستانيّ ، وغير ذلك "[11] .

ثم ذكر أنّه ذيّل الكتاب " بالقسم الثاني ، وهو : الحيوانات التي زدتها مسرودة على حدتها ، مرتبة على حروف المعجم ، مفردة بخطبة وآسم ـ ليكون كتاباً على حدة ، يكتبه من أراد الاقتصار على كتابته من عنده الأصل مسمّى بذيل الحيوان "[12] .

---

(١) طبع عدّة طبعات ، إحداها بمطبعة البابي الحلبي بالقاهرة سنة ١٩٦٩م .

(٢) لا يزال مخطوطاً ، ومنه نسخة خطيّة جيدة في المكتبة المحموديّة بالمدينة المنورة برقم ٩ لغة .

(٣) طبعت في حيد آباد بالهند سنة ١٣٤٤هـ ـ ١٣٥٢هـ بتحقيق الشيخ محمد السورتي والمستشرق الألماني سالم كرنكو .

(٤) لا يزال مخطوطاً ، ومنه نسخة خطيّة جيدة في المكتبة المحموديّة بالمدينة المنورة برقم ٧ أدب و٢٤ لغة .

(٥) نشره الأستاذ أحمد عبد الغفور عطّار في دار الكتاب العربي بالقاهرة سنة ١٩٥٦م .

(٦) نشر الأستاذ محمد محي الدّين عبد الحميد الجزء الأوّل منه في مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٤٧م .

(٧) منه نسخة خطيّة بدار الكتب المصريّة برقم ٣٨٦ لغة ، وأخرى بالتيموريّة برقم ٨ لغة ، وقد وصل إلينا علمنا أنّ الأستاذين المرحوم علّال الفاسي ومحمد الطنجي ، من علماء المغرب ، كانا يشرعان بنشر الكتاب ، وأنّهما أظهرا منه قطعة سنة ١٩٦٢م .

(٨) طبع عدّة طبعات ، إحداها بمطبعة البابي الحلبي بالقاهرة سنة ١٩٥٢م .

(٩) و(١٠) لا يزالان مخطوطين .

(١١) و ٢/أ .

(١٢) نفسه .

ويتضح من مقدّمة هذا الكتاب أنّ السيوطيّ أراد ـ كعادته ـ أن يلمّ فيه شمل التأليف في الحيوان ، ويجمع أجناسه المختلفة ، وأسماءه وصفاته ، وأعضاءه ، وما تعلّق به من آلات وأدواء ، وغير ذلك ، وينسّقها ؛ فطاف على كتب اللّغة المختلفة ، والرّسائل اللّغويّة الصّغيرة ، التي تناولت طائفة من الحيوانات ، والتقط منها كلّ ما يراه نافعاً ومنسجماً مع موضوع الكتاب .

كذلك يتضح من مقدّمة الكتاب أنّ السيوطيّ أراد أن يقتفي أثر الدّميريّ في كتابه " حياة الحيوان " في خطّة بحثه التي يروم انتهاجها ، ويتتبعه بالنقل والإفادة ، ويستدرك عليه بالحذف والإضافة ، فجاء نقله من الكتاب نقلاً غزيراً ، وجاءت إضافاته تنيف على أصول الكتاب بنحو الضّعف ، وكانت طريقته في سرد الأصول والزيادات هي أن يبدأ ، أوّلاً ، بالقسم الذي ذكره الدّميريّ ممزوجاً بزياداته التي يميّزها ـ عادة ـ بكلمة " قلت " .

أمّا ذيل الكتاب فيفهم من كلامه أنّه أفرده ليدلّ به على ثاقب رأيه وصائب فكره ؛ لأنّه يحتوي على ما أبدعه وجادت به قريحته في هذا النوع من التصنيف .

واتبع السيوطيّ ، في ترتيب موادّ الكتاب ، طريقة ترتيب أصول الكلمات حسب حروف المعجم ، مع مراعاة أوائل هذه الأصول ؛ فبدأ بالباب الأوّل ، وهو باب الهمزة ، وذكر أنّ " الأسد : أشرف الحيوان المتوحّش ، لأنّه منزل منها منزلة الملك ، وجمعه : أُسُود ، وأُسْد ، وآسُد ، وآسَاد ، قلت : وأُسْدان وأُسَدَة ، والأنثى : أَسَدَة ، قال ابن خالويه : له خمسمائة اسم وصفة ، وزاد عليه ابن القطّاع مائة وثلاثين اسماً ؛ فمنها : أُسَامَة ، والبَيْهَس ، والنّاج ، والجُحْدُب ، والحَارِث ، وحَيْدَرَة ، والنَّوْكَس ، والدّيْباك ، وزُفَرَة ، والسَّبُع ، والصَّعْب ، والضِّرْغام ، والضَّيْغَم ، والطَّيْثَار ، والعَنْبَس ، والغَضَنْفَر ، والفَرافِصَة ، والعَشُورَة ، والكَهْمَس ، واللّيث ، والمُسْتأْنِس ، والنَّهّات ، والهِرْماس ، والوَرْد . وكناه : أبو الأبْطَال ، وأبو الأخْيَاس ، وأبو حَفْص ، وأبو الزعفران ، وأبو نُفَيْل ، وأبو العَبّاس ، وأبو نُوَاس . . . " (١) .

ثمّ سرد بقيّة كناه ، وألقابه ، وصفاته ، وأخلاقه ، وأعضائه ، وما تعلّق به من نكات وفوائد ، حتى إذا أتى عليها جميعاً ، انتقل إلى الكلام عن " الإبل " ، ثمّ " الأبابيل " ، ثمّ " الأتان " ، ثمّ " الأحْقَب " ، ثمّ " الأخْطَب " ، ثمّ " الأخْيَطِر " ، ثمّ " الأخْيَل " ، ثمّ " الأرْبَد " ، ثمّ " الأرْقَم " ، ثمّ " الأرْنَب " ، ثمّ " الإفَال " ، ثمّ " الإوَز " ،

---

(١) ق/٢/أ ـ ب .

ثمّ " الأوْس " ، ثمّ " الأيْل ".

ثمّ انتقل إلى الباب الثاني ؛ وهو باب الباء ؛ وبدأه بالبَازِيّ ، ثمّ " البَيْدَق " ، ثمّ " العَفْص " ، ثمّ " البَاشَق " ، ثمّ " البَاقِعَة " ، ثمّ " البُرْغُوث " ، ثمّ " البُرْقَان " ، ثمّ " البَرَكَة " ، ثمّ " البَطّ " ، ثمّ " البَعُوضَة " ، ثمّ " البَعِير " ، ثمّ " البِغَاث " ، ثمّ " البَغْل " ، ثمّ " البَقَر " ؛ وهكذا إلى آخر الكتاب [1].

على أنّ كتاب " ديوان الحيوان " يضمّ بين دفّتيه الرّسائل التسع التالية — على ترتيب الكتاب نفسه :

١ — نظام اللّسَد في أسامي الأسَد (ق ٢ — ق ١١).
٢ — الطُّرْثُوث في فوائد البُرْغُوث (ق ٣٠ — ٣٣).
٣ — طوق الحمامة (ق ٨٢ — ق ٩١).
٤ — جرّ الذّيل في علم الخيل (ق ١٠٦ — ق ١٢٣).
٥ — الوديك في فضل الدّيك (ق ١٤٤ — ق ١٥١).
٦ — التّهذيب في أسماء الذّيب (ق ١٥٤ — ق ١٦١).
٧ — نظام البِلّوْر في أسامي السِّنَّوْر (ق ١٧١ — ق ١٧٨).
٨ — بلوغ المآرب في أخبار العقارب (ق ١٩٧ — ق ٢٠٦).
٩ — التبرّي من معرّة المعرّي (ق ٢٣٦ — ٢٣٧).

وليس بعيداً أن يكون السيوطيّ قد ألّف هذه الرّسائل المتفرّقة في بعض أجناس الحيوان ، في وقت متقدّم ، ثمّ حين فكّر في وضع كتاب واسع في عموم أجناس الحيوان تلقّف هذه الرسائل — فيما تلقّفه من الكتب السابقة له ولغيره — فوضع كلاًّ منها في المكان المناسب ؛ فجاءت رسالته " نظام اللّسَد في أسامي الأسد "، آخر مادّة " الأسد " ، في باب الهمزة ، ورسالته " الطُّرْثُوث في فوائد البُرْغُوث " ، آخر مادّة " البُرْغُوث " في باب الباء ؛ وهكذا .

يدلّ على ذلك عبارة السيوطيّ نفسه في تقديم كلّ رسالة من هذه الرسائل [2] ، ففي باب الذال ، مثلاً ، كان يتناول الحيوانات التي تبدأ بحرف الذال ، حتى إذا أتى على " الذّيب " قال : " الذّيب : بالهمز وتركه ، ذويبة . والجمع : أذْؤُب ، وذِئَاب ، وذُؤْبَان . وله أسماء وكنى ، وقد ألّف الكمال أبو البركات ابن الأنباري كتاب : قبسة

---

(١) عدد أوراق الكتاب في نسخة شيخ الإسلام ١٧ لغة مائتان وسبعون ورقة ، ويتراوح عدد أوراق كلّ باب من أبواب الكتاب الثمانية والعشرين بين خمس وعشرين وعشرورقات.

(٢) وقد ذكر السيوطيّ رسائله هذه في "فهرس مؤلّفاته" على أنّ كلاًّ منها مؤلّف مستقلّ ، انظر : ق ٦/أ ، ق ٤/أ ، ٣/أ ، ٤/أ ، ٣/أ ، ٦/أ ، ٣/ب ، ٦/ب.

الأديب في أسماء الذيب [(١)] ، ولم أقف عليه ، وتتبّعتها من كتب اللّغة ، فبلغت مائة وثلاثين اسمًا ، وجمعتها في مؤلّف ؛ وهو هذا . بسم اللّه الرحمن الرحيم. الحمد للّه وسلام علىٰ عباده الذين اصطفىٰ ، وبعد فهذا جزء سمّيته : التهذيب في أسماء الذيب . وهو : الأهوس ، الأرشح ، الأزل . . . " [(٢)] .

وقد جاءت موادّ هذه الرسائل مرتّبة بحسب حروف المعجم ؛ أوّلها باب الهمزة ، وآخرها باب الألف اللّيّنة ، مع مراعاة الحروف الثواني والثوالث في كلّ مادّة ، كما بيّنا في كلامنا عنها في " آثار السيوطيّ المخطوطة " [(٣)] .

أمّا موادّ " الذّيل " ، فيتّبع السيوطيّ فيها الأسلوب نفسه الذي سار عليه في ترتيب موادّ الكتاب ؛ فهو يبنيه علىٰ : مقدّمة ، وثمانية وعشرين بابًا - بعدد حروف المعجم وترتيبها ، وخاتمة .

ذكر في المقدّمة تفرّده في إيراد ماأورد من موادّ ، وحين ندرس " الذيل " لا نجد بينه وبين " الكتاب " خلافًا كبيرًا في موضوعهما ، ومادّتهما ، وأساس تقسيمهما ، وترتيبهما ، وإنّما وجه الخلاف في قلّة الموادّ وكثرتها ، وتنوّع النواحي التي عالجاها . وعدمه ، والالتفاتات اللّغويّة ، ثمّ نسبة الجديد إلىٰ ماهو مذاع مشهور.

فإذا كان السيوطيّ في " الكتاب " قد تناول الحيوان بالتعريف ، ثم عني بأنواعه وأصواته ، وذكر المفرد والجمع ، والمذكّر والمؤنّث ، والأوصاف والأفعال المأخودة من أسمائه ، وأعماله ، وأسمائه في مراحل حياته المختلفة ، وأسماء أعضائه ، وبعض المسائل اللّغويّة والنّحويّة والصرفيّة أحيانًا ؛ فهو في " الذيل " عالج الحيوان وأسماءه المختلفة بكلّ إيجاز ؛ فلاشواهد به ولا التفات إلىٰ مؤنّث أو مذكّر ، مفرد أو جمع ، ولا إلىٰ أنواعه وأصواته ، أو أوصافه ، أو أفعاله أو أسماء أعضائه إلّا نادرًا ، وإنّما عمد إلىٰ كتب اللّغة والأدب ودواوين الشعراء ؛ يستفيد منها في تقصّي أسماء الحيوان التي غابت عن الدّميريّ في كتابه " حياة الحيوان " فقط ، مجرّدًا من الشروح والتفصيلات ممّا له علاقة بهذه الحيوانات غالبًا ؛ وقد نصّ علىٰ ذلك كلّه في أوائل " الذّيل " [(٤)] .

ولذلك كان طبيعيًّا أن تتّسع مادّة " الكتاب " من حيث إنّه حُشِي بزيادات كثيرة ، لغويّة وأدبيّة وتاريخيّة ، تتألّف من مشتقات من اللّفظ الذي يعالج أو مترادفات له ،

---

(١). لم نعثر لهذا الكتاب علىٰ ذكر في كلّ مارجعنا إليه من فهارس المخطوطات .
(٢) ق ١٥٤/أ . (٣) انظر: ٦٤ فما بعد. (٤) انظر: ق ٢/أ .

أو مسائل نحويّة وصرفيّة تتصل به ،أو شواهد من الحديث والأمثال ،وتتسع مـــادّة " الذّيل" بالأسماء والصفات المجرّدة ــ غالباً ــ من هذه الزيادات .(١)

لقد ذكر السيوطيّ الدّاعي إلىٰ إفراده " الذّيل " في تأليف مستقلّ ؛وهو " ماوقع الوعد به من إفراد الحيوان الزايد علىٰ مافي كتاب الشيخ كمال الدّين الدّميريّ ــ رحمه اللّه ــ مرتّباً علىٰ حروف المعجم " (٢) ، في حين أنّ هذا الدّاعي نفسه متحقّق في" الكتاب " ؛ أليس هو من قال في مقدّمة الديوان : " حذفت من حشوه كثيراً ، وعوّضت فيه أمرين : أحدهما ــ زيادة فائدة في الحيوان الذي ذكره : لغويّة ، أو أثريّة ، أو أدبيّة ، والثاني ــ ذكر ماساقه من الحيوان ملتقطاً لذلك من كتب اللّغة الحاضرة عندي "؟

ويخرج الباحث من دراسته هذين الأثرين اللّغويين للسيوطيّ بأنّه كان يمكن جمع موادّهما في كتاب واحد ، بدل توزّعها في كتابين ؛ ليكون في كتب الحيوان الباقية من تراثنا أكبرها حجماً ، وأوسعها مادةً ، وأحسنها نظاما .

ثانياً ــ نسخ الكتاب :

أشار الزركليّ في" الأعلام " إلىٰ أنّ الكتاب قد طبع وترجم إلىٰ اللاّتينيّة (٣)، ولا نعتقد ذلك ؛ لأنّ أحداً غيره لم يقل به ؛ ولا وجدناه بين الكتب المطبوعة التي عدّها سركيس للسيوطيّ (٤) ، أو عدّها أحد المترجمين له من محقّقي كتبه ، وغيرهم .

منه نسخة خطيّة نفيسة في مكتبة شيخ الإسلام في المدينة المنورة تحت رقم ١٧ لغة (٥) ، مكتوبة بخطّ نسخيّ جيّد لمحمد بن سلام الفيوميّ ، وذلك في سنة ٩٧٨ هـ ،

---

(١) وقد تتبّعنا هذه الأسماء والصفات في " الذيل" فوجدناها نافت علىٰ ألف اسم ؛ منها قريب من خمسمائة في الأسد ،وأكثر من مائة في " الذّئب" ، وقريب من خمسين في " الإبل" ومثله في " الخيل" و" الكلب" و" السّنّور" و "الدّيك" و" العقرب" .
وعدد أوراق " الذيل" في نسخة شيخ الإسلام بالمدينة المنورة ١٧ لغة سبع عشرة ورقة .

(٢) ق ٢/أ . (٣) انظر : الأعلام : ٤/ ٧٢ .

(٤) انظر : معجم المطبوعات العربيّة : ١/ ١٠٧٤ فما بعد .

(٥) أخذ لنا رسمها بالتصوير الشمسي .

بأوّلها طرّة مزخرفة ، صفحاتها مجدولة بالذهب والسواد ، وقد كتبت العناوين وبعض الكلمات بالحمرة ، عدد أوراقها ٢٧٠ ورقة ، وأوراق الذيل ١٧ ورقة ، وجاء في آخر هذا الذيل "أنشد من نقلت هذه النسخة من خطّه — رحمه الله :

نهار السبت ثامن شهر راء ... وميم ثمّ ضا ألف ونون
ومن عام لأربعة وعشر ... وتسع مئين ولّت للقرون
أعان الله بالإتمام منه ... وأسأله التّمام أنا لديني

وكان الفراغ من كتابته في اللّيلة التي يسفر صباحها عن يوم الأحد المبارك من شهر شعبان المكرم من شهور سنة ٩٧٨ — أحسن الله عاقبتها وختمها بخير — من الهجرة النبويّة — على صاحبها أفضل الصلاة والسلام — على يد العبد الضعيف الراجي عفو مولاه القويّ اللّطيف ، فقير رحمة ربّه ، وأسير وصمة ذنبه ، محمد بن سلام الفيومي الأزهري الشافعي ..." (١) .

ومنه نسخة جيّدة وقفنا عليها في "الخزانة الملكيّة بالرّباط تحت رقم ٧٦٧ ، ونسخة في مكتبة قوتا بألمانيا الشرقيّة تحت رقم ٦٦ / ٥ (٢) ، ونسخة في الأسكوريال تحت رقم ١٥٤٤ / ١ (٣) ، ونسخة في المكتبة التيموريّة تحت رقم ٣٦٢ ، (٤) ونسخة في بتنة تحت رقم ٢٦٥ (٥) .

ثالثاً — أهميّة الكتاب :

حين اتّسع نطاق تدوين اللّغة ، وكثر عدد المعاجم العربيّة ، كان من الطبيعيّ أن تتجه مناهج اللّغويين إلى تصنيف الرسائل اللّغويّة المفردة ؛ يودعون كلّاً منها ألفاظاً في باب معلوم ؛ كالسلاح ، والإنسان ، والإبل ، وغير ذلك من المعاني الخاصّة ، بشكل يشفي الغلّة ويروي ظمأ الباحثين في أحد هذه الأبواب ، ويريحهم من عناء البحث في كلّ المعاجم العربيّة ليستخرجوا منها أصول الكلمات التي يريدونها . فكان أن نشأت أنماط من الكتب أو قل الرسائل التي تتولّى الترجمة أو الكتابة المستقلّة المتجرّدة لباب من أبواب اللّغة ؛ ككتاب المطر — لأبي زيد الأنصاري (٦) ، وكتاب النخل والكرم — للأصمعي (٧) ، وكتاب الرحل والمنزل — المنسوب لابن قتيبة (٨) .

---

(١) الذيل : ق ١٧ / ب .
(٢) و (٣) و (٤) و (٥) تاريخ الأدب العربي — لبروكلمان : ٢ / ١٩٨ (الأصل الألماني) .
(٦) نشره المستشرق أوغست هفنر ضمن مجموعة الرسائل اللّغويّة (البلغة في شذور اللّغة) في بيروت سنة ١٨٠٩ م .
(٧) و (٨) نشرا في مجموعة (البلغة في شذور اللّغة) .

وقد نال الحيوان — بصورة خاصّة — عناية فائقة من اللّغويّين المتقدّمين ؛ فألّفوا — في أجناسه المختلفة ؛ وأسمائه ، وصفاته ، وأعضائه ، وكلّ مايتصل به — رسائل لغويّة متفرّقة ، في جنس واحد من أجناس الحيوان ، تمتاز بغناها كما تمتاز بطابعها الابتداعي العفوي البعيد عن التنسيق والترتيب ؛ مثل : كتاب الإبل[1] ، وكتاب الخيل[2] ، وكتاب أسماء الوحوش وصفاتها — للأصمعي[3] .

ثمّ جاء المتأخّرون ؛ فوجد بعض كتّابهم في هذا النوع من التصنيف — ميداناً واسعاً للكتابة ؛ فتوفّروا على إنجاز كتب أوسع في أبواب اللّغة المختلفة ، وضمّنوها عدداً أكبر من الموادّ التي وردت في كتب اللّغة والأدب والشعر والنوادر والأمثال .

وكان من بين المتأخّرين — ممن عنوا بهذا اللّون من التصنيف ، وكان القسط الأكبر من اهتمامهم موجّهاً إلى الحيوان خاصّة — كمال الدّين الدّميري ، الذي جمع موادّ كتابه من مختلف كتب اللّغة والأدب ، في كثير من نواحي الحيوان ؛ قيمته ، وفوائده ، وعيوبه ، ونشاطه ، وألوانه ، وأصواته ، وصفاته ، وأسمائه ، وأخباره ، وماقيل فيه من الشعر والمثل والنادرة ؛ فجاء كتابه دائرة معارف واسعة تكاد تتضمّن خلاصة وافية لكثير من المؤلّفات التي صنّفت في الحيوان ، لغويّة وأدبيّة .

ثمّ كان ، من بعده ، السيوطيّ الذي جمع موادّ كتابه من كتاب سلفه الدّميريّ ، ثمّ من مختلف كتب اللّغة والأدب ، مقتصراً في جمعه على الجانب اللّغوي ، ومن ثمّ سمح لنفسه بالتصرّف في مقتبساته من كتاب "حياة الحيوان" للدّميريّ وغيره — بحذف بعض الأخبار والأشعار وأسماء الرّواة ، وتغيير ترتيب بعض الموادّ ، وإضافة موادّ أخرى مما يتصل بخطة الكتاب ؛ مثل الأسماء والصفات والمشتقات والمرادفات والمسائل اللّغويّة والنحويّة والصرفيّة التي التقطها من بعض كتب اللّغة والأدب ؛ ليستوفي بها مباحث الكتاب ؛ فجاء كتابه معجماً لغويّاً جامعاً ذابت فيه موادّ كثير من المعاجم والرسائل اللّغويّة الصغيرة التي عنيت بتدوين الألفاظ المتعلّقة بالحيوان ومايتصل به .

وترجع أهمّيّة هذا الكتاب — في نظرنا — إلى مايلي :

١ — يدلّ الكتاب على ظاهرة في التأليف العربيّ المبكّر لها قيمتها وخطرها ؛ ونعني بذلك ظاهرة التخصّص ؛ فديوان الحيوان يختصّ بالموادّ والنصوص اللّغويّة التي تتعلّق بالحيوان ، ولا تكاد تخرج عن مجال اللّغة فيه إلى مجال آخر ،

---

(١) نشره المستشرق هفنر في بيروت سنة ١٣٢٢هـ ضمن مجموعة عنوانها " الكنز اللّغويّ في اللّسن العربيّ".

(٢) طبع في بيروت بعناية المستشرق هفنر سنة ١٣١٨هـ.

(٣) طبع في بيروت بعناية المستشرق جاير.

إلاّ إذا كان مرتبطاً بفائدة أو نكتة لغويّة أخرىٰ ؛ فهو تأليف يتّجه ـ في جملته ـ اتّجاهاً لغويّاً خالصاً .

٢ ـ وإذا انتقلنا إلىٰ منهج المؤلّف في تأليف كتابه هذا ، وجدناه قدّم مادّته في نطاق مايمكن أن نسلّم بأنّه منهج علميّ حديث وتبويب ظاهر الاتّساق والتناسب ، باستثناء بعض الاستطراد الطفيف .

٣ ـ انفراده في بابه ؛ من حيث كونه ـ فيما نعلم ـ أكبر مرجع عربيّ في الحيوان ؛ أسمائه ، وصفاته ، ومرادفاته ، ومشتقّاته ، وشواهده الحديثيّة والشعريّة والنثريّة .

٤ ـ وإذا كان للحياة التأليفيّة عند السيوطيّ مراحل ميلاد وطفولة وشباب ، فإنّ " ديوان الحيوان " يمثّل ـ بحقّ ـ واحداً من أهمّ كتبه التي صنّفها في مرحلة النضج ؛ فقد ألّفه سنة ٩٠٧هـ ؛ أي قبل حوالى ثلاث سنوات من وفاته ؛ كما نصّ علىٰ ذلك في آخر " الذيل ".

٥ ـ يضمّ الكتاب عدداً من رسائل السيوطيّ اللّغويّة الصغيرة التي كان قد ألّفها من قبل ، ثمّ حين وضع الكتاب عوّل عليها فيما عوّل من كتبه ورسائله ، فأودع كلّ واحدة منها في مكانها من الكتاب ، دون أن تحسّ بغرابة في إقامتها في الموضع الذي تقيم فيه .

٦ ـ نقل السيوطيّ في الكتاب عدداً كبيراً من النصوص لمؤلّفات باتت أصولها مفقودة أو في حكم المفقودة ، وحفظ لنا ـ في هذا الباب أيضاً ـ بعضاً من الرسائل اللّغوية الصغيرة ، في صورتها الكاملة ، مثل " مقامة الخيل والإبل " للبدر بن حبيب (١) .

٧ ـ والكتاب ـ إلىٰ جانب ذلك كلّه ـ ينبوع من اللّغة وزاد من الثقافة ، وفيض من الظرف ، وهو ممتع في القراءة ، وجدير بمثله أن يكفله أحد الدارسين بالتحقيق والنشر .

---

(١) انظر : ق ١٣١ ـ ١٣٢ .

الباب الثالث

منهجه اللغوي وطريقته في التأليف

توطئة

من المصادفات العجيبة أن السيوطيّ لم يؤلّف ، في شبابه ، إلا عدداً قليلاً جداً من الرسائل اللغويّة ، بالقياس إلى عدد كبير جداً من المصنفات في فروع أخرى من المعرفة ؛ وإنّما ألّف معظم كتبه في اللغة ، حين تأصّل تفكيره ، ونضجت ثقافته واستوت معارفه ؛ ولذلك كانت من أنفس مؤلّفاته ، وأينع ثمراته ، والمرآة الصادقة التي يمكن أن تجلو لنا مذهبه وتفكيره وطريقته في معالجة الأشياء ، في صورة معبّرة ، واضحة القسمات .

ولعلّ هذا — عند بعض الباحثين ، ممن يلمحون طريقة القدماء في تلقّي علومهم — من بديهيات الأمور؛ فقد بدأ السيوطي — كغيره من أبناء عصره — بالعلوم الدينيّة ، وأقبل على دراسة علوم القرآن والحديث والفقه والأصول ، حتى إذا أربى فيها على الغاية ، وأحاط بكل ما وقعت عليه يده منها ، انقطع إلى التأليف فيها .

ولمّا كان على المفسّر والمحدّث والفقيه والأصوليّ وكلّ المشتغلين بالعلوم الدينيّة أن يغترفوا من جميع العلوم الشائعة في عصرهم ، من المنقول والمعقول ؛ فيحفظوا القرآن والسنن والآثار ، كما يحفظوا كتاب سيبويه وألفية ابن مالك ، والأراجيز والأشعار وغيرها ؛ فبالعربيّة السليمة يُقرأ القرآن الكريم والحديث النبويّ الشريف ، وتُعرف الأحكام من جهة إفرادها وتركيبها ، وتُعرف معاني الأسماء والأفعال التي لا يُفهم المقصود من كلام الله تعالى أو ألفاظ رسوله — عليه الصلاة والسلام — إلا بالوقوف عليها ، والتمكّن منها .

لمّا كان الأمر كذلك ؛ وجدنا السيوطيّ — كما وجدنا كثيراً من علمائنا المتقدّمين — منصرفاً في مطلع حياته العلميّة ، إلى طلب العلوم الدينيّة ، منتهياً — في أواخر حياته — إلى التأليف الزاخر في اللغة .

ومن ثمّ ؛ فإنّ كتب اللغة هي من أفضل كتبه ؛ يسلك فيها طرقاً متشعّبة من المعارف اللغويّة التي ضلّ سالكها قبله ، وهو متمكّن من موضوعه ، قابض على ناصيته ، وتلك صفة نادرة في العلماء الواسعي الثقافة مثله ؛ يأخذك بيدك ، فلا يزال بك

موغلاً في أغوار بحوثه ، ينبّهك إلىٰ ما يشاء ، ويصرفك عمّا يشاء ، حتىٰ ينتهي بك إلىٰ الهدف الذي نصبه قبل البدء .

فجاءت هذه الكتب ، في جملتها ، متميّزة في الشكل والمضمون معاً ، فهو — في الشكل — أعطانا صورة واضحة عن مقدرة رجل لم يكد يترك ، في إعداد كتبه ، مصدراً سابقاً ، ولا كتاب لغة ثبت الأصول إلاّ رجع إليه ، وعن مقدرة رجل توفّر علىٰ تقديم كتبه ميسّره عالية — غالباً — من الحشو والأسانيد والمنعطفات ، وتوفّر علىٰ ربط موضوعات هذه الكتب ، وترتيبها ترتيباً منطقياً ، مع الاستيعاب والدقّة والسهولة في العرض ، بحيث أتت فيّاضة متواكبة ، تعبّر عن طبيعة تفكير الرجل .

وهو — في المضمون — يقفنا علىٰ ما قد وهبه اللّه تعالىٰ من التعمّق والغوص علىٰ الدقائق في كلّ ما يقرأ ويكتب ، فهو — علىٰ سعة اطّلاعه التي ينمّ عنها ما حوت كتبه من موضوعات متعدّدة الجوانب — مثلاً ، يضع اعتبارات حديثيّة وفقهيّة وأصوليّة حين يتناول الأنواع اللّغويّة المختلفة بالتصنيف ، مقتدياً في ذلك بالكتب المؤلّفة في علوم الحديث ومصطلحه ، وفي الفقه وأصوله ، ويستعير منها التقاسيم والأنواع ويوجّه مسائله اللّغويّة توجيهاً فقهيّاً وأصوليّاً متميّزاً ، ويحاول أن يطبّق ما يمكن تطبيقه من مباحث تلك العلوم علىٰ اللّغة ، فأثّر ذلك بصورة لها جانب كبير من الأهميّة في طريقته في نقل النصوص من المصادر اللّغويّة المختلفة ، إذ عكست أمانته في إرجاع النقول إلىٰ مصادرها الأصليّة ، كما عكست دقّته في تصنيف تلك النقول .

وهو كثيراً ما يستقلّ بتفكيره ، ويعتدّ بنفسه ، وهذا ما ينسجم مع دعواه الاجتهاد ورجائه أن يكون المبعوث علىٰ رأس المائة التاسعة ، لتجديد شباب الإسلام ، فإذا عرض للكتب اللّغويّة التي يستقي منها مادّة كتبه ، وصفها وفاضل بينها ، وفضّل بعضها علىٰ بعض ، وإذا نقل منها ، حوّر فيها ، أو أضاف إليها مما يدخل في موضوع البحث من آراء موافقة أو معارضة أو شارحة رأياً آخر ، في نطاق بحثه الدائم في اللّغة ، وفي ملاحظة الزيادة التي يضيفها العالم اللّغوي إلىٰ من سبقه ، وتتبّعه الدائب في ذكر هذه الإضافات ، وضمّها إلىٰ محيط موضوعها ، ليجيء بحثه اللّغوي جامعاً شاملاً للظاهرة اللّغويّة التي يعالجها .

ذلك إلىٰ جانب ما يدلي به من آراء في القضايا التي يتطرّق إليها ، ويربي

على ما استعان به من جهود المتقدّمين من عمله وعلمه وتجاربه الطويلة ، فله نظرات قيّمة في النقد ، واستنباطات ، ونتائج على جانب كبير من الطرافة ، وله استدراكات موفّقة على بعض المتقدّمين ، وتنبيهات إلى أخطاء آخرين منهم ، وهذا كلّه مما يجعل نواحي البحث اللّغوي ، عنده متكاملة مستوفاة .

فالسيوطي ، في الشكل والمضمون معاً ، صاحب طريقة متقنة ، ومنهج علمي محدّد ، وفكر منطقي متّزن في معظم مصنّفاته اللّغويّة .

وستجد مصداق هذا كلّه بوضوح في السمات التأليفيّة التالية عنده .

الفصل الأول
استيعابه

هذه سمة تأليفيّة لا تكاد تفارق كتاباً كبيراً للسيوطيّ ، أو رسالة صغيرة ؛ فلا يكاد القارىء يطالع عدداً من كتبه الكبيرة أو رسائله الصغيرة حتىٰ يقف عليها .

فإذا نظرنا إلى كتاب مثل " المزهر " ، أو رسالة مثل " سبب وضع علم العربيّة " ؛ وجدنا " المزهر " موسوعة تتناول ميدان اللغة من جميع جوانبه ؛ فهو يبحث — في مختلف قضايا اللغة المعروفة حينذاك — بحثاً مستفيضاً ، كل قضية على حدة ، بحيث تتضمّن كلّ ما قيل فيها ، وتتصل بالقضيّة الكليّة في النوع الذي يعالجه ، ممّا يجعل النوع الواحد يكاد يضمّ جوانب المسألة كلها .

ووجدنا " سبب وضع علم العربيّة " رسالة صغيرة ؛ ولكنّها جمعت ما ذكرته الكتب اللغويّة وغير اللغوية وما رواه العلماء في مجالسهم وأماليهم عن وضع العربيّة ، فجاءت هيكلاً مستقلاً يكاد يضمّ بين دفّتيه جميع مسائل هذا الباب ممّا ورد في متفرقات كتب المتقدّمين .

ولهذه السمة التأليفيّة — عند السيوطيّ — أسباب ، نذكر منها :

(أ) اكتمال العلوم في عصره : فإننا إذا نظرنا إلى العلوم اللغويّة من نحو وصرف ولغة وعروض وبلاغة ؛ وجدناها — في زمن السيوطيّ — قد نضجت واستقرّت علىٰ مذاهب وآراء ، ومؤلّفاتها تتوالىٰ وتتنافس في الشرح والتعليق ، أو في التلخيص والاختصار .

(ب) طبيعة التأليف في عصره : وكان طبيعياً — بعد ذلك — أن نرىٰ شيوع روح التصدي لدراسة واحد من الفنون أو الموضوعات ، واستيعاب نظريّاته ، والتحدث عنها حديثا جامعاً منظماً مبوّباً في مؤلّف واحد مستقلّ أشبه ما يكون بالموسوعات في عصرنا الحاضر .

(جـ) حمله لواء الرواية : وساعد على هذه الطبيعة التأليفية عنده طبيعة تفكيره المتمثّل في كراهيته الفلسفة والمنطق ، وعدم إقباله علىٰ تراث الأعاجم القائم علىٰ العقل وحده ، وحمله لواء الرواية للعلوم المختلفة في عصره " علىٰ طريقة العرب والبلغاء "

لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة " (١) ، لأنّ مسار العلوم الإسلاميّة هو الاعتماد على المرويّات والنقول والتسليم بها ، سواء وافقت العقل أم استعصى عليه فهمها (٢) .

(د) همّته وصبره وغزارة علمه : فلا شكّ أنّ تمسّك السيوطيّ بالعلوم النقليّة، التي تعتمد على جميع المأثور بطريقة ضمّ الأشياء إلى أشباهها والنظائر إلى نظائرها من حيث الآراء المفردة أو الموضوعات التي تدخل في إطار موضوع واحد ، قد أفاد كثيراً من همّة الرجل وصبره وغزارة علمه .

فلابد أنّ صاحبنا كان ذا اطلاع واسع ، وهمّة وصبر كبيرين حتى أدرك أقلّ الاختلافات في الآراء وتعدّد الروايات ، وتناهى في ملاحظة الاستدراكات التي يضيفها العلماء على من سبقهم ، ومواظبة ذكر الفوائد ، الجديدة التي يجدها في موضوع ما إلى محيط ذلك الموضوع .

* * *

وطريقة السيوطيّ في خاصيّة الاستيعاب عنده ، أنّه كان — عند إرادة التصنيف في مسألة من المسائل — يتفرّغ ، أولاً ، للمطالعة والتلقّي في كلّ ما كتب فيها من قبل ، ثمّ يسجّل ما يراه لازماً ويضبطه في جذاذات ، على نحو ما نفعل في عصرنا ، حتى إذا اجتمعت لديه المادّة العلميّة الكافية ، وطّد عزمه على جمع هذه النبذ والنفائس ودرسها ، ثمّ استخلص منها كتابا .

يقول السيوطيّ إنّ " الفنون العربيّة على اختلاف أنواعها هي أوّل فنوني ، ومبتدأ الأخبار التي كان في أحاديثها سمري وشجوني ، طال ما أسهرت في تتبّع شواردها عيوني ، وأعملت فيها بدني إعمال المجدّ ما بين قلبي وصدري ويدي وظنوني .

" ولم أزل من زمن الطلب أعتني بكتبها قديماً وحديثاً ، وأسعى في تحصيل ما دثر منها سعياً حثيثاً ، إلى أن وقفت منها على الجمّ الغفير ، وأحطت بغالب الموجود مطالعة وتأمّلاً بحيث لم يفتني منها سوى النزر اليسير .

---

(١) حسن المحاضرة : ١/ ١٩٠ .

(٢) وانظر في هذا الباب : الحركة الفكريّة في مصر في العصرين الأيوبيّ والمملوكي الأوّل : للدكتور عبد اللطيف حمزه .

" وألّفت فيها الكتب المطوّلة والمختصرة ، وعلّقت التعاليق ما بين أصول وتذكره واعتنيت بأخبار أهلها وتراجمهم ، وإحياء ما دثر من معالمهم ، وما رووه أو رؤوه ، وما تفرّد به الواحد منهم من المذاهب والأقوال ضعّفه الناس أو قوّوه ، وما وقع لهم مع نظرائهم ، وفي مجالس خلفائهم وأمرائهم ، من مناظرات ومحاورات ، ومجالسات ومذاكرات ، ومدارسات ومسايرات ، وفتاوى ومراسلات ، ومعاياة ومطارحات ، وقواعد وضوابط ومقاسيم ، وفوائد وفرائد ، وغرائب وشوارد ، حتى اجتمع عندي من ذلك جمل ، ودوّنتها رزماً ، لا أبالغ وأقول وقر جمل " . (١)

هذا يفسّر لنا اتساع مصادر الرجل وتعدّد مراجعه ، بحيث عوّل في كتابه " بغية الوعاة " على ثمانمائة مجلّد (٢) ، وعوّل في كتابه " جمع الجوامع " على مائة مصنّف (٣) ، وعوّل في كتابه " المزهر " على ما يزيد عن هذا العدد من التصانيف (٤) ، شمل جلّ ما ألف في فنّ اللّغة وعلومها ، من مبتدأ نشأة هذا الفنّ إلى زمان المصنّف .

كان السيوطيّ يعمد إلى كثرة النقل والاستشهاد من الجمّ الغفير من المصنّفات ، أو خطوط العلماء في حواشي الكتب والتعاليق ، أو حتى من كتب ورسائل لمؤلّفين مغمورين — في نظرنا — أو مجهولين لنا (٥) ، حتى ليخيّل لمن قرأ مصنّفاً من مصنّفاته أنّه لم يغادر كتاباً ألّف في اللّغة إلاّ اطّلع عليه وأفاد منه .

فحين يتناول مسألة بعينها ، نراه يرجع إلى عموم المصنّفات التي وضعت في هذه المسألة ، أو بحث فيها طرف منها ، أو حتى جاء لها مجرّد ذكر فيها ، لأنّه يهدف

---

(١) الأشباه والنظائر النحويّة : ١/ ٢ — ٣
(٢) انظر : بغية الوعاة : ١/ ٣ فما بعد .
(٣) انظر : همع الهوامع : ١/ ٢ و ٢/ ٢٤٤
(٤) انظر : الفهرس الذي صنعه محققو المزهر للكتب التي نقل عنها السيوطيّ : المزهر : ٢/ ٦٣٨ فما بعد .
(٥) باعتبار أنّنا لم نسمع بهم من قبل ، وإن كانوا من الثقات المعروفين عند السيوطيّ وأهل عصره . انظر : السيوطي النحوي : ٢٧٥ فما بعد .

ـ دائماً ـ إلىٰ وضع المصنّفات الحافلة التي يستوفي فيها مباحث المسائل التي يعالجها ويستوعب أقوال جلّ اللّغويين فيها ، إن لم نقل كلّهم .

أفرد السيوطيّ فصلاً من كتابه " المزهر " مثلاً ـ للكلام علىٰ أصل اللّغة وأوّليتها ونشأتها ، وعنوانه " معرفة الصحيح الثابت في اللّغة ، ويقال له : الثابت والمحفوظ " (١) وعالج هذه القضيّة اللّغويّة علاجه لأيّة قضيّة أخرىٰ ، أي اعتبرها مشكلة تستحقّ البحث والنقاش الجادّين .

وجعلها في ستّ عشرة مسألة ، كلّ مسألة منها تضيء جانباً من جوانب القضيّة ، وتتصل بما قبلها ويتصل ما بعدها بها في ترابط أشبه ما يكون بسلسلة متصلة الحلقات ، يشدّ بعضها بعضاً ، وهذه المسائل هي بالترتيب :

١ ـ في حدّ اللّغة وتعريفها . (٢)
٢ ـ في بيان وضع اللّغة : أتوقيف هي ووحي ، أم اصطلاح وتواطؤ (٣) .
٣ ـ في بيان الحكمة الداعية إلىٰ وضع اللّغة . (٤)
٤ ـ في حدّ الوضع . (٥)
٥ ـ هل وضع الواضع المفردات والمركّبات الإسناديّة ، أو المفردات خاصّة دون المركّبات الإسناديّة ؟ (٦) .
٦ ـ هل يجب أن يكون لكلّ معنىً لفظ ؟ (٧) .

---

(١) انظر : المزهر (النوع الأوّل) : ١/٧ـ١٠٢ ، وقد جاء فيه عنوان هذا النوع " معرفة الصحيح ، ويقال له الثابت والمحفوظ " ، وما أثبتناه هو الذي عليه النسخة الخطيّة المحفوظة بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة تحت رقم ٥٦ ـ لغة .
(٢) انظر المزهر : ١/٧ ـ ٨ .
(٣) انظر : المزهر : ١/٨ـ ٣٤ ، وجاء في المخطوط ٥٦ لغة من المزهر : "المسألة الثانية : في بيان وضع اللّغة : توقيف ووحي ، أم اصطلاح وتواطؤ " : ق ٣
(٤) انظر : ١/٣٥ ـ ٣٨ .
(٥) انظر : ١/٣٨ ـ ٤٠ .
(٦) انظر : ١/٤٠ ـ ٤١ .
(٧) انظر : ١/٤١ .

٧ ــ ما الغرض من الوضع ؟ (١) .
٨ ــ هل الألفاظ موضوعة بإزاء الصور الذهنيّة ، أو بإزاء الماهيّات الخارجيّة (٢)
٩ ــ لم يوضع اللّفظ : يوضع لشيء بعينه أو يوضع لشيء عام ؟ (٣) .
١٠ ــ هل هناك مناسبة بين اللّفظ ومدلوله ؟ (٤) .
١١ ــ متى وضعت اللّغة ، في وقت واحد أم في أوقات متتابعة ؟ (٥) .
١٢ ــ كيفيّة معرفة اللّغة ، بالتواتر أم بالآحاد ؟ وبالنقل أم بالاستنباط العقليّ أم بكليهما معًا ؟ (٦) .
١٣ ــ هل تثبت اللّغة بالقياس ؟ (٧) .
١٤ ــ في سعة اللّغة . (٨)
١٥ ــ في عدّة أبنية الكلام . (٩)
١٦ ــ أوّل من صنّف في جمع اللّغة (١٠) .

وإذا أخذنا مسألة كالمسألة الثانية في: بيان وضع اللّغة : أتوقيف هي ووحي ، أم اصطلاح وتواطؤ ، لنرى إلى أيّ حدّ كان السيوطيّ يلتزم الدقّة في منهجه في التأليف ، بحيث يستوفي في عمله عناصر البحث العلميّ ، وجدنا السيوطي يحصر الكلام على هذه المسألة في النقاط التالية :

---

(١) انظر: المزهر : ١/ ٤١ ــ ٤٢ .
(٢) انظر : ١/ ٤٢ ــ ٤٦ .
(٣) انظر : ١/ ٤٦ ــ ٤٧ .
(٤) انظر ١/ ٤٧ ــ ٥٥ .
(٥) انظر : ١/ ٥٥ ــ ٥٧ .
(٦) انظر : ١/ ٥٧ ــ ٥٩ .
(٧) انظر : ١/ ٥٩ ــ ٦٤ .
(٨) انظر : ١/ ٦٤ ــ ٧١ .
(٩) انظر : ١/ ٧١ ــ ٧٦ .
(١٠) انظر : ١/ ٧٦ ــ ١٠٣ .

- القائلون بالتوقيف . (١)
- القائلون بالاصطلاح . (٢)
- القائلون بالتوقيف والاصطلاح معاً . (٣)
- احتجاج القائلين بالتوقيف . (٤)
- احتجاج القائلين بالاصطلاح (٥)
- الجواب عن حجج أصحاب التوقيف . (٦)
- الجواب عن حجج أصحاب الاصطلاح . (٧)
- مسائل تتعلّق بالموضوع :

— هل تثبت اللّغة توقيفاً أو اصطلاحاً ؟ (٨) .
— الطريق إلى علم اللّغات إذا كانت توقيفيّة . (٩)
— هل يجوز قلب اللّغة ؟ (١٠)
— متى وقع التوقيف ؟ (١١)
— أقسام العرب (١٢)
— أوّل من تكلّم بالعربيّة (١٣)
— إيجاء اللّغة إلى نبيّنا عليه أفضل الصلاة والسلام (١٤)

فالسيوطيّ — إذن — يبدأ معالجة هذه المباحث الصغيرة بإثارة هـــذا السؤال : من هو واضع اللّغة الأولى ؟ ثم يأخذ في الإجابة عنه بتتبّع مختلـــف

(١) انظر : المزهر : ١/٨ــ ١٠
(٢) انظر : ١/١٠ ــ ١٦
(٣) انظر : ١/١٦ ــ ١٧
(٤) انظر : ١/١٧ ــ ١٨
(٥) انظر: ١/١٨
(٦) انظر : ١/١٩
(٧) انظر ١/١٩ ــ ٢٠
(٨) انظر : ١/٢٠
(٩) انظر : ١/٢٥ ــ ٢٦ .
(١٠) انظر : ١/٢٦ ــ ٢٧ .
(١١) انظر : ١/٢٧ ــ ٣١
(١٢) انظر : ١/٣١ ــ ٣٢
(١٣) انظر : ١/٣٢ ــ ٣٤
(١٤) انظر : ١/٣٤ ــ ٣٥ .

الأقوال في بطون الكتب وتذاكر العلماء في هذه المسألة .

فقد ذهب علماء اللّغة والكلام والتفسير وأصول الفقه وغيرهم من الأدباء والمؤرّخين قديماً وحديثاً — في أصل الوضع — مذاهب شتىٰ ، فمن قائل بأنّ اللّغة من وحي اللّه والهامه ، ومنهم ابن فارس في كتابه الصاحبي ، الذي يستدلّ بقوله تعالىٰ " وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا " (١) ويرجّح رأي ابن عبّاس في أنّ اللّه تعالىٰ " علّمه الأسماء كلّها ، وهي هذه الأسماء التي يتعارفها الناس ، من دابّة وأرض ، وسهل وجبل ، وجمل وحمار ، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها " . (٢)

ثمّ يقول : " ولعلّ ظاناً يظنّ أنّ اللّغة التي دللنا علىٰ أنّها توقيف إنّما جاءت جملة واحدة ، وفي زمان واحد ، وليس الأمر كذا (٣) ، بل وقف اللّه عزّ وجلّ — آدم عليه السلام علىٰ ما شاء أن يعلّمه إيّاه ، ممّا احتاج إلىٰ علمه في زمانه ، وانتشر من ذلك ما شاء اللّه ، ثمّ علّم بعد آدم من عرب (٤) الأنبياء — صلوات اللّه عليهم — نبيّاً نبيّاً ماشاء اللّه أن يعلّمه ، حتىٰ انتهىٰ الأمر إلىٰ نبيّنا محمد صلىٰ اللّه عليه وسلم ، فآتاه اللّه من ذلك ما لم يؤته أحداً قبله ، تماماً علىٰ ما أحسنه من اللّغة المتقدّمة ، ثمّ قرّ الأمر قراره ، فلا نعلم لغة من بعدة حدثت . فإن تعمّل اليوم لذلك متعمّل وجد من نقّاد العلم من ينفيه ويردّه " . (٥)

وعلىٰ هذا المذهب تكون اللّغة محصورة فيما علّمه اللّه آدم والأنبياء بعده من اللّغات ، فلا تغيير ولا تبديل فيها ، بل هي علىٰ ما تكلّموا به لا تتعدّىٰ ما ورد منهم ، " وقد كان في الصحابة رضى اللّه عنهم (٦) — وهم البلغاء والفصحاء — من النظر في العلوم الشريفة ما لاخفاء به ، وما علمناهم اصطلحوا علىٰ اختراع لغة ، أو إحداث

---

(١) سورة البقرة : آية ٣١

(٢) المزهر : ١/٨ ، وانظر : الصاحبي : ٣٢

(٣) هكذا في النسخة الخطيّة من المزهر ، المحفوظة بمكتبة عارف حكمت تحت رقم ٥٦ — لغة : ق ٤ ، وفي الصاحبي أيضاً : ص٣٣ ، وجاء في طبعة أبي الفضل ورفاقه " وليس الأمر كذلك " ، انظر : ١/٩ .

(٤) كما في النسخة الخطيّة من المزهر ٥٦ لغة المحفوظة بمكتبة عارف حكمت ق٤ ، وكما في كتاب الصاحبي أيضاً : ص ٣٣ ، وجاء في طبعة أبي الفضل ورفاقه " ثمّ علّم بعد آدم من الأنبياء " . انظر : ١/٩ .

(٥) المزهر : ١/٩ — ١٠ ، وانظر : الصاحبي : ٣٣

(٦) كما في النسخة الخطيّة ٥٦ لغة ، المحفوظة بمكتبة عارف حكمت : ق ٤ ، وفي الصاحبي : " وقد كان في الصحابة رضه " : ص ٣٤ .

لفظة لم تتقدّمهم .

"معلوم أنّ حوادث العالم لا تنقضي إلاّ بانقضائه ، ولا تزول إلاّ بزواله ؛ وفي كلّ ذلك دليل على صحّة ما ذهبنا إليه من هذا الباب " . (١)

وعلّق السيوطيّ على ما ذهب إليه ابن فارس في هذه المسألة بقوله : " هذا كلام ابن فارس ، وكان من أهل السنة " (٢) .

ومن قائل بغير هذا كلّه ؛ فاللّغة عندهم مواضعة واصطلاح ، لا توقيف ووحي ؛ ومنهم ابن جني في كتابه " الخصائص " ، وعلّق السيوطيّ على ما يذهب إليه بقوله : " وكان هو وشيخه أبو علي الفارسيّ معتزليين " (٣) ، فهو يقول : " إنّ أكثر أهل النظر على أنّ أصل اللّغة إنّما هو تواضع واصطلاح ، لا وحي وتوقيف (٤) ... وذلك بأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدًا ، فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء المعلومات ؛ فيضعوا لكلّ واحد منها سمة ولفظاً ؛ إذا ذكر عرف به ما مسمّاه ، ليمتاز عن غيره ، وليغني بذكره عن إحضاره إلى مرآة العين " . (٥)

ثمّ قال : " وكذلك لو بدئت اللّغة الفارسيّة ، فوقعت المواضعة عليها ، لجاز أن تنقل ويولّد منها لغات كثيرة من الروميّة والزنجيّة وغيرهما ؛ وعلى هذا ما نشاهده الآن من اختراع الصنّاع لآلات صنائعهم من الأسماء كالنجّار ، والصّائغ ، والحائك ، والبنّاء ، وكذلك الملاّح ؛ قالوا : ولكن لابدّ لأوّلها من أن يكون متواضعاً بالمشاهدة والإيماء (٦) ؛ قالوا : والقديم — سبحانه — لا يجوز أن يوصف بأن يواضع أحدًا على شيء ؛ إذ قد ثبت أنّ المواضعة لابدّ معها من إيماء وإشارة بالجارحة نحو الموأ إليه والمشار نحوه " (٧) .

---

(١) المزهر : ١/ ١٠ ، وانظر الصاحبي : ٣٤

(٢) نفسه : ١/ ١٠

(٣) نفسه .

(٤) نفسه ، وانظر : الخصائص : ١/ ٤٠

(٥) المزهر : ١/ ١٢ ، وانظر : الخصائص : ١/ ٤٤

(٦) كذا في النسخة الخطيّة ، المحفوظة في مكتبة عارف حكمت تحت رقم ٥٦ لغة : ق ٥ وفي طبعة أبي الفضل إبراهيم : " لابدّ لأوّلها من أن يكون متواضعاً عليه ... " : ١/ ١٣ ، وهذه الزيادة ليست موجودة في الخصائص ، انظر : ١/ ٤٦ .

(٧) المزهر : ١/ ١٣ ، وانظر : الخصائص : ١/ ٤٦

ومن قائل بأنّ اللّغة من التوقيف والاصطلاح معًا ، وذلك لأنّ " الألفاظ إمّا أن تدلّ على المعاني بذواتها ، أو بوضع اللّه إيّاها أو بوضع الناس ، أو بكون البعض بوضع اللّه والباقي بوضع الناس ، والأوّل مذهب عبّاد بن سليمان ، والثاني مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري وابن فورك ، والثالث مذهب أبي هاشم ، وأما الرابع : فإمّا أن يكون الابتداء من الناس والتتمّة من اللّه ، وهو مذهب قوم . أو الابتداء من اللّه والتتمّة من الناس ، وهو مذهب الأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني .

" والمحقّقون متوقّفون في الكلّ ، إلاّ في مذهب عبّاد "(١) ودليل فساده أنّ اللّفظ لو دلّ بالذات لفهم كلّ واحد منهم كلّ اللّغات ، لعدم اختلاف الدّلالات الذاتيّة واللازم باطل ، فالملزوم كذلك " .(٢)

ثمّ يأخذ السيوطيّ في عرض احتجاج القائلين بالتوقيف ، ثم احتجاج القائلين بالاصطلاح ، فقد احتجّ الأوّلون بأربعة وجوه ، أوّلها : قوله تعالى " وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا " ، وثانيها : ذمّ اللّه تعالى قومًا في إطلاقهم أسماء غير توقيفيّة في قوله تعالى "إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا "(٣) ، وثالثها : قوله تعالى " وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ "(٤) ، ورابعها : " لو كانت اللّغات اصطلاحيّة لاحتيج في التخاطب بوضعها إلى اصطلاح آخر من لغة أو كتابة ، ويعود إليه الكلام ، ويلزم إمّا الدّور أو التسلسل في الأوضاع ، وهو محال ، فلا بدّ من الانتهاء إلى التوقيف "(٥) .

واحتجّ الأخيرون بوجهين : أوّلهما " لو كانت اللّغات توقيفيّة لتقدّمت واسطة البعثة على التوقيف ، والتقدّم باطل ، وبيان الملازمة أنّها إذا كانت توقيفيّة فلا بدّ من واسطة بين اللّه والبشر ، وهو النبيّ ، لاستحالة خطاب اللّه تعالى مع كلّ أحد ، وبيان بطلان التقدّم قوله تعالى : وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ (٦) . وهذا

(١) وهو : دلالة الألفاظ على المعاني بذواتها .
(٢) المزهر : ١/١٦ ـ ١٧
(٣) سورة النجم : آية : ٢٣ .
(٤) سورة الروم : آية ٢٢
(٥) المزهر : ١/١٧ ـ ١٨
(٦) سورة إبراهيم : آية ٤

يقتضي تقدّم اللّغة على البعثة " .(١)

وثانيهما " لو كانت اللّغات توقيفيّة فذلك إمّا بأن يخلق اللّه تعالى علماً ضروريّاً في العاقل أنّه وضع الألفاظ لكذا ، أو في غير العاقل ، أو بألاّ يخلق علماً ضروريّاً أصلاً ، والأوّل باطل ، وإلاّ لكان العاقل عالماً باللّه بالضرورة ، لأنّه إذا كان عالماً بالضرورة بكون اللّه وضع كذا لكذا ، كان علمه باللّه ضروريّاً ، ولو كان كذلك لبطل التكليف . والثاني باطل ، لأنّ غير العاقل لا يمكنه إنهاء تمام هذه الألفاظ . والثالث باطل ، لأنّ العلم بها إذا لم يكن ضروريّاً احتيج إلى توقيف آخر ، ولزم التسلسل " (٢).

وفي الردّ على حجج أصحاب التوقيف الأوّلين ، والجواب عن الوجوه الأربعة المتقدّمة التي أوردوها ، يورد على الأوّل : جواز أن يكون المراد من تعليم الأسماء الإلهام إلى وضعها ، وعلى الثاني : أنّ اللّه سبحانه وتعالى ذمّ أولئك القوم لأنّهم سمّوا الأصنام آلهة ، وعلى الثالث : أنّ المراد بالألسنة في الآية الكريمة مخارج الحروف والقدرة عليها ، وعلى الرابع : " أنّ الاصطلاح لا يستدعي تقدّم اصطلاح آخر بدليل تعليم الوالدين الطفل دون سابقة اصطلاح معه " .(٣)

وفي الجواب عن حجّتي أصحاب الاصطلاح المتقدّمتين ، يورد على الأولى : جواز أن يخلق اللّه تعالى العلم الضروريّ في الجميع بأنّ الألفاظ وضعت لكذا وكذا ، وعلى الثانية : جواز أن يخلق اللّه تعالى العلم الضروريّ في العقلاء . ، وجواز أن يكون الإله معلوم الوجود — بالضرورة للعقلاء .(٤)

ثمّ يتناول السيوطيّ مسائل متفرّقة تتعلّق بهذا الباب ، أوّلها : مسألة ثبوت اللّغة ، هل تثبت توقيفاً أو اصطلاحاً ، فقد " ذهبت المعتزلة إلى أنّ اللّغات بأسرها تثبت اصطلاحاً (٥) ، وذهبت طائفة إلى أنّها تثبت توقيفاً .

---

(١) المزهر : ١/ ١٨

(٢) نفسه .

(٣) نفسه : ١/ ١٩ ، وفيه " دون سابقة اصطلاح ثمة " ، وبالرجوع إلى النسخة الخطيّة ٥٦ لغة من المزهر في مكتبة عارف حكمت ، وجدناها " دون سابقة اصطلاح معه " : ق ٤/ ب .

(٤) انظر : المزهر ١/ ١٩ — ٢٠

(٥) لأنّ اللّغات — عندهم — لا تدلّ على مدلولاتها دلالة عقليّة ، بحيث لا يجوز اختلافها

" وزعم الأستاذ / أبو إسحاق الإسفراييني أنّ القدر الذي يدعو به الإنسان غيره إلىٰ التواضع يثبت توقيفاً ، وما عدا ذلك يجوز أن يثبت بكلّ واحد من الطريقين .

" وقال القاضي أبو بكر : يجوز أن يثبت توقيفاً ، ويجوز أن يثبت اصطلاحاً ، ويجوز أن يثبت بعضه توقيفاً وبعضه اصطلاحاً ، والكلّ ممكن " (١)

ولا يزال السيوطيّ يتكلّم في هذه المسألة ، ويعرض ما جاء فيها من أقوال وردود لطائفة كبيرة من العلماء في مختلف الفنون ، حتىٰ ينتقل بنا إلىٰ المسألة الثانية : في الطريق إلىٰ علم اللّغات إذا أخذنا بمذهب من قال بتوقيفية اللّغة ، ويقول : " إذا قلنا بقول الأشعري إن اللّغات توقيفيّة — ففي الطريق إلىٰ علمها مذاهب حكاها ابن الحاجب وغيره : أحدها بالوحي إلىٰ بعض الأنبياء ، والثاني بخلق الأصوات في بعض الأجسام ، والثالث بعلم ضروري خلقه في بعضهم حصل به إفادة اللّفظ للمعنىٰ .

" قال ابن السبكي في رفع الحاجب : والظاهر من هذه هو الأوّل ، لأنّه المعتاد في علم اللّه تعالىٰ " . (١)

ثمّ ينتقل إلىٰ مسألة قلب اللّغة ، هل يجوز فيها القلب أم يمنع مطلقاً ، فيحكي لنا عن بعض القائلين بالتوقيف منع القلب مطلقاً ، " فلا يجوز تسمية الثوب فرساً ، والفرس ثوباً " (٢) وعن القائلين بالاصطلاح والمواضعة جواز القلب مطلقاً ، لأنّ كلا الفريقين يريد أن ينسجم مع مذهبه في التوقيف والاصطلاح .

" وأمّا المتوقّفون — قال المازريّ — فاختلفوا ، فذهب بعضهم إلىٰ التجويز ، كمذهب قائل الاصطلاح ، وأشار أبو القاسم عبد الجليل الصابوني إلىٰ المنع ، وجوّز كون التوقيف وارداً علىٰ أنّه وجب ألاّ يقع النطق إلاّ بهذه الالفاظ .

---

(١) المزهر : ١/ ٢٠

(٢) نفسه : ١/ ٢٥ .

(٣) نفسه : ١/ ٢٦ .

" قال ابن السبكي : والحقّ عندي — وإليه يشير كلام المازريّ — أنّه لا تعلّق لهذا بالأصل السابق ، فإنّ التوقيف لو تمّ ليس فيه حَجْر علينا ، حتىٰ لا يُنطق بسواه ، فإن فرض حجر فهو أمر خارجيّ ، والفرع حكمه حكم الأشياء قبل ورود الشرائع فإنّا لا نعلم في الشرع ما يدل عليه ، وما ذكره الصابونيّ من الاحتمال مدفوع ..... وهذا كلّه فيما لا يؤدّي قلبه إلىٰ فساد النظام ، وتضييعه إلىٰ اختلاط الأحكام ، فإن أدّى إلىٰ ذلك — قال المازريّ — فلا يختلف في تحريم قلبه ، لا لأجل نفسه ، بل لأجل ما يؤدّي إليه .

" قال في شرح المنهاج (١) : إنّ بناء المسألة علىٰ هذا الأصل غير صحيح ، فإنّ هذا الأصل في أنّ هذه اللّغات الواقعة بين أظهرنا هل هي بالاصطلاح أو التوقيف؟ لا في شخص خاصّ اصطلح مع صاحبه علىٰ إطلاق لفظ الثوب علىٰ الفرس مثلاً " (٢) .

ثمّ ينتقل إلىٰ مسألة التوقيف ، هل وقع في الابتداء علىٰ لغة واحدة ، أو علىٰ اللّغات جميعاً ؟ فيذكر — كعادته — أقوال الناس في هذه المسألة بعد أن تتبّعها في عدد من الكتب ، مثل : البحر للزركشي ، وشرح الأسماء له أيضاً ، والتفسير لوكيع ، والتفسير لعبد بن حميد ، والتفسير لابن أبي حاتم ، والتفسير لابن جرير ، وكتاب المبتدأ لإسحاق بن بشر ، وتاريخ دمشق لابن عساكر ، ومسند الفردوس للديلمي .

قال الزركشي " حكىٰ الأستاذ أبو منصور قولاً : إنّ التوقيف وقع في الابتداء علىٰ لغة واحدة وما سواها من اللّغات وقع التوقيف عليها بعد الطوفان من اللّه تعالىٰ في أولاد نوح حين تفرّقوا في أقطار الارض" (٣) .

وقال في شرح الأسماء " قال الجمهور الأعظم من الصحابة والتابعين من المفسّرين : إنّها كلّها توقيف من اللّه تعالىٰ . وقال أهل التحقيق من أصحابنا : لابدّ من التوقيف في أصل اللّغة الواحدة ، لاستحالة وقوع الاصطلاح علىٰ أوّل اللّغات من غير معرفة من المصطلحين بعين ما اصطلحوا عليه ، وإذا حصل التوقيف علىٰ لغة

---

(١) شرح منهاج البيضاوي لتاج الدّين السبكي .
(٢) المزهر : ١/ ٢٦ — ٢٧ .
(٣) نفسه : ١/ ٢٧ .

واحدة جاز أن يكون ما بعدها من اللّغات اصطلاحاً ، وأن يكون توقيفاً ، ولا يقطع بأحدهما إلاّ بدلالة » . (١)

قال : « واختلفوا في لغة العرب ، فمن زعم أنّ اللّغات كلّها اصطلاح فكذا قوله في لغة العرب ، ومن قال بالتوقيف على اللّغة الأولى ، وأجاز الاصطلاح فيما سواها من اللّغات اختلفوا في لغة العرب ، فمنهم من قال : هي أوّل اللّغات ، وكلّ لغة سواها حدثت بعدها إمّا توقيفاً أو اصطلاحاً ، واستدلّوا بأنّ القرآن كلام اللّه وهو عربيّ ، وهو دليل على أنّ لغة العرب أسبق اللّغات وجوداً .

« ومنهم من قال : لغة العرب نوعان : أحدهما — عربيّة حمير ، وهي التي تكلّموا بها من عهد هود ومن قبله ، وبقي بعضها إلى وقتنا هذا ، والثانية — العربيّة المحضة التي نزل بها القرآن » . (٢)

حتى إذا استوفى هذه المسألة حقّها ، عرج على المسألة التالية لها في أقسام العرب ، معتمداً على ما رواه ابن دحية في التنوير ، والجوهري في الصحاح ، وابن دريد في الجمهرة ، وابن عساكر في التاريخ ، والحاكم في المستدرك ، والبيهقي في شعب الإيمان .

ثمّ تركها إلى التي بعدها ، وهي في : أوّل من تكلّم بالعربيّة ، هل هو إسماعيل ابن إبراهيم عليهما السلام ، أو هو يعرب بن قحطان ، أو هو جرهم ؟

ثمّ يختتم السيوطيّ هذه المباحث الصغيرة بفائدة ذكر فيها بعضاً من النصوص الدّالّة على إيحاء اللّغة إلى نبيّنا — عليه أفضل الصلاة والسلام — وكيف كانت لغة إسماعيل ابن إبراهيم عليهما السلام قد درست ، فجاء بها جبريل عليه السلام إلى النبيّ عليه السلام ، فحفّظه إيّاها ، فحفظها ، فكان أفصح العرب . (٣)

بهذه الطريقة نفسها يمضي السيوطيّ في عرض مسائلة الأخرى ، جامعاً المعلومات المختلفة والحقائق المشتّتة والأقوال المبعثرة والرّدود المتناثرة ، ينتزعها

---

(١) المزهر : ١/٢٧ .
(٢) نفسه : ١/٢٧ — ٣١ .
(٣) انظر : ١/٣٤ فما بعد .

من أمكنتها الصديدة ، ويحشدها في مكانها المناسب من بحوثه ، ويلبسها حلّة قشيبة من التأليف الحافل المتخصّص المستوعب ، ذي الطابع العلميّ القائم على التخطيط والتنظيم والاستيفاء .

* * *

وكان من ثمار هذه السنة عند السيوطيّ في المجال اللّغوي الخاصّ : رسائل تحاول أن تجمع وتستقصي ألفاظاً لغويّة ذات طابع خاص ، سواء أكان ذلك الطابع من معناها ، كأن تكون هذه الألفاظ جميعاً تتحدّث عن حيوان ما وما تعلّق به ، فتعطينا الرسائل اللّغويّة على الموضوعات ، أو أن يكون من المصدر الذي وردت فيه ، كأن تكون في القرآن أو الحديث ، فتعطينا رسائل غريب القرآن ، وغريب الحديث ، أو أن يكون ذلك الطابع من ظاهرة لغويّة تغلب عليها ، كأن تكون هذه الألفاظ مهموزة مثلاً .

ومن الضرب الأوّل :

١ — جمع السيوطيّ ما ذكرته الكتب اللّغويّة السابقة في أسماء العقرب ، وألّف من مجموع هذه الأسماء الرسالة التي سمّاها " بلوغ المآرب في أخبار العقارب " .

٢ — وجمع أيضاً ما ذكرته كتب اللّغة المختلفة في أسماء الذئب ، وجرّد من هذا المجموع الرسالة التي سمّاها " التهذيب في أسماء الذيب " .

٣ — وجمع كذلك ما وقع في متفرّقات كتب اللّغة والمعاجم من أسماء الخيل ، وصنّف من هذه الأسماء الرسالة التي سمّاها " جرّ الذيل في علم الخيل " .

٤ — والتقط من كتب اللّغة والمعاجم المختلفة أسماء البُرغوث ، وأفردها في الرسالة التي سمّاها " الطُّرثوث في فوائد البُرغوث " .

٥ — وله رسالته التي جمع فيها أسماء الحمام ممّا دوّنه المتقدّمون في مصنّفاتهم أو رسائلهم أو خطوطهم ، وسمّاها " طوق الحمامة " .

٦ — وله أرجوزته التي جمع فيها ما ذكرته الكتب اللّغويّة المختلفة في أسماء القطّ ، وسمّاها " نظام البلّور في أسامي السّنّور " .

٧ — وأفرد لأسماء الديك رسالته التي تحوي جلّ ما ذكرته كتب اللّغة والمعاجم في هذا الباب وهي " : " الوديك في فضل الديك " .

ومن الضرب الثاني :

١ — جمع الفوائد التي جاءت في مبهمات القرآن عند السّهيليّ ، وابن عساكر ، وابن جماعة ، وزاد عليها فوائد أخرى اقتبسها من مختلف كتب اللّغة والتفسير والمعاجم ، وألّف الرسالة التي سمّاها " مفحمات الأقران في مبهمات القرآن " .

٢ — وله رسالته في " مسألة استعمال ألفاظ القرآن في المحاورات " ، التي جمع فيها نصوصاً كثيرة للفيف من علماء اللّغة والتفسير .

٣ — وله رسالته في " المعاني الدقيقة في إدراك الحقيقة " ، التي جمع فيها فيضاً من النصوص التي تناولت — بالشرح والتأويل والاستدلال — قوله تعالى " وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ " .

٤ — وله رسالته التي جمع فيها ما تناثر في كتب أئمة العربيّة من أقوال في مسألة " خصيصى " ، هل هي بالقصر أو التثنية ؟ ، وسمّاها " ألوية النصر في خصيصى بالقصر " . (١)

٥ — وله " المتوكلي فيما في القرآن من اللّغات العجميّة " وهي الرسالة الطريفة التي التقط فيها ما أمكن له الالتقاط من جمهور كتب اللّغة التي تكلّمت عن هذا الموضوع .

ومن الضرب الثالث :

١ — جمع جلّ ما ورد في كتب المتقدّمين والمتأخّرين من الأخبار المرويّة في سبب وضع العربيّة ، وجرّد منها رسالته المستقلّة التي حملت عنوان " رسالة في سبب وضع علم العربيّة " .

---

(١) مطبوعة ضمن كتابه " الحاوي للفتاوى في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو والإعراب وسائر الفنون " : ٢/٤٧٨ — ٤٧٩ .

٢ - وتتبّع جملة كبيرة من أقوال العلماء في علم الخطّ ، وكيفيّة كتابة الألفاظ مع مراعاة حروفها لفظاً أو أصلاً ، والزيادة والنقص والوصل والفصل والبدل ، وأفرد لها رسالته التي سمّاها " رسالة في علم الخطّ " .

٣ - وفي باب التضمين ، عكف السيوطيّ على جمع ما تيسّر له من أقوال العلماء في بطون كتب اللّغة والنحو والبلاغة والأدب ، ووضع رسالته الموسومة " رسالة في تحقيق التضمين " .

الفصل الثاني
دقّة وسهولة عرضه

الحقّ أنّ معظم كتب السيوطيّ من حيث منهجها ومحتواها تُعتبر مثلاً أعلى لفنّ التأليف حتى عهده ، وهو بذلك يبزّ المتقدّمين ؛ فقد كانوا كثيراً ما يستطردون ويبعدون عن موضوعاتهم التي يعالجونها ؛ بحيث يفقدون القارئ نقطة واسعة يتحسّس بها الموضوع الأساسيّ الذي كان يقرؤه لهم ؛ ولذلك يبدو — في كتبهم — التكرار وعدم تركيز الأفكار ، وعدم التقسيم المحكم للأبواب غالباً ، وإنّما هي أفكار تتسرب ، وخواطر وسوانح يدعو بعضها بعضاً ، فلا يرون بأساً في تسجيلها ، طلباً لإفادة طالب العلم .

أمّا السيوطيّ ؛ فنجد لديه عقلية منطقيّة مرتّبة ، تُحسن تقديم المقدّمات واستخلاص النتائج ، وتنفر من الحشو واللغو والاستطراد ، وتعرف كيف تعبر في عرض موضوعها بطريقة منهجيّة منظّمة ؛ بحيث تعتقها كما ينبغي أن تكون ، وترتّب فصولها ترتيباً تسلسلياً يعالج — في كلّ فصل — جزءاً من فكرته الكليّة ، وتُنظّم الفصل الأول إلى الثاني ، والثاني إلى الثالث ، حتى تتجلى الفكرة ، وتسلك كلّ مسألة فيها بعقاب التي تليها ، وتتمّ وحدة الموضوع في تطابق ما يمكن أن نسمّيه بأنّه منهج علميّ دقيق .

وهذا الطابع المنهجيّ الواضح الذي اتسمت به العالميّة العظمى من مؤلّفات السيوطيّ يدلّنا على تأثّره الشديد بدراسة الحديث والفقه ، التي توفّر عليها ، كما يظهرنا على عنايته البالغة بتبويب موضوعاته وتيسير قراءتها على جمهور قرّائه ، كما يفعل المحدّثون والفقهاء والأصوليّون .

والظاهر أنّ دراية السيوطيّ بأصول الجدل (١) قد أكسبته دقّة منطقيّة وصرامة عقليّة قلّما نجد لها نظيراً عند غيره من علماء عصره ، فضلاً عن أنّ اهتماماته بالتعليم ونشر كتبه بين الناس (٢) ؛ قد هيآ له منهجاً محكماً في التأليف ، دعامته التنظيم والتسلسل ، فهو — أولاً — يضع منهجاً محدّداً للكتاب ، يجعل — أوّله — توضيحاً لفكرته ، ثم يأخذ في فصول متوالية يتحدّث عنها ، جامعاً النظير إلى نظيره ، ثمّ

---

(١) انظر : حسن المحاضرة : ١/ ١٩٠ .
(٢) انظر : بغية الوعاة : ١/ ٦ ، وشرح شواهد المغني : ١/ ٩ ، والمزهر : ٢/ ٣٣٠ .

يأتي بالشبه المختلفة في مواضعها ، شارحاً كلّ سبهة ، رادّاً عليها من أقوال العلماء ، ثم مبدياً رأيه .

وهو إنّما يفعل ذلك ، ليقرّب إلى الأفهام ما بعد من المسائل في الكتب اللّغويّة القديمة ، ويجنّبها التعقيد والغموض ، اللذين آتتنافا بسبب طابعها الابتدائي الصفوي البعيد عن التنسيق والترتيب ، ويحبّب إليها طلب العلم ، فالمجتمع — في زمانه — بدأ يهمل هذا التراث ، لانشغاله بأموره الخاصة التي فرضتها عليه ظروف الحياة من ضيق أسباب المعاش وتغيّر الأوضاع المألوفة ، كما بيّنا ذلك في مكانه من البحث (١) ، وتقاصرت هم الناس ، فتقاعدوا عن الدرس والتحصيل ، و" غلب عليهم الجهل وتمّهم " (٢) ، فطالب العلم فيهم " كثير السآمة ملول " (٣) ، وأجزاء العلم الواحد مبعثرة في متفرقات الكتب ، و" لا همّة لأحد في تحصيلها ، ولا الإحاطة بجملتها وتفصيلها " (٤) .

وهو حين يكتب ، لا يكتب لنفسه ، على نحو ما يفعل بعض معاصريه (٥) ، وإنّما يكتب لنشر العلم وإحيائه ، لأنّ من وظائف اللّغوي عنده " الرواية والتعليم ومن آدابهما الإخلاص ، وأن يقصد — بذلك — نشر العلم وإحياءه ، والصدق في الرواية والتحرّي والنصح في التعليم ، والاقتصار على القدر الذي تحمله طاقة المتعلّم " (٦) ، فلابدّ — إذن — من الدقّة والسهولة في العرض .

ومن مظاهر الدقّة والسهولة في العرض عند السيوطي :

(أ) تحديد نطاق الموضوع : فعلى الرغم من أنّ السيوطيّ كان غزير التأليف — كما بيّنا في موضعه من البحث (٧) — لا نكاد نجد بين مؤلّفاته جميعاً ، وخاصة

---

(١) انظر : ص ٦ — ٧ .
(٢) الردّ على من أخلد إلى الأرض وجهل أنّ الاجتهاد في كلّ عصر فرض : ص ٢ .
(٣) شرح شواهد المغني : ١/ ٩ .
(٤) بغية الوعاة : ١/ ٦ .
(٥) من مثل النويريّ ، الذي بدأ عمله بجمع ما طالعه في الكتب ، في كتابه "نهاية الأرب" ، ليستأنس به هو نفسه ، ويرجع إليه متى أراد ، ولاستيعاب ما طالعه وضبطه في دفتر ، لكيلا ينساه وليس بإرادة تأليف كتاب يسهم به في الإنتاج العلمي ، ثمّ غيّر رأيه لما وجد من نفاسة ما وصلت إليه يداه من آثار المتقدّمين ، ومن ثمّ جرد منها كتابه ليكون ذا فائدة للآخرين أيضاً ، يرجعون إليه كلّما اضطروا إلى مراجعته ، ويستأنسون به كلّما خلوا إلى أنفسهم ، وانظر مقدّمة نهاية الأرب : ١/ ٢ — ٣ .
(٦) المزهر ٢/ ٣٣٠ . (٧) انظر : ص ٣٥ وما يليها .

الكبيرة منها ، كتاباً واحداً لم يبدأه بتحديد موضوع بحثه ، وتعيين خطّته في الدّراسة ، والنصّ على الهدف الذي قصد إليه من وراء تأليفه ؛ فلم يكن السيوطيّ يكتب لمجرد الكتابه ، أو رغبة منه في أن يقال إنّه ألّف مئات الكتب والرسائل ، وإنّما كان يكتب مبتغياً بعلمه وجه اللّه تعالى ، ثمّ تحقيق أكبر نفع ممكن لطالبي العلم .

فهو حين يقدّم لنا — مثلاً — كتابه "شرح شواهد المغني" يقول : "خطر لي أن أفرد الكلام على الشواهد ، فشرعت في كتاب بسيط وجامع محيط ، أورد فيه عند كلّ بيت : القصيدة بتمامها ، وأتبعها بفوائد ولطائف يبهج الناظر حسن نظامها. فرأيت الأمر — في ذلك — يطول ، والإنسان كثير السآمة ملول ؛ بحيث إني قدّرت تمام ذلك في أربع مجلّدات (١) ، فعدلت إلى طريقة وسطى عن تلك الطريقة الأولى ، مع ضمان الفوائد التي لا يستطيعها إلاّ ذو يدٍ طولى ؛ فأورد — أوّلاً — البيت المستشهد به ، ثم أتبعه بتسمية قائله ، والسبب الذي لأجله قيلت القصيدة ، ثم أورد — من القصيدة — أبياتاً أستحسنها ؛ إمّا لكونها مستشهداً بها في مواضع أخر من الكتاب ، فأوردها ليعلم أنّ الجميع من قصيدة واحدة ، أو لكونها مستشهداً بها في غيره من كتب العربيّة والبيان ، أو لكونها مستعذبة النظر مستحسنة المعنى لاشتمالها على حكمة أو مثل أو نادرة أو وصف بليغ أو نحو ذلك . وإن كان البيت من مقطوعة وهي مما لم يزد على عشرة أبيات ذكرتها بكمالها ، وقد أذكر قصيدة بكمالها لقلّة أبياتها وكونها كلّها مما يستحسن ، كقصيدة السؤال التي أوّلها :

"إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ اللُّؤْمِ عِرْضُهُ

"أو لكون المصنّف استشهد بكثير من أبياتها ، كقصيدة الأعشى التي أوّلها :

"أَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا

" ثم أتبع ما أورده من الأبيات بشرح ما اشتملت عليه من الغريب والمشكل ، وبيان ما تضمّنته من الاستشهادات العربيّة والنكت الشعريّة ، وما يتعلّق بها من فائدة ونادرة وموارده ، وأتبع ذلك بالتعريف بقائلها وذكر نسبه وقبيلته وعصره ، وهل هو جاهلي أو مخضرم أو إسلامي ، مراعياً — في كلّ ذلك — الطريق الوسط ، لا مجحفاً في الاختصار ، ولا مبالغاً في الإطناب والإكثار ... وأرجو — إنْ تمّ هذا الكتاب — أن يكون جامعاً

---

(١) كذا .

في هذا الباب ، مغنياً للطلاب عن التطلاب ، كافياً في جميع الشواهد العربيّة ، وافياً لما يحتاج إليه في أبيات الكتب الأدبيّة " . (١)

(ب) تقسيم الموضوع إلىٰ أبواب وفصول : ومن طريقة السيوطيّ في تبويب كتبه وعرض موادّه ، أنّه يلجأ - في مقدّمات هذه الكتب - إلىٰ التنويه بأقسامها وأنواعها ، أو يثبت - في مستهلّها - قوائم بمحتوياتها ، أشبه ما تكون بفهارس الموضوعات في عصرنا الحاضر (٢) ، فيرسم لنا - بهذا أو ذاك - أساساً دقيقاً للطريقة التي سيجري عليها في تبويب هذه الكتب وتنسيق موادّها ، للاستعانة بهذا المخطط علىٰ فهم هذه الكتب ؛ إذْ لا شك في أنّ تقسيم الكتاب إلىٰ أبواب وفصول ، ووضع الأسس التي سيسلكها المؤلّف في عرض مادّته العلميّة ، مما ييسّر للقارىء الاطلاع الواعي ، ويساعده علىٰ الإفادة من غير إضاعة للوقت .

يقسم السيوطي كتابه " معترك الأقران " مثلاً - إلىٰ خمسة وثلاثين قسماً ، يبحث كلّ قسم منها في وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم ، بعناية وإحاطة وحسن ترتيب وتبويب ؛ حيث يبدأ الحديث - في كلّ قسم - بذكر من ألّف في موضوعه ، وأسماء الكتب التي بحثت فيه ، وإن كان هو ألّف فيه شيئاً ذكره ، وهو - إلى ذلك - يعمد غالباً ، إلىٰ وصف هذه الكتب ، وبيان قيمتها ، وأسلوبها .

ثمّ يأخذ في عرض موضوع القسم ، منبّهاً إلىٰ أهمّيته ، مشيراً إلىٰ اختلاف العلماء فيه ، حتىٰ إذا أتىٰ علىٰ آخر القسم ، ختمه بفوائد وتنبيهات وأقوال كليّة .

وليس هذا فحسب ، فقد يبلغ السيوطيّ حدّ الإغراق في طلب التقسيم ، في عرض مادّته العلميّة ، داخل القسم الواحد ، كما فعل في كثير

---

(١) شرح شواهد المغني : ١/ ٩ - ١١ ، انظر - إن شئت - مقدّمة كتابه " المزهر " : ١/ ١ - ٤ ، ومقدّمة كتابه " معترك الأقران " : ١/ ١ - ١٣ ، ومقدّمة كتابه " ديوان الحيوان " : ١/ ١ ومقدّمة كتابه " الإتقان " : ١/ ٣ - ٢١ ومقدّمة كتابه " الأشباه والنظائر النحويّة " : ١/ ٢ - ٨ ، ومقدّمة كتابه " الوشاح " : ق ٢ - ٣/ ب

(٢) علىٰ نحو ما فعل في مستهلّ كتابيه " المزهر " ، و " الإتقان " مثلاً .

من كتبه .

فإذا عدنا إلى " معترك الأقران " مثلاً ، وجدناه يقسم كلّ قسم في الكتاب إلى عدد من المباحث الصغيرة (١) ، كلّ منها يتناول جزءاً من قضيّة القسم الكليّة ؛ فالقسم العاشر ، مثلاً ؛ وهو في " اختلاف ألفاظ القرآن الكريم في الحروف ، وكيفيّتها من تخفيف وتشديد وغيرهما " (٢) ، جاء في ستة مباحث ؛ هي : القراءات السبع المتواتره ، معرفة توجيه القراءات ، التمسّك بقراءات سبعة ، الخارج عن السبع المشهورة ، لاختلاف القراءة وتنوّعها فوائد ، المقصد من القراءة الشاذّة .

والقسم الحادي عشر ؛ وهو في " تقديم بعض ألفاظ القرآن الكريم ، وتأخيرها في مواضع ، (٣) جاء في مبحثين ؛ هما : قسما التقديم والتأخير ، أسباب التقديم وأسراره .

والقسم الثالث عشر ؛ وهو في " احتواء القرآن الكريم على جميع لغات العرب ، ولغة (٤) غيرهم من الفرس والروم والحبشة وغيرهم " (٥) ، جاء في ثلاثة مباحث هي : ما في القرآن بغير لغة الحجاز ، اللغات في القرآن ، ليس في القرآن حرف غريب .

والقسم الثالث والعشرون ؛ وهو في وقوع الحقائق والمجاز في القرآن الكريم (٦) ، جاء في خمسة مباحث ؛ هي : أقسام المجاز ، أنواع مختلف في عدّها من المجاز ، ما يوصف بأنّه حقيقة أو مجاز باعتبارين ، الواسطة بين الحقيقة والمجاز ، مجاز المجاز .

---

(١) وإذا نحن طالعنا بعض هذه المباحث الصغيرة ، رأينا إلحاح السيوطيّ في طلب التقسيم حتى داخل المبحث الواحد ، حيث قد يقسمه هو بدوره إلى عدد من مباحث أصغر ، يزيد أو ينقص بحسب طبيعة المباحث نفسها .

(٢) انظر معترك الأقران : ١/ ١٦١ ـ ١٧٠ .

(٣) انظر : ١/ ١٧١ ـ ١٨٠ .

(٤) كذا .

(٥) انظر : ١/ ١٩٥ ـ ٢٠٦ .

(٦) انظر : ١/ ٢٤٦ ـ ٢٦٨

والقسم الخامس والثلاثون ، وهو في " ألفاظ القرآن الكريم المشتركة " (١) ، جاء في ثمانية عشر مبحثاً ، جمع فيها السيوطيّ ألفاظاً من القرآن الكريم ، ورتّبها على حسب حروف الهجاء ، مبتدئاً بحرف الهمزة ، منتهياً بحرف الياء ، وفسّرها ، وأحاط بمعانيها ، وأزال غموضها ، ورجع - في كلّ ذلك - إلى كتب التفسير والحديث واللّغة وغيرها ، فجاء هذا القسم - في ١٤٦١ صفحة من القطع المتوسط - كما لو كان معجماً شاملاً يشرح ألفاظ القرآن الكريم ، كما وردت ، على طريقة المعاجم الحديثة ، من غير نظر إلى أصول هذه الألفاظ .

* * *

وهكذا نجد معظم مؤلّفات السيوطيّ قد اتّسمت بطابع التقسيم والتفريع ، طلباً لمزيد من الدقّة والتنظيم وسهولة العرض (٢) ، فسلم من كثير من سمات التأليف عند معاصريه .

وهي ميزة تذكر بالفخر للسيوطيّ ومن لفّ لفّه من العلماء بعده ، ممن اهتدوا بتفكيرهم العلميّ السليم إلى مثل هذه الأسس التأليفيّة التي لا تخرج كثيراً عمّا يتبع في تأليف الكتب في عصرنا الحاضر ، على ما بيننا وبينهم في حساب الزمن ، وعلى الرغم من كلّ ما طرأ على مناهج التأليف العلميّ في عصرنا من تطوير وتحسين .

(ج) مراعاة التسلسل الموضوعيّ : وهو لا يقتصر على تسهيل طريق الإفادة من كتبه - في غير مشقّة - بالوقوف عند حدّ تقسيم المادّة العلميّة إلى أقسام ، بل يصعد - كذلك - إلى تنسيق هذه الأقسام وترتيبها ترتيباً تسلسليّاً ، يعالج - في كلّ قسم - بعضاً من فكرة الكتاب الكليّة ، ويسلم كلّ قسم إلى الذي يليه ، بحيث قد لا تفهم المسألة الواحدة من الكتاب إلاّ بعد الإلمام بما سبقها من مسائل ، وبحيث يأتي الكتاب وحدة متصلة الأجزاء .

---

(١) انظر : معترك الاقران : ١/٥١٤ - ٣/٦٤٩ .
(٢) انظر - إن شئت - مثلاً : كتاب الاقتراح ، وديوان الحيوان .

ففي كتاب " المزهر " مثلاً ، يبدأ السيوطي بمعالجة قضايا الوضع في اللّغة ومتعلّقاتها أوّلاً ، ثمّ يعالج قضايا الألفاظ ، فقضايا المعنى اللّغويّ ، فقضايا متفرّقة تعرّض فيها إلى خصائص العربيّة ، واختلاف لغاتها وعدّة أبنيتها ، وطرائقها ، ورواتها وأوّليّة الشعر ومشاهير الشعراء الذين يحتجّ بهم في العربية ، وأغلاطهم وأغلاط الرواة .

وفي : قضايا الوضع في اللّغة ومتعلّقاتها — مثلاً — يعالج ، أوّلاً ، قضيّة الصحيح في اللّغة ، ثمّ ما لم يصحّ ولم يثبت ، فالمتواتر والآحاد ، فالمرسل والمنقطع ، فالأفراد ، فمن تقبل روايته ومن تردّ ، فطرق الأخذ والتحمّل ، فالمصنوع .

وفي : قضيّة الصحيح في اللّغة — مثلاً — قدم ، أوّلاً ، بين يدي هذه القضيّة حدّ اللّغة وتعريفها ، وأقوال بعض العلماء في ذلك ، ثمّ بحث في قضيّة الوضع ، وهل هي توقيفيّة أو اصطلاحيّة ، ومدى الارتباط بين المعاني والفاظها ، فالقياس في اللّغة ، فسعة العربيّة ، فعدّة أبنيتها ، فأوّل من صنّف في جمعها .

وفي : قضيّة أوّل من صنّف في جمع اللّغة — مثلاً — تعرّض للكتب التي ألّفت في هذا الميدان ، وبحثها بحثاً تاريخيّاً ، فذكر أنّ أوّل من ألّف فيها الخليل بن أحمد الفراهيدي ، وذلك في كتابه المنسوب إليه " العين "(١) ونقل لنا آراء العلماء فيه ، وفي نسبته إليه ، وتعرّض للكتب التي ألّفت بعد "العين" في اختصاره أو الاستدراك عليه ، أو التي نسجت على منواله وتعرّض للذين التزموا بالصحيح من أصحاب المعاجم ، وذكر أنّ غالب الكتب التي ألّفت بعد "العين" لم يلتزم بها مؤلّفوها الصحيح ، بل جمعوا فيها ما صحّ وغيره ،(٢) وهكذا .

---

(١) نشر الجزء الأوّل منه بتحقيق الدكتور عبد اللّه درويش — في بغداد سنة ١٩٦٧ م وفي مجلة " لغة العرب " ٦١/٤ أنّه يقع في نحو ٢٥٠٠ صفحة في خمسة أجزاء ، يحوي كلّ جزء منها ٥٠٠ صفحة بحجم المجلة .

(٢) انظر : المزهر ٧٧/١ — ١٠٢ .

ويدخل في باب التسلسل في عرض المادّة العلميّة — عند السيوطيّ — لجوؤه الكثير إلىٰ العرض المتدرّج أبجديًّا من الألف إلى الياء ، في الموضوعات التي تتفق وطبيعة هذا العرض ؛ كالمعاجم وكتب التراجم والطبقات والرسائل اللّغويّة التي يستقلّ كلّ منها بألفاظ معنىً أوجنس من أجناس النبات أو الحيوان أو الجماد .

ومثال ذلك ، ما فعله في كتابه " ديوان الحيوان " ؛ فقد جعله في ثمانية وعشرين كتاباً بعدد حروف المعجم ، وجعل كلّ كتاب في ثمانية وعشرين باباً ، ملتزماً — في الكتب والأبواب جميعاً — ترتيب كلّ كلمة فيها علىٰ أوّل الحرف وثانيه وثالثه ورابعه ؛ تقدم ما يجب تقديمه بحسب ترتيب الحروف الأبجديّة ؛ بأن تكون الألف قبل الباء ، والباء قبل التاء ، وهكذا . (١) ، وذلك في غير نظر إلىٰ أصول الكلمة وزوائدها ، باعتبار أنّ جميع ما يرد من أسماء في هذا الكتاب إنّما هي أعلام الحيوان مفردة .

وقد ضمّ السيوطيّ إلىٰ كتابه هذا عدداً من الرسائل ؛ يستقلّ كلّ منها بأسماء جنس من أجناس الحيوان ؛ هي : " نظام اللّسد في أسامي الأسد " و " الطُّرثوث في فوائد البُرغوث " ، و " طَوْق الحَمَامة " ، و " جرّ الذّيل في علم الخَيْل " ، و " الوَدِيّ في فضل الدّيك " ، و " التّهذيب في أسماء الذّيب " ، و " نظام البلّور في أسامي السّنّور " ، و " بُلوغ المآرب في أخبار العَقارِب " ، وسار فيها جميعاً علىٰ نحو ما سار في الكتاب .

وقد أتىٰ بكلّ منها ، ووضعها في مكانها من الكتاب ؛ فـ " نظام اللّسد في أسامي الأسد " في كتاب الهمزة ، ويتلوها " باب الإبل " ، و " الطُّرثوث في فوائد البُرغوث " يلي " باب البَراقِش " (٢) ويلي " الطُّرثوث في فوائد البُرغوث " " باب البُرقان " (٣) ، و " طَوْق الحَمَامة "

(١) أمّا ما أتبعه السيوطيّ — في ترتيب تراجم كتابه البغية — بذكر : المحدّثين والأحمدين — قبل البدء بحرف الهمزة ، فعلّته واضحة .

(٢) قال السيوطيّ : " البِرْقِش — بالكسر — طاير كالعصفور ملمع [كذا] يسمىٰ الشّرشور " : ديوان الحيوان : ق ٣٠ /أ .

(٣) قال السيوطي : البُرقان — بالضمّ — الجراد المتلوّن " : ق ٣٣/أ .

يلي " حِمَار قَبَّان " (١) ، ويليها " الحوت " ، و " جزّ الذّيل في علم الخَيْل " يلي " الخَيْطَل " (٢) ، ويليها " كتاب الدّال : باب الدّارِم " (٣) ، و " الوَدِيك في فضل الدّيك " يلي " الدَّيْسَم " (٤) ، ويليها " كتاب الذّال : باب الذّباب " و " التّهذيب في أسماء الذّيب " يلي " الذَّيْخ " (٥) ، ويليها " كتاب الرّاء : باب الرَّاحِلَة " (٦) ، و " نظام البِلّور في أسامي السِّنَّور " يلي " السِّنْجَاب " (٧) ويليها " السُّنُونُو " (٨) ، و " بلوغ المآرب في أخبار الحقارب " يلي " العُقَّال " (٩) ، ويليها " العَقْعَق " (١٠) .

وهكذا ، نجد أنّ معظم مؤلّفات السيوطيّ قد صدرت عن عقليّة منطقيّة لا تكاد تترك القضيّة الواحدة إلى التي بعدها إلاّ بعد أن يستكمل أسباب البحث في مختلف جوانب هذه القضيّة ، مراعاة للتسلسل الموضوعي .

(د) حذف الاستطرادات والزوائد عند النقل : فكثيراً ما يعمد السيوطي إلى التصرّف فيما ينقله ، عن طريق حذف الاستطرادات والزوائد ، أو تلخيص بعض العبارات بعبارته ، كأنّه يريد — من وراء ذلك — أن ينبّه إلى أنّ كثيراً من القدماء قد قلّلوا من غرض الإفادة من كتبهم — بما سلكوه من طرائق في عرض مادتهم العلمية — وحرموا طالبي المعرفة من النفائس المبعثرة

(١) قال السيوطيّ : " هي دويبة مستديرة تتولّد من الأماكن الندية ، على ظهرها مثل المجنّ ، مرتفعة الظهر ، كأنّ ظهرها قبّة ، إذا مشت لا يُرى منها سوى أطراف رجليها " : ق ٨٢ /أ .

(٢) قال " الخَيْطَل : السِّنَّوْر " : ق ١٠٦/ب .

(٣) قال : " الدَّارِم : القنفذ ، قاله ابن سيده ، قلت : في القاموس: الدَّرَّام — كسَدَّاد : القُنْفُذ " : ق ١٣٨/ب .

(٤) قال : "الدَّيْسَم : ولد الدبّ ، قال الجوهري : قلت لأبي النوث : يقال إنه ولد الذيب من الثلبة ، فقال : ماهو إلاّ ولد الدبّ من الكلبة ، وهو أغبر اللّون ، وغبرته ممزوجة بسواد " : ق ١٤٤/ب .

(٥) قال : " الذَّيْخ : ذكر الضِّباع " : ق ١٥٤/أ .

(٦) قال : " الرَّاحِلَة : النّاقة التي تصلح أن ترحل " : ق ١٥٨/أ .

(٧) قال : " السِّنْجَاب : حيوان على حدّ اليربوع أكبر من الفأر " : ق ١٦٧/ب .

(٨) قال : " السُّنُونُو — بضمّ أوّله والنونين — نوع من الخطّاف " : ق ١٧١/أ .

(٩) قال : " العُقَّال : القلوص الفتيّة " : ق ١٩٣/ب .

(١٠) قال : " العَقْعَق — كثعلب ، ويقال : القَعْقَع — أيضاً — ويسمّى : كُنْدُش بالمعجمة ، والأنثى عَقْعَقَة : طائر قدر الحمامة ، وجناحاه أكبر منها " : ق ٢٠٢ /أ .

التي تحتويها .

فهو يهدف إلىٰ أن يصل إلىٰ لبّ المعنىٰ الذي يوضّح رأي السالم الذي ينقل عنه ، ويأخذ من النصّ القدر الذي يحتاج إليه ، ولا بأس عنده — حين يعزّ النقل — أن يتنحّى المعنىٰ بعبارته ، ولذلك وجدناه في مواضع كثيرة من كتبه يختصر نصوصاً ، ويلخّص أخرىٰ .

وفي هذا المعنىٰ يقول السيوطيّ في خطّة كتابه " الاقتراح " : " واعلم أنّي قد استمددت في هذا الكتاب كثيراً من كتاب الخصائص لابن جنّي ، فإنّه وضعه في هذا المعنىٰ ، وسماه : أصول النحو ، لكنّ أكثره خارج عن هذا المعنىٰ ، وليس مرتّباً ، وفيه الغثّ والسمين والاستطرادات ، فلخّصت منه جميع ما يتعلّق بهذا المعنىٰ ، بأوجز عبارة ، وأرشقها ، وأوضحها ، معزواً إليه ، وضممت إليه نفائس أخر ، ظفرت بها في متفرّقات كتب اللّغة والعربيّة (١) ، والأدب ، وأصول الفقه ، وبدائع استخرجتها بفكري ، ورتّبته علىٰ نحو ترتيب أصول الفقه ، في الأبواب والفصول والتراجم " (٢)

وحين نستعرض كتاب " الاقتراح " ، لنرىٰ إلىٰ أيّ مدىً كان السيوطيّ يحذف الاستطرادات والزوائد في نقوله بما يفي غرضه وموضوع بحثه ، نجد أنّه عرج إلى كتب ابن جنّي وابن الأنباريّ — في المقام الأوّل — لاعتنائهما الكبير بفنّ " أصول النحو " وانتزع منها كثيراً (٣) ، وضمّه إلى مؤلّفه ، بعد أن تصرّف فيه كثيرا بالحذف والتلخيص والتهذيب .

وازن — مثلاً — بين ماجاء في " الاقتراح " (ص ٨) ، وبين ماجاء في " الخصائص " (٢/ ٢٩) ، وبين ماجاء في " الاقتراح " (ص ٨) ، وبين ماجاء في " الخصائص " (٢/ ١٥٢ — ١٥٣) ، وبين ماجاء في " الاقتراح " (ص ٢٢ فما بعد) ، وبين ماجاء في " الخصائص " (١/ ١١٤ فما بعد ، ١/ ٣٨٥ فما بعد ، و ٢/ ١٢ فما بعد) ، وبينما جاء في " الاقتراح " (ص ٢٤ فما بعد) ، وبين ماجاء

---

(١) كذا في النسخة المطبوعة ، وفي نسخة قسم المخطوطات بجامعة الرياض المحفوظة في مجموع تحت رقم ١٣٨٢ م : " في متفرّقات كتب اللّغة العربيّة " ق ٨ أ .

(٢) الاقتراح : ص ٢ .

(٣) ومن لطيف المصادفات أن يكون أوّل نقول السيوطيّ في " الاقتراح " من " الخصائص " وآخرها من " الخصائص " أيضاً ، انظر : ص ٢ ، و ٨٦ .

في " الخصائص" (٢/٥ فما بعد) ، فستجده يحذف جملاً كثيرة بأكملها ، ويكتفي بالأمثلة الدالّة على الاستشهاد فقط ، بل قد يترك تماماً — ما ذكره ابن جنّي من استشهاد بالشعر ، وينتقل من موضع إلى موضع — تاركاً ما بينهما من استطرادات وشروح وزيادات لا حاجة له بها .

وهو — في كلّ ذلك — يشير إلى ما يفصل ، فيقول في حال التلخيص مثلاً : " المسموع الفرد ، هل يقبل ويحتجّ به ؟ له أحوال لخّصتها من متفرّقات كلام ابن جنّي في الخصائص .... " (١) ، وفي حال الحذف والانتقال من موضع إلى آخر ، غالباً ما يعمد إلى ربط النصوص بعبارة " قال فلان " ، أو " وقال في موضع آخر " .

من ذلك " الكتاب الثاني في الإجماع ، والمراد به إجماع نحاة البلدين البصرة والكوفة ، قال ففي الخصائص : وإنّما يكون حجّة ، إذا لم يخالف المنصوص ولا المقيس على المنصوص ، وإلاّ فلا ، لأنه لم يرد في قرآن ولا سنّة أنّهم لا يجتمعون على الخطأ ، كما جاء النصّ بذلك في كلّ الأمّة ، وإنّما هو علم منتزع من استقراء هذه اللّغة فكلّ من فرق له عن علّة صحيحة وطريق نهجه — كان خليل نفسه وأبا عمرو فكره ، إلاّ أنّنا مع ذلك لا نسمح له بالإقدام على مخالفة الجماعة التي طال بحثها ، وتقدّم نظرها ، إلاّ بعد إمعان واتقان . انتهى .

"وقال في موضع آخر : يجوز الاحتجاج بإجماع الفريقين ، وذلك كإنكار أبي العبّاس (٢) جواز تقديم خبر ليس عليها ، فأحد ما يُحتجّ به عليه أن يقال : هذا أجازه سيبويه وكافة أصحابنا (٣) ، والكوفيّون أيضاً ، فإذا كان ذلك مذهباً للبلدين وجب أن تنفر عن خلافه .

" قال : ولعمري ، إنّ هذا ليس بموضع قطع على الخصم ، لأنّ للانسان

---

(١) الاقتراح : ص٢٢ ، وانظر : ص٩ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٣٠ ، ٣٥ ، ٦٠ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٤ .

(٢) يريد : أبا العباس المبرّد .

(٣) يريد : البصريين .

أن يرتجل من المذاهب ما يدعو إليه القياس ، ما لم يخالف نصّاً .

" قال : فما جاز خلاف الإجماع الواقع فيه منذ بدىء هذا العلم ، وإلى آخر هذا الوقت ، قولهم في : هذا جحر ضبّ خرب : إنّه من الشاذّ الذي لا يحمل عليه ، ولا يجوز ردّ غيره إليه (١) ، وأمّا أنا فعندي أنّ في القرآن مثل ذلك نيّفاً على ألف موضع " (٢)

وفي حال الإيجاز ينبّه - غالباً - بعبارة أو ببعض عبارة ، فقد يوجز - مثلاً - في الأمثلة التي ينقلها من كتاب ما ، بالاجتزاء ببعضها ، ثمّ يعلّق على صنيعه هذا بأنّه قد ترك شيئاً كثيراً من الأمثلة ، مادام ذلك لا يمسّ المعنى أو معنى هذه الأمثلة التي ينقلها بتغيير ما أو تحريف ما .

ففي المسألة الرابعة من مسائل مقدّمات " الاقتراح " - مثلاً - ، تناول السيوطيّ قضيّة مناسبة الألفاظ للمعاني ، ونقل نصّاً من كتاب " الخصائص " (٣) ، حشد فيه ابن جنّي طائفة هائلة من الأمثلة على ورود ما يؤكّد هذه المناسبة بين الألفاظ والمعاني في العربيّة ، فجعل السيوطيّ يوجز هذه الأمثلة (٤) ، حتى جمعها في صفحة واحدة من كتابه ، ثم يعلّق على ماجاء في هذا الباب بقوله : " وهذا الباب واسع جداً لا يمكن استقصاؤه " (٥) .

---

(١) لأنّه على حذف المضاف ، إذ المعنى : هذا جحر ضبّ خرب الجحر ، أو : هذا جحر ضبّ خرب جحره .

(٢) الاقتراح : ص ٣٥ - ٣٦ ، وقارن بالخصائص - على هذا الترتيب : ١/ ١٨٩ - ١٩٠ ، ١/ ١٨٨ - ١٨٩ ، ١/ ١٩١ - ١٩٢ .
ومن هذا الباب ماجاء في الاقتراح " أيضاً : ص ٧ - ٨ ، ص ٨ - ٩ ، ص ٢٠ ، ص ٢٢ - ٣٠ ، ص ٣٧ ، ص ٣٨ - ٣٩ ، ص ٤٦ - ٤٧ ، ص ٥٠ - ٥١ ، ص ٥٤ ، ص ٦٦ فما بعد ، ص ٧٨ فما بعد .

(٣) انظر : الاقتراح : ص ٨ - ٩ ، وقارن بالخصائص : ٢/ ١٥٢ - ١٦٨ .

(٤) جاءت في نحو سبع عشرة صفحة .

(٥) الاقتراح : ص ٩ .

وإذا عدنا إلى آخر هذا النصّ في " الخصائص " ، نجد ابن جنّي نفسه يقول : " فإنّني إن زدت على هذا مَلِلْتُ وأَمْلَلْتُ . ولو شئت لكتبت من مثله أوراقاً مئين ، فأبْهْ له ولا طِفْه ، ولا تَجُفْ عليه فيُعرِضَ عنك ولا يَبْهَأ بك " (١)

والحقّ أنّ سمة التصرّف في النقل — عند السيوطيّ — والتي تعتمد على : النقل بالمعنى حيناً — على نحو ما رأينا قبل قليل — وحذف الزوائد والاستطرادات حيناً ، والتشذيب والتهذيب حيناً — بحسب ما يقتضي المقام ، قد أمكنت طلاّب العلم كثيراً من قراءة آثار السالفين والانتفاع بنفائس تراثنا اللّغوي في وقت قصير ، وهو غاية ما ينشده السيوطيّ من هنّاته .

قال في خطبة كتابه " إتمام الدّراية " : " وبعد ، فلمّا ظهر لي تصويب الملحّين عليّ في وضع شرح على الكرّاسة التي سمّيتها — بالنقاية — (٢) وضمّنتها خلاصة أربعة عشر علماً ، وراعيت فيها غاية الإيجاز والاختصار ، وأودعت في طي ألفاظها ما نشره الناس في الكتب الكبار ، بحيث لا يحتاج الطالب معها إلى غيرها ، ولا يحرم الفطن المتأمّل لدقائقها من خيرها ، بادرت إلى ذلك قصداً لعموم العائدة وتمام الفائدة ، وإبرازاً لما أنا بآستخراجه أحرى ، إذْ صاحب البيت بما فيه أدرى " (٣)

وهذا يفسّر لنا إقبال السيوطيّ على تلخيص الكتب الكبيرة — لغيره من العلماء — في كتيبات ورسائل صغيرة الحجم (٤) ، كما يفسّر لنا لجوءه الدائب في كتبه هو إلى تلخيصها في رسائل صغيرة (٥) ، أو ضغطها — على الأقلّ — في أصغر حجم ممكن ، ألا تَرَى — مثلاً — كيف يختصر التراجم في " البغية " (٦) ، ويقتصر فيها

(١) الخصائص : ١٦٨/٢ .
(٢) طبع كتاب " النقاية " في الهند سنة ١٣٠٩ هـ .
(٣) إتمام الدّراية لقرّاء النقاية ، وهو شرح على كتاب " النقاية " ، طبع في مصر سنة ١٣٥٤ هـ : ص ٢ .
(٤) وقد ذكر حاجي خليفة في مناطق متفرّقة من كتابه " كشف الظنون " بعضاً من هذه التصانيف .
(٥) على نحو ما فعل في كتابه " مباسم الملاح ومناسم الصباح في مواسم النكاح " الذي جمع فيه كلّ ما يتصل بالنكاح ، من حيث الأحاديث والآثار اللّغوية والأخبار والنوادر والأشعار وغير ذلك ، على ما يحكي صاحب كشف الظنون ، فبلغت نحواً من خمسين كرّاسة ، وهو تأليف يتصل باللّغة من حيث ذكر أسماء النكاح ولغاته ، ثم اختصره في مصنّف صغير سمّاه " الوشاح " ، وانظر الكشف : ١٥٧٩ ، ١٠٨٩ .
(٦) انظر : البغية : ٣/١ — ٦ .

ـ غالباً ـ على ذكر اسم العالم ، وتاريخ وفاته ، وأسماء أساتذته وتلامذته ، وعناوين مصنّفاته ، ونتف من أخباره وآرائه المشهورة .

(هـ) الانتقال من الإجمال إلى التفصيل ، وهناك سمة أخرى في عرض السيوطي لمادّته العلميّة ، تتخذ ـ عنده ـ شكلاً دقيقاً وسهلاً يساعد القارىء على استيعاب ما جاء فيها من مسائل ومشاكل ، وهي ـ بدون شك ـ تدلّ على طبع سمح وفطرة مواتية ، وخاطر لطيف ، ونفس مطبوعة على الوضوح .

إنّها سمة الانتقال من الإجمال إلى التفصيل ، فإذا أراد أن يتطرّق إلى موضوع ما ، آثر أن يلخّص أجزاءه أولاً ، ثمّ يأخذ في تحليل الأجزاء جزءاً جزءاً حتى يأتي على آخرها .

وهو حين يؤثر أسلوب الإجمال فالتفصيل ـ متى ساعدته على ذلك طبيعة الموضوع المطروق ـ إنّما يهدف إلى تيسير بعض القضايا المتشابكة المتشعّبة ، وإحاطة القارىء بأطرافها المتعدّدة المتميّزة .

خذ مثلاً ، موضوع الألغاز في الفصل الثاني من النوع التاسع والثلاثين من المزهر " ، تجده أو جزه لنا ـ في صدر الفصل ـ في أضيق عبارة قائلاً :

" وهي أنواع : ألغاز قصدتها العرب ، وألغاز قصدتها أئمة اللّغة ، وأبيات لم تقصد العرب الإلغاز بها ، وإنّما قالتها فصادف أن تكون ألغازاً ، وهي نوعان : فإنّها تارة يقع الإلغاز بها من حيث معانيها ، وأكثر أبيات المعاني من هذا النوع ، وقد ألّف ابن قتيبة ـ في هذا النوع مجلّداً حسناً ، وكذلك ألّف غيره ، وإنّما سمّوا هذا النوع : أبيات المعاني لأنّها تحتاج إلى أن يسأل عن معانيها ، ولا تفهم من أوّل وهلة ، وتارة يقع الإلغاز بها من حيث اللّفظ والتركيب والإعراب .

" ونحن ذاكرون — من كلّ نوع من هذه الأربعة — عدّة أمثلة " (١) .

ثمّ تجده يأتي على النوع الأوّل فيعرض فكرته وأمثلته وأقوال الناس ، حتى إذا انجلى ووضح ، انعطف على النوع الثاني يعرضه ويجمع كلّ ما أمكنه من الشعر والنثر والمفردات للتمثيل عليه ، ويسرد شبة العلماء فيه ، وهكذا .

(و) أسلوبه العلميّ : في الوقت الذي كان فيه معظم العلماء الذين عاصرهم السيوطيّ يسلكون — في التأليف — دروباً وعرة ومتعاصية ، ويحفلون بالتقديم والتأخير ، ويغرمون بالكنايات ، ولا سيما الغريب البعيد منها ، ويولعون بالعبث بالألفاظ والحروف (٢) .

نجد السيوطي ينتحي ناحية الأسلوب العلمي ، ويدبّج به مؤلّفاته ، وهو أسلوب يغلب عليه الوضوح والجمال والدقّة (٣) ، كما يغلب عليه روح التحدّث والسرد والاسترسال (٤) ، في غير ما غموض أو إبهام ، ولا قيد من سجع أو بديع ، ولا إسفاف وابتذال .

فأنت إذا قرأت في كتبه ترى عبارة سهلة عذبة فصيحة ، وأسلوباً سائغاً وتعبيراً محكماً يتميّز عن كثير من علماء عصره في كتبهم وأساليبهم ، لأنه اختار لنفسه أن يعبّر عن مراده تعبيراً علمياً يجمع بين السلاسة والفصاحة ، واختاروا هم

---

(١) يريد : الألغاز التي قصدت العرب الإلغاز بها ، والألغاز التي قصدت أئمّة اللّغة الإلغاز بها ، والألغاز التي وقع الإلغاز بها من حيث المعنى ولم تقصد العرب الإلغاز بها ، والألغاز التي وقع الإلغاز بها من حيث اللّفظ ولم تقصد العرب الإلغاز بها ، انظر : المزهر : ١/ ٥٧٨ — ٦٢١ ، وانظر في هذا الباب كذلك : المزهر : ١/ ١٨٤ ، ١/ ٤٢٦ ، ١/ ٥٣٧ ، ١/ ٥٥٦ .

(٢) وطالع — في ذلك — كتاب " الأدب في العصر المملوكي " للدكتور محمد زغلول سلام : ٢/ ٧ فما بعد ، ٢/ ٤١ فما بعد ، وكتاب " الحركة الفكريّة في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأوّل " للدكتور عبد اللطيف حمزه : ص ٢٦٢ ، فما بعد .

(٣) على نحو ما نراه في عموم مؤلّفاته اللّغويّة والنحويّة والفقهيّة والحديثيّة التي يستخدم فيها الضوابط والقواعد والتقاسيم والمعقولات .

(٤) على نحو ما نراه في عموم مؤلّفاته الأخرى في التاريخ والأدب والإنشاء والترسّل .

لأنفسهم أتباع المنهج البديعيّ الذي كان سائداً في عصرهم وفي العصور الخالية حين يمارسون التأليف .

فبينما تجد أحدهم (١) يقول في رسالة له في " البشارة بالنيل " (٢) : " فلو خاصم النيلُ مياهَ الأرض لقال : عندي قبالة كلّ عين إصبع ، ولو فاخرها لقال : أنتِ بالجبال أثقل وأنا بالملق أطبع ، والنيل له الآيات الكبر ، وفيه العجائب والصبر ، منها وجود الوفاء عند عدم الصفاء ، وملوّ الهرم إذا احتدّ واضطرم ، وأمن كلّ فريق ، إذا قطع الطريق ، وفرج قحطان الأوطان — إذا كسر ، والماء — كما يُقال سلطان ، إلىٰ غير ذلك من خصائصه ، ومراعته مع الزيادة من نقائصه ، وهو أنّه في هذا العالم المبارك جذب البلاد من الجدب ، وخلّصها بذراعه وعصمها بخنادقه التي لا تراع من تراعه ، وحصّنها بسواري الصواري قلوعه وما هي إلاّ عمد تحت قلاعه " (٣)

بينما يقول ذلك ، تجد السيوطيّ يقول في رسالة له في " سبب وضع علم العربيّة " : " ... وأمّا التصريف فقد ذكر شيخنا العلاّمة محي الدّين الكافيجيّ — رحمه اللّه — في أوّل كتابه " شرح القواعد " أنّ أوّل من وضعه : معاذ بن جبل — رضي اللّه عنه — ولم تطمئن النفس إلىٰ ذلك .

" وسألته عنه لمّا قرأته عليه ، وما مستنده في ذلك ؛ فلم يجبني بشيء ، ولم أقف علىٰ سند لشيخنا في ذلك .

" ثمّ رأيت — في ترجمة معاذ الهرّاء رحمه اللّه — أنّ أبا مسلم مؤدّب ولد عبد الملك بن مروان كان نظر في النّحو ، ثمّ لمّا حدث التصريف ، جلس إلىٰ معاذ الهرّاء — رحمه اللّه — فسمعه يقول لرجل : كيف تبني من : تؤزّهم أزّاً ؟ مثل : يا فاعل افعل فأنكره أبو مسلم — رحمه اللّه — وقال : كان أخذهم في النّحو يعجبني ، حتىٰ تعاطوا كلام الزّنج والنوبة في أبيات أخر (٤) . وأجابه معاذ الهرّاء — رحمه اللّه — بأبيات

---

(١) هو : صلاح الدّين بن أيبك الصفدي .
(٢) طالعها في " شرح لامية العجم " : ٢/٤٣ .
(٣) شرح لامية العجم : ٢/٤٣
(٤) طالعها في " البغية " : ٢/٢٩١ ، وفي " طبقات النّحويين واللّغويين " : ١٣٦ — ١٣٧ .

أوردتها في "طبقات النحاة" (١)، فوضح — بهذا أنّ واضع التصريف: معاذ ابن مسلم الهرّاء — رحمه الله تعالىٰ — وأنّه تخرّج علىٰ شيخنا: معاذ ابن جبل — رضي الله عنه — وكانت وفاة معاذ هذا سنة سبع وثمانين ببغداد" (٢)

فهو مشتغل بالضوابط السلوكيّة الدقيقة لعلوم العربيّة، منتهج الخطط الفنيّة الممتازة في التقسيم والتبويب والعرض، متمرّس علىٰ الدعائم الأسلوبيّة الممتازة في الكتابة، وحقيق بمثله أن يتميّز عن كثير من أولئك الذين كان همهم اتباع المنهاج الفاضلي في الكتابة، فيتحرّر من قيودهم التأليفيّة التي كبلت العلم والقلم والطبع (٣)، ويفصح عن عدم اشتغاله بها.

قال في "حسن المحاضرة": "رزقت التبحّر في سبعة علوم: التفسير والحديث

---

(١) يريد: "البغية"، وفيها (٢/٢٩١):

"عَالَجْتَهَا أَمْرَدَ حَتّىٰ إِذَا ... شِبْتَ ولم تُحسِنْ أَبَاجَادِهَا
سَمَّيْتَ مَنْ يَعْرِفُهَا جَاهِلاً ... يُعْدِدْهَا من بعد إيرادِهَا
سَهَّلَ منها كلَّ مستصعب ... طَوْدٌ علا أقران أطوادِهَا"

(٢) سبب وضع علم العربيّة: ص ٥٣ فما بعد.

(٣) ولكنّه ربّما جاراهم — أحيانا — لبعض أغراضه، فأنشأ المقامات التي نَحَىٰ فيها منحىٰ بديع الزمان والحريريّ في ابتداع شخصيّات طريفة تدور حولها موضوعات مقاماته، وقد ذكر أسماءها في "فهرس مؤلّفاته" (ق ٨/أ — ق ٩/أ: فنّ الأدب والنوادر والإنشاء والشعر) فجاءت عدّتها أربعاً وأربعين مقامة.

ولعلّ من أطرف هذه المقامات الأربع، تلك المقامة الموسومة "رشف الزلال من السحر الحلال" أو "مقامة النساء" التي استنطق فيها عشرين عالماً في عشرين فنّاً من المعرفة، بينهم المقرئ والمفسّر والمحدّث والفقيه واللغوي والنحويّ والأصوليّ والأديب والمؤرّخ والجغرافي، وجعل كلاً منهم يحكي ما جرىٰ بينه وبين عروسه، ليلة دخولها، موريا بمصطلحات فنّه الذي يشتغل به.

والفقه ، والنحو ، والمعاني ، والبيان والبديع - على طريقة العرب والبلغاء ، لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة ، والذي أعتقده أنّ الذي وصلت إليه من هذه العلوم السبعة - سوى الفقه والنقول التي اطلعت عليها فيها - (١) لم يصل إليه ، ولا وقف عليه أحد من أشياخي ، فضلاً عمّن هو دونهم ؛ وأمّا الفقه فلا أقول ذلك فيه ، بل شيخي فيه أوسع نظراً ، وأطول باعاً ، ودون هذه السبعة في المعرفة : أصول الفقه ، والجدل ، والتصريف ، ودونها الإنشاء والترسّل (٢)

فهو - على الرغم من تبحّره في : المعاني والبيان والبديع - يعترف بأنّه لم يصل في : الإنشاء والترسّل إلى حدّ التبريز ، وقد يبدو في هذا بعض الغرابة ، لأنّ الترسّل هو إطلاق الجمل من القيود اللّفظيّة، ولكنّه يريد أنّه لم يجار كتّاب عصره في الكلف بالسجع ، والحفاوة بالمحسّنات ، والجنوح إلى التلاعب بالألفاظ ، وأنّه - لذلك - كان أقلّ إنتاجاً وعدد تصانيف في فنّ الأدب .

وكأنّ السيوطيّ ، حين أنشأ مقاماته وجرى في ميدان كتّاب عصره ، أراد أن يقول لهم إنّه - مع اشتغاله بالعلم ، وانكبابه على تحصيل الفوائد ، وتفرّغه للكتابة العلميّة التي لا تترك له بالاً إلى بديع ومحسّنات - لا يقلّ إمكانية في صناعة البديع التي كانت أسلوب الكتابة الأدبية في عصره ، ولا يقلّ مقدرة عن أمثال : ابن فضل الله العمري ، وأبي العبّاس القلقشندي ، وجمال الدّين ابن نباتة ، وصلاح الدّين الصفدي ، وابن حجّة الحموي .

ولكنه ، مع ذلك ، يظلّ صاحب الأسلوب الواضح الأخّاذ والكتابة العلميّة الرصينة التي تعكس لنا صورة ناصعة لتفكير الرجل - بصفة عامّة - وتعكس ملامحه العلميّة في التصنيف .

---

(١) كذا .
(٢) حسن المحاضرة : ١/ ١٩٠

الفصل الثالث

محاكاته طريقة المحدّثين والفقهاء والأصوليّين

لقد أفاد السيوطيّ – في وضع كتبه اللّغويّة – من علوم الحديث ، والفقه ، وأصول الفقه [1] ، أفاد من المصطلحات ومن طريقة البحث ، ومن يقرأ له كتابًا في اللّغة يلمس أثر ذلك واضحًا فيه .

وقد ذكر السيوطيّ إفادته من هذه العلوم أكثر من مرة ، فيذكر أنّه عمل كتابه " المزهر" على طريقة علماء الحديث ، فيقول : " هذا علم شريف ابتكرت ترتيبه ، واخترعت تنويعه وتبويبه ، وذلك في علوم اللغة وأنواعها ، وشروط أدائها وسماعها ، حاكيت به علوم الحديث في التقاسيم والأنواع ، وأتيت فيه بعجائب وغرائب حسنة الإبداع " [2]

ويذكر أنّه عمل كتابه " الاقتراح " على مذهب أصول الفقه ، فيقول : " هذا كتاب غريب الوضع ، عجيب الصنع ، لطيف المعنى ، طريف المبنى ، لم تسمح قريحة بمثاله ، ولم ينسج ناسج على منواله ، في علم لم أُسبق إلى ترتيبه ، ولم أتقدّم إلى تهذيبه ، وهو أصول النحو ، الذي هو بالنسبة إلى النحو – كأصول الفقه بالنسبة إلى الفقه " [3]

والحقّ أنّ الإفادة من علوم الحديث والفقه ، وأصول الفقه – في وضع الكتب اللّغويّة – ترجع إلى عهد أسبق من زمن السيوطيّ ، فإذا عدنا بمناهج التأليف اللّغويّ إلى الوراء قليلاً ، وجدنا أنّ بعض علمائنا السابقين قد بحثوا في تقاسيم

---

(١) الفرق بين علم الفقه وعلم أصول الفقه أنّ الأوّل يدرس الأحكام العمليّة وأدلّتها التطبيقيّة ، وأمّا الثاني فيقتصر على استنباط الأحكام الشرعيّة الفرعيّة من أدلّتها الاجمالية ، مستمدًا قواعده ومبادئه من اللغة العربيّة وأصول الكلام والتفسير والحديث ، وانظر : كشاف اصطلاحات الفنون – للتهانوي – ط الآستانة ١٣١٧ هـ : ٢٢/١ .

(٢) المزهر : ١/١ .

(٣) الاقتراح : ص ٢ .

علوم الحديث ، وأفادوا من طرائق الفقهاء ، واستخدموا مصطلحات الأصوليين ـ ضمن مباحثهم العامة في اللغة .

فابن جنى ـ في كتابه الخصائص ـ يتناول البحث اللغوى والبحث الفقهى ـ بالمقارنة الفلسفية الدقيقة ، ويأخذ مصطلحاته من الفقه وأصول الفقه ، ومن علم الكلام والمنطق ، فهو يتكلم فى علل العربية : أكلامية هى أم فقهية (١) ، ويتكلم فى الاستحسان (٢) ، وفى تخصيص العلل (٣) ، والعلل الموجبة والمجوزة (٤) ، وتعارض العلل (٥) ، والعلة القاصرة (٦) ، والعلة وعلة العلة (٧) ، والمعلول بعلتين (٨) ، ودور الاعتلال (٩) ، وخلع الأدلة (١٠) ، والحكم يقف بين العلتين (١١) ، والاكتفاء بالسبب عن المسبب (١٢) ، وبالعكس (١٣) ، وهكذا لأن " هذا الكتاب ليس مبنيا على حديث وجوه الإعراب ، وإنما هو مقام القول على أوائل أصول هذا الكلام ، وكيف يبدئ ، والإمعني ، وهو كتاب يتساهم ذوو النظر من المتكلمين والفقهاء . والمتفلسفين والنحاة والكتاب والمتأدبين ـ التأمل له ، والبحث عن مستودعه "(١٤)

---

(١) انظر : ١/٤٨ فما بعد
(٢) انظر : ١/١٣٣ فما بعد .
(٣) انظر : ١/١٤٤ فما بعد .
(٤) انظر : ١/١٦٤ فما بعد .
(٥) انظر : ١/١٦٦ فما بعد .
(٦) انظر : ١/١٦٩ فما بعد .
(٧) انظر : ١/١٧٣ فما بعد .
(٨) انظر : ١/١٧٤ فما بعد .
(٩) انظر : ١/١٨٣ فما بعد .
(١٠) انظر : ٢/١٧٩ فما بعد .
(١١) انظر : ٢/٣٥٦ فما بعد .
(١٢) انظر ٣/١٧٣ فما بعد .
(١٣) انظر : نفسه .
(١٤) انظر : ١/٦٧ .

وابن فارس أطلق - لأول مرة فيما نعلم - اسم " فقه اللغة " على كتابه " الصاحبي " الذي يتناول فيه البحث اللغوي تناول الفقيه مباحثه الفقهية ، فقسم علم العربية إلى قسمين : قسم أصلي ، هو " القول على موضوع اللغة وأوليتها ومنشئها ، ثم على رسوم العرب في مخاطباتها ، وما لها من الافتنان تحقيقا ومجازا "(١) وقسم فرعي ، يختص بالكلمات والمفردات .(٢)

ثم يتكلم في حاجة أهل العلم والفتيا إلى معرفة العربية (٣) ، وفي القياس(٤) وفي مراتب الكلام في وضوحه واشتباله (٥) ، ويتكلم في المطلق والمقيد (٦) ، وفي الشيء يكون ذا وصفين فيعلق الحكم من الأحكام على أحد وصفيه (٧) ، وفي العموم والخصوص (٨) ، وفي المجمل (٩) ، والمهمل والمستعمل (١٠) .

وأبو البركات ابن الأنباري - في كتابه لمع الأدلة - حاكى علماء الحديث من حيث إنه اهتم أن يبين فيه كيفية رواية اللغة وطرق أخذها ، فتكلم في النقل(١١) وفي شرط نقل المتواتر (١٢) ، وفي شرط نقل الآحاد (١٣) ، وفي قبول نقل

---

(١) انظر : ص ٢٩ .
(٢) انظر : نفسه .
(٣) انظر : ص ٦٤ فما بعد .
(٤) انظر : ص ٦٧ فما بعد .
(٥) انظر : ص ٧٤ فما بعد .
(٦) انظر : ص ١٩٤ - ١٩٥ .
(٧) انظر : ص ١٩٦ .
(٨) انظر : ص ٢٠٩ - ٢١٠ .
(٩) انظر : ص ٢٥٣ - ٢٥٤ .
(١٠) انظر : ص ٨١ - ٨٢ .
(١١) انظر : ص ٨١ - ٨٣ .
(١٢) انظر : ص ٨٣ - ٨٥ .
(١٣) انظر : ص ٨٥ - ٨٦ .

أهل الأهواء (١) ، وفي قبول نقل المرسل والمجهول (٢) ، وفي جواز الإجازة بقول العالم : أخبرني فلان في كتابه بكذا وكذا (٣) ، وفي معارضة النقل بالنقل (٤) .

والحق — أيضا — أننا نجد ، في علمائنا السابقين على السيوطي ، نماذج متعددة من علماء اللغة الذين اهتموا بالتأليف في المجالات الحديثية والفقهية إلى جانب تآليفهم في ميدان اللغة (٥) ، وكذلك نجد من علماء الحديث والفقه والأصول من أولوا اللغة نصيبا كبيرا من اهتمامهم ، فألفوا فيها كتبا مستقلة ، إلى جانب تصانيفهم في الحديث والفقه والأصول (٦) .

---

(١) انظر : لمع الأدلة : ص ٨٦ — ٨٩ .
(٢) انظر : ص ٩٠ — ٩٢ .
(٣) انظر : ص ٩٢
(٤) انظر : ص ١٣٦ — ١٣٨ .
(٥) فقد ألف — مثلا ابن فارس : أصول الفقه ، ومقدمة في الفرائض ، وحلية الفقهاء (انظر : معجم الأدباء : ٨٤/٤ ، والبغية : ٣٥٢/١) ، وفصل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (انظر : كشف الظنون : ١٢٧٩) ، وأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم (انظر : بروكلمان : ٢٦٧/٢) ، وألف أبو حيان : جزءا في الحديث ، والأنور الأجلى في اختصار المحلى — لابن حزم ، والوهاج في اختصار المنهاج — للنووي ، والإعلام بأركان الإسلام ، وسلك الرشد في تجريد مسائل نهاية ابن رشد (انظر : نفح الطيب : ٣٠٧/٣) ، وألف الفيروز آبادي : الإصعاد إلى رتبة الاجتهاد ، وشرح عمدة الأحكام ، وتسهيل الوصول إلى الأحاديث الزائدة على جامع الأصول ، وفتح الباري بالسيح الفسيح الجاري في شرح صحيح البخاري (انظر : البغية : ٢٧٤/١) .
(٦) من هؤلاء : أبو الفتح المطرزي ، فقد صنف : المغرب في لغة الفقه ، والمغرب في شرح المغرب ، والإقناع في اللغة ، ومختصر الإصلاح لابن السكيت ، ومختصر المصباح في النحو ، ومقدمة فيه مشهورة بالمطرزية (انظر : البغية : ٣١١/٢) وعضد الدين الإيجي الذي صنف : رسالة في الوضع ، وشرح مختصر ابن حاجب ، والفوائد الغياثية في المعاني والبيان (انظر البغية : ٧٦/٢) .
وهذا جمال الدين الأسنوي ، له كتاب " الكواكب الدرية في تخريج الفروع الفقهية على القواعد النحوية " ، يقول في مقدمته : " استخرت الله تعالى في تأليف كتابين ممتزجين من الفنين المذكورين ومن الفقه ، لم يتقدمني إليهما أحد من أصحابنا : أحدهما في كيفية تخريج الفقه على المسائل الأصولية ، والثاني في كيفية تخريجه على المسائل النحوية ، فأذكر — أولا — المسائل الأصولية أو النحوية مهذبة منقحة ، ثم أتبعها بذكر جملة ما يتفرع عليها ليكون ذلك تنبيها على ما لم أذكره ... " مصورة في قسم المخطوطات بجامعة الرياض عن نسخة دار الكتب المصرية ، رقم الفيلم ١٣١ .

إن هذا يعني - بالضرورة - أنه قد اتضحت ، لدى علمائنا السابقين على السيوطي ، وجوه الشبه بين علوم الحديث والفقه والأصول واللغة ، وإن لم يكن اللغويون منهم قد ساروا في تصانيفهم سير علماء الحديث والفقه والأصول في معالجتهم هذه العلوم بتقاسيمها وأصولها وقواعدها ومصطلحاتها ومراتبها - بالمعنى الدقيق ، ولا حاكوهم محاكاة تامة .

ولكن السيوطي كان مثلا واضحا في محاكاة التصنيف في علوم اللغة وأنواعها - علوم الحديث والفقه والأصول في أنواعها وتقاسيمها ومصطلحاتها ، لأنه استطاع أن ينفرد بعقد هذه المحاكاة بصورة جامعة شاملة ، وتطبيق ما يمكن تطبيقه من الأصول والقواعد والمصطلحات والمباحث الحديثية والفقهية والأصولية في ميدان علم اللغة .

ولذلك ، فهو يعد هذا النمط من تصانيفه ابتكارا ، ويقول : " وقد كان كثير ممن تقدم يلم بأشياء من ذلك ، ويعتني في بيانها بتمهيد المسالك ، غير أن هذا المجموع لم يسبقني إليه سابق ، ولا طرق سبيله - قبلي - طارق (١) ، ويقول " فجمعه وترتيبه صنع مخترع ، وتأصيله وتبويبه وضع مبتدع " (٢)

وهذا ليس عجيبا - في تقديرنا - من رجل اعترف من جميع العلوم التي كانت في متناوله ، وترك كتبا فيها جميعا ، واستكثر من علوم الشريعة وأوغل فيها ، فكانت أكثر تصانيفه فيها (٣) ، وعني العناية كلها بتحرير تصانيفه وتبويب موضوعاتها ، وتيسير قراءتها على جمهور قرائه .

---

(١) الموهر : ١/١ .
(٢) الاقتراح : ص ٢ .
(٣) وقد تتبعت مؤلفاته في علوم الحديث والفقه وأصوله - المطبوعة والمخطوطة والمفقودة - بحسب ما تيسر لي من فهارس وكتب ، فنافت على مائتين وثمانين مصنفا ، منها : مائة وثمانية وسبعون مصنفا في علوم الحديث ، ومائة وتسعة مؤلفات في علوم الفقه وأصوله .

ومن مظاهر محاناته طريقة المحدّثين :

(أ) التقسيمات الحديثية : نقد صنف السيوطي كتابه " الزهر" على نحو تقاسيم أهل الحديث ، إذ عالج — في الأنواع الثانية الأولى —(١) ما يتصل باللغة من حيث الإسناد ، وفي الأنواع الثلاثة عشر التالية (٢) ما يتناول صحة الألفاظ وضعفها أو شذوذها ومهملها ، وفي الأنواع الثلاثة عشر التي تليها (٣) ما يرجع إلى اللغة من حيث المعنى ، وهذا شبيه بما أجراه علماء الحديث على السند والمتن .

وعالج — في الأنواع العشرة الأخيرة — (٤) ما يتصل باللغة ، من حيث رجالها ورواتها ، شأنه في ذلك شأن علماء الحديث الذين يهتمون بالرواة والثقات والحفاظ في بحثهم مدى صحة الحديث أو ضعفه من جهة السند والمتن .

فهو يبدأ — مثلهم — بالكلام في نقل اللغة (٥) ، والبحث في حالة النقلة (٦) ، ومعرفة طرق النقل والتحمل ، وينتقل — بعدها —

(١) وهي : معرفة الصحيح الثابت ، ومعرفة ما روى من اللغة ولم يصح ولم يثبت ، ومعرفة المتواتر والآحاد ، ومعرفة المرسل والمنقطع ، ومعرفة الأفراد ، ومعرفة من تقبل روايته ومن ترد ، ومعرفة طرق الأخذ والتحمل ، ومعرفة المصنوع ، وهو الموضوع ، ويذكر فيه المدرج والمسروق .

(٢) وهي : معرفة الفصيح ، ومعرفة الضعيف والنكر والمتروك ، ومعرفة الرديء المذموم ، ومعرفة المطرد والشاذ ، ومعرفة الحوشي والغرائب والشوارد والنوادر ، ومعرفة المهمل والمستعمل ، ومعرفة المفاريد ، ومعرفة مختلف اللغة ، ومعرفة تداخل اللغات ، ومعرفة توافق اللغات ، ومعرفة المعرب ، ومعرفة الألفاظ الإسلامية ، ومعرفة المولد .

(٣) وهي : معرفة خصائص اللغة ، ومعرفة الاشتقاق ، ومعرفة الحقيقة والمجاز ، ومعرفة المشترك ، ومعرفة الأضداد ، ومعرفة المترادف ، ومعرفة الإتباع ، ومعرفة العام والخاص ، ومعرفة المطلق والمقيد ، ومعرفة المنجر ، ومعرفة الإبدال ، ومعرفة القلب ، ومعرفة النحت .

(٤) وهي : معرفة آداب اللغوي ، ومعرفة كتابة اللغة ، ومعرفة التصحيف والتحريف ومعرفة الطبقات والحفاظ والثقات والضعفاء ، ومعرفة الأسماء والكنى والألقاب والأنساب ، ومعرفة المؤتلف والمختلف ، ومعرفة المتفق والمفترق ، ومعرفة المواليد والوفيات ، ومعرفة الشعر والشعراء ، ومعرفة أغلاط العرب .

(٥) فيتفق معهم في تناول : الصحيح الثابت من اللغة ، وما لم يصح ولم يثبت ، وطريق نقل اللغة تواترا وآحادا ، والمرسل والمنقطع في رواية اللغة ، والأفراد .

(٦) فيتفق معهم في تناول : حالة رواة اللغة الذين نقل روايتهم أو ترد ، وما يشترط في هؤلاء الرواة من حيث معرفتهم أو جهالتهم ، ومدى فصاحتهم لتحديد مدى إمكانية قبول النقل عنهم .

مثلما ينتقلون ، الى الكلام في رتب اللغة من حيث الصحة والفصاحة (١) ، ومن ثم ينتقل الى بحث المتن اللغوى ذاته بعد ما اطمأن الى بحث السند وحالة رواة اللغة (٢)

وهكذا ، فهو يعاني كثيرا من تقاسيم علوم الحديث ، ويطبق أحكامها وأنواعها ومصطلحاتها في ميدان اللغة ، فجاءت هذه المعاناة واضحة تمام الوضوح ، مثمرة تمام الاثمار ، بحيث جمعت لنا مختلف الأنواع اللغوية ، فى كتاب واحد ، بدقة متناهية ، واستيفاء كبير ، كاستيفاء علماء الحديث ودقتهم في الانواع الحديثية وتقاسيم علوم الحديث ، وبحيث انتهى السيوطي الى القول بأن " علم الحديث واللغة أخوان يجريان من واد واحد " (٣).

(ب) مسألة النقل والرواية : في الكلام على : كيفية رواية اللغة ، وطرق أخذها ، وعمن تؤخذ ، وكيف تنقل ، وذكر أهم الكتب الجامعة للصحيح من مفرداتها طبق السيوطي ، من علوم الحديث ، ما يسمى بعلم الاسناد الذى يتناول الاسس التى تعرف بها أحوال الحديث النبوى الشريف ، من حيث صحة النقل وضعفه ، وطرق التحمل والاداء ، لبيان مدى قبول تلك الاحاديث والعمل بها ، أو تركها .

فاذا كان الحديث النبوى الشريف : صحيحا ، أو حسنا ، أو ضعيفا ، ولكل من الصحيح والحسن ثلاثة عشر صنفا ، هى : المسند ، والمتصل ، والمرفوع ، والمعنعن ، والمعلق ، والفرد ، والمدبج ، والمشهور ، والعزيز ، والغريب ، والصحيح ، والمسلسل ، وزائد الثقة ، وللضعيف اثنا عشر قسما ، هى : الموقوف والمقطوع ، والمرسل ، والمنقطع ، والمعضل ، والشاذ ، والمنكر ، والمعلل والمدلس ، والمضطرب ، والمقلوب ، والموضوع . (٤)

---

(١) فيتفق معهم فى : تناول مراتب الفصاحة فى اللغة ، والاحاطة بالاختلافات فى ألفاظها نتيجة لاختلاف اللغات عند رواة اللغة ، من حيث النطق بها ، أو وقوع التداخل فيها ، أو وقوع أية مؤثرات خارجية على ألفاظها .

(٢) لان عالم الحديث عادة ما يبحث فى المعنى بعد اطمئنانه الى بحث السند وحالة رواة الاحاديث ، من حيث الجرح والتعديل ، وانظر — فى ذلك — كشاف اصطلاحات العلوم والفنون للتهانوى ، ومقدمة ابن الصلاح — بتحقيق د . عتر ، وظهر الاسلام لاحمد أمين — الجزء الثانى — في علوم الحديث وتقسيمات العلماء لها .

(٣) المزهر : ٣١٢/٢ .

(٤) انظر : كشاف اصطلاحات العلوم والفنون : ٣٠٨/١ .

اذا كان ذلك ، فان السيوطي ينتقل بعض هذه الاصناف من ميدان الحديث الى ميدان اللغة ، فيفرد للصحيح بابا (١) ، وللضعيف بابا (٢) ، ويتحدث عن الافراد في باب (٣) ، وعن المدرج في باب (٤) ، ويتكلم في المشهور (٥) ، والغريب (٦) ، والمرسل (٧) ، والمنقطع (٨) ، والشاذ (٩) ، والمنكر (١٠) ، والمعلل (١١) ، والمدلس (١٢) ، والمقلوب (١٣) ، والموضوع (١٤) .

واذا كان علماء الحديث قد بحثوا في الثقات والضعاف لمعرفة صحة مروياتهم وتوثيقها حتى يمكن الاعتداد بها ، مما يشير — الى ذلك — صاحب الكشف في قائمة طويلة (١٥) ، فقد حاذاهم السيوطي ، وبحث حال رواة اللغة من حيث توثيقهم أو تجريحهم (١٦) وقسمهم الى طبقات وحفاظ وثقات وضعفاء .

واذا كان علماء الحديث يشترطون اتصال السند لتحقيق الصحة والثبوت عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فان السيوطي يحذو حذوهم ، ويطبق — في ميدان اللغة — ما اشترطوه ، لمعرفة مالم يصح ولم يثبت على ما يروى من اللغة (١٧) ، يقول : " هذا

(١) هو النوع الاول .
(٢) هو النوع الثاني
(٣) هو النوع الثالث .
(٤) هو النوع الثامن .
(٥) هو في النوع التاسع .
(٦) في النوع الثالث عشر .
(٧) في النوع الرابع
(٨) في النوع نفسه .
(٩) في النوع الثاني عشر .
(١٠) في النوع العاشر .
(١١) في النوع نفسه .
(١٢) في النوع الثامن .
(١٣) في النوع الثالث والثلاثين .
(١٤) في النوع الثامن .
(١٥) انظر : كشف الظنون : ٢٥١ .
(١٦) في النوع السادس ، والرابع والاربعين .
(١٧) في النوع الثاني .

النوع يقابل النوع الاول الذى هو الصحيح الثابت ، والسبب في عدم ثبوت هذا النوع عدم اتصال سنده ، لسقوط راو منه ، أو جهالته ، أو عدم الوثوق بروايته ، لفقد شرط القبول فيه ، مما سيأتى بيانه فى نوع من تقبل روايته ، ومن ترد(١) أو للشك فى سماعه " (٢)

وبالجملة ، فان مزهر السيوطي يعتبر مرجعا خصبا يعكس أتم الصور لاحتذاء علماء العربية طريقة المحدثين ، من حيث العناية بالسند ، ورجاله ، وتجريحهم ، وتعديلهم ، وطرق التحمل والاداء .

(ج) آداب اللغوى : ومن مظاهر محاكاة السيوطي طريقة المحدثين ما نجده من تشابه شديد بين معظم الصفات التي اشترط المحدثون تحققها في طالب الحديث ، والصفات التى اشترط السيوطي تحققها في طالب اللغة .

ذكر الحافظ ابن كثير أن من آداب طالب الحديث " اخلاص النية لله عز وجل فيما يحاوله من ذلك ، ولا يكن (٣) قصده عرضا من الدنيا " (٤) ، وحاكاه السيوطى ، فذكر — فى النوع الحادى والاربعين من مذهره ، الخاص بمعرفة آداب اللغوى — أن " أول ما يلزمه الاخلاص وتصحيح النية ، لقوله صلى الله عليه وسلم : الاعمال بالنيات " .(٥)

وذكر الحافظ ابن كثير أن من آداب طالب الحديث أيضا " التحرز من الكذب ما أمكن ، فلا يحدث الا من أصل معتمد " (٦) ويذكر السيوطي

---

(١) فى النوع السادس .
(٢) المزهر : ١/١٠٣ .
(٣) كذا .
(٤) الباعث الحثيث فى اختصار علوم الحديث — لابن كثير : ص ٨٣ .
(٥) المزهر : ٢/٣٠٢ ، ولفظ الحديث " انما الاعمال بالنيات .. " برواية الامام محمد بن الحسن فى " الموطأ " : ص ٤٠١ " و " البخارى " : ١/٧ ، ١٥٦ ، وهو من الاحاديث المتفق على صحتها ، وانظر — فى تخريجه — شرح السنة للامام البغوى : ١/٥ — ٦
(٦) الباعث الحثيث فى اختصار علوم الحديث : ص ٥٠ .

ان من آداب طالب اللغة بعد تصحيح النية والاخلاص في العمل " التحرى في الاخذ عن الثقات ، لقوله صلى الله عليه وسلم : ان العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم ولا شك أن علم اللغة من الدين ، لانه من فروض الكفايات ، وبه تعرف معانى ألفاظ القرآن والسنة" (١)

وذكر ابن كثير أن من آداب طالب الحديث كذلك أن " لا يستنكف أن يكتب عمن هو دونه فى الرواية والدراية ، قال وكيع : لا ينبل الرجل حتى يكتب عمن هو فوقه ، ومن هو مثله ، ومن هو دونه ... قال ابن الصلاح : ثم لا ينبغى لطالب الحديث أن يقتصر على مجرد سماعه وكتبه ، من غير فهمه ومعرفته ، فيكون قد أتعب نفسه ، ولم يظفر بطائل " (٢) ، ويذكر السيوطي أن من آداب طالب اللغة أن " يكتب كل ما يراه ويسمعه ، فانه أضبط له . وفي الحديث : قيدوا العلم بالكتابة" (٣) ، وأنه " اذا سمع من أحد شيئا ، فلا بأس أن يثبت فيه " (٤) ، وأن عليه " ألا يقتصر على رواية الاشعار من غير تفهم ما فيها من المعانى واللطائف (٥).

وذكر ابن كثير أن على طالب الحديث أن يبادر أيضا الى سماع العالى في بلده ، فاذا استوعب ذلك انتقل الى أقرب البلاد اليه ، أو الى أعلى ما يوجد من البلدان ، وهو الرحلة (٦) ، ويذكر السيوطي أن على طالب اللغة — كذلك — الرحلة في طلب اللغة قائلا : " وليرحل في طلب الفوائد والغرائب كما رحل الائمة" (٧)

وذكر ابن كثير أن على طالب الحديث أن يكون " جميل الاخلاق ، حسن الطريقة ، صحيح النية . فان غربت نيته عن الخير فليسمع ، فان العلم يرشد اليه ... قالوا : ولا يطول على الشيخ في السماع حتى يضجره ... وليفد غيره من الطلبة ، ولا يكتم شيئا من العلم ، فقد جاء الزجر عن ذلك" (٨) ، ويذكر السيوطي أن على طالب اللغة

(١) الموهر : ٢/٣٠٢ .
(٢) الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث : ص ٨٤ .
(٣) المزهر : ٢/٣٠٣ .
(٤) المزهر : ٢/٣١١ .
(٥) المزهر : ٢/٣١١
(٦) الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث : ص ٨٣ .
(٧) المزهر : ٢/٣٠٥ .
(٨) الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث : ص ٨٢ — ٨٤ .

أن " يرفق بمن يأخذ عنه ، ولا يكثر عليه ، ولا يطول بحيث يضجره " (١) ويتجمل باخلاق الفضلاء ، بحيث اذا أحب أن يتذاكر مع أحد في العلم لا يتذاكر معه الا " ليعرف محله في العلم وينزل منزلته ، لا لقصد تعجيزه وتبكيته ، فان ذلك حرام " (٢) وبحيث انه اذا سئل عن شيء فلم يعرفه سأل من هو أعلم منه (٣) ، أو قال : لا أدري (٤) وهو في كل ما تقدم " يقصد بذلك نشر العلم واحياءه ، والصدق في الرواية ، والتحري والنصح في التعليم ، والاقتصار على القدر الذي تحمله طاقة المتعلم " (٥)

وذكر ابن كثير أن على المحدث أن لا يتصدى للحديث اذا طعن في السن " قال ابن خلاد : فان بلغ الثمانين أحببت له أن يمسك ، خشية أن يكون قد اختلط " (٦) ويذكر السيوطي أن على اللغوي و الامساك في الرواية عند الطعن في السن اذا كبر ، ونسي ، وخاف التخليط ، وغير ذلك " (٧)

(د) مصادرة الحديثية : على طريقة أهل الحديث ، ذكر السيوطي أن وظائف الحافظ — في اللغة — اربعة هي : الاملاء ، والإفتاء ، والرواية ، والتعليم (٨) واستوفى لكل وظيفة شروطها ، ومن الملاحظ أن السيوطي قد اشتغل بهذه الوظائف الاربع ، وطبق شروطها على نفسه .

ففي وظيفة الاملاء — في اللغة — اشتغل مدة ، ثم ترك هذا الميدان حين لم يجد له سمله ، ولا من يرغب فيه (٩) ، وفي وظيفة الافتاء — في اللغة — انقطع

---

(١) المزهر : ٢/٣١٢ .
(٢) المزهر : ٢/٣٣٧ .
(٣) انظر : المزهر : ٢/٣١٨ .
(٤) انظر : المزهر : ٢/٣١٥ .
(٥) المزهر : ٢/٣٣٠ .
(٦) الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث : ص ٨١ .
(٧) المزهر : ٢/٣٣٥ .
(٨) انظر : المزهر : ٢/٣١٣ — ٣٣٠ .
(٩) انظر : المزهر : ٢/٣١٤ .

زمنا (١) وان كان انقطاعه الى الاملاء في علوم الحديث والفقه أوضح ، وأما وظيفة الرواية فقد حاز فيها السيوطي قصب السبق ، اذ كان — من تيار الرواية (٢) في عصره — في القمة مقابل تيار الدراية (٣) ، فاتسم منهجه التأليفي بكثرة الاستشهاد عن طريق رواياته وتقوله الهائلة للنصوص اللغوية من المصادر المختلفة ، بحيث اتسع حجم هذه المصادر اتساعا فريدا .

كل هذا قد لا يسترعي النظر ، ولكن الذي يسترعيه حقا تعدد فنون هذه المصادر ، بحيث تستوعب كتبا — في اللغة والنحو والصرف والحديث والتفسير والفقه والاصول والادب والتاريخ والامالي والنوادر — بلغت حدا من الكثرة يجعل مجرد سردها يدعو الى اطالة البحث ، فهو رجل شغل نفسه بالتأليف منذ كان في السابعة عشرة من عمره . ودأب على وضع المصنفات الحافلة في كل فن ، وامتاز بكثرة التتبع والاطلاع منذ ذلك الوقت المبكر من حياته العلمية حتى لحق بالرفيق الاعلى (٤).

بيد أننا اذا تناولنا جملة كتبه اللغوية ، لنقف على مدى اقتباسه من هذه الفنون فيها ، وجدنا مصادره الحديثية تأتي ، من حيث الكم ، في المرتبة الثالثة بعد المصادر اللغوية والفقهية .

---

(١) انظر : — مثلا — في الحاوي للفتاوي : ٢/٤٦١ — ٤٩٣ : الفتاوي النحوية وما ضم اليها ، مسألة قول ابن المصنف في حد النحو ، مسألة في الفرق بين المثيل والشبيه والنظير ، مسألة قول الموثقين : زوجا باب — ما مدلول هذا اللفظ ، مسألة في تعريف اللفظ بالصوت المشتمل على بعض الحروف ، وفجر الثمد في اعراب أكمل الحمد ، وألوية النصر في خصيصى بالقصر ، والزند الوري في الجواب عن السؤال السكندري .

(٢) راجع حديثنا عن سمة الاستيعاب عند السيوطي ، في الفصل المتقدم ، من هذا البحث .

(٣) الذي وصفه السيوطي — في كتابه حسن المحاضرة : ١/١٩٠ — بالعبث ، لانه تيار مادي يعتمد على الفلسفة وحدها ولا يخدم العقيدة ، وانما قد يوقع — في أصولها — اللبس والتحريف ، ولذلك نقد عمد الى غسل ما أضيف فيه من كتب ، ورجع عنه بل عمد أيضا الى الهجوم على تيار الدراية والمباحث الفلسفية في بعض مصنفاته ، صونا للعقيدة وحفاظا على طريقة العرب القدماء في وضوحهم وطبيعة تفكيرهم العقلي المرتبط بخدمة الدين .

(٤) وسيأتي بيان ذلك بالتفصيل في الكلام على " أهم مصادره ، وطريقة افادته منها " في الباب الذي يلي هذا الباب .

نقد عول ، فى كتابه المزهر ، وهو الكتاب الذى ندل على أنه حائى به علوم الحديث فى التقاسيم والانواع ، على عدد كبير منها ، ومن أمهات هذه المصادر : صحيح البخارى (١) ، وصحيح مسلم (٢) ، والادب المفرد (٣) ، والاشراف (٤) ، لابن أبى الدنيا ، والمجتبى (٥) ، وكتاب الوقف والابتداء لابن دريد (٦) ، وشعب الايمان (٧) للبيهقى ، وربيع الابرار (٨) للزمخشرى ، وعلوم الحديث (٩) لابن الصلاح ، ومسند الفردوس (١٠) للديلمى .

---

(١) مطبوع عدة طبعات (انظر : معجم المطبوعات العربية : ١/ ٥٣٤ ـ ٥٣٧) .
(٢) مطبوع عدة طبعات (انظر : معجم المطبوعات العربية : ٢/ ١٧٤٥ ـ ١٧٤٦) .
(٣) للبخارى أيضا ، وهو مطبوع عدة طبعات (انظر معجم المطبوعات العربية : ١/ ٥٣٤) .
(٤) مخطوط ، وذكر بروكلمان أن الجزء الثانى من هذا الكتاب محفوظ فى الظاهرية بدمشق ، انظر : تاريخه ٣/ ١٣٢ .
(٥) مطبوع فى حيدر آباد سنة ١٣٤٢ هـ بعناية المستشرق كرنكو .
(٦) مخطوط ، وانظر : بروكلمان : ٢/ ٢١٥ .
(٧) المسمى " الجامع المصنف فى شعب الايمان " ، وهو مخطوط فى القاهرة والاسكوريال وليبسك ، انظر فهرست التيمورية الحديثية : ١/ ٣٢٤ ، ودائرة المعارف الاسلامية : ٤/ ٤٢٩ ـ ٤٣٠ .
(٨) مطبوع ، فى القاهرة ، عدة طبعات .
(٩) مطبوع فى الهند سنة ١٣٠٤ هـ باسم " مقدمة ابن الصلاح " ، وكذلك فى طبعة مصر سنة ١٣٢٦ هـ بتصحيح محمود السمرى الحلبى ، وقد نشره الدكتور نور الدين عتر فى المدينة المنورة محققا سنة ١٩٦٦ م باسم " علوم الحديث " .
(١٠) المسمى " مأثور الخطاب المخرج على كتاب الشهاب " ، ولم نقف له على ذكر فى فهارس المخطوطات التى رجعنا اليها ، وجاء ذكره فى " فيض القدير شرح الجامع الصغير " للمناوى ، أن الديلمى ألفه محذوف الاسانيد ، مرتبا " على حروف المعجم ، فيأتى بمتن الحديث أولا مجردا ، ثم يضع عليه علامة مخرجه بجانبه بالحروف ، كما فعل السيوطى فى الجامع الصغير ، فى رموزه من كون ع للبخارى و م لمسلم وهكذا ، لكن بينهما تخالف فى الباب ، فالحروف التى رمز بها الديلمى عشرون ، والحروف التى رمز بها السيوطي ثلاثون " : ١/ ٢٢ (ط ١ سنة ١٩٥٦م) .

ومن مظاهر محاكاته طريقة الفقهاء والاصوليين :

(أ) المصطلحات الفقهية : لان السيوطى قد أكثر من التصنيف فى الفقه وأصوله فقد اقتفى كثيرا من خطوات الفقهاء والاصوليين ، وتأثر بهم فى سماتهم الفقهية والاصولية ، ولعل من أوضح هذه السمات انتشار المصطلحات الفقهية والاصولية في كتبه اللغوية .

فنحن نقرأ ، فى الاقتراح ، وهو الكتاب الذى نص على أنه وضعه على نحو أصول الفقه فى الابواب والفصول ، فى حد أصول النحو ، وفى المعقول والمنقول ، وفى القياس وترتيب القياس ، وفى الاصل والفرع ، وفى الاستدلال وفى الاستحسان ، وفى المعارضة ، وفى استصحاب الحال ، وفى ترجيح الادلة ، وفى الاجماع ، وفى النظير ، وفى الاحتراز ، وفى الحكم النحوى ، وفى الواجب والجائز والممنوع والحسن والقبيح ، وفى الرخصة والضرورة ، والمطرد والشاذ ، وفى احداث قول ثالث والتلفيق بين المذاهب ، والتعليل بالاستقراء والجوار والمشابهة وغيرها .

ونقرأ ، فى المزهر ، فى حد اللغة ، وفى الاطلاق ، وفى التقييد ، وفى الاستغراق ، وفى العموم ، وفى الخصوص ، وفى الاثبات ، وفى النفى ، وفى الدال ، وفى المدلول ، وفى الدلالة العقلية ، وفى الدلالة الحسية ، وفى القطع ، وفى الظن ، وفى اليقين ، وفى اقامة الدليل ، وفى الدلالة الذاتية ، وفى اللازم ، وفى الملزوم ، وفى الاحتجاج ، وفى المحال ، وفى الدور ، وفى اندفاع الدور ، وفى التسلسل ، وفى البطلان ، وفى الاحتمال .

ونرى اقامة الاستدلالات والرد عليها ، ونرى عبارة " فيها نظر " وعبارة " وعمدة من قال كذا " وعبارة " الماهيات الخارجية " ، وعبارة " والاجابة عليه " ، و" المتناهى واللامتناهى " ، و " الدعوى " ، و " لا يجرى القياس فيها " ، و " لا يستند العمل به الى أصل مقطوع به " ، و " الذى نرتضيه أن ذلك باطل " ، و " والاقيسة الحكمية " ، و " المختار منعه لنا " ، و " نقد شرط

القبول فيه " ، و " قسم منه مظنون " ، و " هذا اعتبار فاسد " .

حقا ، ان معظم هذه المصطلحات الفقهية والاصولية التي تنتشر في كتب السيوطي قد انتقلت الى المجال اللغوي منذ عهد مبكر ، فقد تسربت في مصنفات أوائل علمائنا الذين اهتموا بالتأليف في الميدان الفقهي الى جانب تآليفهم في المجالات اللغوية على نحو ما نرى عند أبي عثمان المازني (١) وأبي الفتح ابن جني وابن فارس وغيرهم ممن اشرنا اليهم من قبل . (٢)

فقد استغل علماؤنا الاوائل بالفقه وأصوله ، وتعمقوا في مسائل اللغة ، حتى يتسنى لهم فهم القضايا ، ويسهل عليهم استنباط الاحكام فاوجدوا الصلة الوثيقة بين العلمين : الفقه وأصوله واللغة وأنواعها ، ومن ثم لم يفرقوا كثيرا في طريقة معالجتهم قضايا العلمين (٣) .

ولكن أحدا منهم — فيما نعلم — لم يجمع وجوه هذه الصلة بين العلمين في كتاب ، كما فعل السيوطي في الاقتراح أو المزهر مثلا ، اذ حشد لنا فيهما عددا هائلا من المصطلحات الفقهية والاصولية بصورة مفصلة .

(ب) طريقة معالجة الموضوعات : واذا كان السيوطي قد سار في تصنيف الجزء الاكبر من مصنفاته سير علماء الحديث في بحوثهم المختلفة ، فانه — كذلك — قد بحث في كثير من المسائل اللغوية المختلفة بحث علماء الفقه والاصول في مسائلهم المختلفة ، بحيث أصبح التأثر مسترددا عنده بين علوم الحديث والفقه واللغة ، والتشابه في طريقة الاخذ في هذه العلوم بعيدا .

فاذا أردنا أن نقف على طريقة معالجة السيوطي بعضا من الموضوعات

---

(١) قال السيوطي في ترجمة حبان بن هلال الدعوى : " لا أعرف من حاله الا ما رأيت في تذكرة ابن مكتوم عن السلفي ، ينسبه الى بخار بن كتيبه ، قال : ما رأيت نحويا قط يشبه الفقهاء الا حبان بن هلال وأبا عثمان المازني " : البغية : ٤٩٢/١ .

(٢) انظر : ص ١٧٠ — ١٧١ .

(٣) انظر : الخصائص : ٤٨/١ " باب ذكر علل العربية : أكلامية هي أم فقهية ؟ "

اللغوية ، من خلال كتبه اللغوية ، وجدنا كثيرا من السمات الفقهية والاصولية التي يتسم بها تناول علماء الفقه والاصول مسائلهم الفقهية والاصولية ، فهو يحفل — مثلا — بتوجيه المسألة اللغوية توجيها فقهيا ، فيبحث في وضع اللغة ومذاهب الناس فيها (١) ، ويبحث في سبب وضع الكلام (٢) ، ويبحث في حد الوضع اللغوي (٣) وفي موقع الوضع على المفردات أو المركبات (٤) ، وفي المناسبة بين اللفظ ومدلوله (٥) وفي موضع الالفاظ بازاء الصور الذهنية أو الماهيات الخارجية (٦) ، وفي شرائط لزوم اللغة (٧) ، وفي مسألة ثبوت اللغة بالقياس (٨) .

فيذكر — في مسألة ثبوت اللغة بالقياس مثلا — آراء الناس بين من يقول بثبوتها ، مثل الشافعي ، وابي اسحاق ، وكثير من الفقهاء والاصوليين ، ومن يقول بامتناع ثبوتها ، مثل الكيا الهراسي ، والغزالي ، وأبي الفتح ابن برهان ، وامام الحرمين .

والذين يثبتون يرون في جواز اجراء القياس في الاحكام الشرعية عند فهم المراد — دليلا لهم ، ويقولون بأن " النبيذ يسمى خمرا ، لان فيه شدة مطربة ، فهو تصغير العنب ، واللواط يسمى زنا ، لانه وطء في فرج مشتهى طبعا محرم قطعا ، فكان زنا كالوطء في القبل " (٩) .

وأما الذين يرون امتناع ثبوتها ، فيقولون ان هناك فرقا بين القياس الشرعي والقياس اللغوي ، فالاول مطرد ، والثاني غير مطرد ، لان " النبيذ لا يسمى خمرا وان كان يخامر العقل ، والدار لا تسمى قارورة وان كانت الاشياء تستقر فيها ، والغراب

---

(١) انظر : المزهر : ١/ ٨ فما بعد .
(٢) نفسه : ١/ ٣٥ فما بعد .
(٣) نفسه : ١/ ٣٨ فما بعد .
(٤) نفسه : ١/ ٤١ فما بعد .
(٥) نفسه : ١/ ٤٧ فما بعد .
(٦) نفسه : ١/ ٤٢ .
(٧) نفسه : ١/ ٥٨ — ٥٩
(٨) نفسه : ١/ ٥٩ فما بعد
(٩) نفسه : ١/ ٦١ .

لا يسمى أبلق وان اجتمع فيه السواد والبياض "(١) ، وذكروا أن "اجراء القياس فى اللغة لا يخلو اما أن يعلم عقلا أو نقلا ، أما العقل فلا مجال له فى ذلك ، لانه يجوز أن يكون واضع اللغة قد قصد بهذا الاسم أن يختص بما سمى به ، ويجوز أن يكون لم يقصد الاختصاص ، بل يسمى به كل ما فى معناه ، واذا كان الامران جائزين فى العقل لم يرجح أحدهما على الآخر من غير مرجح .

"وان كان بطريق النقل ، فالنقل اما تواتر أو آحاد ، اما التواتر فلا مطمع فيه ، اذ لو كان لعلمناه ، ولكان مخالفه مكابرا ، وأما الآحاد فظن وتخمين لا يستند الى أصل مقطوع به "(٢)

وهو — أيضا — يقتفي أثر الفقهاء والاصوليين فى مباحثهم العقلية ، فقد اتسم اسلوبهم بالتمسك بآداب التعليم المادى وما تقتضيه البراهين المنطقة من الوقوف طويلا على الاستدلالات المختلفة والرد عليها ، ومن تناول عقلى لمختلف القضايا ومختلف سبل البحث الموضوعى القائم على الحجج والبراهين والاقيسة والدلائل والعلل والاستنتاجات ، فقد اتسم اسلوبه بذلك كله .

انظر — مثلا — كتابه الاقتراح (٣) ، تجده يتحدث عن القياس فى الكتاب الثالث ، فيذكر أن له أربعة أركان ، هى : أصل — وهو المقيس عليه ، وفرع — وهو المقيس وحكم ، وعلة جامعة ، وأورد لكل منها شروطا ويذكر أن له أربعة أقسام ، هى : حمل فرع على أصل ، وحمل أصل على فرع ، وحمل نظير على نظير ، وحمل الضد على ضد ، ثم ينتقل الى الكلام عن العلة ، فيذكر أقسامها ، وأنواعها ، ودورها ، وتعارضها ، ومسالكها ، وفسادها ، ومسألة الدور والتسلسل والشذوذ ، كل ذلك مع تحكيم العقل والحذق فى البحث والتجربة والاستدلال والشك والقياس والاستنباط وحمل الاصول على الفروع والعكس .

---

(١) المزهر : ١/ ٦١ .
(٢) نفسه : ١/ ٦٠

(٣) انظر : ص ٣٩ فما بعد .

وبالجملة ، فان السيوطى قد عكس صورة تأثير علماء الفقه والاصول بمناهجهم المادية فى مباحث اللغة ، فجاءت واضحة تمام الوضوح ، لانه استطاع أن يجمع كل هذه التأثيرات فى مصنف واحد جامع شامل .

(ج) فتـــــاواه : مثلما كان الفقهاء يفتون في مشكلات فقههم ، أفـــتى السيوطي في قواعد العربية ومشاكلها وقضاياها ، فنقل ، فيمن نقل ، مجال الفتوى من الفقه الى اللغة . (١)

ويحوى كتابه " الحاوى فى الفتاوى " ثلاثين فتوى فى اللغة والنحـــو والتصريف (٢) يجيب فيها عن الاسئلة الموجهة اليه من الناس في مصر وخارجها (٣) وقد تطـــول الفتوى منها حتى تستغرق صفحات عديدة ، كفتواه التى أسماهـــا " ألوية النصر في خصيص بالقصر " (٤) ، وفتواه " فجر الثمد فى اعـــراب أذل الحمد " (٥) ، وقد تقصر حتى لا تتجاوز بضعة أسطر ، مثل فتواه فـــى الفرق بين المثيل والشبيه والنظير (٦) ، وفتواه في مدلول لفظ " زوجا باب " (٧)

وقد لاتكون الفتوى لغوية — فى الاصل — ولكنه يوجهها ، أحيانا ، توجيها لغويا ، كما حدث غير مرة فى كتابه " الحاوى " ، وكما حدث فـــى فتواه فى رسالة " فتح المغالق من : أنت طالق " (٨) .

---

(١) انظر — فى أوائل الفتاوى ، وفي أنواع الفتاوى — كشف الظنون : ١٢١٨ — ١٢٣١ .
(٢) انظر : ٢/٤٦١ — ٤٩٣ .
(٣) السؤال الذى ورد اليه من الشام في : عين بن عنق وطوله وعرضه وعمله ، والاسئلة الواردة من بلاد التكرور — وانا الان — فى : عادة الملوك والخراج والقتال والامـــر بالمعروف والاحاديث الموضوعة والشيطان ومدح النبى — عليه الصلاة والســـلام ودخول الساعى الجنة ، ووعظ النساء مع الرجال ، وهدية الكفار ، وحروف الهجاء .
(٤) انظر : الحاوى : ٢/٤٧٨ فما بعد .
(٥) نفسه : ٢/٤٧٦ — ٤٧٨ .
(٦) نفسه : ٢/٤١٦ .
(٧) نفسه : ٢/٤٧٠ .
(٨) مطبوعة ضمن الاشباه والنظائر النحوية : ٤/٢١٤ فما بعد .

وهو ، حين يفتى ، انما ليظهر مقدرته على الافتاء ، باعتباره واحدا من وظائف المحافظ الاربع : الاملاء ، والافتاء ، والرواية ، والتعليم (١) ، وقد اشتغل السيوطي في كل منها باقدار متفاوته ، أعلاها الرواية ، وأدناها الافتاء ، فالافتاء مجال صعب لا يتصدى له غير رجل مقتدر عالم بآداب الافتاء وشرائطه .

فان على الذى يتصدى للافتاء أن " يقصد التحرى ، والابانة ، والافادة ، والوقوف عند ما يعلم ، وليقل فيما لا يعلم : لا أعلم ، واذا سئل عن غريب — وكان مفسرا فى القرآن — فليقتصر عليه ... واذا اتفق له أنه أخطأ في شيء ، ثم بان له الصواب فليرجع ، ولا يصر على غلطه ... واذا تبين له الخطأ فى جواب غيره من العلماء ، فلا بأس بالرد عليه ومناظرته ، ليظهر الصواب ... ولا بأس بالسكوت اذا رأى من الحاضرين ما لا يليق بالادب ... وليتثبت كل التثبت فى تفسير غريب وقع فى القرآن أو فى الحديث " (٢) ، وعليه أن يعزو الاقوال والاراء لاصحابها ، لان " من بركة العلم وشكره عزوه الى قائله " (٣) .

واليك صورة من صور فتاواه :

" مسألة : ما الفرق بين المثيل والشبيه والنظير ؟

الجواب : المثيل أخص الثلاثة ، والشبيه أعم من المثيل وأخص من النظير ، والنظير أعم من الشبيه ، وبيان ذلك أن المماثلة تستلزم المشابهة وزيادة ، والمشابهة لا تستلزم المماثلة ، فلا يلزم أن يكون شبه الشيء مماثلا له ، والنظير قد لا يكون مشابها .

" وحاصل هذا الفرق أن المماثلة تقتضى المساواة من كل وجه ، والمشابهة تقتضى الاشتراك في أكثر الوجوه لا كلها ، والمناظرة تكفى فى بعض الوجوه ولو وجها واحدا ، يقال : هذا نظير هذا فى كذا — وان خالفه فى سائر جهاته .

" ويؤيد هذا الذى قلته من المنقول ما نقله الشيخ سعد الدين (٤) فى شرح العقائد (٥) عن الاشعرية أن المماثلة عندهم انما تثبت بالاشتراك في جميع الاوصاف ، حتى لو اختلفا فى وصف واحد انتفت المماثلة ، وأما اللغويون فانهم جعلوا المثيل والشبيه والنظير بمعنى واحد "(٦) .

---

(١) انظر : المزهر : ٢/٣١٢ — ٣٤١ (٢) نفسه : ٢ / ٣١٤ فما بعد
(٣) نفسه : ٢/٣١٩ (٤) التفتازانى
(٥) مطبوع — فى دلكتا ولكناهور وقازان والاستانه — عدة طبعات باسم "شرح سعد الدين على العقائد النسفية (٦) الحاوى : ٢/٤٦٦ — ٤٦٧

الفصل الرابع

إعمالة الفكر

بعد النكبة العلميّة الرهيبة ، التى حلّت فى أرض الاسلام ، علىٰ أيدي المغول الذين قتلوا - في بغداد وغيرها - كثيراً من العلماء ، وأتلفوا كثيراً من دور الكتب ، فأضاعوا علىٰ الدّين والعربيّة والأمّة الإسلاميّة من الذخائر وثمرات العقول ما أضاعوا ؛ نبا المقام بمن بقي من العلماء - في بغداد وغيرها - علىٰ قيد الحياة ، فهجروا البلاد ورحلوا إلىٰ مصر ، حيث أظل فيها المماليك في صدّ جيوش المغول ، وتطهير مصر وبلاد الشام من جميع المغيرين والمعتدين .

وفي ظلّ المماليك ، الذين كانوا يحرصون على نشر العلم وعمارة بيوته ، ويتحمّسون لخدمة العلماء وطلاب العلم ؛ وجد العلماء أنفسهم - في الأمن والدعة والعيش الكريم - مسؤولين أمام الله والتاريخ عن بعث العلم ، وإقالة عثاره ، بتلافي مادمّر ، وبذل الجهد لإعادة تشييد الصرح الثقافيّ المنهار ؛ فاندفعوا يعكفون - في المقام الأوّل - علىٰ إحياء ما ذوىٰ ، ولمّ شتات ما تفرّق من آثارنا ، وتسجيل ما هو مهدّد بالزوال ، ما كان منه مسطوراً في الكتب ، أو مبعثراً في الأذهان ، ثم يعكفون علىٰ دراسة ما أحيوه يتمثّلونه ، ويهذّبونه ، ويستخلصون موارده ، ويضعون فيه مؤلّفاتهم الجديدة الجامعة .

فكان طبيعيّاً ، بعد ذلك ، أن تبلغ المؤلّفات التي صدرت في زمن المماليك - وهو أقلّ من ثلاثمائة عام - (١) عشرات الآلاف ؛ لأنّ بعض العلماء عرف عنه أنّه ألّف - وحده - مئات من الكتب (٢) .

وكان طبيعيّاً ، أيضاً ، أن أوّل ما يسترعي النظر فى طريقة التأليف عند كثير من مؤلفي هذه الحقبة ، هو : الجمع بين الموادّ المنقولة من كتب المتقدّمين ، دون نظر دقيق إلى وحدة الموضوع ، وكذلك الاستطراد ، والنقل المفرط ، فلقد نقلوا أبواباً طويلة بلغت صفحات ، بل كتباً كاملة بما يكاد يقرب من نصوصها الكاملة (٣) ،

---

(١) وهو الزمن الممتدّ من سنة ٦٤٨ هـ إلى سنة ٩٢٣ هـ .

(٢) انظر : عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلميّ والأدبيّ - للأستاذ محمود رزق سليم : ١/ ١٠ فما بعد .

(٣) علىٰ نحو ما نرىٰ في " نهاية الأرب " للنويريّ ، و " صبح الأعشىٰ " للقلقشنديّ ، و " نفح الطيب " للمقّريّ .

دون أن يصرفوا همتهم — كثيرا — الى استلهام الجديد ، واستنباط الفكرة الطريفة ، والى غربلة ما نقلوه وصبه في قالب متميز ، ثم البحث في هذه المنقولات بعين ناقده وفكر ثاقب مبتكر ، مما جعل عددا غير قليل من الدارسين يطلق — على هذا العهد — العقم بالتخلف العلمي (١) ، فالنهضة الناشطة قد تعطلت ، والينابيع الثرة قد أصابها الجفاف ، وعلماء العصر قد قضي عليهم بالخمول والخور ، فافنوا شخصياتهم في القدماء فناء تاما ، وعاشوا يحاكون مثلهم بقصور وقناعة .

ولتصحيح هذا التصور الخاطىء الذي وقر في أذهان كثير من الباحثين ، ينبغي — أولا — أن نضع أيديهم على حقيقتين كبريين :

أولاهما : أن هذا الرهط من علمائنا ، اتخذوا في مرامهم هذا ، اسوة حسنة من حياة رهط من الصحابة ، قاموا — خوفا من ضياع العلم وذهابه — بأول عمل للجمع والتدوين تم في اللغة العربية وتاريخ المسلمين ، ونعني به جمع القرآن الكريم وتدوينه في مصحف مكتوب ، فقد نقلوه من الجلود والعظام وورق البردي ، ومن صدور الصحابة من الحفاظ .

فالباعث الاول لعملية الجمع والتدوين ، في الحالين ، هو توجس الخيفة من ضياع العلم وذهابه ، فالصحابة خافوا ذهاب القرآن الكريم مع من ذهب من القراء في الحروب والغزوات ، والموسوعيون خافوا ذهاب التراث الاسلامي حين رأوا اقفار البلاد من الكتب ، فقد " ذهب جل الكتب في الفتن الناشئة من التتار وغيرهم ، بحيث ان الكتب الموجودة — الان — في اللغة من تصانيف المتقدمين والمتأخرين لا تجيء حمل جمل واحد " (٢) .

فطبيعي — والحالة هذه — أن يغلب على كثير من الموسوعيين محاكاة المتقدمين واتباع مثلهم في التأليف ، وأن يميلوا الى الجمع

---

(١) انظر — مثلا — " تاريخ آداب اللغة " لجرجي زيدان : ١٢٢/٣ ، و"الحركة الفكرية في مصر في العصرين الايوبي والمملوكي " للدكتور عبد اللطيف حمزه : ٣١٥ و" عصر الانحدار " لمحمد أسعد طلس : ١٠٢ .

(٢) المزهر : ٩٧/١ .

والتدوين أشرعا يميلون الى التحقيق والبحث .

أحراهما : أن لكل موسوعي طريقته الخاصة به في التأليف ، ومذهبه الذى يكاد يلازمه في أكثر ما يؤلفه ، لان طريقة التأليف هى جزء من شخصية المؤلف التى لا يستطيع الانسلاخ عنها .

فهناك من جعل همه الحفاظ على التراث ، فافنى شخصيته في السابقين ، باقتفاء آثارهم ، وردونه الى أصالهم ، بحيث لم يبد — في المسائل — رأيه ، أو يعمل علمه ، ولا بذل — في منقوله — جهدا يوضحه به ، ويرتبه ، ويهذبه ، ويستدل له ، ويعلق عليه ، أو حتى ينبه الاذهان الى بعض الاغلاط التى وردت فيه .

وتلك طريقة من جعل نفسه تابعا للعلماء من السلف ، واعتمد على علمهم ، ووثق فى كفايتهم ، ووقف عند هذا الحد ، مقتصرا على جمع الغث والسمين ، دون أن يهدف — من وراء جمعه — أن يأتى بجديد ، حتى يتبرأ من الاغلاط التى قد تبدو فى الكتاب ، فيحمل مسؤوليتها هؤلاء السابقين الذين نقل عنهم .

قال النويرى في مقدمة كتابه " نهاية الارب " (١) : " وما أوردت فيه الا ما غلب على ظنى أن النفوس تميل اليه ، وأن الخواطر تشتمل عليه . ولو علمت أن فيه خطأ لقبضت بناني ، وغضضت طرفي ، ولو خبرت طريق المعترض لعطفت عناني ، وثنيت عطفى ، لكنى تبعت فيه آثار الفضلاء قبلي ، وسلكت منهجهم فوصلت بحبالهم حبلي . فان يكن اعتراض ، فعلى علاهم (٢) لا على المعار . وقد علمت أنه من صنف كتابا فقد استهدف ، واصم الاسماع وان كان لبعضها قد صنف " (٣) .

---

(١) الكتاب ما يزال بعضه — حتى الان — تحت الطبع ، صدر منه عشرون جزءا فقط ، الاول منها سنة ١٩٢٣ م ، والثامن عشر سنة ١٩٥٤م عن مطبعة دار الكتب المصرية ، وصدر الجزء العشرون ، اثناء طبع الرسالة ، عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ، بتحقيق الدكتور رفعت فتى الله .

(٢) كذا .

(٣) ١/ ٢٥ — ٢٦ .

وهناك من لم يقتصر على بعض ما وجد أمامه في كتب السابقين ، وانما عمل على تجديده ، وتنميته ، والاضافة اليه اضافة اختلفت من مؤلف الى مؤلف قوة وضعفا ، وسعة وضيقا ، اما بتحقيقه ودراسته واخراجه في أدق صورة ممكنة ، حتى يزداد الناس انتفاعا به ، اما برحه والتعليق عليه أو اختصاره وتقريب مناله وازالة الصاعب عنه وكشف الغوامض فيه ، وكل ذلك يستدعي ثقوب الفهم ، وسعة الاطلاع ، والقدرة على التحليل ، وتمحيص الاخبار ، ونقد الاثار ، واستنباط الجديد ، لانه يرى أن العلم الذى ثبتت صحته قد وصل الينا بعد أن أضاف اليه العلماء ما أضافوه ، نتيجة للبحث والدرس ، فاذا غلط متقدم سدد متأخر ، واذا قصر قديم تمم محدث (١) .

وتلك طريقة من بذل — في استظهار موروثاتنا العلمية — جهودا شاقة — حتى يتمكن من تمثلها ودفعها — في قوة — الى ألنماء والتجدد والنضج ، يفعل ذلك بدافع من الرغبة الملحة في البناء والابتكار ، والاستعداد الفطرى لهذا النوع من العمل التأليفي ، ليخطو بالتأليف العلمي — في عصره — خطوات واسعة ، متخطيا كل الحواجز التى تحول بينه وبين الاصالة والخلق ، ويمضى — في طريقه — يتأمل ، ويلاحظ ، ويدرس .

قال السيوطي في رسالته التى وضعها في " التعريف بآداب التأليف " :

" وينبغي أن يعتنى بالتصنيف اذا تأهل له ، فيطلع على حقائق العلم ودقائقه ، ويثبت معه ، لانه يضطره الى كثرة التفتيش والمطالعة والتحقيق والمراجعة والاطلاع على مختلف كلام الائمة ومتفقه ، وواضحه ومشكله ، وصحيحه وضعيفه ، وقويه ورديئه ، وما لا اعتراض عليه وغيره ، وبه يتصف المحقق بصفة المجتهد ، وليحذر كل الحذر أن يسرع في تصنيف ما لم يتأهل له ، فان ذلك يضره في دينه وعلمه وعرضه ، ويلحذر — أيضا — من اخراج تصنيفه من يده الا بعد تهذيبه وترداد نظره فيه وتكريره ... وينبغى أن يكون اعتناؤه من التصنيف ما لم يسبق اليه أكثر " (٢) .

---

(١) انظر : عيون الانباء لـ لابن ابى اصيبعه : ١/٧ (ط . مولر) .
(٢) التعريف بآداب التأليف : ق ٢ / أ .

وبالجملة ، فان علماءنا الموسوعيين سلكوا — في سبيل الحفاظ على تراثنا وصونه واحيائه — سبيلين ، شأنهم في ذلك شأن غيرهم من العلماء في كل عصر ومصر ، أما الاول ، فهو سبيل محاكاة القدماء واستظهار موروثاتهم ، دون التوغل في اساغتها وتمثلها ، والعمل على تنميتها وأما الثاني ، فهو سبيل الاحياء والتجديد في آن واحد ، وربما جمع بعضهم بين السبيلين ، فكان — في فترة صباه ، أي الفترة التكوينية في حياته — محاكيا ، ثم استحال — في فترة النضج العقلي — مبتكرا .

ومن ثم ، فليس بصحيح ما ذهب اليه كثير من الباحثين في الحكم المطلق على هذا العهد بالجمود والتخلف والاعياء الفكري ، لان هناك عددا غير قليل من رجاله (١) حملوا على عاتقهم مهمة تجديد هذا التراث وتنميته ، بما دخال اضافات جديدة عليه لم تخطر — للاسلاف — على بال ، وتحقيق كثير من جوانب المنهج العلمي للتأليف ، فظلت الحياة العقلية في هذا العهد حية ناشطة متقدمة .

والمتتبع لما كتبه السيوطي يرى أنه — من وعي دعوته الى الاجتهاد وميله الى اظهار تفوقه الفكري على معاصريه وعلى من سبقه من العلماء — ينبذ المحاكاة العمياء في كل ما أحيا وجدد وصنف من كتب في اللغة وغيرها ، وينزع الى الابتكار ، بالنظر الى الامور الجليلة ، والدقة في القول ، والاعتناء بالمستجد في مختلف حقول العلم الذي كان يهتم به .

فهو يعتمد — أولا — على النصوص ، يستنبط منها ، ويكثر من الادلة والاقوال يوردها على المسألة الواحدة ، ويعرض لأدلة المخالفين وينقدها ، دون أن يغمط السابقين حقهم ، بل يعرض آراءهم ، وقد يختار له — من بينها — رأيا ، دون تعصب لمذهب معين ، وقد يميل

---

(١) نذكر منهم ، على سبيل المثال ، ابن تيمية في الفقه ، واليونيني في علوم الحديث ، وابن مالك في النحو ، وبهاء الدين السبكي في علوم البلاغة ، وأبا جعفر الغرناطي في التاريخ ، وابن خلدون مؤسس علم الاجتماع .

- احيانا - الى توجيه بعض الاراء ، وبيين وجهة كل فيما ذهب اليه وقد ساعده على ذلك طول دراسته بالكثير من العلوم ، وخوضه فيها ، وعقل راجح أعمله في تحقيق الهدف الذي دعا اليه ، وهو نبذ المحاكاة (١).

هذا ما تفصح عنه كتبه ، وطريقته في التأليف ، وهو ما نتوقعه من رجل انتشرت فتاواه في عصره ، وكتابه المستفتون من مختلف الأمصار ، واجتهد بالرأى ما وسعه الاجتهاد ، وصرح - في أكثر من مناسبة - بأهليته للاجتهاد المطلق ، فقد كملت - عنده - أدواته على ما استرطه الاصوليون ، اذ كان عالما بآيات الاحكام ، وأحاديث الاحكام ، وشروط القياس ، ومواقع الاجماع والخلاف (٢).

واليك بعضا من الامثلة :

(١) الرد على بعض السابقين : ذكر السيوطي في " معرفة آداب اللغوى " (٣) أنه " اذا تبين له الخطأ في جواب غيره من العلماء ، فلا بأس بالرد عليه ومناظرته ، ليظهر الصواب " (٤).

ولكن الى أى حد كان السيوطي نفسه حريصا - في كتبه - على تحقيق هذه الطريقة في التأليف ، وأينا في تطبيق هذا المنهج القائم على النشاط العقلى ، فما أكثر الذين يضعون مثلا عليا للبحث ، ثم لا يلبثون - عند التطبيق العملى - أن يتركوا هذه المثل ، وينهجوا سبيل غيرها .

خذ ، مثلا ، ما ذكره القرافي من أن اللغويين أهملوا البحث عن حال الرواة ، لانه ليس بضرورى عندهم ، كما هو الحال في الحديث النبوى الشريف ، فهم " انما أهملوا ذلك ، لان الدواعى متوفرة على الكذب في الحديث لاسبابه المعروفة الحاملة للواضعين على الوضع ، وأما اللغة فالدواعي

---

(١) انظر النوع الحادى والاربعين من " المزهر " في " معرفة آداب اللغوى " : ٢/٣١١ ، ٣١٤ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٥ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٨ .
(٢) انظر : حسن المحاضرة : ١/١٩٠ ، وكتاب الرد على من أخلد الى الارض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض : ٤١ - ٤٢ .
(٣) في النوع الحادى والاربعين من " المزهر " .
(٤) المزهر : ٢/٣٢٢ .

الى الكذب عليها في غاية الضعف ، وكذلك كتب الفقه لا تكاد تجد فروعا موضوعة على الشافعي أو مالك أو غيرهما ، وكذلك جمع الناس من السنة موضوعات كثيرة وجدوها ، ولم يجدوا — من اللغة وفروع الفقه — مثل ذلك ولا قريبا منه . ولما كان الكذب والخطأ في اللغة وغيرها في غاية الندرة اكتفى العلماء فيها بالاعتماد على الكتب المشهورة المتداولة ، فان شهرتها وتداولها يمنع من ذلك ، مع ضعف الداعية له ، فهذا هو الفرق " (١) .

ورد عليه السيوطي بانه ليس صحيحا أن اللغويين أهملوا البحث عن حال الرواة لانه ليس بضروري — عندهم — كما هو الحال في الحديث النبوي الشريف ، لاحتمال كذب من لم تعلم عدالته فيهما ، فهم " لم يهملوا البحث عن أحوال اللغات ورواتها جرحا وتعديلا ، بل فحصوا عن ذلك وبينوه ، كما بينوا ذلك في رواة الاخبار ، ومن طالع الكتب المؤلفة في طبقات اللغويين والنحاة وأخبارهم وجد ذلك ، وقد ألف أبو الطيب اللغوي كتاب (مراتب النحويين) بين فيه ذلك ، وميز أهل الصدق من أهل الكذب والوضع ، وسيمر بك في هذا الكتاب كثير من ذلك في نوع الموضوع (٢) ، ونوع معرفة الطبقات والثقات والضعفاء (٣) وغيرها من الانواع " (٤) .

وفي " معرفة الحقيقة والمجاز " (٥) ، عرض السيوطي للمجاز واختلاف الناس فيه بين قائل به ومنكر له ، وذكر أن من بين الذين أنكروا المجاز في لغة العرب ابا اسحاق الاسفراييني ، وأنه نسب خطأ الى أبي علي الفارسي انكار المجاز .

" قال : وقال التاج السبكي في شرح المنهاج (٦) : نقلت من خط ابن الصلاح أن أبا القاسم بن كج حكى عن أبي علي الفارسي انكار المجاز ، كما هو

---

(١) المزهر : ١/ ١١٩ — ١٢٠ ، وانظر " شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول " للقرافي : ص ٦٨ (ط . مصر ١٣٠٧هـ) .
(٢) وهو النوع الثامن من المزهر : ١/ ١٧١ — ١٨٣ .
(٣) وهو النوع الرابع والاربعون من المزهر : ٢/ ٣٩٥ — ٤١٧ .
(٤) المزهر : ١/ ١٢٠ .
(٥) وهو النوع الرابع والعشرون من المزهر : ١/ ٣٥٥ — ٣٦٨ .
(٦) كذا في نسخة مكتبة عارف حكمت ٥٦ لغة : ق ٧٣ / أ ، واسم الكتاب " منهاج الوصول الى علم الاصول " ، مطبوع في كردستان ١٣٢٦هـ ، وقد ورد اسم الكتاب في طبعة أبي الفضل ورفيقيه هكذا " شرح منهاج الاصول " : ١/ ٣٦٦ .

المحكي عن الاستاذ . (١)

" قلت : هذا لا يصح أيضا ، فان ابن جني تلميذ الفارسي ، وهو أعلم الناس بمذهبه ، ولم يحك عنه ذلك ، بل حكى عنه بما يدل على اثباته " (٢)

فهو حين يرد على أحد من العلماء — على نحو ما مر بنا منذ قليل — انما يفعل ذلك ليظهر له وجه الصواب ، وليس لمجرد الرد عليه ، أو تسفيهه ، و" لا لقصد تعجيزه وتبكيته ، فان ذلك حرام " . (٣)

قال في كتابه " اللفظ الجوهري في رد خباط الجوجري " (٤) في معرض رده على الجوجري في مسألة رؤية الباري تعالى في الجنة ، هل تحصل للنساء أو تختص بها الرجال ؟

---

(١) وهو أبو اسحاق الاسفراييني ، وكان يلقب بالاستاذ وبركن الدولة .
(٢) المزهر : ١/٣٦٦ .
(٣) نفسه : ٢/٣٣٧ .
(٤) ذكره السيوطي في فهرس مؤلفاته (فن أصول الفقه والدين والتصوف : ص ٨) ، ومنه نسخه في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة تحت رقم ٤ — مجاميع ، ونسخه في الظاهرية بدمشق تحت رقم ٩٠١٦ ضمن مجموع .

وذكر الاستاذ أحمد عبد الغفور عطار في " مقدمة الصحاح " : ٢١٥ — ٢١٦ ، أن السيوطي قد " الف — وهو بمكة — كتاب (اللقط الجوهري في رد خباط الجوجري) دفاعا عن الصحاح ، الا أن بعض المستشرقين والباحثين العرب خلطوا بين هذا الكتاب وكتاب آخر يقرب عنوانه من عنوان هذا الكتاب ، والكتاب الاخر اسمه (اللفظ الجوهري في رد خبط الجوجري) " .

وأشار الى أن هناك نسخة من " اللقط الجوهري في رد خباط الجوجري بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة تحت رقم ١٦١ لغة .

وحين رجعنا الى مكتبة شيخ الاسلام نبحث في فهارسها — بمعاونة أمينها السيد عبد الوهاب — عن الكتاب ، لعلنا نجد فيها ما نستدل به الى نسبته للسيوطي خطأ ، لاننا لا نعلم له — في مجال الدفاع عن الصحاح — غير كتاب " الرد على ابن عبد البر " تبين لنا أنه لا أثر لهذا الكتاب في المكتبة ، وان رقم التسلسل في فهرس كتب اللغة — في المكتبة — لم يبلغ بعد : ١٦١ .

" قال الجوجري : اذا رد بأوقية رددنا عليه بقنطار . وأقول : انما قصدنا بذلك : الرد بالعلم على القواعد المصروفة ووجوه النظر (١) ، وهو معنى قولي بطريقه ، لا بالخصام والسفه ، وقد أردنا بهذه الاوقية وهي محررة بالميزان (٢) ، فمن رد بقنطار من هذا الكلام المحرر الجاري على القواعد ، الى الم على الاثم ، فمرحبا به ، ومن رد بقنطار من السفه ، فانا لا نحسبه ، وقد قال الامام فخر الدين أن رفع الصوت والسفاهة في مباحثات العلوم أفعال الجهال يسترون بها جهلهم ، فنعوذ بالله من ذلك " (٣)

والامثلة — على هذا الضرب من الرد — على العلماء في كتب السيوطي — كثيرة ، نجتزئ منها بما قدمنا (٤).

(٢) الادلاء برأيه : قال السيوطي في " كتاب الرد على من أخلد الى الارض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض " : " التقليد باطل ، لان الله تعالى ذم الكفرة على التقليد ، فقال حاكيا عنهم : الا وجدنا آباءنا على أمة — الاية (٥) ، فلا يجوز أن يشتغل الانسان بما يستحق الذم عليه ، ولان فعله يحتمل الخطأ والصواب ، والمحتمل لا يصلح حجة " (٦).

---

(١) نقد تتبع السيوطي في كتابيه : اسبال الكسا على النسا ، ورفع الاسى عن النسا جميع الاحاديث الواردة في الرؤية — على ما ذكر — على اختلاف طرقها ، ولخصها من دواوين الحديث الموجودة ، ونظر في متفرقات كلام الائمة من أرباب الكلام وأصول الدين في مسألة الرؤية وما أجمعوا عليه واختلفوا فيه ، وحق — من هذا كله — بالقول برؤية النساء الباري تعالى في الموقف .

(٢) كذا .

(٣) كتاب اللفظ الجوهري : ق ٥ — ٦ .

(٤) وانظر : المزهر : ١/١٥—١٦ ، ١٠٣ ، ١٨٨ ، ٣٤٠ ، ٣٦٦ ، ٤٠٩ ، ٤٣٤ ، ٤٦٩ ، ٥٢٣ ، ٥٦٣ ، ومعترك الاقران : ١/٣ ، ٥١ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ١٢٢ ، ١٣٠ ، ١٦١ ، ٢١٧ ، ٢٤٦ ، ٢٦٨ ، ٣٨٠ ، ٥٧٥ ، ٥٩٥ ، وديوان الحيوان : ق ٣٣/ب ، ٣٤/أ ، ٩١٦/ب ، ورسالته في سبب وضع علم العربية : ٥٣ .

(٥) سورة الزخرف : آية ٢٢ .

(٦) كتاب الرد على من اخلد الى الارض : ٦٠ .

ولذلك ، وجدنا السيوطي يدلي برأيه بين الوقت والآخر ، أو يتخير — من بين الآراء التي يعرضها للعلماء — رأيا يستحسنه ويستجيده ، أو يفصل — بين الآراء المختلفة بين الناس — برأي معتدل بارع ، فكان له — من ذلك كله — عدد غير من الآراء اللغوية السديدة ، والاختيارات الصائبة ، والترجيحات الموفقة ، والتصحيحات الممتازة .

فهو ، مثلا ، يبدي رأيا سديدا في الاشتقاق الأكبر في اللغة ، وفيما تكلف له ابن جني من الأمثلة ، وتعسف له في التعليل ، فيقول : " وأما الأكبر ، فتحفظ (١) فيه المادة دون الهيئة ، فيجعل (ق و ل) و (و ل ق) و (و ق ل) و (ل ق و) وتقاليبها الستة ، بمعنى الخفة والسرعة . وهذا مما ابتدعه الامام أبو الفتح ابن جني ، وكان شيخه أبو علي الفارسي يأنس به يسيرا ، وليس معتمدا في اللغة ، ولا يصح أن يتنبط به اشتقاق في لغة العرب .

" وانما جعله أبو الفتح بيانا لقوة ساعده ، ورده المختلفات الى قدر مشترك ، مع اعترافه وعلمه بأنه ليس هو موضوع تلك الصيغ ، وان تراكيبها تفيد اجناسا من المعاني مغايرة للقدر المشترك (٢) .

ثم يفصل السيوطي القول في هذه المسألة برأي معتدل سديد ، فيقول : " وسبب اهمال العرب وعدم التفات المتقدمين الى معانيه أن الحروف قليله ، وأنواع المعاني المتفاهمة لا تكاد تتناهى ، فخصوا كل ترتيب بنوع منها ، ليفيدوا بالتراكيب والهيئات أنواعا كثيرة ، ولو اقتصروا على تغاير المواد ، حتى لا يدلوا على معنى الا بما ليس فيه شيء (٣) من حروف الايلام والضرب ، لمنافاتهما لهما ، لضاق الامر جدا ، ولاحتاجوا الى حروف (٤) لا يجدونها ، بل فرقوا بين معتق ومعتق بحرف

---

(١) كذا في نسخة عارف حكمت ٥٦ لغة : ق ٦٧ /أ ، وفي طبعة أبي الفضل ورفيقيه " فيحفظ " .

(٢) المزهر : ١/٣٤٧ .

(٣) كذا في نسخة عارف حكمت ٥٦ لغة : ق ٦٧ /أ ، وفي طبعة أبي الفضل ورفيقيه لفظة " شيء " ساقطه .

(٤) كذا في نسخة عارف حكمت ، وفي نسخة أبي الفضل : " ولاحتاجوا الى ألوف حروف "

واحدة حصل بها تمييز بين ضدين .

" هذا ، وما فعلوه أخصر وأنسب وأخف ، ولسنا نقول : ان اللغة — أيضا — اصطلاحية ، بل المراد بيان أنها وقعت بالحكمة كيف فرضت ، ففي اعتبار المادة دون هيئة الترتيب من فساد اللغة ما بينت لك ، ولا ينكر — مع ذلك — أن يكون بين التراكيب المتعددة المادة معنى مشترك بينها ، هو جنس لانواع موضوعاتها ، ولئن التحيل — على ذلك — في جميع مواد الترتيبات لطلب لعنقاء مغرب " (١)

وأمثال هذين المثالين كثيرة (٢) ، وانما أردنا أن نعرض — من كل شيء — مثالا أو مثالين ، لان بعض الامثلة يغني عن بعض .

(٣) وقريب مما سبق ، التعليق على بعض القضايا والاراء : لما كان السيوطي يهدف — دائما — الى ابطال التقليد ، رأيناه حريصا على تفنيد المسائل التي يعرضها للنقاش ، معقبا على ما يستتبع منها الى تعقيب ببعض الفوائد والتنبيهات .

ففي معرض نقاشه لما قرره أبو البركات ابن الانباري في كتابه " الانصاف " (٣) بشأن الشواهد المجهولة النسبة ، وقال بعدم جواز الاحتجاج بها ، علق عليه السيوطي في كتابه " الاقتراح " بقوله : " وشأن طلبه ذلك خوف أن يكون لمولد ، او من لا يوثق بفصاحته ، ومن هذا يعلم أنه يحتاج الى معرفة أسماء شعراء العرب وطبقاتهم ". (٤)

وفي كلامه على الفصيح في اللغة ، تناول — أولا — الفصاحة في المفرد ، وذكر أنها لا تتحقق فيه الا بخلوه من تنافر الحروف ، ومن الغرابة ، ومن مخالفة القياس اللغوي ، ثم أخذ في تفصيل كل ، والتمثيل له ، وفي عرض آراء العلماء ،

---

(١) المزهر : ١/٣٤٧ — ٣٤٨ .

(٢) انظر ، مثلا ، معترك الاقران : ١/٢١٧ ، ٢٤٦ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٨٨ ، ٣٤٩ ، ٣٦٩ ، ٣٧٥ ، ٣٧٧ ، ٣٨٠ ، ٣٨٧ ، ٣٩٣ ، ٤٢٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٨١ ، ٤٨٦ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥٧٥ ، ٥٩٠ ، ٥٩٥ ، ٦١٢ ، ٦٢٥ ، ٦٣٠ .

(٣) طبع — أولا — في ليدن سنة ١٩١٣م باشراف " فون غوتولد وايل " ، ثم نشره الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد محققا في مصر سنة ١٩٥٥م .

(٤) الاقتراح : ٢٧ .

حتى اذا جاء على مسألة " ما خالف القياس وكثر استعماله من المفردات " ، هل يعد فصيحا أولا ، نقل لنا ما قاله السطيبي في شرح التلخيص(١) : " أما اذا كانت مخالفة القياس لدليل ، فلا يخرج عن كونه فصيحا ، كما في سرر ، فان قياس سرير أن يجمع على أفعلة وفعلان ، مثل أرغفة ورغفان "(٢).

ثم نقل ما قاله البهاء السبكي في الرد عليه بأنه " ان عنى بالدليل ورود السماع ، فذلك شرط لجواز الاستعمال اللغوي ، لا الفصاحة ، وان عنى دليلا يصيره فصيحا ، وان كان مخالفا للقياس ، فلا دليل في سرر على الفصاحة . الا وروده في القرآن ، فينبغي — حينئذ — أن يقال : ان مخالفة القياس انما تخل بالفصاحة حيث لم يقع في القرآن الكريم .... ولقائل أن يقول حينئذ : لا نسلم أن مخالفة القياس تخل بالفصاحة ، ويسند هذا المنع بكثرة ما ورد منه في القرآن ، بل مخالفة القياس مع قلة الاستعمال مجموعهما هو المخل "(٣).

وعلق على كل ما تقدم بقوله : " قلت : والتحقيق أن المخل هو قلة الاستعمال وحدها ، فرجحت الغرابة ومخالفة القياس الى اعتبار قلة الاستعمال والتنافر كذلك ، وهذا كله تقريرا لكون مدار الفصاحة على كثرة الاستعمال وعدمها على قلته "(٤)

ومثل هذا كثير (٥).

---

(١) المسمى " ايضاح التلخيص في المعاني والبيان " ، وهو شرح وضعه على كتابه "تلخيص مفتاح العلوم — للسكاكي " — مطبوع في بيروت سنة ١٣٠٢هـ .
(٢) المزهر : ١/١٨٨ .
(٣) نفسه .
(٤) نفسه .
(٥) وانظر : المزهر : ١/٢٥ ، ٣٠ ، ٥١ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ١٢٤ ، ١٣٠ — ١٣٧ ، ١٦٩ ، ١٨٩ ، ٢٢٠ ، ٢٤٠ ، ٢٥١ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٣٠١ ، ٣٢٥ ، ٣٦١ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٩٦ ، ٤٠٣ ، ٤١٤ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٣٧ ، ٤٣٩ ، ٤٥٩ ، ٤٦٩ ، ٤٧٦ ، ٤٨٢ ، ٥٠١ ، ٥٢٧ — ٥٣٨ ، ٥٥٦ ، ٥٦٣ ، ٥٩١ ، ٦٢٢ ، والاقتراح : ٧ ، ١٥ ، ٢٣ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٨٦ ، وديوان الديوان : ق ٢/ب ، ١٢/أ ، ١٧/ب ، ١٨/أ ، ٢٧/ب ، ٣٦/أ ، ٣٧/أ ، ٣٩/ب ، ٤٠/أ ، ٩٠/ب .

(٤) تفسير بعض المشكلات وتعليلها : فرجل - مثل السيوطي - يؤمن بأن من آداب اللغوي " الاخلاص ، وأن يقصد بذلك نشر العلم واحياءه ، والصدق في الرواية ، والتحري والنصح في التعليم "(١) لابد أن يصرف همته الى التأمل في النصوص والبحث والدرس العميقين ، حتى يتمكن من تعليل بعض المشكلات وتفسير بعض الامور .

بحث السيوطي - في النوع الاول من مزهره (٢) - مسألة " اللفظ ومدلوله " هل بينهما مناسبة طبيعية أو لا ، فذكر أن عباد ابن سليمان الصيمري - وكان معتزليا - يقول بالمناسبة بينهما " والا لكان تخصيص الاسم المعين بالمسمى المعين ترجيحا من غير مرجح "(٣) .

ثم ذكر انكار الجمهور مقالة عباد هذه بأن " لو ثبت ما قاله لاهتدى كل انسان الى كل لغة ، ولما صح وضع اللفظ للضدين ، كالقرء للحيض والطهر ، والجون للابيض والاسود ، وأجابوا عن دليله بأن التخصيص بارادة الواضع المختار ، خصوصا اذا قلنا : الواضع هو الله تعالى ، فان ذلك التخصيص وجود العالم بوقت دون وقت "(٤) .

وحتى لا تشغل هذه المسألة الخلافية على بعض الباحثين ، ويرى أن ليس مردها الى وجود هذه المناسبة الطبيعية وعدم وجودها بين اللفظ ومدلوله ، بل الى ما يراه عباد من أن هذه المناسبة ذاتية موجبة ، بمعنى أنها تطرد ولا تتخلف ، وان كنا - أحيانا - لا نشعر بها ، يوضح لنا السيوطي هذه المسألة بعبارته قائلا :

" وأما أهل اللغة والعربية ، فقد نادوا بطبقون على ثبوت المناسبة

---

(١) المزهر : ٢/ ٣٣٠ .
(٢) وهو " معرفة الصحيح الثابت " انظر : ١/ ٤٧ فما بعد .
(٣) نفسه .
(٤) نفسه .

بين الالفاظ والمعانى ، لكن الفرق بين مذهبهم ومذهب عباد أن عبادا يراها ذاتية موجبه ، بخلافهم ، وهذا نما تقول المعتزلة بمراعاة الاصلح في افعال الله تعالى وجوبا ، وأهل السنة لا يقولون بذلك مع قولهم انه تعالى يفعل الاصلح ، لكن فضلا منه ومنا لا وجوبا . ولو شاء لم يفعله "(١)

وانظر اليه كيف يتعرض لقوم من النحاة المتقدمين - في كتابه الاقتراح - يعيبون على عاصم وحمزه وابن عامر قراءات بعيدة في العربية ، وينسبونهم الى اللحن ، ويقولون بما " روى عن عثمان أنه قال لما عرضت عليه المصاحف : ان فيه لحنا ستقيمه العرب بألسنتها "(٢) ، ويرد عليهم بأن " كيف يظن بعثمان أن يقرأه ولا يغيره ؟ ثم كيف يظن أن القراءات استمرت على مقتضى ذلك الخطأ ، وهو مروى بالتواتر خلفا عن سلف ؟ هذا مما يستحيل عقلا وشرعا وعادة "(٣) .

ويعلل بأن " أحسن ما يقال في أثر عثمان - رضى الله تعالى عنه - بعد تضعيفه بالاضطراب الواقع في اسناده والانقطاع ، انه وقع - في روايته - تحريف ، فان ابن أشتة أخرجه في (كتاب المصاحف)(٤) من طريق عبد الاعلى بن عبد الله ابن عامر ، قال : لما فرغ من المصحف اتى به عثمان ، فنظر فيه ، فقال : أحسنتم وأجملتم ، أرى شيئا سنقيمه بألسنتنا ، فهذا الاثر لا اشكال فيه ، فكأنه لما عرض عليه عند الفراغ من كتابته رأى فيه شيئا على غير لسان قريش ، مما وقع لهم في الكتابوت والدابوه ، فوعد بأنه سيقيمه على لسان قريش ، ثم وفى بذلك مما ورد من طريق آخر أوردتها (٥) في (كتاب الاتقان) ، ولعل من روى ذلك الاثر حرفه ، ولم يتقن اللفظ الذى صدر من عثمان ، فلزم ما لزم من الاشكال "(٦) .

---

(١) المزهر : ١/٤٨ .
(٢) الاقتراح : ١٥ .
(٣) نفسه : ١٦ .
(٤) مطبوع في المطبعة الرحمانية سنة ١٣٥٥ هـ ، بتحقيق آرثر جفرى .
(٥) كذا .
(٦) الاقتراح : ١٦ .

ونعتقد أن فيما أوردناه — للتمثيل على هذا الباب — الكفاية .(١)

(٥) التريث في الحكم على المسائل المختلفة : كان السيوطي فقيها يهدف الى الحق دائما ، ولهذا رأيناه لا يطلق احكامه قبل أن يتحرى ويتثبت ، بحيث اذا طلب اليه أن يبدي رأيه في مسألة لم يتأهل لها ، قال " لا نقل عندي في ذلك الان " (٢) ، حتى اذا اطلع على دقائقها بكثرة التفتيش والنظر والتحقيق والمراجعة ، بسط القول فيها ، وذكر حكمه متريثا .

ومن الامثلة التي تبين تريث السيوطي في الحكم على المسائل المختلفة ما ذكره بحق كتاب " العين " للخليل ، بعد أن أورد جملة من قدح الناس فيه ، ووصفهم اياه بالتغليط والخلل والفساد ، وانكار نسبته اليه .

قال : " قلت : وقد طالعته الى آخره ، فرأيت وجه التخطئة فيما خطىء فيه غالبه من جهة التصريف والاشتقاق ، كذكر حرف مزيد في مادة أصلية ، أو مادة ثلاثية في مادة رباعية ونحو ذلك ، وبعضه ادعى فيه التصحيف ، وأما أنه يخطأ في لفظة من حيث اللغة بان يقال : هذه اللفظة كذب ، أو لا تعرف ، فمعاذ الله ، لم يقع ذلك .

" وحينئذ لا قدح في كتاب العين ، لان الاول الانكار فيه راجع الى الترتيب والوضع في التأليف ، وهذا أمر هين ، لان حاصله أن يقال : الاولى نقل هذه اللفظة من هذا الباب وايرادها في هذا الباب ، وهذا أمر سهل ، وان كان مقام الخليل ينزه عن ارتكاب مثل ذلك ، الا أنه لا يمنع الوثوق بالكتاب ،

---

(١) وانظر : معترك الاقران : ١/٥٨ — ٦٠ ، ٧٤ — ٧٥ ، ٨٥ — ٨٦ ، ٩٤ ، ١٠٨ ، ١١٩ — ١٢٠ ، ١٨١ ، ٢٠٧ ، ٢٢٨ ، ٢٦٧ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٣٥٩ ، ٥١٩ ، والمزهر : ١/١٨٤ ، ١٨٧ ، ٢١٢ ، ٢٢٠ ، ٢٤٠ ، ٢٥١ ، ٢٦٧ ، ٢٨٦ ، ٣٨٧ ، ٤٢٠ ، ٥٠١ ، ٥٧٨ ، وديوان الحيوان : ق ٣٠/أ — ب ، ٤٠/أ ، ٤٢/أ — ب ، ٤٣/أ ، ٤٤/ب ٦١/أ — ب ، ٦٨/ب ، ٧١/ب ، والاقتراح : ٤ — ٥ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٩ ، ٤١ ، ٤٥ ، ٥١ — ٥٢ ، ٦٣ ، ٧١ ، ٧٧ .

(٢) كتاب اللغة للجوهري : ق ٢/أ .

والاعتماد عليه في نقل اللغة .

" والثاني أن سلم فيه ما ادعى من التصحيف ، يقال فيه ما قالته الائمة : ومن ذا الذي سلم من التصحيف ؟ كما سيأتي في النوع الثالث والاربعين (١) ، مع أنه قليل جدا ، وحينئذ يزول الاشكال "(٢) .

ومثل هذا ما ذكره بحق كتاب " الجمهرة " لابن دريد ، فقد قال فيه ابن جني : " وأما كتاب الجمهرة ، ففيه — أيضا — من اضطراب التصنيف ، وفساد التصريف ، مما أعذر واضعه فيه لبعده عن معرفة هذا الامر ، ولما كتبته وقعت في متونه وحواشيه جميعا من التنبيه على هذه المواضع ما استحييت من نشرته ، ثم انه لما طال علي أومأت الى بعضه ، وضربت البته عن بعضه "(٣) .

فقال السيوطي : " قلت : مقصوده الفساد من حيث ابنيه التصريف ، وذكر المواد في غير محالها كما تقدم في العين ، ولهذا قال : اعذر واضعه فيه لبعده عن معرفة هذا الامر ، يعني أن ابن دريد قصير الباع في التصريف ، وان كان طويل الباع في اللغة ، وكان ابن جني — في التصريف — اماما لا يشق غباره "(٤) .

وقال الازهري : " ممن ألف الكتب في زماننا فرمى بافتعال العربية وتوليد الالفاظ أبو بكر بن دريد ، وقد سألت عنه ابراهيم بن محمد بن عرفة — يعني نفطويه — فلم يعبأ به ولم يوثقه في روايته "(٥)

فقال السيوطي : " قلت : معاذ الله هو بريء مما رمى به ، ومن طالع الجمهرة ، رأى تحريه في روايته ، وسأذكر منها — في هذا الكتاب — ما يعرف منه ذلك ، ولا يقبل فيه طعن نفطويه ، لانه كان بينهما منافرة عظيمة (٦) ، بحيث ان ابن دريد هجاه

---

(١) من المزهر ، وهو (معرفة التصحيف والتحريف) : ٢/٣٥٣ — ٣٩٤ .
(٢) المزهر : ١/٨٦ .
(٣) نفسه : ١/٩٣ .
(٤) نفسه :
(٥) نفسه
(٦) انظر : البغية : ١/٤٢٩ ، وانباه الرواة : ١/١٧٦ — ١٨٤ .

بقوله : لو أنزل الوحي على نفطويـــــــــه

لكان ذا ك الوحي سخطا عليـــــــه

وشاعر يدعى بنصف اسمـــــــــه

مستأهل للصفع في اخدعيـــــــه

أحرقه اللـه بنصـــف اسمـــــــه

وصـــير الباقـــي صراخـــا عليـــه (١)

وهجا هو ابن دريد بقولـه :

ابن دريـد بقـــــره وفيـــه عي وشـــــره

ويدعي من حمقـــــه وضـع كتاب الجمهـــرة

وهو كتـاب الصـــين الا أنـــه قـــد غـــيره (٢)

وقد تقرر - في علم الحديث - أن كلام الاقران في بعضهم لا يقدح (٣).

وهكـــذا . (٤)

فان احاطة الرجل بالكثير من علوم عصره ، وعقله الراجح ، وميله الطبيعي الـــي الابتداع ، ودعوته الدائمة الى الاجتهاد ونبذ المحاكاة ، كل أولئك جعله متمتـــا من موضوعه الذي يطرقه ، قابضا على ناصية المنهج العلمي فيه ، باذلا نشاطا عقليـــا واضحا .

---

(١) انظر الابيات في " ديوان ابن دريد " : ٧٦ (بتحقيق الاستاذ عمر بن سالـــم ، الدار التونسية للنشر ١٩٧٣م) .

(٢) انظر الابيات في " نزهة الالباء " : ٢٦١ .

(٣) المزهر : ١/٩٤ .

(٤) وانظر : المزهر : ١/٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٨٦ ، ٩٣ ، ١٣١ ، ٢٦١ ، ٣٠١ ، ٥٠١ ، ٥٦٧ ، ٥٩١ ، والاقتراح : ١٤ ، ١٦ ، ٢٨ ، ٨٣ ، ورسالته في سبب وضع علم العربية : ٥٣ ، والاتقان : ١/٧٣ .

وهو — في كل ذلك — انما يستجيب لهدفه الذي وضعه لنفسه في التأليف ، وهو أن يضيف شيئا جديدا ينتفع به الناس بعده ، ويلحقه منه مثوبة من لدن رب الناس يوم لا ينفع مال ولا بنون .

أوليس هو الذي قال : " لا ينبغي لمصنف يتصدى لتصنيف أن يعدل عن غرضين : اما أن يخترع معنى ، واما أن يبتدع وضعا ومبنى ، وما سوى هذين الوجهين فهو تسويد الورق "(١) .

وتلك صفة الممتازين ، وقلما رأيناها — بهذا الاكتمال — في العلماء الواسعي الثقافة ، فأغلبهم يطول به الموضوع الذي يعالجه ، وتتبعثر أطرافه شذر مذر ، فتوجهه بدل أن يوجهها هو ، ولا يزال على ذلك حتى ينفض يده منه دون أن يكون قد بذل فيه جهدا ، أو ابدى رأيا ، أو استنبط جديدا .

---

(١) كتاب التعريف بآداب التأليف : ق ٣/أ ، على أن سبقه في الابتكار — عندما يقول " لم يسبق " أو يقول " لم يسبقني اليه أحد " ، وما شابهها من العبارات — لم يكن يعني دوما ابتكاره الجديد الذي لم يكن له من وجود سابق ، انما كان يعني — في كثير من الاحيان — التجديد فيما كان موجودا وسبقه أو صياغته بشكل أجمل وأفضل .

الفصل الخامس

أمانته العلميّة وتحرّيه

وأهمّ ما يمتاز به السيوطيّ في التأليف هذا الحرص الشديد على نسبة كلّ قول إلى قائله ، وعزو كلّ فضل إلى صاحبه ، وربّما تجاوز هذا — أحياناً — إلى النصّ على مواضع نقله من الكتب وذكر أنّ ما تمّ نقله كان بالحرف أو ملخصاً ، وكان من متون الكتب أو كان من خطوط العلماء في حواشي الكتب والتعليقات ، أو كان من رسائل صغيرة لمؤلّفين غير مشهورين على نحو ما نفعل نحن اليوم ؛ وتلك هي الأمانة العلميّة التي رأيناه يحرص عليها كلّ الحرص في جميع كتبه ورسائله ومقاماته .

هذا ليس بعجيب — عندنا — من رجل اشتغل بعلوم الحديث والفقه ، وانقطع للإقراء والتأليف فيهما معظم سني حياته ، واصطنع لنفسه منهما منهجاً علمياً سليماً في النقل والعزو ؛ وصَفَه لتلاميذه ، وسجّله لهم في بعض مصنّفاته ورسائله (١) ، ونصح من ينشد السداد في الكتابة منهم أن يسير على منواله .

جاء في النوع الحادي والأربعين — من كتابه " المزهر " في معرفة آداب اللّغوي : " ومن بركة العلم وشكره عزوه إلى قائله .

" قال الحافظ أبو طاهر السلفيّ : سمعت أبا الحسن الصيرفيّ — يقول : سمعت أبا عبد اللّه الصوريّ يقول : قال لي عبد الغني بن سعيد : لمّا وصل كتابي إلى عبد اللّه الحاكم أجابني بالشكر عليه . وذكر أنّه أملاه على الناس ، وضمّن كتابه إليّ الاعتراف بالفائدة ، وأنّه لا يذكرها إلاّ عنّي ، وأنّ أبا العباس محمد بن يعقوب الأصمّ حدّثهم — قال : حدّثنا العباس ابن محمد الدّوريّ — قال : سمعت أبا عبيد يقول : من شكر العلم أن تستفيد الشيء ، فإذا ذكر لك — قلت : خفي عليّ كذا وكذا ، ولم يكن لي به علم حتى أفادني فلان فيه كذا وكذا ؛ فهذا شكر العلم . انتهى .

"قلت (٢) : ولهذا لا تراني أذكر في شيء من تصانيفي حرفاً إلاّ معزوّاً إلى

---

(١) ومن ذلك : " نصيحة العلماء الراشدين ووصية العلماء المحقّقين " ومنه نسخة في مكتبة الآثار العامّة ببغداد ١٩٧٣م ، ونسخة في مكتبة الأزهر ١١٤٠ حليم باسم " نصيحة العلماء الراسخين ووصية العرفاء المحقّقين " ، وكتاب " التعريف بآداب التأليف " ومنه نسخة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة تحت رقم ١٤٠ مجاميع ، ونسخة في الخزانة العامة بالرباط ، رقمها $\frac{١٠٢٧}{١٥}$ ضمن مجموع .

(٢) الكلام ، هنا ، للسيوطيّ .

قائله من العلماء ، مبينا كتابه الذى ذكر فيه " (١)

هذا وقد بلغ من عكوف السيوطي على أسباب هذا المنهج والتحلى باخلاق العلم فيه أن أنكر - فى بعض كتبه - كثيرا على بعض المصنفين عدم عزوهم ما ينقلونه من مؤلفات الاخرين ، وأشاد - فى المقابل - بأمانة بعضهم ممن التزموا بالمنهج العلمى السليم في عزو المنقولات الى أصوابها .

قال في كتابه " الاشباه والنظائر النحوية " : " قال الشيخ بهاء الدين النحاس فى (التعليقة) (٢) : وجدت ذلك بخط غالى (٣) بن عثمان بن جنى عن أبيه ، قال : بدليل أنك تقول فى المذكر : قائم ، واذا أردت التأنيث ، قلت : قائمة فجئت بالعلامة عند المؤنث ، ولم تأت للمذكر بعلامة ، وتقول : رأيت رجلا فلا يحتاج الى العلامة ، وان أردت التعريف ، أدخلت العلامة ، فقلت : رأيت الرجل ، فادخلت العلامة فى الفرع الذى هو التعريف ، ولم تدخلها فى التنكير ، واذا أردت بالفعل المضارع الاستقبال ، أدخلت عليه السين لتدل بها على استقباله ، وذلك يدل على أن أصله موضوع للحال ، ولو كان الاستقبال فيه أصلا لما احتاج الى علامة . انتهى (٤)

ثم علق السيوطي على هذا الصنيع من الشيخ بهاء الدين بن النحاس بقوله :

---

(١) المزهر : ٣٩٩/٢

(٢) قال السيوطى فى ترجمته : " ولم يصنف شيئا الا ما أملاه شرحا لكتاب المقرب " ، ويفهم من هذا أن " التعليقة " من أمالى أبن النحاس على الكتاب المذكور .

(٣) هكذا فى طبعة حيد اباد ، وفي نسخة عارف حكمت بالمدينة المنورة (أ - نحو) ، وفى ترجمته في " البغية " : على بن عثمان بن جنى : ٢٤/٢ .

(٤) الاشباه والنظائر النحوية : ٢٦٤/١ .

" وانظر الى دين الشيخ بهاء الدين وأمانته ، كيف وجد فائدة بخط ولد ابن جنى نقلها عن أبيه ولم تيسر في كتاب ، فنقلها عنه ، ولم يستجز ذكرها من غير عزو اليه ، لا كالسارق (١) الذى اغار على تصانيفي التى أقمت في تتبعها سنين ، وهى : كتاب المعجزات الكبير (٢) وكتاب الخصائص الصغرى (٣) وغير ذلك ، فسرقها وضمها وغيرها مما سرقه من كتب الخيضرى والسخاوى في مجموع ، وادعاه لنفسه ، ولم يعز الى كتبى وكتب الخيضرى والسخاوى شيئا مما نقله منها ، وليس هذا من أداء الامانة في العلم "(٤)

وهنا حادثة طريفة في هذا الباب ، لا بأس أن نذكرها ، هنا ونحن نتحدث عن أمانة السيوطي العلمية ، فقد خاصم الرجل شهاب الدين القسطلانى العلامة الحجة الفقيه المقرىء المتصوف صاحب " ارشاد الساري لشرح صحيح البخارى "(٥) و " المواهب اللدنية في المنح المحمدية "(٦) ، و " لطائف الاشارات لفنون القراءات "(٧)

---

(١) لم يشأ السيوطى أن يفصح عن اسمه اعزازا للعلم واظهارا للفضيلة وترفعا عن الحرام ، وهذا ينسجم مع ما أخذ به نفسه من التدين والزهد والورع ، انظر الى ما ينصح به تلاميذه في امتحان العلماء القادمين عليهم : " ولا بأس بامتحان من قدم ، ليعرف محله في العلم وينزل منزلته ، لا لقصد تعجيزه وتبكيته ، فان ذلك حرام " المزهر : ٢/٣٣٧ .

(٢) هو كتاب " المعجزات والخصائص الكبرى " ، مطبوع في دائرة المعارف بحيد آباد سنة ١٣٢٠ هـ .

(٣) هو : " انموذج اللبيب في خصائص الحبيب " ، وهو مختصر كتابه " المعجزات والخصائص الكبرى " ، مطبوع في المطبعة النظامية بحيد آباد سنة ١٣٢٠هـ .

(٤) الاشباه والنظائر : ١/٢٦٤ — ٢٦٥ ، ويروى أن السيوطي كتب في هذا — الذى لم يؤد الامانة في العلم حين أخذ كتابيه هذين وأسندهما الى نفسه مقامته الموسومة " الفارق بين المصنف والسارق " .

(٥) مطبوع عدة طبعات ، في بولاق سنة ١٢٧٦ — ١٣٠٤ ، وفي المطبعة الميمنية سنة ١٣٠٧ هـ ، وفيها أيضا سنة ١٣٢٥ هـ .

(٦) مطبوع في القاهرة سنة ١٢٨١ هـ .

(٧) مطبوع في القاهرة ١٣٩٢ هـ عن المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ، بتحقيق عامر السيد عثمان ، ود . عبد الصبور شاهين .

وغيره من الكتب الشهيرة ، جليلة الاثر ، لمجرد أنه نقل كلاما من طريقة ، وأغفل ذكره ، باعتباره الواسطة .

فكيف كان ذلك ؟

يروى لنا ابن العماد الحنبلى القصة فى كتابه " شذرات الذهب " حين ترجم للشهاب القسطلانى ، قال : " ويحكى أن الحافظ السيوطى كان يغض منه ، ويزعم أنه يأخذ من كتبه ، ويستمد منها ، ولا ينسب النقل اليها ، وأنه ادعى عليه بذلك بين يدى شيخ الاسلام زكريا ، فالزمه ببيان مدعاه ، فعدد مواضع ، قال أنه نقل فيها عن البيهقي (١) ، وقال : انه للبيهقي عدة مؤلفات ، فاليذكر لنا ذكره فى أى مؤلفاته ، لنعلم أنه نقل عن البيهقي ، ولئنه رأى فى مؤلفات ذلك النقل عن البيهقي ، فنقله برمته ، وكان الواجب عليه أن يقول : نقل السيوطي عن البيهقي ." (٢) .

ويتابع ابن العماد الحنبلى القصة قائلا : " وحكى الشيخ جار الله بن فهد أن الشيخ رحمه الله (٣) قصد ازالة ما فى خاطر الجلال السيوطي ، فمشى من القاهرة الى الروضة (٤) الى باب السيوطي ، ودق الباب ، فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا القسطلاني ، جئت اليك حافيا مكشوف الرأس ، ليطيب خاطرك علي . فقال له : قد طاب خاطرى عليك . ولم يفتح له الباب ، ولم يقابله " (٥)

أما كيف كان هو يصنع بالنصوص التى يقتبسها من كتب الآخرين ، فيضرب لنا مثلا رفيعا فى رد كل حديث الى مصدره ، وكل خبر الى منبعه ، وكل فضل الى ذويه عن طريق الاسناد الصحيح ، فان كتبه خير شاهد على الافادة منها بمنتهى الامانة والصدق والورع .

---

(١) المراد به : البيهقي الشافعى : أحمد بن الحسين بن على (ت ٤٥٨هـ)
(٢) شذرات الذهب فى أخبار من ذهب : ٨/ ١٢٢ .
(٣) يعنى الشهاب القسطلانى .
(٤) وفى عبارة الشيخ هذه ما ينم عن أن المسافة التى قطعها القسطلانى بين القاهرة والروضة كانت كبيرة .
(٥) شذرات الذهب : ٨ / ١٢٢ ـ ١٢٣ .

وسنوجز - فيما يلي - الاسلوب الذي اتبعه السيوطي لتحقيق هذا الهدف :

١ - أحيانا ، يذكر اسم المرجع الذي نقل عنه النص ، مع تحديد الموضع : فهو ينص على أنه ينقل من خطبة كتاب فلان ، أو من آخره ، أو يشير الى أنه ينقل من باب كذا في كتاب كذا ، وهذا غاية ما يمكن أن يفعله مصنف ، مثل السيوطي ، يشدد على ضرورة الامانة والدقة في النقل ، قبل ظهور فن الطباعة (١) .

ومثال نصه على النقل من خطبة كتاب أو آخره ، قوله في معرض نقله عن " مجمل ابن فارس " : " قال في آخر المجمل : قد توخيت فيه الاختصار ، وآثرت فيه الايجاز ، واقتصرت على ما صح عندي سماعا ... " (٢)

وأما مثال نصه على النقل من باب كذا في كتاب كذا ، فقوله في صدر مقالته عن " تكثير الحروف يدل على تكثير المعنى " : " عقد له ابن جني بابا في (الخصائص) ، وترجم عليه (باب في قوة اللفظ لقوة المعنى) (٣) ، قال : هذا فصل من العربية حسن ، منه قولهم : خشن ، واخشوشن ، فمعنى خشن دون معنى اخشوشن ، لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو ... " (٤)

ومثل هذه الاشارات - بطبيعة الحال - غير دقيقة ، ولكنها - على أية حال - تقفنا على مبلغ حرص السيوطي على تيسير أمر الرجوع الى مراجعه التي رجع اليها في مصنفاته .

٢ - وأحيانا ، يذكر المرجع الذي نقل عنه النص ، بدون تحديد الموضع : ونعتقد - جازمين - أن السيوطي انما يفعل ذلك ، حين يعز التحديد ، لاحد

---

(١) غالبية الطريقة الحديثة التي يتبعها المصنفون من ذكر اسم المرجع ، وذكر الجزء والصفحة ، تقوم على افتراض وجود نسخ مماثلة من المرجع تمام المماثلة .

(٢) المزهر : ١/١٠٠ .

(٣) انظر : الخصائص : ٣/٢٦٤ - ٢٦٩ .

(٤) الاشباه والنظائر النحوية : ١/١٤٤ ، وانظر فيه مزيدا من الامثلة على هذا الباب ١/١٠٨ ، ١٤٦ ، ١٦٠ ، ١٦٥ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٩ ، ٢٠٢ ، ٢١٣ ، ٢٩١ ، ٣٠١ ، ٢/١١ ، ٧٢ .

أربعة أسباب :

(أ) فهو لا يحدد الموضع ، حين يكاد يكون محددا ، لانه ينقل عن باب أو فصل بعينه ، فاذا تحدث ، مثلا ، عن " الحقيقة والمجاز " في النوع الرابع والعشرين من كتابه " المزهر " ، نقل لنا طائفة من النصوص المتعلقة بالحقيقة والمجاز من كتب مختلفة ، ثم — كعادته — دأب على عزو كل نص منها الى صاحبه ، مع ذكر اسم الكتاب ، وبدهى أنه لا يكون قد ذكر لنا مواضع هذه النصوص ، على نحو ما فعله في المثالين المتقدمين ، لانها معلومة بالضرورة .

فاذا قال مثلا : " قال ابن فارس في فقه اللغة : الحقيقة من قولنا : حق الشيء اذا وجب . واشتقاقه من الشيء المحقق ، وهو المحكم ، يقال : ثوب محقق النسج : أى محكمه . فالحقيقة : الكلام المقر موضعه الذى ليس باستعارة ، ولا تمثيل ، ولا تقديم فيه ، ولا تأخير ، كقول القائل : أحمد الله على نعمه واحسانه . وهذا أكثر الكلام ، وأكثر آى القرآن ، وأكثر العرب على هذا .

" وأما المجاز ، فمأخوذ من جاز يجوز : اذا استن ماضيا ، تقول : جاز بنا فلان ، وجاز علينا فارس ، هذا هو الاصل . ثم تقول : يجوز أن تفعل كذا : أى ينفذ ولا يرد ، ولا يمنع ... " (١)

فهذا معناه ، أن ابن فارس قد عالج موضوع " الحقيقة والمجاز " ، وأفرد له بابا قائما بذاته في كتابه " الصاحبى " في فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها " (٢) ، وأن من السهل الوقوف عليه متى أراد الباحث .

(ب) لا يحدد الموضع حين يعمد الى التلخيص : فقد يلجأ السيوطي الى التصرف الكامل فى النقل ، فيستل من المرجع الذى ينقل عنه عشودا كبيرة من النصوص ، ويضم بعضها الى بعض ، كما فعل في النوع الثانى والثلاثين من كتابه " المزهر " ، حين تحدث عن ظاهرة الابدال فى اللغة ، وتطرق الى ذكر أمثلة من كتاب الابدال (٣)

---

(١) المزهر : ١/ ٣٥٥ .

(٢) تعنى " باب سنن العرب فى حقائق الكلام والمجاز " : ص ١٩٦ فما بعدها .

(٣) طبع فى مجموعة " الكنز اللغوى سنة ١٩٠٣م بعناية المستشرق الدكتور أوجست هفنر ، باسم " كتاب القلب والابدال " من ص ٣ — ٦٥ .

ليعقوب بن السكيت ، فجعل ينقل ويتصرف ، حتى قال : " هذا غالب ما أورده ابن السكيت ، وبقيت منه أحرف أخرى أخرتها الى النوع السابع والثلاثين (١) ، والذى يليه (٢) ، وفات ابن السكيت ألفاظا جمة مفرقة فى كتب اللغة ، ومن أهم ما فاته الابدال بين السين والصاد ، نحو السراط ، والصراط " (٣) .

وقد مر بنا ، من قبل ، عند الكلام عن : دقة السيوطي وسهولة عرضه ، أن السيوطي قد عمد الى تلخيص عدد من فصول " لمع الادلة فى أصول النحو " (٤) لابى البركات ابن الانبارى ، وأدرج حاصل ما فيه — فى الكتاب الاول من الاقتراح (٤) ، منبها — في آخر كل ذلك — الى أن " هذا حاصل ما ذكره ابن الانبارى في ثانية فصول من كتابه " (٥) .

(ج) لا يحدد الموضع حين يكون المرجع الذى ينقل السيوطي عنه النص: صغيرا ، لا تتعدى أوراقه عدد أصابع اليدين ، مثل : كتب المجالس ، والرسائل الصغيرة التى أشار السيوطى من التعويل عليها .

فحين يقول من غير تحديد : " قال ابن دريد فى كتاب الملاحن (٦) : هذا كتاب ألفناه ليفزع اليه المجبر ، المضطهد على اليمين ، المكره عليها ، فيعارض بما رسمناه ، ويضمر خلاف ما يظهر ، ليسلم من عادية الظالم ... " (٧) ، لا يكون قد خرج عن دقته في التأليف ، ولا عن حرصه فى الوضوح عند نسبة

---

(١) يعنى " معرفة ما ورد بوجهين بحيث يؤمن فيه التصحيف " ، وفيه أحرف من ابدال ابن السكيت : ١/٥٤١ .
(٢) يعنى " معرفة ما ورد بوجهين بحيث اذا قرأه الالكغ لا يعاب " ، وفيه أحرف من ابدال ابن السكيت : ١/٥٥٨ .
(٣) المزهر : ١/٤٦٩ .
(٤) نشره الاستاذ سعيد الافغانى ، وطبع مرتين : الاولى فى دمشق سنة ١٣٧٧هـ والثانية فى بيروت سنة ١٣٩١ هـ .
(٥) وهو كتاب " السماع " .
(٦) وانظر : الاقتراح : ٣٤ — ٣٥ ، وقابله بلمع الادلة : ٨١ فما بعد .
(٧) منه نسخة فى مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة تحت رقم ١٠٤ — مجاميع ، وفى " معجم المطبوعات العربية لسركيس " أنه طبع سنة ١٨٥٩ م باعتناء الاستاذ " ريت " ، وباعتناء الاستاذ " تريتى — هيد لبرج غوتا " سنة ١٨٨٢م ، بانظر ١/١٠٢ .

كل قول الى قائله ، لان كتاب الملاحن يقع فى عشر ورقات فقط .

(د) لا يحدد الموضع حين يكون المرجع الذى ينقل السيوطى عنه النص : معجما لغويا كالصين أو الجمهرة أو الصحاح أو القاموس المحيط ، لانه يمكن — بالرجوع الى المعجم الذى عينه لنا — أن نقف عليها ، عن طريق المادة نفسها .

٣ — وأحيانا ، لا يذكر السيوطي اسم المرجع أو الكتاب الذى نقل عنه ، ولكن يشير اليه ، بذكر اسم مؤلفه : ولصنيعه هذا أسباب ، فقد يكون اسم هذا المرجع قد مر ذكره فى دور المتقدم ، وقد لا يكون لمصنفه سوى هذا الكتاب ، أو أننا متى ذكرنا اسم هذا المصنف انصرف ذهننا رأسا الى كتاب له بعينه دون بقية كتبه ، لشهرة هذا الكتاب مقرونا باسمه ، أو لانه ليس للكتاب اسم ثابت يعرف به .

واليك مثالا لكل صورة من هذه الصور :

فى الوجه الخامس والثلاثين ، من وجوه اعجاز القرآن الكريم (١) ، في كتاب " معترك الاقران " ، نقل السيوطي من معرب (٢) الجواليقي ، نصا صدره بقوله : " قال الجواليقي فى المعرب : اسماء الانبياء كلها أعجمية ، الا أربعة : آدم ، وصالح ، وشعيب ، ومحمد ... " (٣) ، ثم ما لبث أن عاد ، بعد ذلك بقليل (٤) ، الى الكتاب نفسه ، وتابع نقله قائلا : " (ابراهيم) قال الجواليقى : هو اسم قديم ليس بعربى ، وقد تكلمت به العرب على وجوه ، أشهرها ابراهيم ، وقالوا ابراهام ، وقرئ به فى السبع ... " (٥)

وفى النوع الاربعين (٦) من كتاب " الاتقان " ، نقل السيوطي

---

(١) وهو فى " الفاظه المقترنة " : ١/ ٥١٤ — ٣/ ٦٥٠ .
(٢) نشره الاستاذ أحمد محمد شاكر محققا ، في مصر ، سنة ١٩٦٩م .
(٣) معترك الاقران : ١/ ٥١٩ ، وانظر المعرب : ص ٦١ .
(٤) نقل خلاله نصوصا من تهذيب النووى وغيره .
(٥) معترك الاقران : ١/ ٥٢٠ ، وانظر : المعرب : ص ٦١
(٦) وهو " فى معرفة معانى الادوات التى يحتاج اليها المفسر " : ٢/ ١٤٠ — ٢٥٩ .

نصا من كتاب سيبويه ، ولكن دون أن يشير الى الكتاب ، فقال : " (كلا) " مركبة عند ثعلب من كاف التشبيه ولا الثانية ، شددت لامها لتقوية المعنى ولدفع توهم بقاء معنى الكلمتين . وقال غيره : بسيطة ، فقال سيبويه والاكثرون : حرف معناه الردع والزجر ، لا معنى لها عندهم الا ذلك ... "(١)

وفي صدر الوجه الثالث عشر ، من وجوه اعجاز القرآن (٢) ، في كتاب " معترك الاقران " ، نقل السيوطي نصا من كتاب " الصاحبي " لابن فارس ، ولكنه لم يشأن أن يذكر اسم الكتاب ، حين نسب النص الى ابن فارس ، باعتبار أنه اشهر نتبه على الاطلاق ، بحيث لو ذكر اسم ابن فارس ، تداعى الى الذهن بذكره اسم كتابه هذا .

فقال : " قال ابن فارس : لو كان فيه من لغة غير العرب شيء ، لتوهم متوهم أن العرب انما عجزت عن الاتيان بمثله ، لانه أتى بلغات لا يعرفونها "(٣)

وفي النوع التاسع عشر من " المزهر " نقل السيوطي نصا من رسالة لابي بكر محمد ابن السرى (٤) ، موضوعها : الاشتقاق (٥) ، وقد لا يكون لها عنوان ثابت تعرف به ، كما هو الحال بالنسبة لغالب الرسائل الصغيرة التي وضعها المتقدمون ، فعرفت بموضوعاتها ، وان كانت لها في الاصل أسماء محددة .

قال : " وقد قال أبو بكر محمد بن السرى في رسالته في الاشتقاق ، وهي أجل ما وضع في هذا الفن من علوم اللسان : من اشتق الاعجمي المعرب من العربي ، كمن ادعى أن الطير من الصوت "(٦) .

---

(١) الاتقان : ٢/٢٢١ .

(٢) وهو في " احتوائه على جميع لغات العرب ولغة كذا غيرهم من الفرس والروم والحبشة وغيرهم " : ١/١٩٥ ـ ٢٠٦ .

(٣) معترك الاقران : ١/١٩٥ ، وانظر الصاحبي : ص ٦٢ .

(٤) المعروف بابن السراج .

(٥) ذكر السيوطي في ترجمته له في " البغية " أنه لم يتمها ، وقد وهم الاستاذ عبد السلام هارون ، حين نسب هذه الرسالة لابي اسحاق ابراهيم بن السرى بن سهل الزجاج في معرض حديثه عن كتب الاشتقاق التي ذكرها السيوطي في المزهر ، فخلط بين ابي بكر محمد بن السرى بن السراج وابي اسحاق ابراهيم بن السرى بن سهل الزجاج والصحيح أن الرسالة لابي بكر محمد بن السرى بن السراج ، انظر مقدمة الاستاذ عبد السلام هارون على تحقيق اشتقاق ابن دريد : ٢٨ ـ ٢٩ ، والمزهر : ١/٢٨٧ ، والبغية : ١/١١٠ .

(٦) هكذا في النسخة ١ لغة : ق ٥٣ /ب ، والعبارة في طبعة أبي الفضل ورفاقه : " ومن اشتق الاعجمي من العربي كان كمن ادعى أن الطير من الصوت " ١/٢٨٧ .

٤ — وعلى العكس مما تقدم ، يذكر السيوطي ، أحيانا ، اسم المرجع الذى نقل عنه النص ، ويعفي نفسه من ذكر اسم مؤلفه ، لبعض الاسباب المشار اليها قبل قليل : فقد يكون اسم المؤلف قد مر في الكلام السابق ، أو لانه ، بمجرد ذكر اسم الكتاب ، يقفز الى اذهاننا اسم كاتبه .

مثلا ، نقل السيوطى ، فى معرض كلامه عن آداب تلاوة القرآن الكريم — فى كتابه " معترك الاقران " (١) ، نصا من كتاب " الاذكار " (٢) — للنووى ، وصدره بعبارة : " قال النووى فى الاذكار : المختار أن ذلك (٣) يختلف باختلاف الاشخاص ، فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف ، فاليقتصر على قدر يحصل له حال فهم ما يقرأ ... " (٤) .

ثم قال : " وقال (٥) فى شرح المهذب (٦) : واتفقوا على كراهة الافراط في الاسراع ، قالوا : وقراءة جزء بترتيل أفضل من قراءة جزئين ... " (٧)

ونقل السيوطي ، فى معرض شرحه معانى الادوات التى يحتاج اليها المفسر — فى كتابه " الاتقان " (٨) ، نصا من كتاب " ارتشاف الضرب من لسان العرب " (٩) — دون أن يذكر اسم مؤلفه ابى حيان ، قال : " قال فى الارتشاف : أف ، اتضجر ، وفى البسيط — معناه الضجر — وقيل : الضجر : وقيل : تضجرت ، ثم سمى فيها تسعا وثلاثين لغة ... " (١٠)

ومعلوم أن كتاب " الارتشاف " واحد من أشهر كتب ابى حيان فى

---

(١) في الوجه الخامس والثلاثين من وجوه اعجاز القرآن الكريم : ١/ ١٤٥ـ٣/ ٦٥٠ .
(٢) مطبوع مع حاشية ابن علان عليه فى المطبعة الميمنية سنة ١٣١٢ هـ .
(٣) يعنى : استحباب ختم القرآن الكريم فى أقصر وقت ممكن .
(٤) معترك الاقران : ١/ ١٢٣ .
(٥) يعنى : النووى .
(٦) مطبوع باعتناء وستنفلد سنة ١٢٤٢ هـ .
(٧) معترك الاقران : ١/ ١٢٤ .
(٨) فى النوع الاربعين : ٢/ ١٤٠ ـ ٢٥٩ .
(٩) منه نسخه فى دار الكتب المصرية ، محفوظه تحت رقم ١١٠٦ نحو .
(١٠) الاتقان : ٢/ ١٥٥ .

اللغة على الاطلاق ، وليس هنا ، كتاب آخر — في العربية — يحمل الاسم نفسه البته ، فيما نعلم .

٥ — وأحيانا ، لا يهتم السيوطي بذكر اسم المؤلف كاملا ، وانما يكتفي منه بالاسم الاول ، أو الاخير ، أو الكنية ، ولكن دون أن يسبب اشكالا : خذ ، مثلا قوله في معرفة المتواتر والمشهور والآحاد والشاذ والموضوع والمدرج (١) :

" قال مكي : ما روى في القرآن على ثلاثة أقسام : قسم يقرأ به ويكفر جاحده ، وهو ما نقله الثقات ، ووافق العربية وخط المصحف .... " (٢) .

وقوله في مرسوم الخط وآداب كتابته (٣) : " قال البيهقي في شعب الايمان : من كتب مصحفا ، فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به هذه المصاحف ، ولا يخالفهم فيه ... " (٤)

وقوله في الايجاز والاطناب (٥) : " قال ابن جني : كل حرف زيد في كلام العرب ، فهو قائم مقام اعادة الجملة مرة أخرى ... " (٦)

ومعلوم أن الاول هو : مكي بن أبي طالب الاندلسي ، والثاني أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، والثالث : أبو الفتح عثمان بن جني ، اكتفى السيوطي بذكر اسم الاول لاشتهاره به ، كيونس والخليل والنضر وعبد القاهر ، واكتفى بذكر لقب الثاني لانه يغني عن ذكر بقية الاسم ،

---

(١) في النوع الثاني الى السابع والعشرين من كتاب " الاتقان " : ١/ ٢١٠ — ٢٣٠ .
(٢) الاتقان : ١/ ٢١٣ .
(٣) في النوع السادس والسبعين من كتاب " الاتقان " : ٤/ ١٤٥ — ١٦٦ .
(٤) الاتقان : ٤/ ١٤٧ .
(٥) في النوع السادس والخمسين من كتاب " الاتقان " : ٣/ ١٦١ — ٢٢٤ .
(٦) الاتقان : ٣/ ١٩٦ .

سيبويه وقطرب والاصمعي والاخفش ، واكتفي بذكر كنية الثالث لاشتهاره بها ، كأبي عبيد وابن دريد وابن الاعرابي وابن السكيت .

ويلجأ السيوطي - كثيرا - الى مثل هذا الاختصار ، وخاصة اذا كان اسم المؤلف قد سبق ذكره كاملا فيما تقدم من الكلام ، على نحو ما فعل ، مثلا ، في النوع الثامن والسبعين من كتابه "الاتقان" ، وهو يتحدث عما وقع في القرآن الكريم بغير لغة العرب(١) ، فقد نقل نصا من كتاب "البرهان"(٢) لابي المعالي عزيزي(٣) بن عبد الملك(٤) ، وصدره بقوله : "قال أبو المعالي عزيزي ابن عبد الملك : انما وُجدت هذه الالفاظ في لغة العرب ، لانها أوسع اللغات ، وأكثرها ألفاظا ، ويجوز أن يكونوا سُبقوا الى هذه الالفاظ"(٥) .

ثم ، حين عاد الى النقل منه بعد ذلك - في النوع نفسه ، قال : "(الملة الاخرة) : قال شيذلة(٦) : الجاهلية الاولى أي الاخرة في الملة الاخرة ، أي الاولى بالقبطية ، والقبط يسمون الاخرة الاولى ، والاولى الاخرة"(٧) ، مكتفيا باللقب من بقية الاسم ، لانه كان قد ذكره كاملا في النوع السابع عشر من "الاتقان"(٨) ، وقال : "وقال أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك المعروف بشيذلة في كتاب البرهان : اعلم أن الله سمى القرآن بخمسة وخمسين اسما ...."(٩) .

---

(١) انظر : ٢/١٠٥ - ١٢٠ .
(٢) ذكره ابن خلكان في وفياته وحاجي خليفه في كشف الظنون : ٢٤١ باسم "كتاب البرهان في مشكلات القرآن" : ١/٣١٨ .
(٣) ضبطه ابن خلكان في وفياته بفتح العين والزاءين ، انظر : ١/٣١٨ .
(٤) المعروف بشيذلة .
(٥) الاتقان : ٢/١٠٦ .
(٦) ضبطه ابن خلكان في وفياته بفتح الشين والذال واللام ، وقال : "وهو لقب عليه ، ولا أعرف معناه مع كشفي عنه" ، انظر : ١/٣١٨ .
(٧) الاتقان : ٢/١١٠ .
(٨) في معرفة اسماء القرآن الكريم وأسماء سوره : ١/١٤٣ - ١٦٣ .
(٩) ١/١٤٣ .

٦ — وأحيانا ، لا يذكر السيوطي اسم المؤلف ولا الكتاب الذي نقل عنه العبارة أو المسألة على الاطلاق ، لانه لم ينقل عن واحد بعينه : ومثاله قوله :

"قال أهل الاصول : مفهوما اللفظ المشترك أما أن يتباينا ، بأن لا يمكن اجتماعهما في الصدق على شيء واحد ، كالحيض والطهر ، فأنهما مدلولا القرء ، ولا يجوز اجتماعهما لواحد في زمن واحد ..." (١)

ومن هذا الباب ، ذكره اسم الناتب فقط ، فقد يعمد — أحيانا — الى التساهل في ذكر اسم الكتاب ، فلا يذكره تصريحا ولا اشارة ، ولكنه — في كل حال — ينبه الى أن العبارة منقولة .

ومثال هذه الصورة قوله : "قال المبرد في بعض كتبه : كل ما في كلام العرب أفعال ، فهو جمع الا ثلاثة عشر حرفا ، قولهم ثوب أسمال ، وأخلاق ...." (٢) .

واذا نحن وقفنا على كل النصوص التي أخذها السيوطي من الكتب ، ولم يذكرها وحدها ، أو لم يذكر معها أصحابها ، وعمدنا الى دراستها ، وتساءلنا : لماذا يورد السيوطي هذه النصوص بالذات بدون اسناد ؟ سننتهي الى نتيجتين لا ثالث لهما .

أولاهما : أن النصوص التي نقلها السيوطي بدون اسناد قليلة ، لا تكاد تعد على أصابع اليدين ، فهي — اذن — ليست ظاهرة تأليفية عنده ، وانما هي خروج عن منهجه الدقيق الذي اعتمده لنفسه .

ثانيهما : أن عدم الاسناد في هذه النصوص المعدودة ربما كان أمرا طبيعيا لا يؤخذ عليه المصنف عند بعض الباحثين ، لان هذه النصوص ليست — غالبا — باللفظ والحرف من كتاب بعينه ، وانما هي نصوص تداولها الناس حتى أصبحت ملكا مشاعا للجميع ، كما تقول مثلا : "قالوا في الامثال : ان

(١) المزهر : ٣٨٧/١ .
(٢) نفسه : ١٠٥/٢ .

البناث بأرضنا يستنسر "(١)

فحين يقول السيوطي : "قال أهل الاصول : كذا وكذا" ، أو يقول : "قال أهل البيان : كذا وكذا"(٢) ، أو يقول : "قال قوم من العلماء : كذا وكذا"(٣) ، أو يقول : "وقد أنكر قوم كذا وكذا"(٤) فلا نعتقد أنه ينقل لنا نصا بعينه من كتاب بعينه للسبب المتقدم ، والا لحرص — كعادته دائما — على نسبته الى قائله مع ذكر اسم الكتاب ، ليظل منسجما مع خطته التأليفية المطردة في سائر كتبه .

هذا بالنسبة الى النصوص التي نقلها السيوطي بدون اسناد الى اسم المؤلف واسم الكتاب في آن واحد ، أما بالنسبة الى النصوص التي نقلها وأسندها الى أصحابها ، ولكنه لم يذكر أسماء مؤلفاتهم ، فعندنا أن السيوطي قد اضطر الى هذا اضطرارا .

واليك البيان :

كان السيوطي — كما ألمحنا الى ذلك من قبل — يقرأ الكتاب ، وينتقي منه الفوائد ، ويدونها رزما على طريقة الجذاذات ، ثم لا يحفل بالكتاب نفسه ، ان كان حاضرا عنده أو غير حاضر ، مادام قد أخذ منه ما ظن أنه سيكون مادة لاحد مؤلفاته المقبلة .

حتى اذا أخذ في التأليف ، وجد أمامه عددا من النصوص كان قد في زمن الطلب — فد سها أن يسجل بأعلاها أو بأسفل منها اسم الكتاب ، فكيف العمل — والصدر منشرح للتصنيف ؟

عندها ، سيضطر — لا محالة — الى الافادة من هذه النصوص ، على أمل أن يعثر على اسماء الكتب التي اقتبس منها مستقبلا ، فيلحقها باسماء

---

(١) طائر أغبر من شرار الطير ، انظر : القاموس : ١٦٨/١ .
(٢) انظر : معترك الاقران : ٣٥٩/١ .
(٣) نفسه : ٥٤٧/١ .
(٤) نفسه : ٢٤٦/١ .

مؤلفيها ، على طريقة الالغاز في كتب المتقدمين ، الذين يستمرون زمنا طويلا في تحسين مصنفاتهم ، بالتنميل والتعديل والتهذيب ، حتى بعد أن تكون قد شاعت وانتشرت بين الناس ، فيكون الاسناد — عندئذ — كاملا .

قال السيوطي : " وقد ألف ابن خالوية كتابا حافلا في ثلاثة مجلدات ضخمات ، سماه كتاب ليس (١) موضوعه : ليس في اللغة كذا الا كذا ، وقد طالعته قديما ، وانتقيت منه فوائد ، وليس هو بحاضر عندي الان " (٢)

وقال في النوع التاسع والثلاثين من كتابه " المزهر " بسبيل معالجة موضوع " فتيا فقيه العرب " : " وكذلك أيضا ضرب من الالغاز ، وقد ألف فيه ابن فارس تأليفا لطيفا في كراسة ، سماه بهذا الاسم (٣) رأيته قديما ، وليس هو الان عندي ، فتذكرت ما وقع من ذلك في مقامات الحريري ، ثم أن ظفرت بكتاب ابن فارس الحقت ما فيه " (٤) .

٧ — ومع أنه كان يجوز للمؤلف ، في اسلوب المتقدمين والمعاصرين للسيوطي (٥) ، أن يختصر نص عبارة أو رواية ينقلها ، أو أن يضيف اليه بعض ملاحظاته أو اضافاته حسبما يريد ، فقد كان السيوطي ينقل العبارة أو المسألة ، أحيانا ، بنصها لفظا وحرفا ، دون التصرف في كلمة واحدة ، وخاصة اذا كانت هذه العبارة قصيرة : ولتنبيه قارئه الى ذلك ، نراه يعمد — غالبا — الى استخدام هذا المصطلح " انتهى كلام فلان " عقيب كل نص منقول باللفظة والحرف دون تصرف .

مثلا ، في النوع الرابع والثلاثين من كتاب " المزهر " ، قال السيوطي : " قال ابن فارس في فقه اللغة — باب النحت : العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة ، وهو جنس من الاختصار ، وذلك (رجل عبشمي) منسوب الى اسمين ،

---

(١) طبع في أوربا بعناية " دير نبرج " سنة ١٨٩٤م ، وطبع في مصر سنة ١٣٢٧هـ ، ثم نشره الاستاذ أحمد عبد الغفور عطار في مصر سنة ١٣٧٦هـ محققا باسم " ليس في كلام العرب " .

(٢) المزهر : ٢/٣ .

(٣) يعني " فتيا فقيه العرب " كما ذكره بالاسم نفسه صاحب " نزهة الالباء " : ٣٢١ ، وصاحب انباه الرواة : ١/٩٤ .

(٤) المزهر : ١/٦٢٢ .

(٥) فيما وقع بين روايتين مختلفتين مما دار من حديث بين الشافعي وابن راهويه ، رغبة في الاختصار . انظر : معجم الادباء : ٦/٣٧٦ ، وابن النديم يدخل في كتابه موجزا لرسالة عن الأديان القديمة المنزلة مضيفا اليها من القران الكريم والحديث الشريف ما يقابلها أو ما له علاقة بها (انظر : الفهرست : ٢١ وما يليها) ، وهكذا .

وأنشد الخليل : أقول لها ، ودمع العين جار
ألم تحزنك(١) حيعلة المنادى (٢)

" من قوله : (عي علي) ، وهذا مذهبنا في أن الاشياء الزائدة على ثلاثة أحرف فأكثرها منحوت ، مثل قول العرب للرجل الشديد : ضبطر من ضبط وصبر ، وفي قولهم : صهصلق ، من صهل وصلق ، وفي الصلدم انه من الصلد والصدم . قال : وقد ذكرنا ذلك بوجوهه في كتاب مقاييس اللغة . انتهى كلام ابن فارس "(٣) .

٨ — أما اذا نقل السيوطي العبارة أو المسألة مع تصرف قليل أو كثير ، فانه غالبا ما يستخدم مصطلحا آخر ، يشعر به القارئ بأنه ينقل العبارة بغير نصها الحرفي ، فهو يختصر اذا وجد بها طولا ، ويحذف اذا رأى استطرادا وحشوا ، ويلخص — بعبارته — اذا كان النص المنقول طويلا ، بحيث يقع في عدة فصول ، وينوه بكل ذلك .

فهو — في مجال الاختصار — يقول على سبيل المثال : " وذكر الجواليقي في المعرب مثله (٤) ، وقال : فهي عجمية باعتبار الاصل ، عربية باعتبار الحال ، ويطلق على المعرب دخيل ، وكثيرا ما يقع ذلك في كتاب العين والجمهرة وغيرهما "(٥) .

---

(١) هكذا في المخطوط ٥٦ لغة : ق٩٨ /ب ، وكذلك في الصاحبي : ص ٢٧١ وفي طبعة أبي الفضل ورفاقه " تخرنك " : ١/٤٨٢ .
(٢) البيت ورد في اللسان ، مادة حلل : ١٤/٢٣٣ .
(٣) المزهر : ١/٤٨٢ ، ومن أمثلة هذا الباب في المزهر : ١/٧ ، ٨٥ — ٨٦ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٩٥ — ٢٩٦ ، ٣٢٥ — ٣٢٦ ، ٣٩٠ — ٣٩١ ، ٤١٤ — ٤١٥ .
(٤) أي : مثل الكلام الذي تقدم لابي عبيدة في أعجمية أصول المعربات كلها ، فلا داعي لذكره مرة أخرى .
(٥) المزهر : ١/٢٦٩ .

وفي حال الحذف ، يقول مثلا : " وقد عقد له ابن دريد في الوشاح (١) بابا للاذواء من الناس ، كر فيه خلقا ، منهم : ذو النون : يونس عليه السلام ، ذو الظل : نبي عليه السلام ، ذو القرنين : الاسكندر ، ط " (٢) .

وفي حال التلخيص يقول مثلا : " قلت : ونظير ذلك (٣) ما في فقه اللغة (٤) للثعالبي ، قد جمع حمزه بن حسن الاصبهاني من أسماء الدواهي ما يزيد على أربعمائة ، وذكر أن تناثر أسماء الدواهي من الدواهي " (٥)

أو يقول في نهاية ما يلخصه : " انتهى كلام فلان في كتاب كذا — ملخصا " ، على نحو ما فعل في النوع الرابع والاربعين من كتابه " المزهر " حين كان يتحدث عن " الطبقات " والحفاظ والثقات والضعفاء " من اللغويين ، فذكر لنا — أولا — بعضا من الذين ألفوا في هذا الباب من المتقدمين والمتأخرين ، ثم أخذ في تلخيص أهم ما جاء في كتاب " مراتب النحويين " لابي الطيب اللغوي ، حتى أتمه في نحو عشرين صفحة ، ثم قال في آخر ملخصه هذا : " انتهى كلام أبي الطيب في كتاب مراتب النحويين ملخصا " (٦) ، اشارة الى غاية ما اقتبسه من كلامه مقتضبا ، ومثل هذه العبارة كثيرة الورود في كتبه ، وهي تشعرنا بمبلغ حرص السيوطي على تمييز كلامه من كلام غيره ، ليصرف مقامه من مقامهم ، وقد نص غير مرة على أنه استعمل لفظة " قال " للدلالة

---

(١) ومنه نسخة مصورة على الفوتستاتيك من مكتبة الاسكوريال باسم " الوشاح " لابن دريد — محفوظة في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية تحت رقم ١٨٩٥ في مجموع .

(٢) المزهر : ١/٥٣٢ .

(٣) أي : ما ذكره ابن خالويه من أنه جمع للاسد خمسمائة أسم ، وللحية مائتين .

(٤) نشره السقا ورفيقاه محققا سنة ١٣٥٧ هـ في مصر .

(٥) المزهر : ١/٣٢٥ وقابله بكتاب " فقه اللغة " للثعالبي : ٣٠٩ .

(٦) المزهر : ٢/٤١٤ ، وقابله بكتاب " مراتب النحويين " ، فقد شمل هذا الملخص معظم ما جاء فيه .

وأمثلة هذا الضرب من التصرف الواسع في النقل عند السيوطي أكثر عددا ، ووضوحا في كتابه " الاقتراح " ، انظر مثلا : ٢٠ ، ٢١ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٦٠ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٨٢ ، ٨٣ .

على بدء النقل والاقتباس ، ولفظة " انتهى " للدلالة على انتهاء الكلام الذى نقله أو اقتبسه ، وان ما يأتى بعده من كلام فهو له (١) .

٩ - وقد يعمد السيوطي عند النقل - أيضا - الى تغيير ترتيب العبارات أو المسائل من الكتاب الذى ينقل منه ، لانه يرى في هذا التغيير تصويبا لخطأ ، أو حتى تأتى هذه العبارات بحسب ما يشاء لها هو أن تكون ، لتنسجم مع ترتيب مباحث كتابه هو ، وتكون أكثر اتساقا وتسلسلا معنويا مع مفردات مسائله .

وخير مثال لهذه الظاهرة ما نجده في النوع السادس والعشرين من كتابه " المزهر " حين نقل من كتاب " الاضداد " لابى بكر بن الانبارى - نصا ، فأورد فيه تغييرا طفيفا ، اذ قدم وأخر فى بيتين من الشعر ، تصويبا لما جاء فى كتاب " الاضداد " .

فقد جاء فيه هذان البيتان على النحو التالى (٢) :

"فلئن عفوت لاعفون جللا ... ولئن سطوت لاوهنن عظمى
قومى هم قتلوا أميم أخى ... فاذا رميت يصيبنى سهمى "

الا أن السيوطي غير ترتيبهما ، حتى جعلهما ظهرا لبطن ، دون أن يتقيد بترتيبهما كما وردا في الكتاب ، فجاءا هكذا :

" قومى هم قتلوا أميم أخى ... فاذا رميت يصيبنى سهمى
فلئن عفوت لاعفون جللا ... ولئن سطوت لاوهنن عظمى (٣)

---

(١) انظر - مثلا - مقدمة ديوان الحيوان : ق ٢/أ ، ومقدمة الاقتراح : ٤
(٢) انظر : الاضداد : ص ٣
(٣) المزهر : ١/٣٩٨ .

وقد جاء هذان البيتان بهذا الترتيب في " ديوان الحماسة " (١) لابى تمام — بشرح المرزوقى (٢) ، وفي " ديوان الحماسة " لابى تمام — بشرح العلامة التبريزى (٣) ، والبيتان للحارث بن وعلة الجرمى ، فالسيوطي قد يغير من الترتيب ليصوب خطأ . (٤)

أما التغيير الذى يتم في ترتيب بعض المواد اللغوية ، لكى يأتى وفق ما يشاء هو فى خطته ، ويطابق الاصول التى وضعها لنقله ، ففى آثار السيوطي اللغوية — بخاصة — أمثلة كثيرة ، لان الرجل — كما مر معنا — على طريقة الباحثين فى العصر الحديث ، ينتوى التصنيف فى موضوع ما ، فيطالع كل كتاب يقع تحت يديه مما يتصل بالموضوع ، ثم ينتقى منه فوائد ، ربما دونها في كراريس أو جذاذات صغيرة ، حتى اذا تجمعت لديه كمية ضخمة

---

(١) طبع فى كلكتا سنة ١٨٥٦م باعتناء " كبير الدين أحمد " فى مدرسة فورت وليم ، و " مولوى عالم ربانى " ، ثم في لكنا هور سنة ١٢٩٣هـ مع شرح وجيز للمولوى فيض الحسين ، سماه " الفيض " ، ثم فى بمباى سنة ١٢٩٩ هـ مع شرح الشيخ لقمان ، ثم فى مصر سنة ١٣٢٢هـ ومعه تقييدات لمحمد سعيد الرافعى ، مأخوذة من شرح التبريزى ، ثم فى موسكو سنة ١٩١٢م باعتناء " كرايمسكى " ، انظر : معجم المطبوعات : ٢٩٧/١ .

(٢) حققه الاستاذان أحمد أمين وعبد السلام هارون ، وطبع في مصر سنة ١٩٥١م .

(٣) طبع سنة ١٨٢٨م — ١٨٥١م فى بون بعناية الاستاذ " فريتاغ " مع فهارس مختلفة وترجمة باللغة اللاتينية ، ومع ترجمة الى اللغة الالمانية بقلم " فريد ريك روكرت " ثم طبع في بولاق سنة ١٢٩٦ هـ فى أربعة أجزاء ، انظر : معجم المطبوعات : ٢٩٧/١ و ٦٢٧/١ ، وقد طبعه الاستاذ محمد عبد القادر الرافعى بعد ذلك فى مصر سنة ١٣٣١هـ .

(٤) انظر : المزهر : ٣٩٨/١ ، والاضداد : ص ٣ ، وقابلهما بديوان الحماسة بشرح المرزوقى : ص ٢٠٣ (ط أمين) ، وديوان الحماسة بشرح التبريزى : ٦٤/١ (ط الرافعى) .

منها ، فزع الى قلمه ، وتجرد للكتابة .

ولنا أن نتصور — على ضوء ما يبدو لنا من استعراض مباحثه — أنه يأخذ ، أولا ، في درس المواد التي تجمعت لديه ، ثم يعمل على ضم الالف منها الى الفه ، ويستبعد المواد التى لا علاقة لها بالموضوع ، حتى يأتى حينها فى تأليف آخر ، كما نص على ذلك فى أكثر من مناسبة . (١) .

واذا تم حشد المواد المشتركة تحت راية فكرتها المشتركة ، راح يعمل في التأليف بينها ، ويربط بعضها ببعض ، ويحكم الصلة بينها حتى تتوثق عراها ، وتبدو كما لو كانت بناء مسبوكا متماسكا .

وهذا كله يعنى — بالضرورة — أن أقسام الكتاب المنقول منه ، أو فصوله ، أو مباحثه ، أو مواده ستتبعثر في شكل كراريس وجذاذات موضوعة داخل عدد من الاضبارات ، ثم يعيدها السيوطي خلقا جديدا ، بخطة تأليفية جديدة وترتيب جديد .

قال السيوطى — وهو يتحدث عن موضوع الاشباه والنظائر في النوع الاربعين من كتابه " المزهر " هذا نوع مهم ، ينبغى الاعتناء به ، فيه تعرف نوادر اللغة وشواردها ، ولا يقوم به الا مضطلع بالفن ، واسع الاطلاع ، كثير النظر والمراجعة ، وقد ألف ابن خالويه كتابا حافلا ، فى ثلاثة مجلدات ضخمات ، سماه : كتاب ليس ، ، موضوعه : ليس في اللغة كذا الا كذا ، وقد طالعته قديما ، وانتقيت منه فوائد " (٢) .

وقال — وهو يتحدث عن ظاهرة الابدال في النوع الثانى والثلاثين من المزهر : " هذا طالب ما أورده ابن السكيت ، وبقيت منه أحرف أخرى

---

(١) انظر — مثلا — خطبة السيوطي فى كل من " الاشباه والنظائر النحوية " ، و" شرح شواهد المغنى " ، و " البغية " .

(٢) المزهر : ٣/٢ .

أفردتها الى النوع السابع والثلاثين (١) ، والذى يليه (٢) ، وفات ابن السكيت الفاظا جمة مفرقة في كتب اللغة ، ومن أهم ما فاته : الابدال بين السين والصاد ، نحو : السراط - والصراط " (٣) .

ومن أمثلة هذا النوع من التغيير في ترتيب المواد المنقولة من الكتب ، ما نراه في النوع الحادى والعشرين من المزهر ، حيث يتناول فيه السيوطي ظاهرة التوليد فى اللغة ، فينقل لنا - فيما ينقل - نصوصا من " ذيل الفصيح (٤) " للموفق البغدادى ، ولكنه يغير فيها ترتيب المؤلف وينقلها في كتابه بترتيب يجعل ظاهرها باطلا .

قال أولا : " وفي ذيل الفصيح للموفق البغدادى : تقول (٥) عند التألم : أخ - بخاء معجمة ، فأما (٦) أخ - فكلام العجم " (٧) .

ثم - بعد ذلك - قال : " وقال عبد اللطيف البغدادى في ذيل الفصيح : الفُطْرَة : لفظ مولد ، وكلام العرب صدقة الفطر ، مع أن القياس لا يدفعه - كالغرفة (٨) ، والنغبة - لمقدار ما يؤخذ من الشيء " (٩)

---

(١) يعنى " معرفة ما ورد بوجهين بحيث يؤمن فيه التصحيف " ، وفيه أحرف من ابدال ابن السكيت : ١/٥٤١ .

(٢) يعنى " معرفة ما ورد فى وجهين بحيث اذا قرأه الالثغ لا يعاب " ، وفيه أحرف من ابدال ابن السكيت : ١/٥٥٨ - ٥٥٩ .

(٣) المزهر : ١/٤٦٩ .

(٤) طبع ضمن " فصيح ثعلب والشروح التى عليه " جمع وتعليق الدكتور / محمد عبد المنعم خفاجى بالقاهرة سنة ١٣٦٨هـ .

(٥) هكذا في المخطوط : ٥١ - لغة : ق ٦١ /ب ، وكذلك في " ذيل الفصيح " للموفق البغدادى : ص ٣٠ ، وفي طبعة أبى الفضل ورفاقه : "يقال" ١/٣٠٥ .

(٦) هكذا فى المخطوط : ق ٦١/ب ، وكذلك في ذيل الفصيح : ٣٠ ، وفى طبعة أبى الفضل : " وأما " : ١/٣٠٥ .

(٧) المزهر : ١/٣٠٥ .

(٨) هكذا فى المخطوط : ق ٦١ /ب ، وكذلك فى ذيل الفصيح : ص١٣ ، وفى طبعة أبى الفضل : " كالغرقة " : ١/٣٠٦ .

(٩) المزهر : ١/٣٠٦ .

مع أن النص الاول جاء في " ذيل الفصيح " متأخرا عن الثانى ، فالنص الاول جاء في الصحيفة ٣٠ ، بينما جاء النص الثانى في الصحيفة ١٣ ، وهذا كان دأب السيوطى مع " ذيل الفصيح " الى آخر هذا النوع (١) .

١٠ — وفي جميع ما تقدم من طرائق السيوطى في استخدامه النصوص التي يقتبسها من كتب الاخرين ، كان يحرص كثيرا على أن يميز كلامه من كلام غيره بلفظ " قلت " في أوله ، و " انتهى " في آخره ، وقد نص على التزامه لهذه القاعدة التى لا يكاد يحيد عنها ، في بعض كتبه ، فقال :

" هذا تأليف لطيف ، اختصرته فيه كتاب حياة الحيوان (٢) للامام كمال الدين الدميرى — رحمه الله — حذفت من حشوه كثيرا ، ووضعت فيه أمرين : أحدهما — زيادة فائدة في الحيوان الذى ذكره لغوية أو أثرية أو أدبية ، والثانى — ذكر ما ساقه من الحيوان ملتقطا لذلك من كتب اللغة الحاضرة عندى ، كالغريب المصنف لابى عبيد ، والجمهرة لابن دريد ، وديوان الادب (٣) للفارابى ، والصحاح (٤) للجوهرى ، والمجمل (٥) لابن فارس ، ومختصر العين (٦) للزبيدى ، والقاموس المحيط للفيروز آبادى ، وكتاب الطير (٧) للنضر بن شميل ، وكتاب

---

(١) انظر : ١/٣٠٩ ، و ٣٢٠ — ٣٢١ .

(٢) طبع عدة طبعات ، آخرها عن مكتبة الحلبى فى مصر سنة ١٣٨٩هـ ، وبهامشه " عجائب المخلوقات " للقزوينى .

(٣) منه نسخة فى المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة تقع فى جزءين : الجزء الاول — تحت رقم ٧ أدب ، والجزء الثانى — تحت رقم ٢٤ لغة ، وكان من حق الجزءين أن يعطيا رقما واحدا — في فن اللغة — في فهارس المكتبة ، ويوضعا — بالتالى — في مكان واحد .

(٤) نشره وحققه الاستاذ أحمد عبد الغفور عطار ، وطبع فى مصر سنة ١٣٧٥هـ .

(٥) طبع الجزء الاول منه فقط — فيما نعلم — بمصر سنة ١٩٤٧م ، بتحقيق الاستاذ محمد محى الدين عبد الحميد .

(٦) منه نسخة ناقصة فى دار الكتب ، الجزءان الثانى والثالث تحت رقم ٥٩٧ لغة ، وفى الخزانة التيمورية الجزء الثالث فقط تحت رقم ١ لغة ، انظر فهرست مخطوطات الدار : ٣/٣٦ .

(٧) لم نعثر له على ذكر في كتب التراجم وفهارس المخطوطات التى رجعنا اليها .

الطير (١) لابى حاتم السجستانى ، وغير ذلك . وسميته : ديوان الحيوان ، وبدأت — أولا — بالقسم الذى ذكره الديمرى ، ممزوجا بزياداتى مميزة — في أولها — بـ (قلت) ، وفي آخرها بـ (انتهى) وذيلت ، بالقسم الثانى ، وهو : الحيوانات التى زدتها ، مسرودة على حدتها ، مرتبة على حروف المعجم ، مفردة بخطبة واسم ، ليكون كتابا على حدة ، يكتبه من أراد الاقتصار على كتابته من عنده الاصل ، مسمى بـ ذيل الحيوان " (٢) .

وبالجملة ، فان أهم ما يمتاز به السيوطي فى التصنيف هذا الحرص الشديد على نسبة كل قول الى قائلة ، وكل فضل الى باذله — فى كل ما تقدم من الاساليب التى اتبعها فى النقل عن مؤلفات الاخرين .

* * *

ولان السيوطي كان أمينا فى النقل ، ولانه كان من أكثر الناس تأليفا ، فقد حفظ لنا كثيرا من الاثار اللغوية التى بـ تت أصولها مفقودة مع ما فقد من نفائس تراثنا ، لانه أورد لنا في كتبه مجموعة كبيرة من النصوص تسوى عشرات من أسفار ضاعت ، وكتبا بكاملها ، ورسائل لمؤلفين مغمورين أو مجهولين ، ومقالات طويلة من خطوط العلماء في حواشى الكتب والتعاليق ، وكل هذه الاثار لم تر النور الا من خلال كتب السيوطي .

من هذه الاثار مثلا :

" ١ " الماع الاتباع : لابن فارس ، ولم يشر اليه أحد من الذين ترجموا له قديما أو حديثا فى المراجع المختلفة التى تهيأ لنا الاطلاع عليها ، ولم يسجله الدكتور مصطفى الشويمى فى مقدمة تحقيقه كتاب " الصاحبى " لابن فارس ، حين فصل القول في مؤلفات الرجل ، واستقصى مؤلفاته فى مختلف فروع المعارف الاسلامية من فقه وتفسير وسير

---

(١) مفقود ، انظر : بروكلمان : ٢/١٦٠ .
(٢) ديوان الحيوان : ق ٢ / أ

وأدب ولغة ونحو . (١)

لما لم يسجله الاستاذ هلال ناجي في مقدمة تحقيقة المستفيضة لكتاب " متخير الالفاظ " لابن فارس (٢) حين أفرد لاثار الرجل عددا من الصفحات ، فذكر بالتفصيل — آثاره المطبوعة ، ثم المخطوطة ، ثم آثاره المفقودة ، قائلا : " وعلى أية حال ، فان المفقود من آثار ابن فارس يمكن حصره في الاتي " (٣) .

"٢" ترقيق الاسل لتصفيق العسل : لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي — صاحب " القاموس " ، ولم نعثر له على أثر في سائر ما رجعنا اليه من كتب اللغة والتراجم والفهارس .

"٣" تذكرة ابن مكتوم : لتاج الدين أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم ، تلميذ ابي حيان وصاحب كتاب " الدر اللقيط من البحر المحيط " (٤) ، ولم نجد أحدا أشار اليه غير السيوطي (٥) .

"٤" رسالة في الاشتقاق : لابي بكر محمد ابن السري ، لم يذكرها أحد ، فيما علم ، ومع أن الاستاذ عبد السلام هارون في مقدمة تحقيقه وشرحه لكتاب " الاشتقاق " (٦) لابي بكر محمد بن الحسن بن دريد ، قد تناول

---

(١) انظر : ص ١١ فما بعد .
(٢) طبع ضمن مجلة " اللسان العربي " المجلد الثامن — الجزء الاول (ذو القعدة ١٣٩٠ هـ) : من ٣٣٧ — ٥٠١ .
(٣) انظر : ص ٣٦٥ فما بعد .
(٤) طبع بهامش كتاب " البحر المحيط " لابي حيان في مصر سنة ١٣٢٩هـ .
(٥) انظر : المزهر : ١/٩١ ، ٢٧٥ ، ٢٩٣ ، ٤٢١ ، ٥٣٩ ، ٥٥٥ ، ٢/٩١ ، ١٠٦ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٩ ، ٢٧١ .
(٦) طبع في مصر سنة ١٣٧٨هـ .

— بالحصر والتصريف بكتب الاشتقاق في العربية — (١) عددا من هذه الكتب ، ما كان قد ألف منها في القديم ، قبل ابن دريد ، وما ألف في الحديث بعده .

ومع أنه قال في صدر هذا المبحث : " أما في القديم ، فقد ألف فيه جمهرة من العلماء ، ذكر السيوطي معظمهم في المزهر " (٢) ، الا أنه لم يأت بذكر لهذه الرسالة على الاطلاق .

"٥" الفروق : لابى الطيب اللغوى ، ولم يشر اليه أحد في المتقدمين غير أبى العلاء المعرى فيما وصل الى علمنا ، ذكره في " رسالة الغفران " باسم " الفرق " ، ولعله من تصحيفات النساخ ، ولم يشر اليه أحد فى المتأخرين سوى الدكتور عز الدين التنوخى ، عضو المجمع العلمى العربى بدمشق — في مقدمته التحليلية المسهبة التي وضعها بين يدى تحقيق كتاب " الابدال " (٣) لابى الطيب اللغوى ، حين عرف بأبى الطيب ، وأحصى لنا كتبه ، فذكر هذا الكتاب فيما ذكر من كتب أبى الطيب ، ونبه الى أن السيوطى قد نقل عنه فى المزهر (٤) .

"٦" كتاب الاصوات : لابن السكيت ، لم نعثر له على ذكر في جميع ما رجعنا اليه من كتب التراجم والفهارس ومقدمات

---

(١) انظر : مقدمة المحقق : ص ٢٨ — ٣٠ .
(٢) انظر : المزهر : ١/ ٣٥١ ، ولعل ما ذكره السيوطي لنا فى "المزهر" يمثل معظم هذه الرسالة ، انظر المزهر: من ١/ ٢٨٧ — ١/ ٢٩٢ .
(٣) صدر عن المجمع العلمى العربى بدمشق سنة ١٣٧٩هـ .
(٤) انظر : ص ٥٥ .

تنبيه المحققـــة ٠

"٧" كتاب الالفاظ والحروف : لابى ابراهيم اسحق بن ابراهيم الفارابى ، وقد نسب السيوطي هذا الكتاب ـ خطأ ـ الى " أبى نصر الفارابى " ، وهو أبو نصر محمد بن محمد ابن طرخان بن أوزلغ الفارابى : الحكيم المشهور ، ومن قبله نسبه " أبو حيان " كذلك لابى نصر هذا ، وسماه " كتاب الحروف " ، وهذا غير صحيح ، لان صاحبنا أبا ابراهيم اللغوى لا يكنى بأبى نصر ٠

ونحن لا نستغرب أن يكون لحكيم مثل ابى نصر الفارابى هذا كتاب فى اللغة ، فقد كان علماؤنا فى القديم موسوعيى التكوين ، يعنون بمختلف فنون المعرفة عناية واحدة ، ولكننا نستغرب أن يكون له مثل هذا الكتاب الذى وصفه لنا بعض الباحثين بقوله : " ترجع قيمة هذا الكتاب الى أن صاحبه يعتبر أول من وضع قائمة تفصيلية محددة للقبائل التى يستشهد بها ، والقبائل التى لا يستشهد بها ، وهى القائمة التى نقلها السيوطي فى المزهر (١) ، والاقتراح (٢) ، وتناقلها الباحثون من بعده ٠ وليس الكتاب بين أيدينا حتى يمكننا أن نقطع برأى فيه ٠ اذن هو في عداد الكتب المفقودة التى لم تحظ حتى باشارة عاجلة من أصحاب التراجم" (٣)

فنحن ـ على هذا ـ أمام أحد احتمالين : اما أن يكون هذا الكتاب للفارابى اللغوى ، ويكون أبو حيان

---

(١) انظر : المزهر : ١/٢١١ ـ ٢١٢ ٠
(٢) انظر : الاقتراح : ص ١٩ ـ ٢٠ ٠
(٣) الفارابى اللغوى وتحقيق مقدمة معجمه ديوان الادب : بقلم الدكتور أحمد مختار عمر ، مجلة معهد المخطوطات العربية ـ المجلد السابع ـ الجزء الثانى : ص ٣١٦ ٠

والسيوطي قد أخطآ في التنية ، وهذا ما يحدث أحيانا، أو يكون للفارابى الحكيم .

ونحن — الى الاحتمال الاول — أميل ، لانه ليس من المعقول — عندنا — أن يقوم بمثل هذه الدراسة اللغوية الواعية التى تقدم وصفها ، غير لغوى متخصص كالفارابى اللغوى ، ولاغرابة في أن يخطىء أبو حيان والسيوطي ، فقد ساعدهما على هذا الخلط اشتراك الفارابين في اللقب من جهة ، واشتهار الفارابى الحكيم وشيوع تنيته " ابى نصر " أكثر من اشتهار الفارابى اللغوى وشيوع تنيته " أبى ابراهيم " .

كما ساعدهما على هذا الخلط أن بعض المتقدمين عليهما من أصحاب كتب التراجم والطبقات قد كناه بأبى نصر، حين ترجم لابن أخته " الجوهرى " ، قائلا : " وأما أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهرى فانه كان أديبا فاضلا ، أخذ عن أبى على الفارسى وعن خاله أبى نصر الفارابى صاحب ديوان الادب " (١) .

واذا كانت " كل هذه المؤلفات للفارابى قد ضاعت فيما ضاع من تراثنا القديم ، ولم يبق لنا منها سوى ديوان الادب " (٢) ، كما قال الدكتور أحمد مختار عمر ، فان كتاب الالفاظ والحروف " هو فى عداد هذه الكتب التى حفظ لنا السيوطي معظمها فى جملة ما حفظ من تراثنا الخالد .

---

(١) نزهة الألبـاء فى طبقات الأدباء : لأبى البركات ابن الأنبارى ، ص ٣٤٤ .

(٢) الفارابى اللغوى وتحقيق مقدمة معجمة ديوان الأدب : ص ١١٧ .

"٨" مجاز الكلام وتصاريفه : لثعلب ، ذكره الاستاذ عبد السلام هارون في مقدمة تحقيقه " مجالس ثعلب "(١) ضمن ثبت مرتب على حروف الهجاء ، جاء معظم مؤلفات ثعلب المطبوعة والمخطوطة والمفقودة — تحت عنوان : مكتبة ثعلب — التي بلغت عدة مؤلفاتها اثنين وأربعين مؤلفا .

وقال : " ذكره السيوطي في المزهر : ١/٣٩٣ ، وأورد نقلا منه " (٢) .

"٩" نوادر يونس : لم نجد لها ذكرا في كتب المؤلفين والتراجم التي وقعت تحت أيدينا ، وكان الدكتور عزة حسن قد تتبع في مقدمة تحقيقه " كتاب النوادر " لابي مسحل الاعرابي : اسماء عدد من الكتب التي ألفت في النوادر ، في تضاعيف كتب التراجم والمعاجم والطبقات ، مثل : الفهرست لابن النديم ، وأنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي ، وكشف الظنون لحاجي خليفة ، والمزهر للسيوطي ، وجهد نفسه في استقصاء أسماء الكتب التي ألفت في هذا المجال ، ونظم جدولا بها يضم خمسة وأربعين عالما ممن ألفوا كتبا في النوادر . (٣) .

---

(١) انظر : المقدمة : ١/٢٢

(٢) مجالس ثعلب : بتحقيق الاستاذ عبد السلام هارون ، المقدمة : ١/٢٢ .

(٣) انظر : كتاب النوادر لابي مسحل الاعرابي ، بتحقيق الدكتور عزة حسن ، المقدمة من ١/٢٦ — ٣٠ .

الفصل السادس

إيثاره المذهب البصري على الكوفي (١)

مع أنّ السيوطيّ كان مصريّاً ، وكان مذهب المصريّين – في جملته – بغداديّاً ، يقوم على الإفادة من الخلافات بين البصريّين والكوفيّين (٢) ، ويمزج بين المذهبين مزجاً قويّاً ، على نحو ما فعل أصحاب المذهب البغداديّ . (٣)

ومع أنّ ابن مالك وأبا حيّان كانا أهمّ اثنين من النحاة الذين تأثّر بهم ، وأفاد منهم ، وتصدّى لشرح بعض كتبهم ، وتلخيصها ، وتقريظها (٤) ، وكان ابن مالك وأبو حيّان : بغداديّين ، يخلطان بين المذهبين .

مع ذلك كلّه ، فقد كان السيوطيّ بصريّ النزعة ، يذهب مذهب النّحاة البصريّين ،

---

(١) هذا الطرف من البحث أدخل في مسائل النحو ، ولكنّا رأينا أن نشير إليه هنا ، رجاء أن نستكمل أسباب البحث في أصالة رأى السيوطيّ في اللّغة وفي مسائلها من جهة ، وفي طبيعة منهج الرجل العقليّ المطرد ، واعتماده الكبير على الأقيسة والتعليلات المنطقيّة من جهة أخرى .

(٢) تنقسم مذاهب النّحاة – عندنا – إلى ثلاث مدارس ، مدرسة البصريّين القائمة على تحكيم المقاييس العقليّة ، وبناء القواعد والضوابط على الأغلب الشائع من كلام العرب ، وتوجيه ما عداه من الغريب والنادر والشاذّ ، ومدرسة الكوفيّين القائمة على التوسّع في النقل والرواية والاستشهاد بكلام الحضريّين ممن فسدت لغتهم ، وبناء القواعد والضوابط على كلّ ما ورد إليها من الكلام ، ومدرسة البغداديّين القائمة على المزج بين المدرستين السابقتين ، ونقدهما ، والإضافة عليهما ، بحيث نتج عن ذلك كلّه أن نشأت طائفة من الآراء والتوجيهات والانتخابات . وكلّ الذين جاءوا بعد البصريّين والكوفيّين والبغداديّين مندرجون – عندنا – تحت هذه المدارس الثلاث .

(٣) ويظهر ذلك – بصورة واسعة – في كتب ابن مالك وابن هشام خاصة .

(٤) انظر : فهرس مؤلّفاته : ق ٨ (نسخة الرباط) .

ويغترف من معينهم الذى لا ينضب ، ويدبرهم ، ويرى آراءهم وأصولهم العامة (١) هي الراجحة في كثير من الاحيان ، لانها آراء وأصول مبنية على اعتبارات عقلية بحته ، لضمان التفرد بالقوة لها ، وليكون لها الحكم الغالب ، والسيوطي رجل أصولى وفقيه ، وصاحب منهج علمي دقيق . (٢)

ولعله يكفي للدلالة على رجحان مذهب أهل البصرة — عنده — على مذهب اهل الكوفة ، أن نورد الامثلة التالية :

١ — <u>وقف السيوطي من الاستدلال مثل موقف البصريين :</u>

اذا عدنا — أولا — الى كتاب " مغنى اللبيب عن كتب الاعاريب " لابن هشام ، وجدنا فيه شواهد شعرية كثيرة لشعراء مولدين ، منهم : أبو نواس ، وأبو المنهال عوف بن مسلم الخزاعى ، وأبو العتاهية ، وابن الرومى وعبد الله بن المعتز وابن دريد ، والمتنبى ، والشريف المرتضى ، وأبو العلاء المعرى ، والحريرى ، والشاطبى (٣) .

ثم عدنا — بعد ذلك — الى كتاب " شرح الشواهد المغنى " للسيوطي ، فوجدنا أن السيوطي قد أهمل فيه كل هذه الشواهد ، ولم يتناولها بالشرح ، لانها منسوبة لشعراء مولدين .

---

(١) نقول : آراء البصريين وأصولهم العامة ، لان السيوطي كان — بالفعل — يرجحها ، ولكنه فى المسائل الفرعية — وهى قليلة — كان يختار الرأى الذى يترجح — عنده — دليله ، سواء كان هذا الرأى يوافق رأى البصريين أو كان يعارضه ، وقد أوفى الدكتور عبد العال سالم هذا الموضوع حقه في رسالته " السيوطي النحوى " ، انظر : ٣٩٩ وما يليها .

(٢) صنف في علم أصول الفقه : " الاشباه والنظائر في الفروع " ، وضع على منوال أصول الفقه ، وألف " الاقتراح في علم أصول النحو وجدله " ، وانظر فى " فهرس مؤلفاته " كتبه فى : " فن الفقه " ، و " فن أصول الفقه وأصول الدين والتصوف " .

(٣) انظر : مغنى اللبيب — الصفحات على التوالى : ٢٠٠ ، ٢١١ ، ٤٦٥ ، ٨٨٦ ، ١٦٠ ، ٣٧٦ ، ٥٦٦ ، ٦٩٢ ، ٨٠١ ، ٨٥٦ ، ٢٠ ، ٦٩ ، ١٠٩ ، ١١٩ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ، ٢٩٤ ، ٨٧٦ ، ١٤٦ ، ٢٠٩ ، ٣٦٠ ، ٧٠٢ ، ٨٦٨ ، ٩٤ ، ١٩٨ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٤٣٧ ، ٤٦٩ ، ٦٣٣ .

ولذلك ، فهو حين يتعرض لبعض هذه الشواهد ، يذكر - صراحة - أنه انما اضطرها لكونها من الشعر المولد مما لا يصح الاستشهاد به في كتب النحو عند البصريين .

قال - على سبيل المثال - عندما عرض لشاهد المغني :

انارة العقل مكسوف بطوع هوى
وعقل عاصي الهوى يزداد تنويرا (١)

" قال العيني : قيل ان قائله من المولدين . فعلى هذا ليس من شرط شواهد الكتاب " (٢) .

٢ - <u>وقف السيوطي من السماع والقياس موقف البصريين :</u>

فهو لا يعتد بالقليل ، ولا النادر ، ولا الشاذ ، فهذا كله يطرح اطراحا - عنده - ولا يهتم بتأويله (٣) ، وفي كتابه " همع الهوامع " نجد فيضا من الامثلة التي يرفض فيها كثيرا من قياسات النحاة ، لانها جاءت مستندة الى القليل أو النادر أو الشاذ .

خذ - مثلا - قوله : " لا يحذف الجار ويبقى عمله اختيارا ، وان وقع ، فضرورة ، كقوله :

اذا قيل : أي الناس شر قبيلة
أشارت (كليب) بالاكف الاصابع (٤)

وقوله :

ونريمة من آل قيس ألفته (٥)
حتى تبذخ (٦) فارتقى الاعلام

---

(١) قائله غير معروف ، انظر : مغني اللبيب : ٦٦٥ .
(٢) شرح شواهد المغني : ٨٨١/٢ ، وانظر : مغني اللبيب : ٦٦٥ ، والشواهد الكبرى للعيني (على هامش خزانة الادب) : ٣٩٦/٣ ، والمقصود بالكتاب - هنا - هو " المغني " ، وانظر : " السيوطي النحوي " : ٤١٨ ومايليها .
(٣) انظر : " الاقتراح " : ١٤ ، ١٩٦ ، ٢٠٦ ، ٢٦٦ ، ٢٩٦ ، و" المزهر " : ٢٣٤/١ .
(٤) البيت من قصيدة للفرزدق ، يهجو بها جريرا وقومه ، انظر : ديوانه (ط . الصاوي) : ٥١٦/٢ - ٥٢٢ .
(٥) أي : صحبته ، وقيل : معناه أعطيته ألفا .
(٦) تبذخ ، يعني : أنه صحبه حتى أضاه وصرفه ، والبيت لشاعر غير معروف ، وانظر : الدرر اللوامع : ٣٨/٢ .

" أى : الى كليب ، وفى الاعلام ، أو نادر لا يقاس عليه ، كحديث البخارى : صلاة الرجل فى جماعة مضعف على صلاته فى بيته وسوقه خمس وعشرين ضعفا (١) ، أى بخمس " (٢)

٣ — ووقف السيوطي ، كذلك ، من العلل موقف البصريين :

ومن هنا وجدناه فى سائر كتبه اللغوية والنحوية يعنى عناية فائقة بالعلة ، ففى " الهمع " تعليلات دقيقة تستند أساسا الى المنطق والفلسفة ، وفي " الاشباه والنظائر " استنباطات عقلية خالصة لجميع الاحكام النحوية الفرعية ، وفي " الاقتراح " تجد شيئا كثيرا من العناية بالتعليل وأقسامه وشروطه ومسالكه .

قال في " الهمع " : " العدد : أى هذا مبحثه ، يؤنث بالتاء ثلاثة فما فوقها الى العشرة : أى معها — أن كان المعدود مذكرا مذكورا — نحو : أربعة أيام وعشرة رجال ... والنكته فى اثبات التاء فى المذكر أن العدد كله مؤنث ، وأصل المؤنث أن يكون بعلامة التأنيث ، وتركت من المؤنث لقصد الفرق ، ولهذا لان المذكر أصل وأسبق ، فكان بالعلامة أحق ، ولانه أخف وأبعد عن اجتماع علامتى تأنيث " (٣) .

وقال فى " الاقتراح " : " يجوز التعليل بالامور العدمية ، كتعليل بعضهم بناء الضمير باستغنائه عن الاعراب باختلاف صيغة لحصول الامتياز بذلك " (٤) .

وهكذا ، فهو يحيل — كالبصريين — على علل المتكلمين لاستظهار وجه الحكمة فى أصول العربية ، ولا يفيد شيئا منها دون أن يحاول به وجها ، حتى

---

(١) انظر : رياض الصالحين : ٤٠٦ (مط الاستقامة بمصر ١٩٣٩م) وفيه " صلاة الرجل في جماعة تضعف ... خمسا ... "

(٢) همع الهوامع : ٢/٣٦ ، وانظر : الدرر اللوامع : ٢/٣٧ ، ٣٨ ، وفيه أن البيت الاخير " مشتمل على أمور متعسفة ، الاول : فى قوله : كريمة بـ حيث أدخل الهاء فيه للمبالغة قياسا ، وذلك لان أمثلة المبالغة ثلاثة ، وهى : فعاله كنسابة ، وفعولة كفروقة ، ومفعالة كمهذارة ، وهذا ليس منها ، والثانى حذفه التنوين من قيس للضرورة ، والثالث : حذفه — الى — من قوله : الاعلام " ، وانظر : " السيوطي النحوي " : ٤١١ .

(٣) همع الهوامع : ٢/١٤٨ ، ١٤٩ .

(٤) الاقتراح : ٥٢ .

لا يقال : " اذا عجز الفقيه عن تعليل الحكم قال : هذا تعبدى ، واذا عجز النحوى عنه قال : هذا سمع "(١) .

٤ — ووقف من الحديث النبوى الشريف موقف سيبويه :

على الرغم من أن نصوص الحديث النبوى الشريف قد توثقت ، متنا وسندا ، فى زمن الرواد الاوائل من دارسى النحو وواضعى أصوله ، فان الانصراف عن دراستها لاستنباط آرائهم ، ثم الاحتجاج بها عليها ، بقى عادة مرعية وعرفا متوارثا لدى معظم النحاة على اختلاف مذاهبهم ومواطنهم ، منذ شيخهم سيبويه .(٢)

ان كتاب سيبويه — وهو أول مؤلف نحوى يصل الينا — ظهر مع فترة النضج العلمى فى دراسة اللغة ، فى الوقت الذى بلغت فيه رواية الحديث النبوى الشريف وجمعه والتأليف فيه الى نضج مماثل ، ولكن سيبويه آثر أن يجتنب الاحتجاج به ، ويبذل جهده في الاستشهاد بغيره ، وتبعه على هذا المسلك معظم النحاة بعده ، معتقدين فيه ملاحية لصنعتهم .

ومع ما عرف عن السيوطي من شدة التحفظ ، والحيطة في مثل هذه الامور المتصلة بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد انساق وراء نزعته البصرية فى هذه المسألة ، ونهج فيها منهج سيبويه .

قال : " وأما كلامه صلى الله عليه وسلم ، فيستدل منه بما ثبت أنه قاله على اللفظ المروى ، وذلك نادر جدا ، انما يوجد في الاحاديث القصار ، على قلة أيضا ، فان غالب الاحاديث مروى بالمعنى ، وقد تداولتها الاعاجم والمولدون قبل تدوينها ، فرووها بما أدت اليه عبارتهم ، فزادوا ونقصوا وقدموا وأخروا وأبدلوا ألفاظا بألفاظ ، ولهذا ترى الحديث الواحد في القصة الواحدة

---

(١) الاقتراح : ٤٧ .

(٢) انظر ، فى ذلك ، كتاب " الرواية والاستشهاد باللغة " للدكتور محمد عيد : ١٢٨ — ١٣٧ .

(٣) وانظر : " السيوطي النحوي " : ٤٢٤ .

مرويا على أوجه شتى بعبارات مختلفة ، ومن ثم أُنكر على ابن مالك اثباته القواعد النحوية بالالفاظ الواردة في الحديث " (١)

ثم راح يستدل — لصحة ما ذهب اليه — بأن ابن مالك قد " استشهد على لغة أكلوني البراغيث (٢) بحديث الصحيحين : يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار (٣) وأكثر من ذلك حتى صار يسميها : لغة يتعاقبون ، وقد استدل به السهيلي ، ثم قال : لكني أقول : ان الواو فيه علامة اضمار ، لانه حديث مختصر ، رواه البزاز مطولا مجردا ، قال فيه : ان لله ملائكة يتعاقبون فيكم : ملائكة بالليل وملائكة بالنهار " (٤) .

٥ — <u>ووقف السيوطي من المسائل المختلف فيها موقف البصريين :</u>

ولم يقتصر أثر النزعة البصرية في السيوطي وجهوده في النحو على هذه النقاط ، وانما وافقهم — أيضا — في مجموعة كبيرة من المسائل التي يختلفون فيها مع الكوفيين ، ولا بأس أن نورد هنا — في ايجاز شديد — بعضا من هذه المسائل :

(أ) وافق السيوطي البصريين في أن الاصل في " اسم هو " السمو " ، قال : " وكثر حذف اللام في الاسماء ، اذا كانت واوا ، كأب وأخ وحم وفو وذي على مذهب الخليل ، وابن واسم على مذهب البصريين ، والاصل — عندهم — سمو لانه من السمو ، حذفت لامه وعوض عنها همزة الوصل ، والكوفيون يقولون : أصله وسم من السمة ، حذفت فائه ، ورد بأن جمعه اسماء وتصغيره سمي ، ولو كان كما قالوا لكان : أوسام ووسيما ، لان

---

(١) الاقتراح : ١٦ .

(٢) انظر : كتاب سيبويه : ٢٢٧/١ (ط . بولاق ١٣١٦هـ) ، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد — لابن مالك : ص ٢٢٦ (ط . محمد كامل بركات ١٣٨٨هـ) .

(٣) انظر : صحيح البخاري : كتاب التوحيد ، وكتاب بدء الخلق ، وصحيح مسلم : كتاب الصلاة ، وقد جاء في الحديث النبوي الشريف في : صحيح البخاري — كتاب بدء الخلق — هكذا : " الملائكة يتعاقبون فيكم ، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار " .

(٤) الاقتراح : ١٨ ، ١٩ ، هذا كلامه ، وما قولك في الآية الكريمة : " وأسروا النجوى الذين ظلموا " ؟

(٥) وانظر : السيوطي النحوي " : ٤٣٥ فما بعد .

التصغير والتكسير يردان الاشياء الى أصولها "(١)

(ب) ووافقهم في أن "ما" تعمل عمل "ليس" في المبتدأ والخبر، قال: "أصل العمل للافعال، بدليل أن كل فعل لابد له من فاعل، الا ما استعمل زائدا، نحو كان ... و (ما) من قبيل غير المختص، ولها شبهان، أحدهما: هذا — وهو عام فيما لا يعمل من الحروف، وراعاه بنو تميم فلم يعملوها، والثاني: خاص، وهو شبهها بليس في كونها للنفي وداخلة على المبتدأ والخبر وتعطي المعمل للحال. كما أن (ليس) كذلك، وراعى هذا الشبه أهل الحجاز، فأعملوها عملها، فرفعوا بها هذا المبتدأ اسما لها ونصبوا الخبر خبرا لها، قال تعالى: ما هذا بشرا (١). ما هن أمهاتهم (٢). هذا مذهب البصريين، وزعم الكوفيون أن (ما) لا تعمل شيئا في لغة الحجازيين، وأن المرفوع بعدها باق على ما كان قبل دخولها، والمنصوب على اسقاط الباء، لان العرب لا تكاد تنطق بها الا بالباء، فاذا حذفوها، عوضوا منها النصب، كما هو المعهود عند حذف حرف الجر، وليفرقوا بين الخبر المقدر فيه الباء وغيره ..." (٣).

٦ — ولتأييد هذه النزعة عند السيوطي، نجده — أحيانا — يلمح بأقوال، يقول مثلا: "وهذا هو المختار عندي" أو يقول: "لا يجوز ذلك عند البصريين"، أو يقول: "قال الاصحاب" الى غير ذلك من العبارات التي نجدها منثورة في كتبه، تعبر تعبيرا صادقا وأمينا عن ميله الواضح للبصريين. (٤)

(١) سورة يوسف: آية ٣١.
(٢) سورة المجادلة: آية ٢.
(٣) همع الهوامع: ١/١٢٣.
(٤) وهو — ان تعرض لمسائل الاختلاف بين البصريين والكوفيين — دأبه على ذكر مذهب البصريين فيها أولا، كما دأب ابن الانباري على ذكر مذهب الكوفيين فيها أولا في كل المسائل التي أوردها في "الانصاف".
وان ذكر مذهب اصحابه قال: هذا مذهب البصريين، وقبل أن يورد مذهب الكوفيين قال: وزعم الكوفية، أو قال: وجوز الكوفية (انظر: الهمع ١/١٢٣، ١٣٣، ١٣٤، ١٦٢ مثلا).

خذ ، مثلا ، هذا النص من "الهمع" : " وجوز الكوفيون جمع صفة لا تقبل التاء ، كقوله :

منا الذى هو ما ان طر شاربه
والعانسون ومنا المرد والشيب (١)

وقوله :

فما وجدت نساء بنى نزار (٢)
حلائل (٣) أسودين وأحمرينا (٤)

" وذلك — عند البصريين — من النادر الذى لا يقاس عليه ، قال صاحب الافصاح : (٥) عادة الكوفيين اذا سمعوا لفظا فى شعر أو نادر كلام جعلوه بابا أو فصلا ، وليس بالجيد . قال الاصحاب : وانما افترق الصفتان ، لان المقابلة للتاء — شبيهة بالفصل ، فانه يقبل التاء عند قصد التأنيث ، نحو : قامت ، وتعرى منها عند التذكير ، نحو : قام . وانما يجمع هذا الجمع ما أشبه الفصل الحاقا به فى أنه اذا وصف به المذكر العاقل لحقه بعد سلامته لفظة الواو فقاموا ويقومون ، ولذا لم يجمع الاسم الجامد " (٦).

* * *

ومع هذا الدفاع المفصل عن مدرسة البصريين فى مسالكهم ، ومتابعته لهم فى أكثر الاراء والاصول ، فانه لم يدن يسلم لهم فى مسائل عديدة مما يتيح لصاحب نزعة ما — حرية الحركة والابداع .

---

(١) البيت لابى قيس بن رفاعه ، أو قيس بن رفاعه — بغير تنيه ، وهو جاهلى ، وقيل لابى قيس بن الاسلت الانصارى ، وهذا أدرك الاسلام ولم يسلم ، وانظر : الدرر اللوامع : ١٩/١ .

(٢) يعنى : والد مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

(٣) جمع حليل ، وهو الزوج .

(٤) البيت من قصيد تلحكيم بن الاعور بن عياش الكلبى ، من شعراء الشام ، هجا بها مضر ، وانظر : الدرر اللوامع : ١٩/١ .

(٥) هو محمد بن يحيى بن هشام الخضراوي (ت٦٤٦هـ) ، انظر : البغية : ٢٦٧/١ .

(٦) همع الهوامع : ٤٥/١ ، ٤٦ ، وانظر : الدرر اللوامع : ١٩/١ .

فالسيوطي امام مجتهد ، وله من سعة الزمن وقوة الفهم وحدة القريحه ما يجعله يأخذ ما يرى في منطقه ، وينأى به عن أن يكون ، مع البصريين ، ظالة التي لا ارادة لها .

ولذلك ، فاننا نجد السيوطي — أحيانا — يصطنع لنفسه رأيا مستقلا ، وأحيانا ، يعمد الى الاختيار ، فينتخب له من آراء النحاة رأيا ، لا يعنيه أن يكون هذا الرأي أو ذاك موافقا لما يستنه البصريون ، أو موافقا لما عليه الكوفيون ، لانه يختار ما يقتنع به ويراه راجحا .

فلا يستغرب أحد حين يرى السيوطي يختلف — في بعض الاحيان — مع المدرسة التي رأى آثارها واضحة وضوحا لا ينكر في آرائه وميوله في أقيسته وتعليلاته ، فيجوز ما منعه البصريون ، ويمنع ما جوزوه ، أو يأتي بجديد ما قال به أحد من قبل .

واليك بعضا من الامثلة :

(١) في تجويز ما منعه البصريون : قال في منع المصروف أربعة مذاهب ، أحدها : الجواز مطلقا ، حتى في الاختيار ، وعلى ذلك أحمد بن يحيى ، فانه أنشد :

أأمل أن أعيش وأن يومي
بأول (١) أو بأهون (٢) أو جبار (٣)
أو التالي دبار (٤) فان أفته
فمؤنس (٥) أو عروبة (٦) أو شيار (٧)

---

(١) اسم يوم الاحد في اسمائهم القديمة .
(٢) اسم يوم الاثنين .
(٣) اسم يوم الثلاثاء .
(٤) اسم يوم الاربعاء .
(٥) اسم يوم الخميس .
(٦) اسم يوم الجمعة .
(٧) اسم يوم السبت ، وانظر : الدرر اللوامع : ١١/١ ، وفيه البيتان غير منسوبين .

" فقيل له : هذا ممنوع ، فان مؤنسا ودبارا مصروفان ، وقد ترك صرفهما .
فقال : هذا جائز فى الكلام ، فكيف فى الشعر ؟ قال أبو حيان : فدل هذا الجواب على اجازته اختيارا ، والثانى : المنع مطلقا حتى فى الشعر ، وعلى ذلك أكثر البصريين وأبو موسى الحامض من الكوفيين ، قالوا : لانه خرج عن الاصل بخلاف صرف الممنوع فى الشعر ، فانه رجوع الى الاصل فى الاسماء ، والثالث : وهو الصحيح ، الجواز فى الشعر ، والمنع فى الاختيار ، وعليه أكثر الكوفيين والاخفش من البصريين ، واختاره ابن مالك ، وصححه أبو حيان قياسا على عكسه ، ولورود السماع بذلك كثيرا - قوله : فما كان حصن (١) ولا حابس (٢)

يفوقان مرداس (٣) فى مجمع

" والرابع : يجوز فى الشعر خاصة " (٤) .

فهو يرى جواز منع الاسم المنصرف من الصرف للضرورة ، قياسا على جواز صرف الممنوع من الصرف ، ولورود السماع به ، وهذا يخالف مذهب البصريين القائل بعدم جواز منع الاسم المنصرف من الصرف للضرورة ، وهو - فى الوقت نفسه - يوافق مذهب الكوفيين .

(٢) فى منع ما جوزه البصريون : قال " لا الحاق الا بسماع من العرب ، الا أن يكون على جهة التدرب والامتحان ، كالامثلة التى يتدربها النحويون متضمنة

---

(١) يعنى : حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى ، والد عيينة ، العحابى المشهور .
(٢) يعنى : حابس بن عقال المجاشعى التميمى ، والد الاقرع الصحابى المشهور .
(٣) يعنى مرداس بن ابى عامر السلمى ، والد العباس الصحابى المشهور ، وانظر : الدرر اللوامع : ١١/١ ، وفيه أن البيت من قصيدة للعباس بن مرداس ، يعاتب بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لانه أعطى عيينه والاقرع مع عدد من المؤلفة قلوبهم مائة من الابل من غنائم حنين لكل فرد ، وأعطى العباس أقل من ذلك ، فأرضاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم .
(٤) همع الهوامع : ٣٧/١ .

لحروف الالحاق على طريقة أبنية العرب ، يقصدون بذلك تمرين المشتغل بهذا الفن واجادة نظره ونظره ، وهذا الحكم جار في كل ما أردت أن تبنى من كلمة نظير كلمة أخرى ، وان لم يكن الحاق فان ذلك لا يجوز ، الا أن يكون على وجه التدرب والامتحان . هذا أصح المذاهب في المسألتين ، لانه احداث لفظ لم تتكلم به العرب . والثانى : يجوز مطلقا ، لان العرب قد أدخلت في كلامها الالفاظ الاعجمية كثيرا ، سواء كانت على بناء كلامها أم لم تكن ، كذلك يجوز ادخال هذه الالفاظ المصنوعة - هنا - في كلامهم ، وان لم تكن منه ، قياسا على الاعجمية ، وعليه الفارسي ، قال : لو شاء شاعر أو متسع أن يبنى بالحاق اللام اسما أو فعلا ، أو صفة ، لجاز ذلك له ، وكان من كلام العرب ، وذلك قولك : خرجج أحسن من دخلل ، وضرب زيد ، ومررت برجل كريم ، وضرب ، قال ابن جنى : فقلت له : أترتجل اللغة ارتجالا ؟ قال : ليس هذا ارتجالا ، لانه مقيس على كلامهم "(١)

ثم قال : " اللفظ الاعجمى لا يصير بادخال العرب له في كلامهم عربيا ، بل تكون قد تكلمت به بلغة غيرها ، واذا تكلمنا نحن بهذه الالفاظ المصنوعة كنا قد تكلمنا بما لا يرجع الى لغة من اللغات "(٢).

فهو - هنا - يرى منع جواز الالحاق مطلقا ، خلافا للبصريين ، الذين أجازوا الالحاق ، وأتوا فيه بما لم تتكلم به العرب ، قياسا على الالفاظ الاعجمية .

(٣) فيما انفرد به عن البصريين والكوفيين جميعا : قال " يجوز تنوين المنادى المبنى في الضرورة بالاجماع ، ثم اختلف : هل الاولى بقاء ضمه أو نصبه ، فالخليل وسيبويه والمازنى على الاول ، على ما كان أو نكرة مقصودة ، كقوله : (سلام الله يا مطر عليها) (٣) ، وقوله : (فكان يا جمل حييت يا رجل) (٤) ، وأبو عمرو وعيسى بن عمر والجرمى والمبرد على الثانى ، ردا على أصله كما رد غير المنصرف الى الكسر عند شبوته ، في الضرورة ، كقوله : (يا عديا لقد وقتك

(١) همع الهوامع : ٢/٢١٧ .
(٢) نفسه
(٣) هو من قصيدة للاحوص ، انظر عجزه وشرحه في الدرر اللوامع : ١/١٤٩ .
(٤) هو من قصيدة لكثير ، انظر صدر البيت وشرحه في الدرر اللوامع : ١/١٤٩ .

الاواقى)[١] ، وقوله : (ياسيدا ما أنت من سيد)[٢] ، واختار ابن مالك فى شرح التسهيل[٣] بقاء الضم فى العلم ، والنصب فى النكرة المعينة — لان شبههـــا بالمضمر أضعف . وعندى عكسه ، وهو اختيار النصب فى العلم — لعدم الالبـــاس فيه ، والضم فى النكيرة المعينة — لئلا يلتبس بالنكرة غير المقصودة ، اذ لا فارق — حينئذ — الا الحركة لاستوائهما فى التنوين . ولم أقف على هذا الرأى لاحد "[٤].

فالمنادى ينون للضرورة ، واختار الخليل وسيبويه والمازنى بقاء ضمه ، واختار أبو عمرو وعيسى بن عمر والجرمى والمبرد النصب ، واختار ابن مالك بقاء الضم فى العلم ، والنصب فى النكرة المعينة ، ولكن السيوطي انفرد برأى جديد ، التمسه من غير نظـــر الى هذا المذهب أو ذاك ، واختار النصب فى العلم ، والضم فى النكرة المعينـــة ، وذكر دواعيه لهذا الاختيار ، وهى لا تقل وجاهة عن دواعى اختيارات ابن مالك وابى عمرو وصحبه .[٥]

* * *

والذى نخلص اليه — مما تقدم — أن السيوطي كان اميل الى البصريين ، بل هو منهم ، ولكن ذلك لم يمنعه من مخالفتهم واتباع الكوفيين فى بعض المسائـــل التى يرى فيها الحق بجانبهم ، كما لم يمنعه من الاجتهاد فى بعض المسائل الاخـــرى ، لينفرد بآراء وتوجيهات نحوية سديدة لم يسبقه أحد فيها .

ومعنى ذلك أنه لم يكن يوقع نفسه فى اطار مدرسته البصرية الى درجة المحاكاة والانصياع لجميع آرائها وعللها وأقيستها ، كما فعل معظم معاصريه ، بل كان بصريـــا

---

(١) هو من قطعة للمهلهل ، انظر صدره وشرحه فى الدر اللوامع : ١٤٩/١ .
(٢) هو للسفاح بن بدير ، وقيل لرجل من بنى قريع ، انظر عجزه وشرحه فى المصـــدر السابق .
(٣) وفي دار الكتب المصرية نسخة منه برقم ١٠ ش ، وذكرت الدكتورة خديجة الحديثي في كتابها (أبو حيان النحوي : ص١١٢) أنّ ابن مالك وقف فيه عند باب « مصادر غير الثلاثي » وأكمله ابنه البدر .
(٤) همع الهوامع : ١٧٣/١ .
(٥) وانظر مزيدا من الامثلة على هذا الباب فى " الهمع " : ٩٣/١ ، ٩٤ ، ١٣٣ ، ٢٣/٢ ، ٢٤ ، ٢٥ .

في غير تعصب أو تحجر ، قريبا من الحق أنى وجده ، فيحاكى البصريين محاكـــاة البصير ، وينحو نحوهم عن وعي أصيل واد راك واسع ، لا عن جمود ومحبة في التقليد من أجل التقليد ، وتلك آية من آيات قدرته على التطور والتجديد والابداع .

هذه خطوط عريضة لاتجاه السيوطي النحوي وقفنا فيها وقفات قصارا على نزعتـه البصرية ، وموقفه من الاحتجاج ، ومن السماع والقياس ، ومن العلل ، ومن المسائـل الخلافيه ، ثم على اجتهاده الشخصي ، واعماله الفكر في المسائل التي يتعرض لهـا ، رجاء أن تتكشف لنا طبيعة منهج الرجل العقلي المطرد ، واعتماده الكبير على الاقيسة العقلية والتعليلات المنطقية ـ المنسحب على عموم مؤلفاته ، وهذا ما يفسر لنا رجحـــان مذهب أهل البصرة ـ عنده ـ على مذهب أهل الكوفة ، فقد وجد في مذهـــــب البصريين المتأ الجيد لطبيعة منهجه العقلي .

الباب الرابع

أهم مصادره
وطريقة إفادته منها

توطئة

درج اللاّحقون – على مرّ العصور – على الإفادة من جهود السّابقين ، فالطبيب الذي يريد أن يقف على تشخيص داء جديد ، والمهندس أو العامل الذي يريد أن يبتكر قطعة غيار جديدة ، والمصنّف الذي يريد أن يضع كتاباً يستوفي فيه مباحث فنّ من الفنون المبتكرة ، كلّ هؤلاء لابدّ أن يرجعوا إلى ما وضعه أسلافهم من مصنّفات ، وما قاموا به من تجارب ، ويطّلعوا عليها ، ويستعينوا بها في الإضافة والتّطوير والابتكار .

ومن هنا ، جاءت أعمال المتقدّمين والمتأخّرين في الطبّ والهندسة والأدب وسائر أنواع المعرفة كما لو كانت بناءً شامخاً ، ترتكز كلّ لبنة من لبناته على الأخرى في حلقات مترابطة ومتّصلة ، يكمل كلّ منها ما سبقه .

وإنّ المتابع لمسيرة التأليف في الثقافة العربيّة يستطيع أن ينتهي إلى هذه النتيجة الطبيعيّة ، فإذا هو رجع إلى أصول هذه الثقافة وَجَدَ أقدمها يعتمد على الرواية الشّفويّة ، ويجعلها مصدراً يستقصي به الحقائق المتّصلة بالموضوع المطروق ، حتى يمكن الوصول إلى بعض الحقائق والسّمات الكليّة .

ثم كلّما تقدّم مع الزّمن ، ومع تطوّر وسائل الكتابة وَجَدَ المصنّفين يفيدون من جهود السّابقين بصورة أكثر وضوحاً ، فهم يجمعون النّصوص ويحصون الجزئيّات من عموم المصنّفات التي وضعها أسلافهم ، ثمّ يمضون في درسها وفحصها والعمل على استخلاص النتائج واستنباط الأحكام ، على نحو ما نفعل اليوم .

ولأنّ التأليف في الثقافة العربيّة ولد في رحاب الحضارة الإسلاميّة ونما وتطوّر ، فعرف العقل العربيّ الموسوعات (١) على بدايات عهده بالتأليف ، سيجد في نقول اللاّحقين

(١) مثل : كتاب الحيوان – للجاحظ (ت٢٥٥هـ) وتاريخ الأمم والملوك – للطبريّ (ت٣١٠هـ) والعقد الفريد – لابن عبد ربه (ت٣٢٨هـ) والأغاني – للاصفهانيّ (ت٣٥٦هـ) .

وقد جاء في تقديم كتاب "الحنين إلى الاوطان" للجاحظ (ص٣، ط القاهرة – ١٣٣٣هـ) مايلي: "إنّ لكلّ شيء من العلم ونوع من الحكمة وصنف من الأدب سبباً يدعو إلى تأليف ما كان فيه مشتتاً ، ومعنىً يحدو على جمع ما كان متفرّقاً . وحتى أغفل حملة الأدب وأهل المعرفة تمييز الأخبار واستنباط الآثار ، وضمّ كلّ جوهر نفيس إلى شكله ، وتأليف كلّ نادر من الحكمة إلى أخاه ، بطلت الحكمة وضاع العلم وأميت الأدب ودرس مستور كلّ نادر ..."

احاطة تامة بمصادر الموضوعات التي يتصدون لدراستها ، والانتفاع بها — الى أقصى الحدود — في وضع المصنفات الجديدة ، مع دقة الضبط والمحافظة على المادة العلمية المنقولة بصورها وهيآتها وكل ما تمتاز به من سمات .

واذا كنا قد انتهينا ، من قبل ، الى أن السيوطي " أغزر الكتاب المصريين انتاجا في العصر المملوكي ، بل لعله أغزر كتاب العربية قاطبة "(١) ، والى أنه كان كثيرا ما يهدف — من هذه الكثرة من مصنفاته في مختلف صنوف المعرفة — الى تكوين مدرسة ثقافية متكاملة للفنون العلمية التي يتناولها بالبحث ، بحيث تمثل كل مجموعة منها فنا برأسه ، يجد فيه الطالب كل ما يمكن أن يندرج تحت ذلك الفن من المسائل الجزئية والكلية .(٢)

اذا كنا قد انتهينا الى كل ذلك ، كان لنا أن نتصور : الى أي حد بلغ تعويل السيوطي على كتب المتقدمين من أسلافه ومعاصريه ، والى أي حد بلغت افادته من كل المصنفات التي رجع اليها ، حال وضعه كتبه ورسائله الصغيرة .

الحق ، أنه ليس في المصنفين المتقدمين ولا في المتأخرين — في تقديرنا — من أكثر من التعويل على جهود الآخرين ، وأكثر من الاستعانة بها في التصنيف ، فاتسمت دائرة مصادره اتساعا ملحوظا مثلما فعل السيوطي ، فقد استوعب في كتبه جل ما قاله القدماء والمعاصرون له ، ان لم نقل كلهم ، وحشد فيها نقولا هائلة التقطها من مختلف الكتب التي عالجت موضوعه وعنت بمباحثه ، وتتبع في مصنفات السالفين كل ما تيسر له من أوجه الاتفاق والاختلاف ، كما قال الدكتور عدنان سلمان في رسالته " السيوطي النحوي "(٣)

وقد ذكر السيوطي نفسه أنه عول في كتابه " جمع الجوامع " على مائة مصنف ، حيث قال في مقدمة كتابه " همع الهوامع شرح جمع الجوامع " : " وبعد ، فان لنا تأليفا في العربية جمع أدناها وأقصاها ، وكتابا لم يغادر من مسائلها صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ، ومجموعا تشهد لفضله أرباب الفضائل ، وجموعا قصرت عنه جموع الاواخر والاوائل ، حشدت فيه ما يقر الاعين ويشنف المسامع ، وأوردته مناهل تكب فياض

---

(١) بروكلمان في دائرة المعارف الاسلامية : ٢٧/١٣ ، وراجع ص ٣١ وما بعدها من بحثنا .
(٢) راجع ص ٤٥ وما بعدها .
(٣) انظر ص ٣٧٤ .

عليها همع الهوامع ، وجمعته من نحو مائة مصنف ، فلا غرو أن لقبته جمع الجوامع" (١)

وذكر أنه عول في كتابه " بغية الوعاة " على أكثر من ثلاثمائة مجلد ، حيث قال في مقدمة الكتاب : " أما بعد ، فاني مذ نشأت وأنا أتشوق الى كتاب يجمع أخبار النحويين ، لمزيد اختصاصي في هذا الفن ... فوقفت على طبقات النحاة البصريين (٢) لابي سعيد السيرافي ، فاذا هي كراسان ، ثم على كتاب مراتب النحويين لابى الطيب عبد الواحد بن على الحلبى اللغوى ، فاذا هو أربع كراريس ... فلم أرتفى ذلك ما يشفي العليل ، ولا يسقي الغليل ، فجردت الهمة في سنة ثمان وستين وثمانمائة (٣) الى جمع كتاب في طبقات النحاة ، جامع مستوعب للمهمات ، وعمدت الى التواريخ الكبار التى هى أصول وامات ، وما جمع عليها من فروع وتتمات ، وطالعت ما ينيف على ثلاثمائة مجلد" (٤).

وسرد لنا — في مقدمة كتابه الاتقان — مصادر الكتاب التى عول عليها (٥) ، وقد بلغت من الكثرة أن عمد الى تقسيمها بحسب موضوعاتها ، فذكر تسعة عشر كتابا من الكتب النقلية ، وثلاثة عشرة كتابا من كتب القراءات وتعلقات الاداء ، وخمسة وعشرين كتابا من كتب اللغات والغريب والعربية والاعراب ، وستة عشر كتابا من كتب الاحكام وتعلقاتها ، وتسعة وثلاثين كتابا من الكتب المتعلقة بالاعجاز وفنون البلاغة ، وأربعة عشر كتابا من الكتب فيما سوى ذلك من الانواع ، وثلاثة كتب من كتب الرسم ، وسبعة كتب من الكتب العامة ، وثلاثة وعشرين كتابا من كتب المفسرين غير المحدثين ، وذكر أنه نظر

---

(١) همع الهوامع شرح جمع الجوامع : ١/٢ ، وانظر : ٢/٢٤٤ وفيه : " وقد تم جمع الجوامع نظما ، المودع من فنون العربية جمما جما ... وربما نقلنا عن أحد خلاف ما نسبه بعض المشاهير اليه ، فحسبه غلطا من لا اطلاع له ولا تحقيق لديه ، وما شعر أن ذلك بعد التطلع والفحص الشديد عليه ، فدونك مختصرا انطوى على زبدة مائة مصنف ، واحتوى على ما به العيون تقر والاسماع تشنف ، واتى من العجب العجاب بما لم يجمعه قبله مؤلف ، فحق أن يدون على كتب الانام سريا ، وبأنواع المحامد والمحاسن حريا " .

(٢) مطبوع باسم " أخبار النحويين البصريين " فى معهد المباحث الشرقية بالجزائر ١٩٣٦م .

(٣) وكان له من العمر — يومئذ — عشرون سنه .

(٤) بغية الوعاة : ١/٣ .

(٥) مجرد سردها جاء فى أربع صفحات من الكتاب ، انظر : الاتقان : ١/١٨—٢١ .

" من جوامع الحديث والمسانيد مالا يحصى "(١) ، فبلغ مجموع ماذكره فقط مائة وتسعة وخمسين كتابا .

وهذا دأبه في سائر كتبه .

ولعل من الأسباب التي جعلت مصادر السيوطي تدون على هذه الوفرة ، وجعلته — في الوقت نفسه — يفيد منها أكبر فائدة :

(١) اعتماده الكبير على النقل ، وعنايته ، في كتبه التي وضعها في أول أمره ، مثل : البغية (٢) ، واتمام الدراية لقراء النقاية الجوامع لأربعة عشر علما (٣) ، أو التي كان فيها ملخصا ومختصرا قبل أن ينتهي أمره الى الاستقلال في التأليف والتجويد فيه ، مثل : مشتهى العقول في منهي النقول ،(٤) ولباب النقول في أسباب النزول (٥) .

(٢) رغبته في وضع المصنفات الحافلة الكبيرة في كل فن ، والكتب الجامعة المانعة التي يكاد الطالب يجد فيها كل ما يحتاج اليه في الفنون التي تعالجها كتبه ، مثل :

---

(١) الاتقان : ١/١٨ .
(٢) عكف على تأليفه سنة ثمان وستين وثمانمائة ، وهو في العشرين من عمره ، وفرغ منه سنة إحدى وسبعين وثمانمائة ، وله من العمر أربع وعشرون سنة .
(٣) فرغ من تاليفه سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة ، وهو مطبوع في مصر سنة ١٩٣٥م)
(٤) مطبوع في مصر بتعليقات الشيخ محمد مصطفى أبي العلا — بدون تاريخ .
(٥) مطبوع في مصر عدة طبعات ، بهامش تفسير الجلالين ، ومستقلا ، وفيه " وبعد ، فهذا كتاب سميته : لباب النقول في أسباب النزول ، لخصته من جوامع الحديث والاصول ، وحررته من تفاسير أهل النقول ... "

الاتقان (١) ، والمزهر (٢) ، والاقتراح (٣) ، والاشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعيه (٤) ، بحيث شملت مصادره فيها جل ما ألف في علوم القرآن ، وعلوم العربية ، وأصول النحو ، والفروع ، من مبتدأ نشأة هذه العلوم الى زمان المصنف .

(٣) اشتغاله بالتأليف منذ الصغر (٥) وانصرافه الى أسبابه ووسائله انصرافا تاما ، فلم يتفق له أن تولى أى منصب حكومي ، أو وظيفة أخرى ، سوى التدريس (٦) والافتاء (٧) ، والاملاء (٨) ، ومشيخة الصوفيه (٩) ، فكان لهذا كله أثره الفعال في زيادة نشاطه التأليفي واتساع دائرة مصارفه واطلاعاته ، اذ أتاح له أن ينتفع بكل لحظة من لحظات عمره المبارك في القراءة والدرس .

---

(١) قال فى مقدمته : "ولقد كنت في زمان الطلب أتعجب من المتقدمين اذ لم يدونوا كتابا في أنواع علوم القرآن ، كما وضعوا ذلك بالنسبة الى علم الحديث ... ثم خطر لى بعد ذلك أن أؤلف كتابا مبسوطا ، ومجموعا مضبوطا ، أسلك فيه طريق الاحصاء وأمشى فيه على منهاج الاستقصاء ... وشددت الحزم في انشاء التصنيف الذى قصدته ، فوضعت هذا الكتاب" : ١/ ٤ ـ ١٤ .

(٢) قال فى مقدمته : "وقد كان كثيرا ممن تقدم يلم بأشياء من ذلك ، ويعتنى فى بيانها بتمهيد المسالك ، غير أن هذا المجموع لم يسبقنى اليه سابق" : ١/ ١ .

(٣) قال فى مقدمته : "... وهو أصول النحو الذى هو بالنسبة الى النحو كأصول الفقه بالنسبة الى الفقه ، وان وقع فى متفرقات كلام بعض المؤلفين ، وتشتت فى أثناء كلام المصنفين ، فجمعه وترتيبه صنع مخترع ، وتأصيله وتبويبه وضع مبتدع" : ١/ ٢ .

(٤) قال فى مقدمته : "هذا ، ولما جمعت من هذا النوع جموعا ، وتتبعت نظائر المسائل أصولا وفروعا ، حتى أوعيت من ذلك مجموعا جموعا ، وأبديت فيه تأليفا لطيفا" : ٤ .

(٥) وكان أول شىء ألفه "شرح الاستعاذة والبسملة" في مستهل سنة ستوستين وثمانمائة .

(٦) فقد اجاز له شيخه تقى الدين الشمنى فى مستهل سنة ٨٦٦هـ بتدريس العربية ، ثم قرر له شيخه علم الدين البلقيني سنة ٨٦٧هـ وظيفة التدريس بالشيخونية .

(٧) وتصدى للافتاء في مستهل سنة ٨٧١هـ ، ثم اجاز له شيخه سراج الدين البلقينى بالافتاء العام سنة ٨٧٦هـ .

(٨) وعقد املاء الحديث فى الجامع الطولونى فى مستهل سنة ٨٧٢هـ بعد أن كان املاء الحديث قد انقطع فى الديار المصرية بعد الحافظ ابن حجر .

(٩) ذكر السخاوي أنه تولى "مشيخة التصوف بتربة برقوق نائب الشام التى بباب القرافة بعناية بلديه أبى الطيب السيوطي" : الضوء اللامع : ٤/ ٦٧ .

(٤) انتفاعه بمكتبة المدرسة المحمودية (١) المنسوبة الى " محمود بن على الاستادار " الذى انشأها سنة ٧٩٧هـ ، ووقفها ، وشرط أن لا يخرج منها شيء ، لنفاسة ما بها من كتب في كل لون من ألوان المعرفة ، على نحو ما نفعل — اليوم — في مكتباتنا العامة . (٢)

ويبدو أن السيوطي كان يستعير منها اعارة خارجية بمنزله ، أسوة بشيخيه علم الدين البلقينى ، وشرف الدين المناوى ، قال فى رسالته التى وضعها فى جواز الاستعارة من الكتب الموقوفه وسماها " بذل المجهود فى خزانة محمود " (٣) : " وقف محمود الاستادار كتبا ، جعل مقرها بمدرسته ، وشرط أن لا تخرج من المدرسة .

" وقد رأيت شيخنا شيخ الاسلام علم الدين البلقينى وشيخنا شيخ الاسلام شرف الدين المناوى يستعيران منها ، ويخرجان منها الكتب الى منزلهما ، وتمكث عندهما الايام الكثيرة ، وهما الامامان ، يقتدى بهما ، فانهما كانا من الفقه بالمحل الاعلى بحيث بلغا رتبة الاجتهاد في المذاهب (٤) ، وكان المناوى صوفيا ، له أحوال وكرامات ، فلولا رأيا ذلك جائزا ما فعلاه ... ان مقصود الواقف تمام النفع وتمام الحفظ ، فاذا وجد من يحتاج اليه الانتفاع بها فى تصنيف ، وذلك لا يمكنه على الوجه الاتم في المدرسة ، ووثق تمام حفظه وصونه جاز الاخراج

---

(١) وكان مقرها بقصبة رضوان خارج باب زويلة بالقاهرة ، وتحوى كتب ابن جماعه التى جمعها في طول عمره ، وهى كثيرة جدا ، انظر الدرر الكامنة : ٥/٩٧ .

(٢) ففى مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة ، مثلا ، تجد العبارة التالية على ظهر كل محفوظاتها من الكتب والمخطوطات " مما وقفه العبد الفقير الى ربه الغنى أحمد عارف حكمة الله بن عصمة الله الحسينى فى مدينة الرسول الكريم — عليه وعلى آله الصلاة والتسليم — بشرط أن لا تخرج عن خزانته ، والمؤمن محمول على امانته " .

(٣) مخطوط منه نسخة بمكتبة الحتى بالمدينة المنورة — تحت رقم ٣٧ مجاميع .

(٤) فالاجتهاد على نوعين : مطلق ، وهو الذى يسلك فيه صاحبه طريقة امام من أئمة المذاهب في الاجتهاد ، دون أن يبتدع لنفسه قواعد وطرقا أخرى ، واجتهاد مستقل ، وهو الذى يحدث فيه صاحبه مذهبا زائدا ، بحيث يكون لفروعه أصول وقواعد مباينه لسائر قواعد المتقدمين ، وانظر : كتاب الرد على من أخلد الى الارض : ص ٣٩ فما بعد .

له ... ثم ان في مسألتنا أمرين لابد من التنبيه عليهما ، أحدهما : أنه ينبغي أن لا يستعار من هذه الخزانة الا ما لا يتيسر وجوده في غيرها ، والثاني : أنه لا يمدث عند المستعير الا بقدر ما يقضي حاجته منه في العادة "(١).

وسواء كان السيوطي يستعير من هذه المكتبة أو لا يستعير ، فقد كانت قريبة منه وأفاد منها ايما افادة في جمع الروايات والاخبار والنصوص والاحاديث التي تجمعها جامعة ما في صعيد واحد ، ليجعل منها مؤلفات عالية في فنونها ، تغني الطالب عن غيرها ، كما أفاد من مكتبة والده ، ومكتبات شيوخه .(٢)

(٥) اعتماده على ذاكرته ، لقد ظهرت — على السيوطي — منذ وقت مبكر مخايل الفطنة وموهبة الذكاء ، ورزق جلدا عجيبا وذاكرة واعية ، فحفظ القرآن وعمره دون ثمان ، واستظهر عددا من المتون ، منها : عمدة الاحكام ، ومنهاج النووي وألفية ابن مالك ، ومنهاج البيضاوي ، وعرضها — وهو دون البلوغ — على مشايخ عصره (٣) ، و " أخبر عن نفسه أنه يحفظ مئتي ألف حديث ، قال : ولو وجدت أكثر لحفظته "(٤) ، وانه سمى الحافظ ، مثل ابن حجر " بالطلب والاخذ بأقوال الرجال ، والمعرفة بالجرح والتعديل ، والمعرفة بطبقات الرواة ومراتبهم ، وتمييز الصحيح من السقيم ، حتى يكون ما يستحضره من ذلك أكثر مما لا يستحضره ، مع استحضار الكثير من المتون "(٥) .

---

(١) كتاب بذل المجهود في خزانة محمود : ق ٢/أ — ب .
(٢) مثل شيخه الكافيجي الذي لزمه أربع عشرة سنة ، وما جاءه من مرة الا سمع منه التحقيقات والعجائب مما لم يسمعه من قبل ، فكان له بمثابة المورد العلمي الذي لا يعرف النضوب فينهل منه فروع ثقافته ، وبخاصة في المعقولات التي أتقنها ، مثل الكلام وأصول اللغة والنحو والتصريف ، كما كان له بمثابة والده بعد أن توفي والده ، وانظر : البغية : ١١٧/١ — ١١٨ ، وحسن المحاضرة : ١٨٩/١ — ٣١٧ — ٣١٨ .
(٣) وانظر : حسن المحاضرة : ١٨٨/١ ، وتاريخ النور السافر : ٥٤ .
(٤) الذيل التام على دول الاسلام : ٢٢٨/١ .
(٥) ذيل طبقات الشعراني : ق ١٠/أ ، وانظر ما ذكره في الحافظ ووظائفه : المزهر : ٣١٢/٢ — ٣٣٠ .

كما أخبر أنه في العربية " يحيط بنصوص أئمة الفن من سيبويه الى زمانه ، هـذا ويحفظ غالب شعر العرب الذين يحتج باشعارهم في العربية " (١) ، بحيث أصبح عالما بالعربية وفنونها وحافظا متقنا يعرف غريب ألفاظها ومحيطا بقواعد النحاة التى بنوا تصرفاتهم عليها غير القواعد المذكورة في واضعات الكتب ، ويستنبط الاحكام ، ويجتهد كما اجتهد في الفقه والحديث ، قال (٢) : " ولو أردت أن أكتب في كل مسألة صنفا يحتوى على أدلتها وتفاصيلها وفروعها لفعلت ، كل ذلك بفضل الله تعالى لا بحولى ولا بقوتى " (٣) .

(٦) همته العالية ورغبته الجامحة في تلقي العلم من مصادره المختلفة ، ما وسعه التلقى ، فلم يكد يترك جانبا من جوانبه ، عظم أنه أوهان ، الا تسمق فيه وصنف ، ولعله لم يترك — فى المكتبات التى ارتادها — كتابا مشهورا أو غير مشهور — فى عصره — الا اطلع عليه ونقل منه فى كتبه .

ودفعته همته العالية في تلقي العلم للقيام برحلات علمية كثيرة ، ولم تقتصر رحلاته هذه على الديار المصرية ، مثل : الفيوم (٤) ، والمحلة (٥) ،

---

(١) ذيل طبقات الشعرانى : ق ٩/أ ، وهو القائل في آداب الفتوى : "وليعتن بحفظ أشعار العرب ، فان فيه حكما ومواعظ وآدابا ، وبه يستعان على تفسير القرآن والحديث " المزهر : ٢/٢٠٩ .

(٢) قال : " استنكر جماعة بلوغي مرتبة الاجتهاد المطلق في الحديث والفقه والعربية ، لظنهم انفرادى بذلك بعد الائمة المجتهدين ، وعاب عنهم أنها كانت مجتمعة في الشيخ تقى الدين السبكي ، وقبله جماعة اتصفوا بالاجتهاد المطلق ، لكن في الفقه فقط .

" وأما الجامعون بين هذه الثلاثة العلوم فقليل ، ولم تجتمع في أحد — بعد السبكى — غيرى " ذيل طبقات الشعرانى : ق ٦/أ — ب .

(٣) نفسه :.

(٤) ولاية غربية ، كان بينها وبين الفسطاط مسيرة أربعة أيام فى تلك الايام ، كما يقول ياقوت ، بينهما مفازة لا ماء بها ولا مرعى — مسيرة يومين — وهى فى منخفض الارض كالداره (انظر : معجم البلدان : ٤/٢٨٦—٢٨٨) .

(٥) وهى مدينة مشهورة بالديار المصرية ، وهى بين عدة مواضع منها : محلة دقلا ، وهى أكبرها وأشهرها وتقع بين القاهرة ودمياط ، ومحلة أبى الهيثم بالخوف من ديار مصر ، ومحلة صرقيون ، وهى المحلة الكبرى ، ومحلة منوف وهى مدينة بالغربية ذات سوق ، ومحلة نقيدة بالخوف الغربى من مصر ، ومحلة الحلفاء (نفسه : ٥/٦٣ — ٦٤) .

ودمياط (١) ، ورشيد (٢) ، والاسكندرية (٣) ، بل تجاوزها الى بلاد الاسلام الاخرى ، فسافر الى : الحجاز (٤) ، والشام (٥) ، واليمن (٦) والهند (٧) ، والمغرب (٨) ، وبلاد التكرور (٩) ، والتقى - فى كل منها - بأهل العلم ، واطلع على ثقافاتهم .

فاذا اضفنا الى هذه الرحلات العلمية مسألة متصلة بها ، وهى سعة شيوخه ، وكثرتهم ، وانتشارهم في شتى بقاع الرقعة الاسلامية ، أمكننا أن نتصور سعة مصادره ، وكثرتها ، وانتشارها في شتى البقاع ، بوصفها الروافد الغنية التى استقى منها ثقافته ، والمصادر الحية أو الشفوية التى عنى بها القدماء عناية واسعة (١٠) .

(٧) طريقة جمعة الموقتة ، فمن المقطوع به عندنا أن السيوطى قد اعتمد طريقة تشبه نظام البطاقات المعمول به فى البحوث العلمية اليوم ، وأنه كان عندما يقرأ كتابا ما في الموضوع الذى ينتوى التصنيف فيه ، يعمد الى اتخاذ البطاقات يدون عليها ما يراه نافعا في ذلك الكتاب مما يفيد موضوعه ، ثم اذا انتهى منه تركه وانصرف الى غيره ، وهكذا .

---

(١) مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زاوية بين البحر الابيض والنيل (انظر معجم البلدان : ٢ / ٤٧٢ - ٤٧٥) .
(٢) بليدة على ساحل البحر والنيل ، قرب الاسكندرية (نفسه : ٣/ ٤٥) .
(٣) مدينة على ساحل البحر ، غربى رشيد ، ازدهرت مركزا للثقافة العالمية فى العصر البطلمى ، وكانت تشتهر فيها مكتبتها الغنية (نفسه : ١/ ١٨٢ - ١٨٩) .
(٤) المراد : مكة المكرمة ، وذلك لتأدية فريضة الحج سنة ٨٦٩هـ ، وممن أخذ عنهم - آنئذ - الشيخ محى الدين عبد القادر بن أبى القاسم الانصارى المالقى النحوى (ت ٨٨٠هـ) ، وانظر البغية : ١/ ٥ - ٦ ، ٢/ ١٠٤ - ١٠٥ .
(٥) انظر ترجمته فى " الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة " لنجم الدين الغزى : ١/ ٢٢٨ .
(٦) نفسه .
(٧) نفسه .
(٨) نفسه .
(٩) بلاد تنسب الى قبيل من السودان ، في اقصى جنوب المغرب ، وأهلها أشبه الناس بالزنوج (انظر : معجم البلدان : ٢/ ٣٨) .
(١٠) انظر : " السيوطي النحوى " : ٥٦ .

وهل يستطيع الانسان أن يتصور كتابا — مثل : المزهر ، أو الهمع ، أو الاقتراح ، أو البغية ، أو الاتقان ، أو معترك الاقران ، أو الجامع الصغير ، أو شرح عقود الجمان — صنف دون استخدام البطاقات في جمع مادته ؟

ان أثر استخدام البطاقات واضح في كثير من كتب السيوطى المطولة دون جدال ، وهذا الجمع الموفق من المصادر الكثيرة ، وهذا الاستقصاء الدقيق والاحاطة التامة بمصادر الموضوع المطروق ، وهذا التسلسل المنطقى في تبويب النصوص المقتبسة دون اقحام بعضها في البحث أو تكرار بعضها الاخر ، وهذا الاطراد العام فى المنهج وأسلوب العرض ، كل أولئك ينهض دليلا على أن السيوطى كان يعتمد على طريقة الجذاذات ، لتسهل عليه عملية الجمع ، وتيسر له سبيل الافادة من كل الكتب التى تقع تحت يديه ، ومن ثم تساعده على تنظيم العمل .

قال فى مقدمة الاشباه والنظائر النحوية : " ولم أزل من زمن الطلب أعتنى بكتبها قديما وحديثا ، وأسعى في تحصيل مادثر منها سعيا حثيثا ، الى أن وقفت منها على الجم الغفير ، وأحطت بغالب الموجود مطالعة وتأملا ... واعتنيت بأخبار أهلها وتراجمهم ، واحياء ما دثر من معالمهم ، وما رووه أو رووه ، وماتفرد به الواحد منهم من المذاهب والاقوال ، ضمنه الناس أو قوووه ، وما وقع لهم مع نظرائهم وفي مجالس خلفائهم وأمرائهم ، من مناظرات ومحاورات ، ومجالسات ومذاكرات ، ومدارسات ، ومسايرات ، وفتاوى ومراسلات ، ومماياة ومطارحات ، وقواعد ومناظيم ، وضوابط وتقاسيم ، وفوائد وفرائد ، وغرائب وشوارد ، حتى اجتمع — عندى — من ذلك جمل ، ودونتها رزما ، لا أبالغ وأقول : وقر جمل " (١) .

---

(١) الاشباه والنظائر في النحو : ١/ ٢ — ٣ ، وفحصنا بعض مصنفاته — التى كتبها بخطه يده — فى خزانة شيخ الاسلام بالمدينة المنورة ، لعلنا نعثر فيها على شيء يقطع بقول في هذه المسألة ، فوجدنا بداخلها عددا من الاوراق المنفصلة قريبة الشبه بالبطاقات التى ننسخ فيها — اليوم — مقتبساتنا عن كتب الاخرين ، موضوعة فى اماكنها من الاستشهاد في الكتاب .

(٨) دقته في الرواية ، ورغبته في اظهار ما افاده من مصادر قديمة ، وفي لفت النظر الى مافيها من فوائد ، وخاصة في كتبه الكبيرة التي تستهدف جماعة العلماء ، كيف لا وهو القائل : " أظن أن كتب العربية التي وقفت عليها لم يقف عليها غالب أهل العصر ، ولا كثير ممن قبلهم . ومن طالع كتابي (جمع الجوامع)(١) على صغره ، و (تذكرتي)(٢) ، و (الطبقات الكبرى)(٣) ، تيقن ذلك ، ولم يكن عنده شبهة فيما ذكرت "(٤).

أما في كتبه ورسائله الصغيرة التي كان يذكر فيها أيضا المصادر التي رجع اليها ، ليفي بمتطلبات البحث العلمي من حيث الدقة والامانة ، فقل ان كان يظهر رغبته في تفوقه على معاصريه وعلى من سبقه من العلماء في الوقوف على مصادر لم يقفوا عليها ، لانه لم يكن يهدف الى رفع قيمة هذه الكتب والرسائل الصغيرة ، مثلما كان يهدف الى رفع قيمة كتبه الكبيرة .

وهذه النظرة من السيوطي الى منزلة الذين يؤلف لهم ، تظهر لنا جليا أنه كان يميز بين التأليف العلمي الرفيع والتأليف لعامة الناس ، فكلما كان الكتاب علميا رفيعا يستهدف جماعة العلماء كانت عنايته بذكر مصادره ومراجعه أدق واشمل مما لو كان كتابا لعامة الناس .

* * *

وفي ضوء ما تقدم — من الكلام عن دأب المصنفين على الاخذ من كتب السابقين على امتداد مسيرة التأليف في الثقافة العربية ، وعن اتساع التعويل عند السيوطي على

---

(١) مطبوع في مصر سنة ١٣٢٧هـ .
(٢) وتسمى " الفلك المشحون " ، وهي من كتبه الجامعة لفنون عديدة ، انظر : فهرس مؤلفاته : ق ٨/أ ، وفيه أن الكتاب يقع في خمسين مجلدا (نسخة الرباط) .
(٣) وهو "بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة " ، انظر: البغية: ١/٣٢ ، ٧٧ ، ٢٠٩ .
(٤) كتاب التحدث بنعمة الله : ص ١٣٨ ، ٢٣٨ .

جهود الآخرين بحيث استوعب جل ما فيها ، وأفاد منها أكبر فائدة ، ومن أسباب ذلك له — فان الذى يتتبع السيوطي فى كتبه اللغوية ، يجد نفسه ازاء النتيجتين التاليتين :

أولاهما : أنه ليس في اللغويين المتقدمين على السيوطي على الاقل — من عول على جهود الآخرين ، واستعان بها فى تصنيف كتبه ، فاتسعت مصادره (١) وتعددت مراجعه (٢) — مثلما فعل له ، فقد تتبع فى كتبه اللغوية مصنفات السالفين والمعاصرين من علماء اللغة ، والتقط منها ما يراه متصلا بموضوعه ، وتتبع فيها مصنفات السالفين والمعاصرين من غير اللغويين ، وانتقل ما جاء في متفرقاتها من شوارد أو نوادر لغوية وثيقة الصلة ببحثه .

هذا الى جانب أن منهجه ، في كتبه اللغوية ، كان يتسم بكثرة الاستشهاد بالنصوص والآراء والاخبار والمسائل المختلفة من مصادرها المتعددة ، بشكل يكاد يقف القارئ على خلاصات وافية لما قيل ومنف ، في المسائل التى يعالجها ، منذ نشأة اللغة الى عصره .

وهذه الظاهرة تتجلى — بوضوح — في مؤلفاته اللغوية والنحوية بخاصة ، لان السيوطي كان معنيا ، منذ وقت مبكر من حياته العلمية بهذين الفنين ، فتيسر له ما لم يتيسر لكثير من المصنفين فيهما من الاطلاع على المصادر المختلفة في اللغة والنحو مما دون على مر العصور ، ومن النقول الهائلة التى دأب على استخراجها — بهمة عالية — من هذا الجم الغفير من المصنفات .

---

(١) تسمية يطلقها بعض الباحثين على الكتب التى يعول عليها الباحث ، لانها شديدة الصلة ببحثه ، بحيث لا يكون له كيان بدونها .

(٢) أما المراجع ، فهى — عندهم — الكتب التى لا تفيد الباحث الا فوائد ثانوية كأنها شىء يرجع اليه أثناء بحثه ليستأنس به ، انظر ، مثلا ، البحث الادبى — طبيعته ، مناهجه ، أصوله ، مصادره — للدكتور شوقى ضيف : ص ٢٣٧ .

وفى هذا يقول : " ان الفنون العربية على اختلاف أنواعهـا هي أول فنونى ، ومبتدأ الاخبار التى كانت فى احاديثها سمرى وشجونى ، طا ل ما اسهرت في تتبع شواردها عيونى ، وأنفقت فيها بدنى اعمـال المجد ما بين قلبى وسمرى ويدى وظنونى " (١)

وهذا الجمع المستوعب الموفق من جل كتب اللغة والنحو ، والتلخيص الجيد لبعض ما كان يتلقاه من شيوخه ومعاصريه ، من مذكرات لغوية ونحوية ، واطلاعه الواسع المستفيض على جهود اللغويين والنحاة — كل أولئك من الاسباب التى حملت السيوطي على التباهي بكتبه اللغوية والنحويـة ، وخاصة الحافلة الكبيرة منها ، فقد أشار في مقدماتها الى أنه تفـرد في تأليفها ، ولم يسبق الى مثلها .

ثانيتهما : ان مصادر السيوطي اللغوية ليست جميعا سواء في مدى افادته هـو منها ، ولذلك كانت افادته من المصادر التى احال عليها متفاوته ، فجاءت احالته على بعضها بصورة مركزة وكثيفة ، وجاءت احالته على بعضهـا الاخر بصورة عابرة .

ومن هنا انقسمت مصادره الى قسمين بارزين : أولهما — المصـادر الاساسية ، ونعنى بها الكتب التى عول عليها السيوطي ، واعتمد عليهـا أكبر اعتماد ، بحيث لا تكاد تمر مسألة من مسائل اللغة التى يتطرق اليهـا فى ذاته الا يدبجها بشىء منها ، وبحيث اصبحت كتب السيوطي اللغويـة منبعا فياضا لهذه الكتب ، يكاد الباحث يستطيع الاعتماد عليها فـى دراستها ، ويتعرف على طبيعتها وكل سماتها وميزاتها من خـلال كتب السيوطي هذه .

ثانيهما — المراجع الثانوية ، ونعنى بها سائر الكتب الاخـرى مما رجع اليه السيوطى فى تصنيفه كتبه اللغوية ، ويدخل فيه جل ما ألـف في اللغة من مبتدأ نشأة هذا العلم الى زمان المصنف كما يدخل فيـه

---

(١) الاشباه والنظائر فى النحو : ١/١ — ٣ ، وانظر : البغية : ٥/١ .

ما ألف في غيرها من الكتب والرسائل ، والحواشى ، والتعاليق ، والخطوط التى لم تسطر فى كتاب ، وقع عليها السيوطي ، فاستعان بها ، ولم يغادر بها فائدة الا سجلها لديه فى كتاب .

الفصل الأول

مصادره الأساسيّة

وأهمّ مصادر السيوطيّ الأساسيّة في اللّغة أربعة : الغريب المصنّف ـ لأبي عبيد ، وديوان الأدب ـ للفارابيّ ، والخصائص ـ لابن جنّي ، وفقه اللّغة ـ لابن فارس ، وفيما يلي سنخصّ كلّ واحد منها بشيء من التفصيل (١) ، مع بيان طبيعته ، وطريقة السيوطيّ في الإفادة منه .

أوّلاً ـ الغريب المصنّف : لأبي عبيد القاسم بن سلاّم ؛ و " هو من أجلّ كتبه في اللّغة ، فإنّه احتذى فيه كتاب النّضر بن شميل المازنيّ الذي يسميه : كتاب الصّفات (٢) ، وبدأ فيه بخلق الإنسان ، ثم بخلق الفرس ، ثم بالإبل ، فذكر صنفاً بعد صنف ، حتى أتى على جميع ذلك . وهو أكبر من كتاب أبي عبيد ، وأجود " (٣) .

وقيل إنّه " اعتمد فيه على كتاب عمله رجل من بني هاشم جمعه لنفسه ، فأخذ كتب الأصمعي فبوّب ما فيها ، وأضاف إليه شيئاً من علم أبي زيد ، وروايات عن الكوفيّين ... وذكر أهل البصرة أنّ أكثر ما يحكيه عن علمائهم غير سماع ، إنّما هو من الكتب (٤) .

قال أبو عبيد : " جمعت كتاب الغريب المصنّف في ثلاثين سنة (٥) ،

---

(١) وقد رأينا أن نفيض بعض الشيء في بيان مكانة هذه المؤلّفات الأصيلة التي أفاد منها السيوطيّ ، حتى يتبيّن لنا حسن اختياره ، وأصالة تفكيره ، وإصابة رأيه في الاعتماد عليها بالنقل الكثير منها .

(٢) ذكره السيوطيّ في "البغية" : ٣١٧/٢ ، وصاحب " الفهرست " : ٥٢ ، و" معجم المؤلّفين " : ١٠١/١٣ ، وبروكلمان : ١٣٩/٢ .

(٣) تاريخ بغداد : ٤٠٤/١٢ ـ ٤٠٥ .

(٤) مراتب النّحويّين : ١٤٨ ـ ١٤٩ .

(٥) وقد وهم بروكلمان ـ في تاريخ الأدب العربيّ : ١٥٦/٢ ، وفي دائرة المعارف الإسلاميّة أيضاً : ٣٧٥/١ ـ حين قال بأنه " قضى في تصنيفه أربعين سنة " ؛ لأنّ الذي قضى في تصنيفه أربعين سنة " كتاب غريب الحديث ، وليس كتاب الغريب المصنّف ، جاء في تاريخ بغداد : ٤٠٦/١٢ "حمل غريب حديث أبي عبيد إلى عبد الله ابن طاهر ، فلمّا نظر فيه قال : هذا رجل عاقل دقيق النظر . فكتب إلى إسحق بن إبراهيم بأن يجري عليه في كلّ شهر خمسمائة درهم ....قال أبو عبيد : كنت في تصنيف هذا الكتاب أربعين سنة ، وربما كنت أستفيد الفائدة من أفواه الرجال ، فأضعها في موضعها من الكتاب ، فأبيت ساهراً ، فرحاً منّي بتلك الفائدة وأحدكم يجيئني فيقيم عندي أربعة أشهر ، أو خمسة أشهر فيقول : قد أقمت الكثير" .

وجئت به الي محمد بن عبد الله بن طاهر ، فأمر لي بألف دينار " (١) قال : " هـذا الكتاب أحب الى من عشرة آلاف دينار " (٢) .

وقد عرف القدماء قيمة كتاب " الغريب المصنف " ، وكانت له بينهم منزلة رفيعـة ، فأفاد منه الكثيرون ، واتخذوه مصدرا من مصادرهم ، كما أثنى عليه العلمـاء ، ووصفوه بأنه من أصح الكتب وأكثرها فائدة للناس (٣) ، وقالوا " ما للعرب كتاب أحسن من مصنف أبي عبيد " (٤) ، وأن صاحبه " ليس له كتاب مثل غريب المصنف " (٥) لانـه " حفظ من الغريب والنوادر ما لم يحفظه غيره " (٦) .

وأخذوا يقرؤونه على شيوخهم ، ويتناولونه بالشرح والدرس ، فممن قرأه منهـم : شمر بن حمدويه الهروى صاحب كتاب الجيم (٧) ، قرأه على ابن الاعرابى ، وقـرأه أبو بكر الايادى على شمر بن حمدويه (٨) ، وضبطه ضبطا حسنا ، وكتب عنه زيادات كثـيرة فى حواشي نسخته ، كما يخبر بذلك الازهرى (٩) ، وقرأه الازهرى على ابى بكـر الايادى ، قال الازهرى " وكان - رحمه الله - يمكنى من نسخته وزياداتها حـتى

---

(١) مراتب النحويين : ١٤٨ - ١٤٩ .
(٢) الفهرست : ١٠٧ ، وانظر : معجم الادباء : ١٦٦/٦ .
(٣) انظر : معجم الادباء : ١٦٣/٦ .
(٤) مقدمة الازهرى : ٢٠/١ .
(٥) تاريخ بغداد : ٤١٣/١٢ .
(٦) مقدمة الازهرى : ٢٠/١ - ٢١ .
(٧) ذكره ياقوت فى معجمه : ٢٦٢/٤ - ٢٦٣ وقال : " وصنف كتابا كبيرا رتبـه على المعجم ابتدأ فيه بحرف الجيم ، لم يسبق الى مثله ، أودعه تفسير القـرآن وغريب الحديث ، وكان ضنينا به ، فلم ينسخه أحد ، وأختزنه - بعد وفاته - بعض أقاربه ، فلم ينتفع به ، وقيل : اتصل أبو عمرو كنيه شمر بيعقوب بـن الليث الامير ، فخرج معه الى نواحى فارس وحمل معه كتاب الجيم ، فطغى المـاء من النهروان على معسكر يعقوب ففرق الكتاب فيما غرق من المتاع " .
(٨) تلميذ شمر بن حمدويه .
(٩) انظر : مقدمة الازهرى : ٢٠٠/١ .

اعارض نسختي بها ، ثم أقرؤها عليه وهو ينظر في كتابه .(١)

وكذا تداوله العلماء — منذ صدوره — واحتفلوا به ، يقرؤونه ويدرسونه ، انكبوا عليه ينقدونه ويتكلمون على فائتاته ومآخذه ، ولعل بعضهم قد استدرك عليه بمؤلف ، أو هذبه في مصنف ، أو حتى انبرى يختصره أو يؤلف الشروح عليه ، ولكن لم يصل الينا من هذا شيء حتى الان ، فيما هملم ، وانما حفظت لنا كتب التراجم أسماء أعلام تناولوا هذا الكتاب بالدرس والتقويم .

ومن ذلك ما ذكره أبو بكر الزبيدي ، قال : " قال علي بن عبد العزيز(٢) ، قال عبد الرحمن اللحنة(٣) — صاحب أبي عبيد — قال : قيل لابي عبيد ، وقد اجتاز على دار رجل من أهل الحديث ، كان يكتب عنه الناس ، وكان يزن بشر : إن صاحب هذه الدار يقول : اخطأ أبو عبيد في مائتي حرف من المصنف ، فقال أبو عبيد (ولم يقع في الرجل بشيء مما كان يعرف به) : في المصنف مائة ألف حرف ، فلم أخطىء في كل ألف حرف الا حرفين . وما هذا بكثير مما استدرك علينا ، ولعل صاحبنا هذا لو بدا لنا ، فنا ظرناه في هاتين المائتين ، بزعمه ، لوجدنا لها مخرجا .

" وحدث عن عباس الخياط ، قال : كنت مع أبي عبيد ، فاجتاز بدار اسحق الموصلي ، فقال : ما أكثر علمه بالحديث والفقه والشعر مع عنايته بالعلوم ، فقلت له : انه يذكرك بضد هذا ، قال : وما ذاك ؟ قلت : انه تزعم أنك صحفت في المصنف نيفا وعشرين حرفا . فقال : ماهذا بكثير ، في الكتاب عشرة آلاف حرف مسموعة يغلط فيها بهذا ليسير ، لعلي لو ناظرت فيها لاحتججت عنها ، ولم يذكر اسحق الا بخير .

" قال الزبيدي : ولما اختلفت هاتان الروايتان في العدد ، امتحنت ذلك في المصنف ، فوجدت فيه سبعة عشر ألف حرف وتسعمائة وسبعين حرفا "(٤) .

---

(١) انظر : مقدمة الازهري : ١/ ٢٠ ، وفيه " واختلفت أنا الى الايادي — في سماعه — سنتين وزيادة " .

(٢) هكذا ، غير منسوب في سائر ما رجعنا اليه من كتب التراجم ، وجاء في " معجم الادباء " : ٥/ ٢٤٧ — ٢٤٩ أنه عم أبي القاسم البغوي ، وأنه يكنى بأبي الحسن ويلقب بالمكي لانه نزيل مكة ، أو صاحب أبي عبيد لشدة ملازمته له .

(٣) انظر : تاريخ بغداد : ١٢ / ٤٠٣ .

(٤) معجم الادباء : ٦/ ١٦٤ — ١٦٥ .

والكتاب مايزال مخطوطا حتى الان (١) ، وتبلغ نسخه المحفوظه فى مكتبات العالم العشرات موزعه على أماكن كثيرة ، فى : المدينة المنورة ، وتونس ، والقاهرة ، وأيا صوفيا ، وامبروزيانا ، ولندبرج ، وداماد زاده ، والاوسكوريال ، وغيرها . (٢)

* * *

وترجع أهمية كتاب " الغريب المصنف " الى أمور عديدة ، لعل أهمها ما يأتى :

١ — أنه من كتب الغريب ، وقد رزقت كتب الغريب — منذ القديم — القبول والذيوع عند الناس ، فلا يكاد يظهر على أقلام الرواة والواد المعجميين كتاب فى الغريب ، فى تفسير غريب آى القرآن الكريم ، أو حديث الرسول — عليه الصلاة والسلام — أو كلام العرب ، حتى يشتغل العلماء به نقدا واختصارا وزيادة وتذييلا . (٣)

٢ — أنه من أوائل معاجم المعانى التى نحت الى الشمول والاستيعاب ، بعد أن كانت

---

(١) وقد اشار الدكتور رمضان عبد التواب فى كتابه " فصول فى فقه العربية " الى أنه حقق هذا الكتاب ، وأعده للنشر ، انظر : ص ٢٣٠ .

(٢) انظر : بروكلمان : ٢/١٥٦ — ١٥٧ ، وفهرست مخطوطات دار الكتب : ٢/١٥٣ ، وفهرس مخطوطات المكتبة الاحمدية بتونس (خزانة جامع الزيتونه) : ١٤٥ .
أما نسخة المدينة المنورة ، فهى من محفوظات المكتبة المحمودية ، تحت رقم ٩ لغة ، مضبوطة بالشكل ، خطها مغربي ، وعناوينها البارزة بخط جلى ، وبعض كلماتها بالحمرة ، وبعضها بالزرقة ، وتقع فى مائة وتسعين ورقة متوسطة الحجم ، مزودة بالفهارس للابواب ، ومسطرتها ٢٦٫٥سم × ١٨ سم ، وقد تم استنساخها — كما جاء فى آخر الكتاب — سنة ٦١٨ هـ .
وهذه النسخة صورتها بعثة معهد المخطوطات ضمن ما صورته من المكتبات العامة والخاصة بالمملكة في زيارتها الاخيرة من ١٠/٢/١٩٧٣م الى ٢٦/٥/٧٣م

(٣) كما حدث للغريب المصنف نفسه ، وغريب القرآن ، وغريب الحديث — لابى عبيد أيضا ، وكما حدث لكتاب الغريبين : غريبى القرآن والحديث — لابى عبيد الهروى ، وانظر : الذيل على طبقات الحنابلة : ١/٢٢٥ ، وكشف الظنون : ١٢٠٩ ، والبغية : ١/١٨٠ ، ٢/٢٠١ ، ومقدمة ابن الاثير لكتابه " النهاية في غريب الحديث والاثر " : ١/٨ — ٩ .

هذه المعاجم رسائل صغيرة يستقل كل منها بألفاظ معنى من المعانـــــى (١)، ان لم يكن أولها على الاطلاق ، فان أقدم كتاب وصل الينا فى هذا الباب — فيما نعلم — هو كتاب ابن السكيت " تهذيب الالفاظ" (٢) ، ولا نشك في أن صاحبه قد اقتبس من فوائد ابى عبيد في " الغريب المصنف" ، لانه أسبق منـــه فى هذا الميدان (٣) ، واضبط نقلا ، وأوثق نصا ، وفى بعض الابواب أوســـع مادة (٤) .

وليس بعجيب عندنا أن تطير شهرة " تهذيب الالفاظ" ، ويتخـــذه " علماء العربية دستورا يرجعون اليه ويعتمدون عليه " (٥) ولا يعرف " الغريـب المصنف " ، برغم أسبقيته وجمعه عددا كبيرا من الابواب والمعانى ، وانتشـــار نصوصه في ثنايا المعاجم العربية المتأخرة فان شهرة كثير من الكتب لا ترجع الى مـا تمثله من ريادة في ألوان فنونها ، بقدر ما ترجع الى حسن الطالع ، اذ قيض اللـه لها أن ترى النور على يد جماعة مخلصين وقفوا عليها ، فوفقوا على ضبطها وتوثيقها ، ومن ثم نشرها وتسهيل اقتنائها على جمهور القراء ، فى الوقت الذى الت فيه كتـب

---

(١) مثل : كتاب المطر ، وكتاب اللبأ واللبن — لابى عبيد ، وكتاب الابل ، وكتاب الخيـل ، وكتاب الشاء ، وكتاب أسماء الوحوش وصفاتها ، وكتاب خلق الانسان ، وكتاب النخـل والكرم ، وكتاب النبات ، وكتاب الشجر — لمعاصره الاصمعي ، وكتاب الرحل والمنزل المنسوب الى ابن قتيبه .

(٢) نشره الاب لويس شيخو اليسوعي بالمطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين في بيروت سـنة ١٨٩٥م ، مع كتاب " كنز الحفاظ فى كتاب التهذيب الالفاظ" لابى زكريا الخطيب التبريزي .

(٣) توفي أبو عبيد سنة (٢٢٣هـ) ، وتوفي ابن السكيت سنة (٢٤٤هـ) .

(٤) ينقسم كتاب أبى عبيد الى خمسة وعشرين كتابا ، يبدأ بكتاب خلق الانسان ، وينتهى بكتاب الاجناس ، ويحتوى كل كتاب — من هذه الخمسة وعشرين كتابا — على عـدة أبواب ، ويحتوى مجموع هذه الكتب على تسعمائة باب ، ويستغرق طول كثير من هذه الابواب سبع الى تسع صفحات من مخطوطة المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة .
وينقسم كتاب ابن السـكيت الى مائة وثمانية وأربعين بابا فقط ، يبدأ بـبـاب الغنى والخصب ، وينتهى بباب ما تكلمت به العرب من الكلام المهموز ، ويستغـرق طول كثير من أبوابه أربع صفحات أو خمسا من القطع المتوسط .

(٥) انظر : مقدمة المصحح : ص ٣ .

أخرى أكثر قيمة وأهمية من بعض هذه الكتب منطوية على نفسها ، عزيزة الوجود ، أو هي في حكم المفقود .

٣ - أنه لعلم من أعلام اللغة البارزين ورائد من الرواد المعجميين الذين أسهموا في نشأة المعجم المعنوي ، وحددوا معالم الطريق لمن بعدهم ، فهو لم يقتصر - في تأليف هذا الكتاب - على كتب السابقين ، ككتاب الصفات للنضر بن شميل الذي مر ذكره ، ولا على اللغويين الذين تتلمذ عليهم ، مثل الكسائي ، وأبي عمرو الشيباني ، والفراء ، وابي عبيدة ، والاصمعي ، وابي زيد الانصاري ، وابن الاعرابي ، فيكون عمله محصورا في تنظيم المادة الموجودة في كتب السابقين والمعاصرين من شيوخه تنظيما جديدا ، وانما اعتمد اساسا على البدو ، وفصحاء الاعراب في جمع مادة كتابه ، مثل : ابي الجراح العقيلي ، والعديس الكناني ، وابي الحسن الاعرابي العدوي ، وابي الوليد الكلابي ، وابي فقعس الاعرابي ، وابي علقمة الثقفي ، وابي ابيه الاعرابي .

والى جانب ذلك فقد أفاد من أبي عبيد كتابه كثيرا من الآراء اللغوية والملاحظات المهمة (١) ، وهي أكبر دليل على فقهه للغة العرب ، ووقوفه على أسرارها ، وعلى سعة اطلاعه ، ووفرة محصوله .

ومن ثم ، كان طبيعيا أن يفيد مصنفو المعاجم والمؤلفون في فقه العربية من " الغريب المصنف " ، في جمع المادة اللغوية ، واعتمادها تأثر - في غضونه - من آراء وملاحظات ، بل لقد بلغت الافادة ببعضهم الى اقتفاء أثره في طريقته ومادته وترتيبه ، كالهمذاني في " الالفاظ الكتابية " (٢) ، والثعالبي في " فقه اللغة وسر العربية " ، وابن سيده في " المخصص " ، فقد عملوا على حفظه عن ظهر قلب ، فتغلغل في ثنايا تفكيرهم .

---

(١) انظر : المزهر ، مثلا ، ١/١٠٩ ، ٢١٣ ، ٢٢٣ ، ٤٧٤ ، ٥٤٥ ، ٥٥٣ ، ٢/٤٧ ، ١٩٥ ، ٣٢٢ ، ٣٣٠ ، ٣٤٠ .

(٢) نشره الاب لويس شيخو اليسوعي في مطبعة الاباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٨٨٥ م وطبعه نعمان الالوسي في الاستانة سنة ١٣٠٢هـ منسوبا الى " عبد الرحمن الانباري " باسم " كتاب الالفاظ الاشباه والنظائر " .

قال أبو عمر الطلمنكي : " دخلت مُرْسِية (١) ، فتشبث بي أهلها ، ليسمعوا عني غريب المصنف ... فأتوني برجل أعمى يعرف بابن سيدة ، فقرأه علي من أوله الى آخره ، من حفظه ، فعجبت منه " (٢) .

* * *

ولو رجعنا الى " مزهر " السيوطي ، وهو ليس معجما لغويا كالالفاظ الكتابية وفقه اللغة والمخصص ، لرأينا كيف يتردد النقل فيه عن " الغريب المصنف " ، بحيث لا نحتاج معه الى كبير جهد لنبين مقدار عجه منه وتمويله الكبير عليه ، بوصفه مصدرا من مصادره الاساسية .

ان ما نقله السيوطي ، من هذا الكتاب ، في " مزهره " وحده ، قد بلغ سبعين نصا ، بين صغير يتراوح بين السطر والسطرين (٣) ، وكبير يتراوح بين الصفحة والصفحتين (٤) ، سوى نص واحد فقط ، جاء في سبع صفحات (٥) ، لانه لا تكاد تمر مسألة لغوية فيه الا نجد فيها للغريب المصنف ذكرا .

ولكن ، ماهي طبيعة هذه النصوص السبعين التي نقلها السيوطي من " الغريب المصنف " ، واستعان بها في تأليف " المزهر " ؟ ، وماهي الطريقة التي اتبعها في افادته منها ؟ .

---

(١) مدينة بالاندلس ، من أعمال تُدْمير ، وانظر : معجم البلدان : ٥/١٠٧ .
(٢) معجم الادباء : ٥/٨٥ .
(٣) انظر ، مثلا ، ١/١٠٩ ، ١٣٩ ، ٢١٣ ، ٢٢٣ ، ٢٧٥ ، ٣٠٧ ، ٤٢٨ ، ٥٢٢ ، ٥٣١ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٥ ، ٥٤٧ ، ٥٤٩ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٧ .
(٤) انظر ، مثلا ، ١/٢٣٦ ـ ٢٣٨ ، ٤١٩ ـ ٤٢٠ ، ٤٦١ ، ٢/٦١ ـ ٦٢ ، ١١٩ ، ١٩٩ ـ ٢٠٠ ، ٢١٨ ـ ٢١٩ ، ٢٤٦ ـ ٢٤٧ ، ٢٥٩ ـ ٢٦٠ ، ٣٦٠ ـ ٣٦١ ، ٣٤٠ ـ ٣٤١ .
(٥) انظر : ٢/٢٠٩ ـ ٢١٥ .

لما كان " الغريب المصنف " موسوعة لغوية ضمت بين دفاتها الفاظ اللغة ، مبوبة حسب موضوعاتها (١) ، كما سبقت الاشارة الى ذلك ، تميزت هذه النصوص ، في غالبها ، بالمعجمية المعنوية ، وهو ما يفسر لنا كيف أن السيوطي حين عزم على أن يضع كتاب " ديوان الحيوان " ، وهو معجم معنوي صميم ، هرع الى كتاب " الغريب المصنف " فيما هرع ، وانتزع منه كثيرا مما له علاقة بكتابه (٢) ، وضمه اليه ، وهو — كعادته — لم يخف ذلك ، بل صرح به في مقدمة كتابه . (٣)

وحين عزم على أن يضع " كتاب معترك الاقران " الذي عنى فيه بمشترك القرآن الكريم ، فجمع ألفاظه ، ورتبها على حسب حروف الهجاء ، وفسر معانيها في مواقعها المختلفة ، وأعقب كل لفظ بالفاظ تشاكله من الاسماء والظروف ، انبرى لكتاب " الغريب المصنف " ، يلتقط منه ما يفيد الكتاب (٤) .

أما طريقة افادته من هذه النصوص ، فيمكن حصرها في النقاط التالية :

(١) يحاول السيوطي — كعادته في كل تصانيفه — أن يستقصي — في كتبه اللغوية — جملة كبيرة من الامثلة على الباب الذي يعقده والموضوع الذي يعالجه ، ولعله — في هذا الاستقصاء — يرمي الى أن يأتي على كثير من الالفاظ المتداولة المأنوسة ، كما يأتي على كثير من الغريب والمهجور ، حتى تتضح فكرة الباب .

وهو في سبيل ذلك يكثر من التعويل على المعاجم اللفظية ، وبصورة خاصة على جمهرة ابن دريد ، وصحاح الجوهري ، وقاموس الفيروزآبادي ، حين يريد

---

(١) وان لم يقدم أبو عبيد لكتابه بمقدمة تبين أنه قصد الى ذلك قصدا ، أو تبين منهجه والمصادر المعجمية واللغوية التي استعان بها في كتابه ، شأنه في ذلك شأن غيره من المصنفين الاوائل في المعجم العربي .

(٢) مثل : كتاب الخيل ، وكتاب الطير والهوام ، وكتاب الابل ، وكتاب الغنم وكتاب الوحش وكتاب السباع ، وانظر : ق ٨/أ ، ١٢٤ / أ ، ١٢٥ / ب .

(٣) انظر : ديوان الحيوان : ق ٢/أ .

(٤) انظر ، مثلا ، ١/ ٩٩ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٣٢ ، ١٦٩ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٤٨٢ ، ٢/ ١٢٧ .

الاستشهاد لمعاني الالفاظ التي يذكرها ، أو لشرح بعض الغريب (١) ، ويكثر من الاستعانة بمعاجم المعاني ، وبشكل خاص بغريب ابي عبيد ، وديوان الفارابي ، حين يريد سرد بعض الالفاظ التي تحمل معنى واحدا ، ومادة لغوية واحدة .

هذا هو الكثير في نقول السيوطي عن " الغريب المصنف " ، ففي المزهر ، مثلا ، اثنان وخمسون نصا منه (٢) — من بين النصوص السبعين التي استخدمها في كتابه — تمثل ما نقله منه من ألفاظ المعاني التي دأب على ايرادها أمثلة ، آخر كل باب غالبا .

وفيما يلي بعض النماذج التي تبين لنا كيف أفاد السيوطي من هذه النصوص :

في باب مناسبة الالفاظ للمعاني (٣) ، نقل السيوطي من " الخصائص " طائفة من الامثلة على أن هناك مناسبة طبيعية بين اللفظ ومدلوله ، حملت الواضع على أن يضع لفظة ما على مسمى معين ، حتى اذا قال ابن جني مكتفيا بما أورد : " وهذا الباب واسع جدا لا يمكن استقصاؤه " (٤) راح السيوطي يتابع ، على عادته ، جمع المزيد من الامثلة المناسبة من المصادر المختلفة قائلا :

" قلت : ومن أمثلة ذلك ما في الجمهرة ... وفي الابدال (٥) لابن

---

(١) انظر ، مثلا ، في المزهر : ١/٢٨ ، ٣١ ، ٥٢ ، ١٠٣ ، ١١٠ ، ١٣٢ ، ١٩٦ ، ٢١٦ ، ٢١٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠٦ ، ٣١٠ ، ٣٧٠ ، ٣٧٤ .

(٢) المصها في المزهر : ١/٢٣٦ — ٢٣٨ ، ٢٨٢ ، ٣٠٧ ، ٣٨٩ — ٣٩٠ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢٨ ، ٤٣٥ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٤ ، ٤٦١ — ٤٦٢ ، ٤٧٤ ، ٤٧٩ — ٤٨٠ ، ٥١٣ ، ٥٢٢ ، ٥٣١ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٧ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٧ ، ٢/٦١ ، ١٠١ ، ١١٠ ، ١١٩ ، ١٢٦ — ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٢٩ — ١٣٠ ، ١٥٣ — ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٧٠ ، ١٧١ — ١٧٢ ، ١٩٤ — ١٩٥ ، ١٩٩ — ٢٠٠ ، ٢٠٩ — ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٨ ، ٢١٨ — ٢١٩ ، ٢٢٤ ، ٢٣٩ — ٢٤٠ ، ٢٤٦ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ — ٢٦١ ، ٢٧١ .

(٣) المسألة العاشرة من مسائل النوع الاول " معرفة الصحيح الثابت " : ١/٤٧ — ٥٥ .

(٤) المزهر : ١/٥١ ، وانظر : الخصائص : ٢/١٦٨ .

(٥) نشره الدكتور أوغست هفنر ضمن المجموعة اللغوية التي سماها " الكنز اللغوي " وطبعت بالمطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩٠٣م ، واسم الكتاب — كما ورد في المجموعة — كتاب القلب والابدال ، ويقع في خمس وستين صفحة من القطع المتوسط .

السكيت ... وفي الغريب المصنف عن أبي عمرو (١) : هذا صوغ هذا ، اذا كان على قدره ، وهذا سوغ هذا ، اذا ولد بعد ذاك على أثره ، ويقال : نقب على قومه ينقب نقابه من النقيب ، وهو العريف ، ونكب عليهم ينكب نكابه ، وهو المنكب ، وهو عون العريف ، وقال الكسائي : القضم للفرس ، والخضم للانسان . وقال غيره : القضم بأطراف الاسنان ، والخضم باقصى الاضراس ... " (٢) .

وفي باب ما وضع خاصا لمعنى خاص (٣) ، بحيث لا يجوز نقله الى غيره ، انتزع السيوطي فيما انتزع ، جملة من الامثلة على هذا الباب من " الغريب المصنف " على أنه من أوائل معاجم المعاني المعنية باستقصاء الالفاظ المفردة الواردة في مثل هذه الابواب ، مع تحديد مدلول كل لفظة ومواطن استعمالها في الخير أو ما يقابله ، والحسن أو غيره ، والليل أو النهار ، وفي غير ذلك ، وذكر الفرق بينها وبين ما يمكن اعتباره مرادفا لها .

قال : " قال أبو عبيد في الغريب المصنف : سمعت أبازيد (٤) يقول يسمى الطعام الذي يصنع عند العرس الوليمة ، والذي عند الاملاك : النقيعة ، والذي عند بناء دار : الوكيرة ، وعند الختان : الاعذار ، وعند الولادة : الخرس وكل طعام - بعد - صنع لدعوة ، فهو مأدبة ... " (٥) .

وفي باب ماجاء ، من صفات المؤنث من غيرها (٦) ، نثر السيوطي كل ما ذكره ابن دريد في " باب ما لا تدخله الهاء من المؤنث " (٧) من صفات النساء والظباء والشاة والنوق والخيل والاتان ، ما احتزأ بذكره في الجمهرة ، أو ظن أنه كل ما في اللغة .

ثم راح يبذل جهده في فائتات ابن دريد ، ويعنى ببقية الصفات واستقصائها

---

(١) الشيباني ، وهو أحد اللغويين الذين تتلمذ عليهم ، وتردد ذكره - في كتابه - كثيرا .
(٢) المزهر : ١/ ٥١ - ٥٢ .
(٣) الفصل الخامس من فصول النوع التاسع والعشرين " معرفة العام والخاص " : ١/ ٤٣٥ - ٤٤٩ .
(٤) الانصاري ، وهو أحد اللغويين الذين تتلمذ عليهم ، وتردد ذكره - في كتابه - كثيرا .
(٥) المزهر : ١/ ٤٣٨ فما بعد .
(٦) من أبواب النوع الاربعين " معرفة الاشباه والنظائر " : ٢/ ٢٠٦ - ٢١٧ .
(٧) انظر : الجمهرة " باب ما لا تدخله الهاء من المؤنث " : ٣/ ٤٤٣ - ٤٤٦ .

من معاجم المعاني التي لديه (١) ، ويقول : " هذا ما ذكره ابن دريد في الجمهرة . وبقيت ألفاظ كثيرة ، فمن صفاء النساء : قال في الغريب المصنف : امرأة مسلف : بلغت خمسا وأربعين ونحوها ، وخود : حسنة الخلق . ورداح : ثقيلة العجيزة . وأملود : ناعمة . ومطبول وعيطل : طويلة العنق . وضمضج : تم خلقها . وخريع : تتثنى من اللين ، وقيل الفاجرة . وذعور : تذعر . وفيلم : حسناء . وعيطموس : حسنة طويلة . وقتين : قليلة الطعم . ورشوف : طيبة الفم . وأنوف : طيبة ريح الانف ... " .

وبلغ طول هذا النص سبع صفحات (٢) ، حيث أتى فيه على جملة صفات المؤنث التي جاءت من غيرها في " الغريب المصنف " (٣) ، ولم يذكرها ابن دريد في جمهرته .

ثم انتقل - بعد ذلك - الى "ديوان الادب " ، ينقب فيه عن مزيد من هذه الصفات ، يستدرك بها على ابن دريد ، ويجعل كتابه ، في هذا الباب، أكمل وأشمل .

(٢) دأب السيوطي على التوسع في الاخذ من " الغريب المصنف " ، بحيث وجدناه - يتتبعه في المزهر ، ليلتقط من كتبه وأبوابه المختلفة مايراه نافعا ومنسجما مع خطة بحثه التي رام انتهاجها ، ومن ثم وجدنا عمله هذا مفيدا من حيث جمع الجزئيات التي اطلع عليها في " الغريب المصنف " ، في موضع واحد .

فهناك ثلاثة عشر نصا من " الغريب المصنف " في النوع السابع والثلاثين وحده (٤) ، وهناك أربعة وثلاثون نصا منه في النوع الاربعين

---

(١) انظر : ديوان الحيوان : ق٢/أ ففيه ينص السيوطي على افادته من معاجم المعاني ، ويقول انها من كتب اللغة الحاضرة عنده .
(٢) انظر : ٢/٢٠٩ - ٢١٥ .
(٣) انظر : الغريب المصنف : ق ٤ فما بعد .
(٤) انظر : النوع السابع والثلاثين " معرفة ما ورد بوجهين بحيث يؤمن فيه التصحيف " : ١/٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٧ ، ٥٤٩ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٦ .

وحده (١) ، تختلف طولا وقصرا ، وقد استغرق اطولها صفحتين (٢) ، وأقصرها نصف سطر (٣) .

وفى كلامه عن النوع السابع والثلاثين فى "معرفة ماورد بوجهين بحيث يؤمن فيه التصحيف" ، " كالذى ورد بالباء والتاء ، أو بالباء والثاء ، أو بالتاء والثاء ، أو بالباء والنون ، أو بالتاء والنون ، أو بالثاء والنون ، أو بالجيم والحاء ، أو بالجيم والخاء ، أو بالحاء والخاء ، أو بالدال والذال ، أو بالراء والزاى ، أو بالسين والشين ، أو بالصاد والضاد ، أو بالطاء والظاء ، أو بالعين والغين ، أو بالفاء والقاف ، أو بالكاف واللام ، أو بالراء والواو" (٤) نص — ممهدا — على أنه أعمل فكره فى استخراج أمثلة هذا النوع من كتب اللغة الحاضرة عنده حال تأليف الكتاب (٥) لانه " نوع مهم يجب الاعتناء به ، لان به يندفع ادعاء التصحيف على أئمة اجلاء " (٦) .

ثم أخذ فى ذكر ما ورد بالباء والتاء ، ثم ماورد بالتاء والثاء ، وهكذا ،

---

(١) انظر : النوع الاربعين " معرفة الاشباه والانظائر " : ٢/٤٧ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٧٦ ، ١٠١ ، ١١٠ ، ١١٩ ، ١٢٦ — ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٥٣ — ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧١ — ١٧٢ ، ١٨٣ ، ١٩٤ — ١٩٥ ، ١٩٩ — ٢٠٠ ، ٢٠٩ — ٢١٠ ، ٢١١ — ٢١٤ ، ٢١٨ — ٢١٩ ، ٢٢٤ ، ٢٣٩ — ٢٤٠ ، ٢٤٦ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ — ٢٦٠ ، ٢٦٠ — ٢٦١ ، ٢٧١ ، ٣١٦ .

(٢) انظر ، مثلا ، ١/٢٣٦ — ٢٣٨ ، ٣٨٩ — ٣٩١ ، ٤٤٠ — ٤٤١ ، ٢/١١٩ — ١٢٠ ، ١٢٩ — ١٣٠ ، ٢٠٩ — ٢١٠ ، ٢١٠ — ٢١٣ .

(٣) انظر ، مثلا ، ١/٢١٣ ، ٥٤٠ ، ٥٤٧ ، ٥٤٩ ، ٥٥١ ، ٢/٤٧ ، ٢٤٦ ، ٢٥٨ ، ٣٢٠ .

(٤) المزهر : ١/٥٣٧ .

(٥) انظر : المصدر السابق ، وفى ديوان الحيوان : ق ٢/أ أن من كتب اللغة الحاضرة عنده كتاب " الغريب المصنف " لابى عبيد .

(٦) المزهر : ١/٥٣٧ — ٥٣٨ .

حتى أتى على آخر الحروف التى وردت فى هذا الباب ، وهو نوع — فى جملته — عبارة عن حشود صغيرة من الامثلة ، عمد السيوطي الى التقاطها من كتب اللغة ومعاجم الالفاظ والمعانى ، ثم الى ترصيفها على نحو على يهدى الباحث الى موطن اللفظ الذى ينشده من أقصر سبيل .

واذا أنت أخذت ايه صفحة من صفحات هذا النوع العشرين ، وجدت أنها لا تكاد تخلو من نص للغريب المصنف ، ثم اذا عمدت الى جملة النصوص الثلاثة عشر التى نقلها السيوطي من " الغريب المصنف" فى هذا النوع ، ورحت تبحث عنها فى " الغريب المصنف" ألفيتها متناثرة هنا وهناك فى متفرقات أبواب الكتاب .

فالنص الاول ، وهو " البيت بالمكان البابا ، وألثثت به الثاثا : اذا — أقمت به ، فلم تبرحه "(١) ، يأتى فى : باب الاسماء المختلفة للشىء الواحد من كتاب " الغريب المصنف" (٢) .

والنص الثانى ، وهو " بهزته ونهزته : اذا دفعته وضربته . ونخع لى فلان بحقى ونخع ، والباء أكثر ، اذا أقر بالحق "(٣) ، يأتى فى : باب الحروف التى فيها لغتان بمعنى واحد من كتاب " الغريب المصنف"(٤) .

والنص الثالث ، وهو " قال الكسائى : ثمغة الجبل : أعلاه بالثاء . قال الفراء : الذي سمعته أنا : ثمغة الجبل — بالثون ... قال أبو عمرو (٥) : وتلبنت فى الامر تلبنا "(٦) ، يأتى فى : باب الجبال .(٧)

وعلى هذا النحو يتردد النقل من " الغريب المصنف" فى جل مسائل الكتاب ، ويبدأ من أول موضوع فيه ، ويستمر الى آخر مسألة من مسائله .

---

(١) المزهر : ١/٥٣٨ .
(٢) انظر : ق ١٢٠ /أ فما بعد .
(٣) المزهر : ١/٥٣٩ .
(٤) انظر : ق ١٥٨ /أ فما بعد .
(٥) الحيانى .
(٦) المزهر : ١/٥٤٠ .
(٧) نفسه : ١/٥٣٨ ، وانظر : الغريب المصنف : ق ١٢٠ /أ .

ومن الموافقات اللطيفة ، فى هذا النوع ، ان من أوائل العبارات التى نقلت فى طلب الكتاب ، كانت من " الغريب المصنف " ، وأن آخر عبارة نقلت فيه كانت كذلك من " الغريب المصنف " .

العبارة الاولى ، هى : " البيت بالمكان البابا ... "(١) .

والعبارة الاخيرة ، هى : " ومن لطايف ما يدخل فى هذا الباب (٢) مافى الغريب المصنف لابى عبيد ، قال : الاصمعى : أخبرنى عيسى بن عمر ، قال انشدنى ذو الرمة : وظاهر لها ، من يابس الشخت ، واستعن
عليها الصبا ، واجعل يديك لها سترا (٣)

ثم أنشد ، بعد ، من بائس الشخت . فقلت له : انك انشدتنى : من يابس الشخت ؟ فقال : اليبس من البؤس "(٤) .

(٣) اعتاد السيوطي ، فى تصانيفه المختلفة ، أن ينقل من كتب العلماء نقلا حرفيا ، ولا يعمد الى التصرف — بالحذف أو الاضافة أو التقديم والتأخير أو التلخيص — في عباراتهم ، الا لاسباب أوردناها فى مكانها من البحث .(٥)

أما المعاجم ، بنوعيها اللفظى والمعنوى ، فقد دأب السيوطي على أن يلتقط منها مايريده — فى أثناء معالجة موضوعاته — ويضمه الى كتابه ، دون أن يلتزم سبيل النقل الحرفي ، كما يفعل فى سائر النصوص المنقولة من الكتب الاخرى غير المعاجم .

فهو تارة يختصر العبارة ، كما فعل فى " سمعت أبازيد سعيد بن أوس الانصارى ، يقول : الناهل فى كلام العرب : العطشان ، والناهل : الذى قد شرب حتى روى ، والانثى ناهلة ، وقال الراجز : ينهل منه الاسل الناهل ، أى : يروى العطشان ، ينهل : يشرب منه ، الاسل : الشارب ، والناهل — هاهنا — الشارب ، وان شئت كان العطشان .

---

(١) المؤهر : ١/٥٣٨ .
(٢) فيما ورد بوجهين بحيث يؤمن فيه التصحيف .
(٣) وهو من قصيدة طويلة ، مطلعها :
لقد عشأت نفسى عشية (مشرف) ويوم لوى (حزوى) فقلت لها : صبرا
والمظاهرة : أن تجعل شيئا فوق شيء ، والشخت : الدقيق الضامر (انظر : القاموس المحيط : ١/١٥٧ ، وديوان ذى الرمة — بتحقيق مايع بيبلي — ١/٢٣٦—٢٥٧) .
(٤) المؤهر : ١/٥٥٦ ، وانظر : الغريب المصنف : ق١٥٨/أ .
(٥) راجع : الباب الثالث من بحثنا .

قال أبو زيد : والسدفة فى لغة بنى تميم : الظلمة ، والسدفة فى لغة قيس : الضوء ، وكذلك قال أبو محمد التبريزى ، وأنشد للعجاج : وافظع الليل اذا ماأسدفا ، أى : أظلم ، وبعضهم يجعل السدفة اختلاط الضوء والظلمة معا ، كوقت ما بين صلاة الفجر الى الاسفار "(١) .

جعلها : " سمعت أبا زيد يقول : الناهل فى كلام العرب : العطشان ، والناهل : شرب حتى روى ، والسدفة فى لغة تميم : الظلمة ، والسدفة فى لغة قيس : الضوء . وبعضهم يجعل السدفة اختلاط الضوء والظلمة معا ، كوقت ما بين صلاة الفجر الى الاسفار "(٢)

وتارة أخرى يعمد الى التلخيص ، على نحو ما فعل فى عبارة " وأسررت الشىء : أخفيته ، وأعلنته . يقال ، والله أعلم ، قال الله : وأسروا الندامة لما رأوا العذاب : أى أظهروها "(٣) ، فقد أصبحت " وأسررت الشىء : أخفيته ، وأعلنته ، وبه فسر قوله تعالى : وأسروا الندامة لمارأوا العذاب "(٤) .

وقد يلجأ ، أحيانا الى التصرف فى العبارة الواحدة ، بالتقديم والتأخير ، مثلما حدث فى النص التالى : " قال الاصمعى : الجون : الاسود ، والجون : الابيض ... وقال أبو عبيدة : التلاع : مجارى الماء من أعلى الوادى ، والتلاع : ما انهبط من الارض . الكسائى : أفدت المال : اعطيته غيرى ، وأفدته : استفدته ، أبو زيد مثله ... وأودعته مالا : اذا دفعته اليه ليكون وديعة عنده ، وأودعته اذا سألك أن تقبل وديعته فقبلتها .

" الاصمعى : المشيح : الجاد ، والمشيح : الحذر . الجلل : الشىء الصغير ، والجلل : العظيم . الصارخ : المستغيث ، والصارخ : المغيث ، ويقال : انه المصروخ ، وهو أجود ... أبو عبيدة : أخلفت الرجل فى موعده ، وأخلفته :

---

(١) الغريب المصنف : ق ١١٨ / ب (باب الاضداد) .
(٢) المزهر : نسخة المدينة ٥٦ لغة : ق ٧٩ / أ .
(٣) الغريب المصنف : ق ١١٩ / ب .
(٤) المزهر : نسخة المدينة ٥٦ لغة : ق ٧٩/ب .

وافقت منه خلفا ... الحى خلوف : غيب ، والخلوف : المتخلفون ... أبو عمرو (١) الماثل : القائم ، والماثل : اللاطىء بالارض .

"قال أبو زيد (٢) : الهاجد : المصلى بالليل ، والهاجد : النائم ... قال أبو عبيده : الصريم : الصبح ، والصريم : الليل ... وعنه : اعطيته عطاء بثرا ، يعنى : كثيرا ، والبثر أيضا : القليل ، وعنه : الظن يقين وشك ... وعنه : الرهوة : الارتفاع ، والرهوة : الانحدار "(٣) .

وتجد هذا فى المزهر قد انقلب ظهرا لبطن على النحو التالى : " قال أبو زيد ... الهاجد : المصلى بالليل ، والهاجد: النائم .

" وقال الاصمعى : الجون : الاسود ، والجود : الابيض . والمشيح : الجاد ، والمشيح : الحذر ، والجلل : الشىء الصغير ، والجلل : العظيم ، والصارخ : المستغيث والصارخ : المغيث . والاهماد : السرعة فى السير ، والاهماد : الاقامة .

" وقال أبو عبيدة : التلاع : مجارى الماء من أعالى الوادى ، والتلاع : ما انهبط من الارض . واخلفت الرجل فى موعده ، وأخلفته : وافقت منه خلفا ، والصريم : الصبح ، والصريم : الليل . وعطاء بثر : كثير ، والبثر : القليل أيضا . والظن : يقين وشك . والرهوة : الارتفاع ، والرهوة : الانحدار ...

" وقال الكسائى : أفدت المال : أعطيته غيرى ، وأفدته : استفدته . وأودعته مالا : اذا دفعته اليه ليكون وديعة عنده ، وأودعته : اذا سألك أن تقبل وديعته ، فقبلتها ...

" وقال غير واحد : الحى خلوف (٤) : غيب ، والخلوف : المتخلفون .

---

(١) الشيبانى .
(٢) الانصارى .
(٣) الغريب المصنف : ق ١١٨/ب - ق ١١٩/ب .
(٤) انظر : القاموس المحيط : ٣/ ١٤٠ ، وفيه " الخلف : نقيض قدام ، والقرن بعد القرن ، ومنه هؤلاء خلف سوء ، والردىء من القول ... ومن لا خير فيه ، والذين ذهبوا من الحى ومن حضر منهم ضد ، وهم خلوف "

" وقال أبو عمرو : المثاثل : القائم ، والمثاثل : اللاطىء بالارض "(١) .

تتضح ، من هذه النماذج القليلة التى أثبتناها ، الفكرة التى كانت توجه السيوطي فى استعانته بمعاجم الالفاظ والمعانى ، حال تأليفه المزهر ، فهو يحذف ويختصر ويلخص النصوص الطويلة ، بحيث يأخذ منها ما يحتاج اليه فى بحثه ، ويترك ماعداه .(٢)

وهو يتصرف بالاضافة والتزيد ، طلبا لمزيد من التوضيح ، وتمشيا مع منهجه القائم على الاستقصاء والاستيعاب ، يشعرك بهذا ، فى الانموذج الاخير ، قوله : " وقال غير واحد : الحي خلوف : غيب ".(٣)

كما يتصرف بالتقديم والتأخير فى النصوص ، فان أبا عبيد لم يلتزم فى تصنيف مواد " الغريب المصنف " ، وتنسيق الامثلة الواردة به - نظاما معينا ، بحيث اذا عثر الباحث على الموضوع الذى يهمه فيه ، لم يعثر على المادة أو المثال المراد الا بعد أن يقف على الباب كله ، وقد لا يجد المادة المطلوبة فى مكانها الذى يتوقع أن يجدها فيه .(٤)

ونظرة واحدة الى باب واحد من أبواب " الغريب المصنف " ، ترينا كيف حشد أبو عبيد نقوله ومسموعاته ، ونثر الامثلة والعبارات بطريقة الصاقية لا أثر فيها للترتيب ، ولذلك كنا نجده ، مثلا ، يكثر من الاشارة الى العلماء الذين ينقل عنهم ، بحيث تتردد اسماؤهم فى الصفحة الواحدة مرات .

ويبدو أن هذا الصنيع من أبى عبيد لم يرق فى عين السيوطي حين استعان بالكتاب ، يفيد منه فى استقصاء الالفاظ واستخراج الامثلة على المسألة والواحدة ، فجعل يعمل على رصف عبارات " الغريب المصنف " على نحو جديد ، يزيل ما جاء فيها من تكرار ، ويسد الخلل .

فضم أمثلة الاصمعى بعضها الى بعض ، وجعلها فى قرن واحد ، وجمع أمثلة أبى عبيدة ، ووضعها فى مكان واحد ، وقطف أمثلة الكسائي ، وقدمها للطالبين فى اضمامة واحدة ، ثم سردها جميعا الواحدة تلو الاخرى ، دون أن يخرم منها حرفا .

كل ذلك فى ورع علمى مخلص ومحبب .

---

(١) المزهر : نسخة المدينة ٥٦ لغة : ق ٧٩/ب .
(٢) وانظر : نفسه : ق ١٨٩/ب ، ووازن بالغريب المصنف : ق ١٦/أ باب فعال ، ثم ق ٧٩/ب ، ووازن بالغريب المصنف : ق ١٢٠/أ .
(٣) المزهر : نسخة المدينة : ٥٦ لغة : ق ١١٩/ب .
(٤) انظر : نفسه : ق ١٠٦/أ فما بعد ، ووازن بالغريب المصنف : ق ١٨٨/أ فما بعد .

ثانيا - ديوان الادب في بيان لغة العرب : لابى ابراهيم اسحاق بن ابراهيم الفارابى ، وهو خال ابى نصر اسماعيل بن حماد الجوهرى ، وهذا الكتاب ليس بكتاب فى الادب ، كما يوهم عنوانه ، وانما هو معجم لالفاظ اللغة العربية ، يختلف عن " الغريب المصنف " فى عنايته بالابنية المتنوعة من المادة الواحدة ، ودلالاتها وتصرفاتها والتغييرات التى تعتريها .

واذا كان النحاة واللغويون ، قبل الفارابى ، قد عنوا بهذا النوع من التأليف ، فألفوا الرسائل الصغيرة ، وأفردوا للابنية أبوابا خاصة فى كتبهم ، فان احدا منهم لم يتجرد لتأليف كتاب كبير فى هذه الابنية يبلغ مبلغ المعاجم ، كما فعل الفارابى حين " جمع للمرة الاولى بين كتب الافعال والمصادر والاسماء فى كتاب واحد " (١) يمكن أن نعده أول كتب الابنية الجامعة التى وصلت الينا .

ومع أنه كان من حق هذا الكتاب أن ينال نصيبه الذى يستحقه من الشهرة والذيوع والاحتفاء به فانه لم يصادف حظا باسما حتى الان ، برغم أنهم وصفوه بأنه " ميزان اللغة ومعيار العربية " (٢) ، وان أبا العلاء المعرى كان يحفظه عن ظهر قلب (٣) ، فلو أن الكتاب كان مشهورا ، متداولا بين الناس ، معروفا عندهم ، لما حار - فى الماضى - لغوى من اليمن اتفق أن عثر على الكتاب ناقصا ، فى الاستدلال على اسمه ، حتى اضطر الى الرحيل الى ابى العلاء ليلقه عليه (٤) ، ولما ظل - حتى وقتنا الحاضر - مخطوطا ، ونسخه - فى مكتبات العالم - أكثر من أن تحصى ، ومنه فى دار الكتب المصرية وحدها ست نسخ خطية (٥) ، وفى معهد المخطوطات العربية وحده ست نسخ أيضا (٦) ، وفى تركيا وحدها ثلاث عشرة نسخة (٧) .

(١) المعجم العربى : ١٩٧/١ . (٢) الاعلام : ٢٨٥/١ .

(٣) ذكر القفطى أن رجلا من اليمن وقع على كتاب فى اللغة سقط أوله ، واعجبه جمعه وترتيبه ، فكان يحمله معه اينما ذهب ، ويعرضه على من اجتمع به ويسأله عنه ، واتفق ان وجد من يعلم حال ابى العلاء ، فدل عليه فقرأ عليه شيئا منه ، فقال له : هذا ديوان الادب للفارابى ، ثم قرأ عليه من أول الكتاب الى أن وصل الى ماهو عند الرجل ، انظر : انباه الرواة : ٥٢/١ - ٥٣ .

(٤) انظر : نفسه .

(٥) انظر : فهرست المخطوطات التى اقتنتها الدار - تصنيف فؤاد سيد - القاهرة ١٩٦١م

(٦) انظر : فهرس المخطوطات المصورة فى معهد المخطوطات بجامعة الدول ٥٤-١٩٥٧م

(٧) ذكرها بروكلمان فى تاريخه : ٢٥٨/٢-٢٥٩ ، واشار الى اماكن وجودها .

وقد اطلعنا على نسخة خطيه كاملة من الكتاب في المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة ، جاء جزؤها الاول تحت رقم ٧ أدب ، وجاء جزؤها الثاني تحت رقم ٢٤ لغة !

فما الذي أدى الى خمول ذكره ؟

ان كل الظروف التي لازمت هذا الكتاب ساعدت على خمول ذكره ، فقد ألفه صاحبه في "فاراب" (١) أو "بخارى" (٢) أو "تبريز" (٣) أو "خوارزم" (٤) ، وفيها جلس لتدريسه وقراءته لتلاميذه . (٥)

ونحن لا نوافق الذين ذكروا أن "أبا ابراهيم اسحق الفارابي مصنف كتاب ديوان الادب كان ممن ترامى به الاغتراب وطوح به الزمان المنتاب الى أرض اليمن ، وسكن زبيد (٦) ، وبها صنف كتابه ديوان الادب" (٧) ، فقد شك ياقوت نفسه في هذه الرواية ، ونفاها القفطي .

قال ياقوت ، بعد أن ذكر أن الكتاب قد قرئ على مؤلفه بفاراب ، وأنه رأى نسخة منه في تبريز بخط الجوهري كتبها سنة ٣٨٣ هـ ، وأن أقدم نسخ الكتاب قد ظهر في بلاد ما وراء النهر : "فهذا مع وضوحه ، وكون هؤلاء المذكورين مشهورين معروفين ، ومعرفتي بالخطوط الموجودة على النسخة كمعرفتي بما لا أشك فيه ، يبطل ما كتب الينا القاضي القفطي (٨) من كون هذا الكتاب صنف بزبيد" (٩) .

---

(١) مدينة وراء نهر سيحون في شرق تركستان ، خرج منها جماعة من الفضلاء ذكرهم ياقوت في معجم البلدان : ٤/٢٢٥ .

(٢) من أعظم ما وراء النهر من المدن ، كانت عاصمة ملك السامانيين ، وصفها ياقوت في معجم البلدان : ١/٣٥٣ ـ ٣٥٦ .

(٣) اشهر مدن اذربيجان ، انظر : معجم البلدان : ٢/١٣ .

(٤) اقليم على شاطئ جيحون ، كان يقال له فيل ، ثم قيل له "المنصورة" ، انظر : المصدر نفسه : ٢/١٢٢ ـ ١٢٣ ، ٣٩٥ ـ ٣٩٨ .

(٥) كما يفهم من كلام ياقوت ، انظر : معجم الادباء : ٢/٢٢٦ فما بعد .

(٦) بفتح أوله وكسر ثانيه ، مدينة يمنية مشهورة ، انظر : معجم البلدان : ٣/١٣١ ـ ١٣٢ .

(٧) معجم الادباء : ٢/٢٢٧ ، وانظر البغية : ١/٤٣٧ ، وبروكلمان : ٢/٢٥٨ ، والصحاح ومدارس المعجمات العربية : ١٠٢ .

(٨) وهو والد القفطي صاحب "انباه الرواة" ، وكان قد تزهد أخر حياته ، وانتقل الى اليمن وأقام بها الى أن مات سنة ٦٢٤هـ ، وهو أول من قال باقامة الفارابي في اليمن ، انظر : معجم الادباء ٢/١٢٧ .

(٩) المصدر نفسه : ٢/٢٢٨ ـ ٢٢٩ .

وقال القفطى ، بعد ما نفى ما ذكره أبوه من دخول الفارابى اليمن ، وعد ذلك من خلط اليمنيين ، وذكر رواية اللغوى اليمنى الذى عثر على جزء من الكتاب ، فحمله الى المصرى ، فاكمله له " : " كانهم خلطوا ، وظنوا أن الذى دخل به من عند الى العلاء هو المصنف ، وليس كذلك . وانما هو المصحح (١) ، فلم يحققوا أمره ، لغفلتهم "(٢)

وهناك قصيدة للقاضى نشوان بن سعيد الحميرى (٣) فى مدح " ديوان الادب " ، ختمها بقوله : روض من الاداب أصبح ضائعا

فى معشر عجم تعد من العرب

لا عيب فيه ، غير أن لبابه

أضحى غريبا ، فى زمان مؤتشب (٤)

ولعل هذا وحده كاف لينهض سببا فى خمول ذكر الكتاب ، اذ لم يقدر من قبل الذين تداولوه حق قدره ، ولم ينل ، بعد ذلك الوقت ، حظه من الشيوع والشهرة ، لان الجوهرى - وهو ابن آخت الفارابى - كان قد طغى بكتابه " الصحاح " عليه وعلى اقرانه من المعاجم الاخرى النفيسة ، برغم أنه استقى معظم مادته منه ، حتى قال أحد الباحثين الذين عقدوا المقارنة بين المعجمين (٥) : " وكم كانت دهشتى أن أكتشف أن الجوهرى لم يكتف بان عب من ديوان الادب ، بل وجدت - قدر ما استطعت الاستقراء والمقابلة - أن الصحاح لا يحتوى على أى شىء لا يوجد فى ديوان الادب "(٦) ، وبرغم

---

(١) أى : السائل ، اللغوى اليمنى .

(٢) انباه الرواة : ١/٥٢ - ٥٣ .

(٣) هو أحد اللغويين الذين تأثروا خطا الفارابى فى ديوانه ، حيث وضع كتابه (شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم) على مثاله ، بيد أنه رمى فيه الى جمع علوم العرب وتخليص لغتها من التصحيف ، فجاء كتابه دائرة معارف عامة ، انظر : مقدمة كتاب شمس العلوم : ٣ - ٢٩ (ط . ليدن ١٩١٦) .

(٤) انظر : انباه الرواة : ١/٥٣ ، ومؤتشب : أى غير صريح فى نسبه ، من : أشبه يأشبه : خلطه ، وأشب الشجر : التف ، انظر القاموس المحيط : ١/٣٨ .

(٥) وهو " كرنكو " فى مقال له بعنوان " بواكير المعاجم العربية حتى عصر الجوهرى ، مع الاهتمام بمعجم ابن دريد " نشر فى الملحق المئوى لمجلة الجمعية الاسيوية الملكية ١٩٢٤م .

(٦) المرجع نفسه .

أنه سار على نظامه في التقسيم ، والترتيب على حروف المعجم ، باعتبار آخر حرف في الكلمة بدلا من الاول (١) .

* * *

بنى الفارابى " ديوان الادب" على ستة كتب ، وهى على الترتيب :

١ ـ كتاب السالم .
٢ ـ كتاب المضاعف .
٣ ـ كتاب المثال .
٤ ـ كتاب ذوات الثلاثة (وهو ما كان فى وسطه حرف من حروف العلة) .
٥ ـ كتاب ذوات الاربعة (وهو ما كان آخره حرف علة) .
٦ ـ كتاب الهمزة .

وبنى كل كتاب من هذه الكتب الستة على قسمين : الاول منهما خاص بالاسماء ، والثانى خاص بالافعال ، وبنى كل قسم من هذين القسمين على أبواب ، بحسب الابنية ، وبنى كل باب من هذه الابواب على فصول ، بحسب حروف المعجم على الالفباء .

وقدم لمعجمه بمقدمة تناولت الكلام على أعمال اللغويين السابقين ، وتفوقه عليهم بعمل هذا الديوان ، وعلى الاحكام التصريفية التى تتعلق بنظام الكتاب ، وأخيرا على شرح منهج الديوان ، وهذه المقدمة هى كل ما طبع من الكتاب حتى الان . (٢)

---

(١) وللباحثين المعاصرين كلام طويل فى : من منهما الذى ابتدع هذا النظام فى التأليف المعجمى : الفارابى أم الجوهرى ، وكنا نقول بابتداع الفارابى اياه ، حتى وقفنا على مقال نفيس للباحث الاستاذ حمد الباسر ، انتهى فيه ـ بأدلة حاسمة ـ الى القول بأن الجوهرى ليس مبتكر هذه الطريقة فى المعجم العربى ، فقد سبقه اليها " عالم مغمور ، عاش قبل الجوهرى بما يقرب من مئة عام . هذا العالم هو : أبو بشر اليمان ابن ابى اليمان البندنيجى " ، فانتفى ـ عندنا ـ ابتداع أى من الاثنين ، انظر : مجلة العرب ج ٧ ص ٥٧٧ ـ ٥٨٨ (السنة الاولى ـ محرم ١٣٨٧ هـ) .

(٢) نشرها الدكتور أحمد مختار عمر فى مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد السابع ـ الجزء الثانى ـ جمادى الاولى ١٣٨١ هـ ، مستلة من أصل رسالته للماجستير فى (الفارابى اللغوى ، وتحقيق مقدمة معجمه ديوان الادب) ، جاءت هذه المقدمة فى ثلاث وعشرين صفحة من القطع المتوسط ، من ١٢٩ ـ ١٥١ .

والذين أفادوا من كتاب " ديوان الادب " من القدماء ، على قلتهم ، أو اقتفوا أثره في مؤلفاتهم لم يكونوا أسعد حظا من " الفارابي " ، اذ لم يصل الينا ، من مختصراته أو التآليف الشارحة عليه ، شيء البتة ، وانما حفظت لنا كتب التراجم اسماء أعلام قاموا بهذا العمل . (١)

أما الذين أفادوا منه في جميع المادة اللغوية فاهمهم ، في تقديرنا ، اثنان ، هما : الجوهري (٢) وصاحبنا جلال الدين السيوطي ، فاننا نظن أن أحدا من المتقدمين أو المتأخرين جميعا لم يفد من هذا الكتاب ، ويستوعب أهم ما جاء فيه مثلما فعل هذان العالمان الجليلان .

وقد خرجنا - بعد تتبعنا لجملة النصوص التي نقلها السيوطي في مزهره من هذا الكتاب ، وعدتها ستون نصا ، والنصوص التي نقلها في ديوان الحيوان ، وعدتها ستة وثلاثون نصا (٣) - بأن كتب السيوطي اللغوية يمكن أن تكون منبعا فياضا لتراث ابي ابراهيم الفارابي ، يستطيع الباحث أن يعتمد عليها في دراسته ، ويتعرف على آرائه وطبيعة تفكيره من خلالها ، في حال فقدان كتبه ، أو تعذر الحصول عليها .

ففي كل مسألة من مسائل " المزهر " ، وكل قضية من قضاياه ، وفي كل مادة من مواد " ديوان الحيوان " ، وكل باب من أبوابه ، يكاد يطالعك للفارابي رأي ، أو يصادفك لكتابه ذكر ، حتى لقد اكتظت صفحات هذين الكتابين باسمه واسم كتابه ، بشكل ربما عده المتأخرون عيبا ، فقد تمر ، في الصفحة الواحدة ، مسألتان أو مادتان ، وللفارابي فيهما

---

(١) انظر : البغية : ١/ ٥٢٦ ، ٧٠ ، ٢/ ٣١٢ ، ٢٨٠ .

(٢) وقد عقد الدكتور أحمد مختار عمر في كتابه (البحث اللغوي عند العرب : ١٦٧ - ١٨٠) موازنة اريفه بين الكتابين : ديوان الادب والصحاح ، شملت أعلام العلماء واسماء المراجع ، والابحاث النحوية ، والشواهد ، والمآخذ اللغوية ، فانتهى الى عدد من النتائج المؤكدة لافادة الصحاح من ديوان الادب ، وتأثره به في الشكل والمضمون الى حد التشابه حينا ، والتماثل احيانا .

(٣) ذكره السيوطي في خطبة كتابه " ديوان الحيوان " أنه التقط ما سلقه في هذا الكتاب من الحيوان من كتب اللغة الحاضرة عنده كديوان الادب والغريب المصنف والجمهرة والصحاح والمجمل والقاموس ومختصر العين وكتاب الطير .

رأى وذكر . (١)

ولان كتاب " ديوان الادب " كان معنيا بمعالجة قضايا صرفية واشتقاقية أكثر من عنايته بأية قضيا لغوية أخرى ، فجاء مفرطا في القواعد الصرفية والاشتقاقية ، كما نلمس من خلال مقدمة الكتاب (٢) ، وفي صدر بعض أبواب الاسماء ، وختام أبواب الافعال ، وفي تضاعيف الديوان ، فقد جاءت أكثر نقول السيوطي من الكتاب في المسائل الاشتقاقية والاحكام التصريفية . (٣)

ولان الفارابي لم يأخذ مادة كتابه اللغوية من معاجم السابقين ، ليكون عمله محصورا في تنظيم المادة التي جمعها منها على نحو جديد وحسب ، وانما اعتمد اساسا على كتب المجاميع اللغوية ، مثل الغريب المصنف لابي عبيد ، والكتيبات والرسائل اللغوية الصغيرة مثل : كتاب الخيل (٤) لابي عبيده ، فقد وجدنا في " ديوان الادب " مواد لغوية لم نجدها في كثير من المعاجم الاخرى ، من مثل : العين أو الجمهرة ، كما يتضح ذلك من المواد التي نقلها السيوطي من الكتاب .

---

(١) انظر : المزهر : ١/٤٧٣ ، ٥٦١ ، ٢/١٢٩ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ مثلا ، وديوان الادب : ق٢/أ ٧٠ ، ٧/أ ١١٦ ، ٢٩٦ /أ ٦٢٠/ب ٨١٦ /أ .

(٢) وقد قال الفارابي في المقدمة نفسها : " عملت فيه عمل من طب لمن حب ، مشتملا على تأليف لم أسبق اليه ، وسابقا بتصنيف لم أزاحم عليه . وأودعته ما استعمل من هذه اللغة ، وذكره النحاريرمن علماء أهل الادب في كتبهم ، مما وافق الامثلة التي مثلت ، والابنية التي أوردت ، مما جرى في قرآن ، أو أتى في سنة ، أو حديث ، أو شعر ، أو رجز ، أو حكمة ، أو سجع ، أو مثل ، أو نادرة ... " : ١٣١ ـ ١٣٤ .

(٣) انظر ، مثلا ، ٢/٥٥ ، ٦٥ ، ٧٠ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٨ ، ١١٠ ـ ١١١ ، ١٢٠ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ـ ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ـ ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ـ ١٥٨ ، ١٨٢ ، ٢٠١ ، ٢٠٥ ، ٢١٨ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ـ ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٦ ـ ٢٤٧ ، ٢٥٠ ـ ٢٥١ ، ٢٦١ ، ٢٧٠ .

(٤) نشره سالم الكرنكوي سنة ١٣٥٨ هـ في مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن بالهند .

جاء مثلا ، في "المزهر" ، في معرض الكلام على الالفاظ المفردة التي جاءت على (فعلة - بكسر الفاء وفتح العين) : " قال في الصحاح : وهو بناء نادر ، لان - الاغلب على هذا البناء الجمع ، الا أنه قد جاء للواحد ، وهو قليل ، نحو : العنبة ، والتولة ، والطيبة ، والطيرة ، ولا أعرف غيره "(١)

فعقب عليه السيوطي بقوله : " قلت : زاد خاله الفارابي في ديوان الادب : الطيرة ، والحدأة ، والنولة - بالنون - ضرب من الشجر ، وأظن هذه الاخيرة تصحيفا ، فان ابن قتيبة قال في أدب الكاتب : التولة ضرب من السحر "(٢)

ومثل هذا - في المزهر - كثير .(٣)

وهذا ما يفسر لنا تميز النصوص التي نقلها السيوطي في جملتها من " ديوان الادب " بالقصر الشديد ، مع عدم التصرف فيها ، كقوله في (فعلت الشيء ففعل) : " قال ابن دريد : لم يجيء فعلت الشيء ففعل الا سبعة أحرف : غضت الماء فغاض ، وسرت الدابة فسارت ، ووقفته فوقف ، وكسبته فكسب ، وجبرت العظم فجبر ، وعرت عينه فعارت ، وخسأت الكلب فخسأ (٤) . انتهى "(٥)

فعقب عليه السيوطي بقوله : " قلت : حكى في ديوان الادب : كففته عن الشيء فكف "(٦) .

---

(١) المزهر : ٢/٢٤٣ .
(٢) نفسه .
(٣) انظر : ١/٥٤ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٣٠ ، ٢٧٠ - ٢٧١ ، ٢٨٣ - ٢٨٤ ، ٣٠٤ ، ٣٤٠ - ٣٤١ ، ٣٤٢ - ٣٤٣ ، ٣٩٢ - ٣٩٣ ، ٤٢٣ - ٤٢٤ ، ٤٧١ ، ٤٧٣ ، ٤٨٠ ، ٤٨٦ ، ٥٠٩ ، ٥٣٨ ، ٥٤٠ ، ٥٤٢ ، ٥٤٥ ، ٥٥١ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ١١٠ - ١١١ .
(٤) زجرته فازدجر ، وانظر : القاموس : ١/١٤ .
(٥) المزهر : ٢/٧٥ .
(٦) نفسه : ٢/٧٦ ، وانظر : ٢/١٠٨ ، ١٢٤ - ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٤٢ ، ١٤٥ - ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩ - ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٥ ، ١٥٧ - ١٥٨ ، ٢٠١ ، ٢٠٥ ، ٢٣٨ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٢٦١ .

هناك نص واحد ، فقط ، من بين هذه النصوص الستين التي نقلها السيوطي من الكتاب ، شذ فجاء في نحو صفحة وربع الصفحة من الطبعة المحققة (١) ، وهي كل ما أورد في " ذكر ما جاء على لفظ المنسوب " .

* * *

على أن السيوطي لم يكن في كل ماتقدم مجرد ناقل من " ديوان الادب " ، على نحو ما فعل غيره من المعجميين ، فهو ينقل للاستشهاد والتمثل به ، أو ينقل للاستدراك به على غيره ، أو ينقل منه لانه يعرض لمسألة ما من مسائل اللغة ، ويريد أن يورد الاراء التي قيلت فيها كافة ، والامثلة على ذلك كثيرة ، نذكر منها هذه النماذج :

١ — قال عند كلامه على خصائص اللغة في النوع الثاني والعشرين (٢) : " قال الفارابي في ديوان الادب : هذا اللسان هو كلام جيران الله في دار الخلد (٣) ، وهو المنزه من بين الالسنة من كل نقيصة ، والمعلى على (٤) كل خسيسة ، والمهزب مما يهجن (٥) ، أو يستشنع ، فبنى مباني بان (٦) بها جميع اللغات ، من اعراب أو حده الله له ، وتأليف بين حركة وسكون خلاه به ، فلم يجمع فيه بين ساكنين ، أو متحركين متضادين ، ولم يلاق بين حرفين لا يأتلفان ، ولا يعذب النطق بهما ، أو يشنع ذلك منهما في جرس النغمة ، وحس السمع ، كالعين (٨) مع الحاء ، والقاف مع الكاف ،

---

(١) انظر : المزهر : ٢ / ٢٥٠ — ٢٥١ .
(٢) نفسه : ١ / ٣٢١ — ٣٤٥ .
(٣) كما في نسخة عارف حكمت بالمدينة المنورة ٥٦ لغة : ق ٦٧/أ ، وكما في " ديوان الادب " نسخة المكتبة المحمودية : ق ٢/أ ، وجاء في الطبعة المحققة : " هذا اللسان كلام أهل الجنة " .
(٤) كما في النسختين ، وفي الطبعة المحققة : " والمعلى من كل خسيسة " .
(٥) كما في النسختين ، وفي الطبعة المحققة : " يستهجن " .
(٦) كما في النسختين ، وفي الطبعة المحققة : " فبنى مباني باين بها جميع اللغات " .
(٧) كما في النسختين ، وفي الطبعة المحققة : " من اعراب أوجده الله له " .
(٨) كما في النسختين ، وفي الطبعة المحققة : " كالغين مع الحاء " .

والحرف المطابق مع غير المطابق ، مثل : تاء الافتعال مع الصاد والضاد في أخوات لهما ، والواو الساكنة مع الكسرة قبلها ، والياء الساكنة مع الضمة قبلها ، في خلال كثيرة من هذا الشكل لا تحصى "(١).

٢ - وقال عند كلامه على الاشباه والنظائر في النوع الاربعين : " ذكر فعّيل وفعّيلي . قال ابن دريد في الجمهرة : جاء من الاول : رجل سكير : دائم السكر ، وخمير : مدمن على الخمر ، وفسيق : فاسق ، وخبيث : من الخبث ، وحديث : حسن الحديث ، وعبيث : من العبث ، وسكيت : كثير السكوت ... "(٢).

ثم عقب عليه بقوله : " وزاد الفارابي في ديوان الادب : شريب : المولع بالشراب ، وخريت : الدليل ، وصميت : دائم الصمت ، وجريث : ضرب من السمك ، وقريث - مثله ، وخريج : أديب ، ومريح : شديد المرح ، وبطيخ وطابيخ لغة فيه ، وهي لغة أهل الحجاز ، ومريخ : سهم طويل ونجم أيضا ..."(٣).

٣ - وقال عند كلامه على الامثال في النوع الخامس والثلاثين : " قال أبو عبيد : الامثال حكمة العرب في الجاهلية والاسلام ، وبها كانت تعارض كلامها ، وتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق بكناية غير تصريح ، فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال : ايجاز اللفظ ، واصابة المعنى ، وحسن التشبيه ، وقد ضربها النبي - صلى الله عليه وسلم - وتمثل بها هو ومن بعده من السلف .

"وقال الفارابي في ديوان الادب : المثل ما تراضاه (٤) الخاصة والعامة (٥) في لفظه ومعناه ، حتى ابتذلوه فيما بينهم ، وفاهوا به في السراء والضراء ، واستدروا به

---

(١) المزهر : نسخة عارف حكمت ٥٦ لغة : ق٦٧/أ ، ووازن بديوان الادب : نسخة المكتبة المحمودية (الجزء الاول : ٧ أدب) : ق٢/أ ، وبالطبعة المحققة من المزهر : ١/٣٤٢ - ٣٤٣ .

(٢) نفسه : ق ١٨٧/أ .

(٣) نفسه .

(٤) كما في نسخة عارف حكمت : ق ١٠٠/أ ، وكما في نسخة " ديوان الادب " بالمكتبة المحمودية : ق٣/أ ، وجاء في الطبعة المحققة : " المثل ما ترضاه العامة " .

(٥) كذا في النسختين ، وفي الطبعة المحققة : " العامة والخاصة " .

المتمنع (١) من الدر ، وتوصلوا به (٢) الى المطالب القصية ، وتفرجوا به من الكرب المكربة (٣) ، وهو من أبلغ الحكمة ، لان الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصر فى الجودة ، أو غير مبالغ فى بلوغ المدى فى النفاسة "(٤) .

---

(١) كذا فى النسختين ، وفى الطبعة المحققة : " الممتنع " .
(٢) كذا فى النسختين ، وفى الطبعة المحققة : " ووصلوا به " .
(٣) كذا فى النسختين ، وفى الطبعة المحققة : " عن الكرب والمكربة "
(٤) المزهر : نسخة عارف حكمت ٥٦ لغة : ق ١٠٠ /أ ، ووازن بنسخة المكتبة المحمودية من " ديوان الادب " : ق ٣/أ ، وبالطبعة المحققة من المزهر : ١/٤٨٦ .

ثالثا ـ الخصـــــائص : لابى الفتح عثمان بن جنى ، وهو من حذاق أهل الادب، وأعلمهم بعلم النحو والتصريف . صنف ، فى النحو والتصريف ، كتبا أبدع فيهـا ، كالخصائص ، والمنصف (١) ، وسر الصناعة (٢) ، وصنف كتابا فى شـــرح القوافى (٣) ، وفى العروض (٤) ، وفى المذكر والمؤنث (٥) ، الى غير ذلـك . ولم يكن فى شىء من علومه أكمل منه فى التصريف ، فانه لم يصنف أحد فى التصريف، ولا تكلم فيه أحسن ولا أدق كلاما منه "(٦) .

وكتاب " الخصائص " أو " خصائص العربية "(٧) من الكتب اللغويـــة القديمة القيمة ، وأدخلها فى موضوع فقه اللغة الحديث ، وأولاها بأن يحمـل سم هذا العلم ، فقد فتح فيه أبوابا لم يتسن فتحها لسواه فى تلك الفترة المبكرة من تاريخ هذا العلم ، اذ وضع أصولا فى الاشتقاق والتصريف ، واستنطق العربية أسرارها ، واهتدى ـ بطول التأمل والتفكير ـ الى نظرياتها العامة .

---

(١) نشره ابراهيم مصطفى وعبد الله أمين فى القاهرة سنة ١٩٥٤م - ١٩٦٠م .
(٢) نشره مصطفى السقا وآخرون الجزء الاول منه فى القاهرة سنة ١٣٧٣هـ .
(٣) وهو كتاب مختصر القوافى ، ومنه نسخه فى الاوسكوريال ولاللى ، انظر : بروكلمان : ٢/٢٤٧ .
(٤) وهو كتاب العروض ، ومنه نسخة فى برلين ، وفينا ، والمتحف البريطانى ، وبشير أغا ، ولاللى ، انظر : بروكلمان : ٢/٢٤٧ .
(٥) نشره " بستشر " انظر : بروكلمان : ٢/٢٤٩ .
(٦) نزهة الالباء فى طبقات الادباء : ٣٣٢ ، وانظر : معجم الادباء : ١٥/٥ ، والبغية : ١٣٢/٢ ، وفيها أن مرد نبوغه فى الصرف وتفوقه فيه أنه كان يقرأ النحو ـ وهـــو شاب ـ بجامع الموصل ، وبين يديه متعلم ، وهو يكلمه فى قلب الواو ألفا ، نحـــو : قام ، قال ، فمر به أبوعلى الفارسى ، واعترض عليه ، فوجده متصرا ، فقال له : زببت قبل أن تحصرم ، ثم قام أبو على ولم يعرفه ابن جنى ، فسأل عنه ، فقيل لـه : هذا أبو على الفارسى ، فأخذ فى طلبه ، ولزمه ، من يومئذ ، مدة أربعين ســـنة . ويرى الدكتور محمد أسعد طلس (مجلة المجمع العلمى العربى ـ المجلـد ٣٠ / ٤٤٩) وفؤاد أفرام البستانى (دائرة المعارف ـ المجلد ٢/٤١٥) أن هذه القصة مصنوعة ، وذكرا ـ فى توهينها ـ أسبابا وتعلات .
(٧) كما ورد اسمه فى نسخة شيخ الاسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة ٣٣ لغة .

فهو أول من ألف في أصول النحو بهذه السعة وهذا الشمول اللذين نراهما في " خصائصه " ، في الوقت الذي تحامى فيه البصريون والكوفيون جميعا عن " الخوض في أدنى أوشاله (١) وخُلُجه ، فضلا عن اقتحام قعاره ولُجَجه " (٢) ، فهو ليس كتابا يعنى بأحوال الاعراب من رفع ونصب وجر وجزم ، " لان هذا أمر قد فرغ في أكثر الكتب المصنفة فيه منه . وانما هذا الكتاب مبني على اثارة معادن المعاني ، وتقرير حال الاوضاع والمبادي ، وكيف سرت أحكامها في الاحناء والنواشي " (٣) .

ولذلك ، كان ابن جني معظما كتابه هذا ، معتصما بالاسباب المتاطة به ، معتقدا فيه " أنه من أشرف ما صنف في علم العرب ، وأذهبه في طريق القياس والنظر ، وأعوده عليه بالحياة والصون ، وآخذه له من حصة التوقير والاون (٤) ، وأجمعه للادلة على ما أودعته هذه اللغة الشريفة : من خصائص الحكمة ، ونيطت به من علائق الاتقان والصنعة " (٥) .

ألف ، قبل ابن جني ، في أصول النحو خلق ، فيهم : أبو الحسن الاخفش (٦) ، وأبو بكر بن السراج (٧) ، وأبو جعفر النحاس (٨) ، وأبو الحسن بن داود (٩) ، وأبو القاسم بن برهان (١٠) ولكن " خصائص " ابن جني تميز بالاستقصاء والشمول والغوص في

---

(١) الوشل : الماء القليل والكثير (ضد) والقليل من الدمع والكثير منه ، وجاءوا أوشالا : يتبع بعضهم بعضا ، انظر : القاموس المحيط : ٤/٦٥ .
(٢) الخصائص : ١/٢ .
(٣) نفسه : ١/٣٢ ، وانظر : ١/٦٧ قوله : " ان هذا الكتاب ليس مبنيا على حديث وجوه الاعراب ، وانما هو مقام القول على أوائل أصول هذا الكلام ، وكيف بدىء والام نحي . وهو كتاب يتساهم ذوو النظر : من المتكلمين ، والفقهاء ، والمتفلسفين ، والنحاة ، والكتاب ، والمتأدبين التأمل له ، والبحث عن مستودعة " .
(٤) من : آن في الامر ، يئون أونا ، اذا رفق فيه ، انظر : المصباح المنير : ١/٣٦ .
(٥) الخصائص : ١/١ .
(٦) انظر : البغية : ١/٥٩٠ - ٥٩١ ، وطبقات الزبيدي : ٧٤-٧٦ .
(٧) انظر : البغية : ١/١٠٩ - ١١٠ ، وطبقات الزبيدي : ١٢٢-١٢٥ .
(٨) انظر : البغية : ١/٣٦٢ ، وطبقات الزبيدي : ٢٣٩ - ٢٤٠ .
(٩) وهو أبو الحسن بن داود بن حسن القرشي المقرىء النحوي ، المعروف بالنقار الكوفي ، انظر : ايضاح المكنون : ١/٩٣ .
(١٠) انظر : البغية : ٢/١٢٠ - ١٢١ ، ونزهة الالباء : ٣٥٦ - ٣٥٧ ، والمزهر : ١/٢٩٨ - ٢٩٩ .

التفاصيل ، والتعمق في التحليل ، بحيث نضجت - على يديه - أصول هذا العلم ، فكان - بذلك - اماما يمضى - في سبيله - المتأخرون ، ويبنون على بحوثه .

قال ابن جني في تقديم الكتاب : " هذا ... كتاب لم أزل على فارط الحال ، وتقادم الوقت ، ملاحظا له ، عاكف الفكر عليه ، منجذب الرأي والروية اليه ، وادا أن أجد مهملا أصله به ، أو خللا أرتقه بعمله ، والوقت يزداد بنواديه ضيقا ، ولا ينهج لي الى الابتداء طريقا ... أما كتاب أصول ابى بكر (١) ، فلم يلمم فيه بما نحن عليه ، الا حرفا أو حرفين في آوله ، وقد تُعلّق عليه به ، وسنقول في معناه .

" على أن أبا الحسن (٢) قد كان صنف في شيء من المقاييس كتيبا (٣) ، اذا أنت قرنته بكتابنا هذا ، علمت بذلك أنا نبنا عنه فيه ، وكفيناه كلفه التعب به ، وكافأناه على لطايف ما أولاناه من علومه المسوقة الينا ، المفيضة ماء البشر والبشاشة علينا ، حتى دعا ذلك أقواما نزرت من معرفة حقائق هذا العلم حظوظهم ، وتأخرت عن ادراكه اقدامهم ، الى الطاعن عليه ، والقدح في احتجاجاته وعلله " (٤) .

وعلى هذا ، فان مازعمه أبو البركات ابن الانبارى - وهو متأخر عن جميع من ذكرنا - في مقدمة " لمع الادلة في أصول النحو " (٥) ، وفي " نزهة الالباء " (٦) ، بأنه مبتكر "علم أصول النحو " ليس صحيحا .

---

(١) نشره الدكتور عبد الحسين الفتلي في بغداد سنة ١٩٧٣م ، وظهر منه - حتى الان - جزءان ، الاول في مطبعة النعمان بالنجف الاشرف ، والثاني في مطبعة سلمان الاعظمي ببغداد .

(٢) الاخفش الذى مر ذكره .

(٣) لا نعلم عن هذا الكتيب شيئا ، ولعله قد فقد فيما فقد من تراثنا ، وذكر بركلمان في تاريخه : ١٥٢/٢ أنه لم يبق من مصنفات أبي الحسن الاخفش سوى : كتاب معاني القرآن ، وشرح ابيات المعاياة ، وتسفير علم القوافي .

(٤) الخصائص : ٢/١ - ٣ .

(٥) نشره الاستاذ سعيد الافغاني في دمشق سنة ١٩٥٧م - مع كتاب " الاغراب في جدل الاعراب " لابن الانبارى ايضا - باسم " رسالتين لابن الانبارى " ، وأعاد الدكتور عطية عامر نشره محققا - على حده - في بيروت سنة ١٩٦٣م .

(٦) نشره الاستاذ محمد ابو الفضل ابراهيم في القاهرة سنة ١٩٦٧م .

وقد كان السيوطي ـ كعادته ـ ناسبا الفضل الى ذويه ، حين ذكر صراحة ـ في مقدمة كتابه الاقتراح ـ أنه أول من تصدى لتبويب هذا العلم وتهذيبه ، لا الى ابتكاره مبتدئا على غير مثال سابق ، كما ذهب ابن الانبارى ، واعترف بأنه قد عول كثيرا ، في تأليف كتابه ، على كتاب ابن جنى وابن الانبارى ، بينما لم يذكر ابن الانبارى شيئا عن مصادره التى اعتمد عليها .

قال ابن الانبارى : " أما بعد ، فان جماعة من ذوى الفضل والاستبصار سألونى ـ بعد ابتكار كتاب الانصاف في مسائل الخلاف (١) ، وكتاب الاغراب في جدل الاعراب ـ أن اعزز لهم بكتاب ثالث في الابتكار ، يشتمل على علم أصول النحو المفتقر اليه غاية الافتقار ، ليكون أول ما صنف في هذه الصناعة الواجبة الاعتبار ، فأجبتهم على وفق طلبتهم في ثلاثين فصلا " (٢) .

وقال : " علوم الادب ثمانية : النحو ، واللغة ، والتصريف ، والعروض ، والقوافى ، وصنعة الشعر ، وأخبار العرب ، وأنسابهم ، والحقنا بالعلوم الثمانية علمين وضمناهما ، وهما : علم الجدل في النحو ، وعلم أصول النحو " (٣) .

وقال صاحبنا السيوطي : هذا كتاب غريب الوضع ، عجيب الصنع ، لطيف المعنى ، طريف المبنى ، لم تسمح قريحه بمثاله ، ولم ينسج ناسج على منواله في علم لم أسبق الى ترتيبه ، ولم أتقدم الى تهذيبه ، وهو أصول النحو الذى هو ـ بالنسبة الى النحو ـ كأصول الفقه بالنسبة الى الفقه ، وان وقع في متفرقات كلام بعض المؤلفين ، وتشتت في أثناء كتب المصنفين ، فجمعه وترتيبه صنع مخترع ، وتأصيله وتبويبه وضع مبتدع " (٤) .

وقال : " واعلم أنى قد استمددت (٥) في هذا الكتاب كثيرا من كتاب الخصائص

---

(١) طبع قسم منه في ويانا سنة ١٨٧٨م بعناية " جارونيه كوسوت " ، وطبع جميعه مع شروح وتعاليق بعناية " فون غوتولد وايل " باللغة الالمانية ـ وليدن سنة ١٩١٣ م مع الفهارس ، وفى القاهرة بتحقيق الاستاذ محمد محى الدين عبد الحميد ١٩٥١ .

(٢) المقدمة ـ ط . الدكتور عايه عامر .

(٣) نزهة الالباء : ٨٩ .

(٤) مقدمة الاقتراح ـ طبعة دار المعارف بحلب .

(٥) وفى نسخة قسم المخطوطات بجامعة الرياض رقم ١٣٨٢ م فى مجموع : " استمديت " : ق ٢/أ .

لابن جنى ، فانه وضعه فى هذا المعنى وسماه أصول النحو ، لكن أكثره خارج عن هـذا المعنى ، وليس مرتبا ... ثم ، بعد تمامه ، رأيت الكمال ابن الانبارى قال فى كتابه نزهة الالباء ... فتطالبت هذين الكتابين ، حتى وقفت عليهما ... "(١) .

* * *

وكتاب الخصائص " يدور على الغوص على اسرار اللغة الشاملة ، ويطرد القياس ما استطاع الى ذلك سبيلا ... كثير الانس بالتجربة اللغوية ، يقلبها على وجوهها المختلفة ، ويكثر التفكير فيها ، ثم يقابل بين اللغات التى يعرفها ليكون حكمه الشامل فى اللغة العربية ، حين يرده الى طبيعة الحس ، صحيحا الى حد بعيد "(٢) .

يقول ميتس : " وكما أن كتب اللغة التى ألفت بعد الجوهرى كلها عيال عليه ، فكذلك كتب علم الاشتقاق وفقه اللغة ومعرفة أسرار العربية فانها مما ابتكر الامام ابن جنى الذى فهم أسرار العربية وفلسفتها ، وبخاصة الاشتقاق . وانه لمن المؤسف أن لا يجىء بعد ابن جنى عالم يتم ما بدأ به ، مع أن كل الذين جاءوا من بعده قد استفادوا من كتبه "(٣) .

ومن يتصفح " المخصص " (٤) ، و " المحكم " (٥) ، وسر الفصاحة "(٦) ،

---

(١) مقدمة الاقتراح .
(٢) فى أصول النحو ـ لسعيد الافغانى : ٩٢ .
(٣) الحضارة الاسلامية : ٢٢٧ .
(٤) لابن سيده ، طبع عدة طبعات ، أولها : طبعة بولاق سنة ١٣١٦ هـ ـ ١٣٢١هـ فى سبعة عشر جزءا ، ثم توالت الطبعات الاخرى عليها ـ بالاوفست ـ فى بيروت .
(٥) له أيضا ، وقد أتم أخيرا ـ فى ما وصل الى علمنا ـ الاستاذ مصطفى حجازى تحقيق الجزء العاشر من الكتاب ، كما أتم استاذنا الدكتور عبد العزيز برهام تحقيق الجزء الحادى عشر منه ، وبذلك يكون قد اكتمل تحقيق الكتاب الذى يتوقع أن يظهر ـ مع الفهارس العامة ـ فى اثنى عشر مجلدا .
(٦) لابن [illegible] ، نشره الاستاذ عبد المتعال الصعيدى فى مطبعة صبيح بالقاهرة سنة ١٩٥٢ م .

و " المثل السائر " (١) ، و " لسان العرب " (٢) ، و " الاشباه والنظائر النحوية " (٣) و " الاقتراح " (٤) ، وكتب اللغة والتصريف بوجه عام — يدرك مدى الاثر الكبير الذى تركه كتاب " الخصائص " فيها جميعا ، الى درجة أن بعض المتأخرين ربما أورد الفاظه وعباراته ، كما هى ، دون أن يشير اليه ، لانه أصبح ، فى نظره ، شيئا معروفا ، لا يحتاج الى التنويه به (٥) .

* * *

بنى ابن جنى الكتاب على مائة واثنين وستين بابا ، أولها : باب القول على الفصل بين الكلام والقول (٦) ، وآخرها : باب فى المستحيل ، وصحة قياس الفروع على فساد الاصول (٧) .

وليس هناك كبير علاقة أو مناسبة طبيعية بين الباب من هذه الابواب ، والباب الذى يليه ، وانما هى أبواب لموضوعات متفرقة يسوقها ابن جنى على غير نظام ، تطالع فى كتابه بابا فى مسألة تلاقى اللغة (٨) ، فاذا بك ، فجأة ، أمام باب آخر فى مسألة : هل يجوز لنا فى الشعر من الضرورة ما جاز للعرب أو لا ؟ (٩) ثم اذا بك — بعد ذلك — أمام باب يختلف عن البابين الاولين جميعا ، ويبحث فى مسألة الاعراض فى الكلام (١٠) ،

---

(١) لابن الاثير الجزرى ، طبع بهامش أدب الكاتب لابن قتيبه فى البهية بمصر سنة ١٣١٢هـ وطبع منفردا فى بولاق سنة ١٢٨٢هـ .

(٢) لابن منظور ، طبع فى بولاق سنة ١٢٩٩ هـ — ١٣٠٨هـ فى عشرين جزءا ، ثم توالت على هذه الطبعة طبعات أخرى بالاوفست فى بيروت .

(٣) للسيوطي ، طبع فى حيدرآباد سنة ١٣١٦ هـ فى أربعة أجزاء ، واعاد طبعه عبد الرؤوف سعد طبعه فى مكتبة الكليات الازهرية فى مصر سنة ١٩٧٥م .

(٤) له أيضا .

(٥) انظر ، مثلا ، بحث أصل اللغة أمتواطأ عليها أم الهام فى " المخصص " : ١/ ٣ — ٧ ، ووازن بما فى " الخصائص " : ١/ ٤٠ — ٤٧ (باب القول على أصل اللغة أالهام هى أم اصطلاح) .

(٦) انظر : الخصائص : ١/ ٥ — ٣٣ .

(٧) نفسه : ٣/ ٣٥٣ — ٣٥٤ .

(٨) نفسه : ١/ ٣٢١ — ٣٢٣ (الباب الخامس والاربعون) .

(٩) نفسه : ١/ ٣٢٣ — ٣٣٥ (الباب السادس والاربعون) .

(١٠) نفسه : ١/ ٣٣٥ — ٣٤١ (الباب السابع والاربعون) .

وذلك بأن يعترض بشيء منه بين الفعل وفاعله ، والمبتدأ وخبره ، وغير ذلك ،وهكذا .

ولشدة ولع ابن جني باعادة النظر في كتبه ، بين الحين والحين ، طالبا لمزيد من التزيد والاستكمال ، على طريقة المتقدمين ممن لا ينفكون يعمدون الى كتبهم ، فيعالجونها بسد الخلل ، واضافة الجديد ، والتنقيح ، كما نص على ذلك في مقدمة الكتاب (١) ، جاء كتابه مضطربا ، فيه شيء غير قليل من الاستطراد ، والتداخل ، والتشتت ، والتكرار .

فهو ،مثلا ،يمهد لباب " امساس الالفاظ أشباه المعاني " (٢) بقوله : " اعلم أن هذا موضع شريف لطيف . وقد نبه عليه الخليل وسيبويه ، وتلقته الجماعة بالقبول له ، والاعتراف بصحته .

" قال الخليل : كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدا ، فقالوا : صر ، وتوهموا في صوت البازي تقطيعا ، فقالوا : صرصر .

" وقال سيبويه في المصادر التي جاءت على الفعلان (٣) : انها تأتي للاضطراب والحركة ،نحو : النقزان ،والغليان ، والغثيان . فقابلوا ـ بتوالي حركات المثال ـ توالي حركات الافعال " (٤) .

ويأخذ في سرد الامثلة من المصادر الرباعية المضعفة ،كالزعزعة ،والقلقلة ،والصلصلة ، والافعال الطلبية ، نحو : استسقى ،واستطعم ،واستوهب ، والافعال المكررة العين ، مثل : كسر ،وقطع ، وفتح ، والالفاظ التي تشاكل أصواتها ، كالخضم والقضم ، والنصح والنضح ،والقد والقط . (٥)

ثم ما يلبث ـ عندما عرض له قول الله تعالى (فقلنا لهم : كونوا قردة خاسئين) (٦) أن يستطرد استطراده واسعة انسانا معها الموضوع الاصلي ، حين قال : " ينبغي أن يكون (خاسئين) خبرا آخر لـ(كونوا) ، والاول (قردة) ، فهو كقولك : هذا حلو

---

(١) انظر : الخصائص : ١/١ .
(٢) انظر : نفسه : ١٥٢/٢ـ١٦٨ (الباب الخامس والسبعون) .
(٣) انظر : الكتاب : ٢١٨/٢ ، وفيه عبارة سيبويه : " ومن المصادر التي جاءت على مثال واحد ،حين تقاربت المعاني ـ قولك : النزوان ، والنقزان ،والقفزان . وانما هذه الاشياء في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع ،ومثله : المسلان ،والرتكان " .
(٤) الخصائص : ١٥٢/٢ .
(٥) نفسه : ١٥٣/٢ ـ ١٥٨ . (٦) سورة البقرة : آية ٦٥ .

حامض ، وان جعلته وصفا لـ(قردة) صغر معناه ، الا ترى أن القرد ـ لذله وصغاره ـ خاسىء أبدا ، فيكون اذا صفة غير مفيدة . واذا جعلت (خاسئين) خبرا ثانيا حسن وأفاد " (١) .

حتى قال : " يجوز أن يكون (خاسئين) صفة لـ(قردة) على المعنى ، اذ كان المعنى انها هي هم في المعنى ، ا أن هذا انما هو جائز ، وليس بالوجه ، بل الوجه أن يكون وصفا ، لو كان على اللفظ . فكيف وقد سبق ضعف الصفة ههنا . فهذا شيء عرض قلنا فيه ، ثم لنعد " (٢) .

وهو ، مثلا ، ينشر الكلام على أصول اللغة أالهام هي أم اصطلاح في أكثر من باب في كتابه (٣) ، فيتناول ـ في أحد الابواب ـ (٤) القول على اختلاف الناس في هذه المسألة (٥) ، والاعتلال لمن قال منهم بالمواضعة ، وتصوير هذه المواضعة (٦) ، وهل تصح من الله تعالى ، أو هي من البشر عبروا بها عن الاصوات المسموعات كدوي الريح وحنين الرعد وخرير الماء (٧) .

ثم يدلي برأيه في المسألة ، فيتذبذب في موقفه منها ، ويتأرجح بين القائلين بالتوقيف والقائلين بالمواضعة ، فيقرر ـ تارة ـ بأن " أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة انما هو تواضع واصطلاح ، لا وحي وتوقيف " (٨) ، ويبدي تاييده الكامل للمذهب القائل بأن أصل اللغات انما هو من الاصوات المسموعات ، ثم ولدت عن ذلك فيما بعد ، ويقول : " وهذا ـ عندي ـ وجه صالح ، ومذهب متقبل " (٩) .

ويرجح ـ تارة أخرى ـ بعد كثرة البحث والتنقير في هذه القضية ، وازدياد التأمل في حال هذه اللغة الشريفة ، وبما " انضاف ـ الى ذلك ـ وارد الاخبار المأثورة ، بأنها من عند الله جل وعز ، فقوي ـ في نفسي ـ اعتقاد كونها توقيفا من الله ـ سبحانه ـ

---

(١) الخصائص : ٢/١٥٨ ـ ١٥٩ .
(٢) نفسه : ٢/١٥٩ .
(٣) نفسه : الابواب : ٢ ، ٦ ، ٦١ .
(٤) انظر : ١/٤٠ ـ ٤٧ .
(٥) انظر : ١/٤٠ ـ ٤٣ .
(٦) انظر : ١/٤٤ ـ ٤٥ .
(٧) انظر : ١/٤٦ ـ ٤٧ .
(٨) نفسه : ١/٤٠ .
(٩) نفسه : ١/٤٧ .

وأنها وحي "(١).

ويقف - تارة ثالثة - حيران لايرجح وجهها على وجه ،قائلا : " لا ننكر أن يكون الله تعالى قد خلق من قبلنا - وان بعد مداه عنا - من كان ألطف منا اذهانا ،وأسرع خواطر ، وأجرأ جنانا ،فأقف بين تين الخلتين حسيرا ، واكافرهما فأنكفىء مكثورا "(٢).

ثم يتناول - في باب آخر - (٣) القول على : وضع اللغة ،أفي وقت واحد كان أم تلاحق تابع منها بفارط (٤) ، وهل اختلاف لغات العرب أتاها من قبل أن أول ما وضع منها وضع على خلاف (٥) ، وكيف يكون القياس على ما كان وضع - في الاصل - مختلفا ، وأى الاجناس الثلاثة متقدم على الاخرين : الاسم ،والفعل ، والحرف (٦) - قائلا : " قد تقدم - في أول الكتاب - القول على اللغة : أتواضع هي أم الهام ، وحكينا ،وجوزنا فيها الامرين جميعا . وكيف تصرفت الحال ،وعلى أي الامرين كان ابتداؤها ،فانها لابد أن يكون وقع - في أول الامر - بعضها ، ثم احتيج - فيما بعد - الى الزيادة عليه ، لحضور الداعي اليه ،فزيد فيها شيئا فشيئا "(٧).

وهو - مثلا ، في باب " القول على الاطراد والشذوذ "(٨) يعمد الى تكرير بعض المعاني بألفاظ وجمل مترادفة ،دون زيادة معنى ، ويكثر من الاستشهاد بالامثلة من الشعر والنثر ، في غير طائل ، فيقول : " واطرد الجدول : اذا تتابع ماؤه بالريح ، انشدني بعض أصحابنا لاعرابي :

مالك لا تذكر ،أو تزور بيضاء بين حاجبيها نور

تمشي كما يطرد الغدير

---

(١) الخصائص : ١/٤٧ .
(٢) نفسه .
(٣) انظر : ٢/٢٨ - ٤٠ .
(٤) انظر ٢/٢٨ - ٢٩ .
(٥) انظر : ٢/٢٩ - ٣٠ .
(٦) انظر : ٢/٣٠ - ٤٠ .
(٧) انظر : ٢/٢٨ .
(٨) انظر : الباب الثامن : ١/٩٦-١٠٠ .

ومنه بيت الانصارى (١) : أتعرف رسما كاطراد المذاهب (٢)

أى : كتتابع المذاهب ، وهى جمع مذهب ، وعليه قول الاخر : (٣)

سيكفيك الاله ومسنمـــات كجندل لبن تطارد الصـــلالا (٤)

أى : تتابع الى الارضين المطورة لتشرب منها ، فهي تسرع وتستمر اليها ..." (٥)

ويقول : " الكلام - فى الاطراد والشذوذ - على أربعة أضرب : مطرد فى القيـــاس والاستعمال جميعا ، وهذا هو الغاية المطلوبة ، والمثابة المنوبة ، وذلك نحو : قـــام زيد ، وضربت عمرا ، ومررت بسعيد " (٦) .

وهكـــذا .

* * *

وقد لاحظ السيوطي كل هذا الاضطراب ، من استطراد ، وتداخل ، وتشـــتت ، وتكرار ، فقال فى خطبة كتابه " الاقتراح " ان خصائص ابن جنى فى أصول النحو " أكثره خارج عن هذا المعنى ، وليس مرتبا ، وفيه الغث والسمين والاستطرادات ، فلخصت منـــه جميع ما يتعلق بهذا المعنى بأوجز عبارة ، وأرشقها ، وأوضحها ، معزوا اليه ، وضممـــت اليه نفائس أخر ، ظفرت بها فى متفرقات كتب اللغة العربية (٧) ، والادب ، وأصـــول الفقه ، وبدائع استخرجتها بفكرى " (٨) .

(١) يعنى : قيس بن الخطيم .

(٢) وبقية البيت : لعمرة وحشا غير موقف راكب ، وانظر : ديوان قيس بن الخطيم - بتحقيق الدكتور ناصر الدين الاسد : ٣٣ ، وجمهرة اشعار العرب - بتحقيق الاســـتاذ على محمد البجاوى : ٦٣٣/٢ - ٦٤٥ (المذهبة الرابعة) .

(٣) يعنى : الراعى النميرى .

(٤) المسنمات : الابل ، ولبن : يريد لبنى ، وهو واد حوله هضب كثير شبه به الابـــل ، وقوله : تطارد الصلال ، أى : مواقع المطر ، وانظر : جمهرة اشعار العرب : ٢/ ٩١٢ - ٩٣٠ (الملحمة الرابعة) ، وخزانة الادب : ٥٠٤/١ .

(٥) الخصائص : ٩٦/١ .

(٦) نفسه : ٩٧/١ .

(٧) كما فى نسخة قسم المخطوطات التى مر ذكرها ، والورقة نفسها ، وفى المطبوع : " اللغة والعربية " ، انظر : ص ٢ .

(٨) الاقتراح : ص ٢ .

ومن هنا ، كانت طريقة افادته من كتاب " الخصائص" تعتمد على التصرف الواسع فيما ينقله منه ، عن طريق حذف الاستطرادات والزوائد ، وتلخيص بعض النصوص الطويلة ، بحيث يوضح آراء العلماء فيها ، وازالة التداخلات بوضع الشبيه الى الشبيه ، والنظير الى ما يناظره ، واستبعاد ما يعتبر خارجا عن دائرة النوع الذى يعالج مسائلة الى حين يأتى وقت الكلام عليه ، والايجاز والاختصار فى كلام ابن جنى بما يفى غرضه وموضوع بحثه ، بحيث يحذف جملا من كلامه ، وأمثلة من الشعر والنثر ، ويكتفى منها جميعا بما يخدم عمله هو ، ومنهجه فيه .

فهو ،مثلا ، فى باب "مناسبة الالفاظ للمعانى "(١) يحذف كثيرا من الجمل والامثلة ويستبعد كل الاستطرادات ، قائلا : " وقد عقد ابن جنى ، فى الخصائص، بابا لمناسبة الالفاظ للمعانى ، وقال : هذا موضع شريف ، نبه عليه الخليل وسيبويه ، وتلقته الجماعة بالقبول ، قال الخليل : كأنهم توهموا فى صوت الجندب استطالة ، فقالوا : صر ، وفى صوت البازى تقايعا ، فقالوا : صرصر "(٢) .

ثم قال : " قال ابن جنى : وقد وجدت أشياء كثيرة من هذا النمط ،من ذلك المصادر الرباعية المضعفة ، تأتى للتكرير ، نحو : الزعزعة ،والقلقلة ، والصلصلة ، والقمقمة ، والقرقرة ، والفعلى — للسرعة ، نحو : الجمزى ، ومن ذلك : باب استفعل ، جعلوه للطالب ، لما فيه من تقدم حروف زائدة على الاصول ، كما يتقدم الطالب الفعل ، وجعلوا الافعال الواقعة عن غير طالب انما تفجأ حروفها الاصول أو ما ضارع الاصول ، نحو : خرج ، وأكرم "(٣) .

حتى قال : " وكذلك ،جعلوا تكرير العين ، نحو : فرح ، وكسر ، فجعلوا قوة اللفظ لقوة المعنى ، ومخصوا بذلك العين ، لانها أقوى من الفاء واللام ،اذ هى واسطة لهما ومكنوفة بهما ، فصارا كأنهما سياج لها ، ومبذولان للعوارض دونها ،

---

(١) انظر : المزهر : النوع الاول — معرفة الصحيح الثابت .
(٢) المزهر : نسخة المدينة ٥٦ لغة : ق ١٠/أ ، ووازن بالباب الخامس والسبعين من أبواب كتاب " الخصائص" فى امساس الالفاظ أشباه المعانى : ١٥٢/٢ .
(٣) نفسه ، ووازن بالخصائص : ١٥٣/٢ — ١٥٥ .

ولذلك تجد الاعلال بالحذف فيهما دونها .

" فأما مقابلة الالفاظ بما يشاكل أصواتها ... باب واسع جدا لا يمكن استقصاؤه "(١)

وهو، مثلا ، في باب " الكلام على أصل اللغة : هل هي بوضع الله أو البشر "(٢) ، يتطالب كتاب " الخصائص " ، حتى يقف عليه بجميعه ، فيأخذ منه ما يفيده في هذا الموضوع ، من الاراء والمسائل المنثورة في مواضع متفرقة من الكتاب(٣) ، ثم يضم بعضها الى بعض في امانة ، ومنهجية ، وحسن تبويب ، فلا تداخل في مواد كتابه ، ولا تشتت .

وازن بين ما نقله السيوطي في " الاقتراح " ، وما جاء في هذا الباب من كتاب " الخصائص " تجد أن ما نقله السيوطي كان جمعا لما تفرق في أكثر من باب(٤) ، فقوله : " قال في (الخصائص) حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ، واختلف هل هي بوضع الله أو البشر - على مذاهب "(٥) مقتبس من باب(٦) ، وقوله : "احدها - وهو مذهب الاشعري(٧) - أنها بوضع الله ، واختلف على هذا : هل وصل الينا علمها بالوحي الى نبي من أنبيائه ، أو بخلق أصوات في بعض الاجسام تدل عليها ،

---

(١) المزهر : نسخة المدينة ٥٦ لغة : ق ١٠/ب ، ووازن بالخصائص: ٢/١٥٥-١٦٨ ، وعبارة ابن جني : " الان ، قد انستك بمذهب القوم فيما هذه حاله ، ووقفتك على طريقه ، وأبديت لك عن مكنونه ، وبقي عليك أنت التنبه لامثاله ، وانعام الفحص عما هذه حاله ، فانني ان زدت على هذا مللت وأملت . ولو شئت لكتبت من مثله أوراقا مئين ، فأبه له ... " .

(٢) انظر : كتاب الاقتراح : الكلام في المقدمات - المسألة الثالثة : ٦-٨ .

(٣) انظر : الخصائص : الباب الثاني - باب القول على اللغة وما هي : ١/٣٣ ، والباب السادس - باب القول على أصل اللغة أالهام هي أم اصطلاح : ١/٤٠-٤٧ والباب الحادي والستين - باب في هذه اللغة أفي وقت واحد وضعت أم تلاحق تابعضها بفارط : ٢/٢٨ - ٤٠ .

(٤) انظر : الابواب التي مر ذكرها .

(٥) الاقتراح : ٦-٧ .

(٦) القول على اللغة وما هي : انظر : الخصائص : ١/٣٣ .

(٧) يعني : أبا الحسن علي بن اسماعيل الاشعري ، مؤسس مذهب الاشاعرة ، وقد وهم محقق كتاب " الخصائص " حين ظن أن المقصود بأبي الحسن في قول ابن جني (الخصائص : ١/٤١) : " وهذا أيضا رأي أبي الحسن ، على أنه لم يمنع قول من قال : انها تواضع منه " هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة الاخفش .

واسماعها لمن عرفها ونقلها ، أو بخلق العلم الضرورى فى بعض العباد بها على ثلاثة آراء ، أرجحها الاول ، ويدل له ولاصل المذهب قوله تعالى : وعلم آدم الاسماء كلها (١) : أى اسماء المسميات ... " (٢) مقتبس من باب آخر . (٣)

وهكذا .

* * *

واذا كان ابن جنى — كما تجمع الروايات — كثير الاعتزاز بأبى على الفارسى (٤) ، كثير الاخذ عنه فى كتبه (٥) ، فكذلك كان السيوطي كثير الاعتزاز بأبن جنى ، كثير الاخذ عنه فى كتبه .

أما اعتزازه به ، فيدل عليه قوله فى حقه : " وليس لاحد من أئمة الادب فى فتح المقفلات ، وشرح المشكلات ماله ، سيما فى علم الاعراب ، فقد وقع منها على ثمرة الغراب .

---

(١) سورة البقرة : آية ٣١ .

(٢) الاقتراح : ٧ .

(٣) هو : باب القول على أصل اللغة ، انظر : الخصائص : ١/ ٤٠ فما بعد ، وعبارة ابن جنى فيه : " هذا موضع محوج الى فضل تأمل ، غير أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة انما هو تواضع واصطلاح ، لاوحى وتوقيف . الا أن أبا على — رحمه الله — قال لى يوما : هى من عند الله ، واحتج بقوله سبحانه : وعلم آدم الاسماء كلها — وهذا لا يتناول موضع الخلاف . وذلك أنه قد يجوز أن يكون تأويله : أقدر آدم على أن واضع عليها ، وهذا المعنى من عند الله — سبحانه — لا محاله . فاذا كان ذلك محتملا غير مستنكر ، سقط الاستدلال به . وقد كان أبو على — رحمه الله — أيضا قال به فى بعض كلامه . وهذا ، أيضا ، رأى أبى الحسن " .

(٤) جاء فى نزهة الالباء : " وأخذ عن أبى على الفارسى ، وصحبه أربعين سنة " : ٣٣٣ ، وقد كانا معتزليين (انظر : المزهر : ١/ ١٠) ، ومتحابين (انظر : الخصائص : ١/ ٢٧٦ — ٢٧٧) وفيه يقول ابن جنى فى أبى على : " ولله هو وعليه رحمته ، فما كان أقوى قياسه ، وأشد بهذا العلم اللطيف الشريف نسبه ، فكأنه انما كان مخلوقا له " ، وانظر ، مثلا ، ثناءه عليه فى " الخصائص " أيضا : ١/ ٢٠٨ ، ٢٧٦ ، ٣٦٥ ، ٣/ ٤١٣ ، وفيه يقول عنه : " وهذا أبو على — رحمه الله — كأنه بعد معنا ، ولم تبن به الحال عنا ، كان — من تحوبه وتأنيه وتحرجه — كثير التوقف فيما يحكيه — دائم الاستظهار ، لايراد ما يرويه " ، وانظر : مقدمة سر الصناعة : ٣٣ .

(٥) يدل على ذلك اكثاره من ذكره فى كتبه ، فالكتب التى بين أيدينا كثيرا ما نرى فيها اسم أبى على مشفوعا بالترحم عليه ، والترضى عنه ، والاعجاب به .

وكان يحضر عند المتنبى ، ويناظره فى شىء من النحو ، من غير أن يقرأ عليه شيئا من شعره ، أنفة واكبارا لنفسه ، وكان المتنبى يقول فيه : هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس "(١) .

ولعل مرد هذا الاعتزاز من السيوطي بابن جنى ، ما نلمسه بين الرجلين من تقارب كبير فى الصفات الخلقية ، فان أول ما نلاحظه فى شخصية الاثنين : جانبان ، قلما اجتمعا فى رجل واحد ، وبخاصة فى أعصر الانحدار الخلقى ، فهما — من جانب — رجلا جد وصرامة ، كانا يشتدان على نفسيهما فى القول والعمل ، ولم يؤثر عنهما ما أثر عن أمثالهما من رجال الادب والعلم فى عصريهما من الاسفاف والابتذال واللهو .(٢)

والجانب الاخر ، هو اعتدادهما الواضح بنفسيهما وبعدهما عن المصانعة ، والامثلة على ذلك كثيرة ، ولعله يكفى — فى هذا الباب — أن نشير الى أنهما — من فرط اعتدادهما بالنفس وبعدهما عن المصانعة — كانا يتجنبان مناداة المجان من السلاطين أو سفلة الناس ، وبأبيان مخالطة الامراء والاغنياء رجاء ارضائهم والفوز بجوائزهم ، وكانا بمنأى عن الحاجة التى تعرض صاحبها للذل والاحتيال والكذب ، لانهما صدفا عن ذلك كله ، وعكفا على طلب العلم والمعالى ، مع توطين النفس على الخشونة والقلة والزهد بما فى أيدى الناس من زخرف الحياة .

أما أخذه الكثير عن ابن جنى فى كتبه ، فيكفى أن نقول اننا أحصينا النصوص التى وردت ، نقلا أو اختصارا أو تلخيصا من كتاب الخصائص ، فى كتاب صغير كالاقتراح ، لا تتجاوز صفحاته الست والثمانين صفحة من الحجم المتوسط ، فوجدناها نافت على خمسين نصا بين طويل (٣) ، وقصير (٤) ، بحيث تردد النقل عنه فى الصفحة الواحدة — أحيانا — مرتين أو ثلاثا (٥) ، واكتظ — عموما — باسمه الكتاب .

* * *

لم يكن ابن جنى مقلدا ، بل يستعمل عقله فى الفهم ، فلم يضره أن خالف شيخه

---

(١) البغية : ٢/١٣٢ .

(٢) انظر ، مثلا ، كتاب " عصر الانحدار " لمحمد أسعد طلس : ١٧١ ، وكتاب " الاوراق " للصولى : ٢/١٣٣ — ١٣٥ .

(٣) انظر ، مثلا الصفحات : ٨ — ٩ ، ١٢ — ١٣ ، ٢٠ — ٢١ ، ٢٢ — ٢٦ ، ٣٢ — ٣٣ ، ٣٦ — ٣٧ ، ٤٢ — ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٥٥ ، ٥٥ — ٥٦ ، ٥٨ ، ٧٧ — ٧٨ ، ٨٢ .

(٤) انظر ، مثلا ، ٤ ، ٦ ، ٣٥ ، ٤١ ، ٤٦ — ٤٢ ، ٤٩ — ٥٠ ، ٨٩ ، ٧١ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٦ .

(٥) انظر ، مثلا ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٥ ، ٤١ ، ٥٩ ، ٧٩ ، ٨٢

أبا علي (١)، ولا أن رد عليه حين لمير رأيه في مسألة من المسائل (٢)، على الرغم من كل اعتزازه به، وأخذه الكثير عنه في كتبه، لانه يعتقد أن الحماسة في سبيل ما يعتقد الانسان أنه الحق فوق كل اعتزاز، وفوق كل مجاملة ومداراة. (٣)

وحذا السيوطي حذو ابن جني في استقلاله في التفكير، وثقته برأيه، واندفاعه في النضال عنه، مرخيا لحدته العنان، فألف في الاجتهاد (٤)، وحث عليه في مواضع من كتبه (٥)، ونعى على التقليد والمقلدين بقوله: "ان الناس قد غلب عليهم الجهل، وعمهم، وأعماهم حب العناد وأصمهم، فاستعظموا دعوى الاجتهاد، وعدوه منكرا بين العباد، ولم يشعر هؤلاء الجهلة أن الاجتهاد فرض من فروض الكفايات في كل عصر، وواجب على أهل كل زمان أن يقوم به طائفة في كل قطر" (٦).

ثم طبق هذه الدعوى على عموم أعماله تطبيقا عمليا، فخالف ابن جني كثيرا، حين رأى بطلان رأيه، ووافقه في أحايين كثيرة، حين رجح عنده صواب رأيه.

ولطريقته في الموافقة والمخالفة معه صور:

فاذا وقف من بعض آراء ابن جني موقف الناقل المتخير الاصيل التفكير، وأعلن موافقته اياه، لانه استملحه، أو استوجهه، أو استوثقه، قال مثلا، في حد اللغة:

---

(١) انظر، مثلا، الخصائص: ١/ ٢٣١، ٣١٥، ٢/ ٢٩٧، ٣/ ٤١، ٦١-١٠٠، ٢١٧/ ٣، ٢٧٨.

(٢) انظر، مثلا، همع الهوامع: ١/ ٣٤، ٤٨، ١٤١، والخصائص: ١/ ٢٣١، ٢/ ٣٢٤.

(٣) قال في الخصائص، ينعى على التقليد والمقلدين: "واياك والحنبلية بحشا، فانها خلق ذميم، ومطاعم على علاته وخيم": ١/ ٢٥.

(٤) انظر، مثلا، كتاب "الرد على من أخلد الى الارض، وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض"، "والدوران الفلكي على ابن الكركي"، و"رسالة في الاجتهاد"

(٥) انظر، مثلا، المزهر: ٢/ ٣١١، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٢٥، ٣٣٠، ٣٣٧.

(٦) كتاب الرد على من أخلد الى الارض: ٢.

وهل هى من وضع الله تعالى أو البشر[١] : " زعم بعضهم أنه لافائدة لهذا الخلاف ، وليس كذلك ، بل ذكر له فائدتان : الاولى ـ فقهيه ، ولذا ذكرت هذه المسألة فى أصوله . والاخرى ـ نحويه ، ولهذا ذكرتها فى أصوله ـ تبعا لابن جنى فى الخصائص ـ وهى جواز قلب اللغة ، فان قلنا انها اصطلاحية جاز ، والافلا ، واطباق أكثر النحاة على أن المصحفات ليست بكلام ينبغى أن يكون من هذا الاصل "[٢] .

واذا تعقب كلامه ، واستدرك عليه بأمور فاتته ، قال بعد أن أورد من كتاب الخصائص نصا طويلا فى تداخل اللغات[٣] : " انتهى كلام ابن جنى ، وقد حكى غيره فى استعمال اللغتين المتداخلتين قولين : أحدهما ـ أن[٤] يجوز مطلقا ، والثانى ـ انما يجوز بشرط أن لا يؤدى الى استعمال لفظ مهمل كالحبك "[٥] .

واذا ترجح لديه رأى أكثر صوابا من رأى ابن جنى ، لم يتردد فى نقض قوله ، وابداء مايراه صحيحا فى المسألة ، ومن ذلك ما ذهب اليه ابن جنى ـ تبعا لشيخه أبى على ـ الى جواز الالحاق فى الكلام مطلقا[٦] ، واحتجا لذلك بأن العرب قد أدخلت فى كلامها الالفاظ الاعجمية كثيرا ، سواء كانت على بناء كلامها أم لم تكن .

قالا : " لو شاء شاعر ، أو ساجع ، أو متسع ، أن يبنى بالحاق اللام اسما ، وفعلا ، وصفة ، لجاز له ، ولكان ذلك من كلام العرب ، وذلك نحو قولك : خرجج أكرم من دخلل ، وضريب زيد عرما ، ومررت برجل ضريب وكرم "[٧] .

فرد عليهما السيوطي ، قائلا : " ان اللفظ الاعجمى لايصير ـ بادخال العرب له فى كلامها ـ عربيا ، بل تكون قد تكلمت به بلغة غيرها ، واذا تكلمنا نحن بهذه الالفاظ المصنوعة كنا قد تكلمنا بما لا يرجع الى لغة من اللغات "[٨] .

---

(١) انظر : الاقتراح : الكلام فى المقدمات : ٦ ـ ٨ .
(٢) نفسه ، وانظر ـ أيضا ـ المسألة الاولى من الفصل الرابع فى العلة : ٤٦ ـ ٤٧ .
(٣) انظر : الاقتراح : ٢٥ ـ ٢٦ .
(٤) كذا فى المطبوع والمخطوط .
(٥) نفسه : ٢٦ ، وانظر ، كذلك ، المسألة الثانية فى أقسام العلل : ٥٠ ـ ٥١ ، والمسألة الرابعة فى الكتاب السابع : ٨٦ ، والمسألة الاولى فى الكتاب الثانى : ٣٦ ، وانظر : المزهر : ١/٤٨ ـ ٥١ ، ١٠ ـ ١٦ ، ٢/٣٦٩ ـ ٣٨١ .
(٦) انظر : الخصائص : ١/٣٥٧ ـ ٣٦٩ .
(٧) نفسه : ٨/٣٥٨ .
(٨) الهمع : ٢/٢١٧ .

واذا وجده على حق ، لم يتوان عن الاندفاع في الجدل عنه ، وتقديم العذر له مما قد يساء فهمه منه ، على نحو ما حدث ، حين قدح ابن جني - فيمن قدح من الناس - في كتاب الجمهرة لابن دريد ، بحيث يفهم من عبارته ما لم يرد قوله فيه ، فانبرى السيوطي يكشف عن مقصوده ، ويضع الامور في نصابها .

قال : " قال ابن جني في الخصائص : وأما كتاب الجمهرة ، ففيه - أيضا - من اضطراب التصنيف ، وفساد التصريف ، مما أعذر واضعه فيه لبعده عن معرفة هذا الامر ، ولما كتبته وقعت في متونه وحواشيه جميعا من التنبيه على هذه المواضع ما استحييت من كثرته ، ثم انه لما طال على ، أو مأت الى بعضه ، وضربت - البتة - عن بعضه .

" قلت : مقصوده الفساد من حيث أبنية التصريف ، وذكر المواد في غير محالها ، كما تقدم في الصين ، ولهذا قال : أعذر واضعه فيه لبعده عن معرفة هذا الامر ، يعني : ان ابن دريد قصير الباع في التصريف ، وان كان طويل الباع في اللغة . وكان ابن جني - في التصريف - إماما لا يشق غباره ، فلذا قال ذلك "(١)

---

(١) المزهر : ١/٩٣ ، وانظر - أيضا - ١/١١٩ ، ٣٦٦ .

رابعا ـ الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها : لابي الحسين أحمد بن فارس الرازي (١) ، وهو " أول مؤلف في العربية يحمل عنوان (فقه اللغة) ، وقد سار الثعالبي على منوال ابن فارس ، فسمى كتابه (فقه اللغة وسر العربية) ، ثم جاز هذا الاصطلاح قبول علماء اللغة المحدثين ، فاطلقوه على تآليفهم في مختلف ميادين علم اللغة " (٢) .

اشتمل الكتاب على مجموعة قيمة في اللغة والنحو والادب والبلاغة ونحوها مما دونه العلماء السابقون في كتبهم ، مع ايضاح ما كان موجزا ، واختصار ما كان مبسوطا مطولا ، ولذلك فهو لا يدعي الجده فيه ، بل يعترف بأن كتابه ليس الا جمعا لمتفرق ، أو شرحا لمشكل ، أو بسطا لمختصر ، أو اختصارا لمبسوط ، حيث يقول : " والذي جمعناه في مؤلفنا هذا مفرق في أصناف مؤلفات العلماء المتقدمين ـ رضي الله عنهم ، وجزاهم عنا أفضل الجزاء ـ وانما لنا فيه اختصار مبسوط أو بسط مختصر أو شرح مشكل أو جمع متفرق " (٣) .

وهو ينقسم الى أربعة أقسام ، أولها ـ لغوي ، بالمعنى الاصطلاحي المتعارف عليه اليوم (٤) ، وثانيها ـ نحوي صرفي صوتي (٥) ، وثالثها ـ بلاغي بياني يتناول التراكيب وطرائق التعبير (٦) ، ورابعها ـ أدبي يأتي على الشعر ، والضرورات الشعرية ، ووجوه تصرف الشاعر لاقامة الوزن ، والحكمة في تنزيه النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ عن قول الشعر (٧) .

فالكتاب ـ اذن ـ يعالج أربعة موضوعات أساسية ، وفي وسعنا أن نفرد

---

(١) نسبة الى الري ، مدينة في بلاد الديلم ، بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخا ، والزاي زائدة فيها ، كما زادوها في (المروزي) عند النسبة الى (مرو) ، انظر : معجم البلدان : ٣/١١٦ ـ ١٢٢ .
(٢) مقدمة الدكتور مصطفى الشويمي لكتاب " الصاحبي " : ١٨ .
(٣) الصاحبي : ٣١ .
(٤) انظر : ٣١ ـ ٨١ .
(٥) انظر : ٨١ ـ ١٧٩ .
(٦) انظر : ١٧٩ ـ ٢٧٣ .
(٧) انظر : ٢٧٣ ـ ٢٧٧ .

كل موضوع منها - على حده - في كتاب بعينه ، دون أن يحدث عملنا هذا اخلالا في محتويات الكتاب ، ولعل هذا ما جعل ناشر الكتاب يذهب - في تعليل هذا النوع من التأليف عند ابن فارس - الى أنه " ليس ببعيد أن يكون ابن فارس قد جمع عددا من رسائله الصغيره ، فألف منها كتابا ، مع الاختصار أو التوسع ... "(١) ، ويقرر بأن كتاب الصاحبي " من كتب الثقافة اللغوية العامة "(٢) .

على أن ابن فارس كان في موضوعات كتابه - على اختلاف أنواعها - عالما لغويا ، فقيها في لغته ، محيطا بأسرارها ودقائقها ، يعنى بمعالجة موضوعاته - من لغة ونحو وتصريف وبلاغة وبيان وأدب - من ناحية اللغة فقط ، لا عالما فنيا ، يعالج هذه الموضوعات من ناحية فنية موضوعية ، بحيث يتناول كل فن - على حده - دون تخليط ، مع الوفاء بمصطلحاته ، واستيعاب ميدانه ، والغوص في أرجائه .

نقرأ له موضوعا في اللغة ، كالقلب (٣) ، والابدال (٤) ، والاشتراك (٥) ، والنحت (٦) ، فنراه يعرض لتعريف هذه الموضوعات ، ثم يذكر طرفا من الامثلة عليها مما ورد في القرآن الكريم ، أو الحديث النبوى الشريف ، أو كلام العرب ، معقبا على كل منها بشرح المراد منها ، كل ذلك في عدد قليل من الاسطر ، يشعر بأن ابن فارس أراد أن يقف طلاب اللغة على "فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها " من خلال كتاب مختصر يستأنس به الباحث في لغة العرب ، ولا يستغنى عنه شاد في الادب .

* * *

نشر هذا الكتاب مرتين ، المرة الاولى في مطبعة المؤيد بالقاهرة سنة ١٩١٠م ، نشره السيد محب الدين الخطيب ، واعتمد - في نشره - على نسخة محمد محمود بن التلاميد التركزي الشنقيطي المحفوظة في المكتبة الخديوية بمصر ، والمنقوله عن أقدم نسخة للكتاب محفوظه في جامع بايزيد بالقسطنطينية - بخط أبي محمد نوح بن أحمد اللوباساني ، في شعبان سنة ٣٨٢هـ (٧) .

---

(١) الصاحبي : مقدمة الدكتور الشويمى : ١٨ .
(٢) نفسه : ١٩ .
(٣) نفسه : ٢٠٢ - ٢٠٣ .
(٤) نفسه : ٢٠٣ - ٢٠٤ .
(٥) نفسه : ٢٦٩ .
(٦) نفسه : ٢٧١ .
(٧) انظر : معجم المطبوعات : ١/١٩٩ ، ومقدمة الخطيب للصاحبي : ٣/- ٥ ، ومقدمة الدكتور الشويمى : ١٩ - ٢٠

والمرة الثانية فى مؤسسة بدران للطباعة والنشر ببيروت سنة ١٩٦٣م بعناية الدكتور مصطفى الشويمى ، واعتمد - فى نشره - على نسخة القسطنطينية التى مر ذكرها ، ونسخة مكتبة أيا صوفيا ، وطبعة الخطيب السابقة ، فجاءت طبعته محققة تحقيقا علميا جيدا ، مذيلة بفهارس مفصلة ، بناء على القواعد العلمية المرعية - الان - فى تحقيق تراثنا القديم (١) .

ويعيد نشره الان الاستاذ السيد أحمد صقر ، معتمدا على نسختى استانبول ، نسخة جامع بايزيد ، ونسخة مكتبة أيا صوفيا ، وهما اللتان اعتمد عليهما الدكتور الشويمى من قبل .

* * *

جاء السيوطي فى وقت تناهت فيه الى الناس موضوعات اللغة المختلفة وكادت تكون مجموعة معدة تحت أيديهم ، فى كتب لا ينهض لها الا المتخصصون من ذوى الفهم والبصر باللغة وأسرارها ، مثل كتاب " الخصائص " لابن جنى ، وفى كتب همها الاوحد اطلاع عامة الناس على عبقرية اللغة العربية ، وتيسير مهمة الباحثين - فى العربية - فى الوصول الى ما يريدون من أقرب طريق ، مثل كتاب " الصاحبى " لابن فارس .

فكان لزاما عليه أن يحاول وضع أسس جديدة ، يبنى عليها كتبه ، غير محاولة الجمع التى كان يقتصر عليها من قبله غالبا .

---

(١) انظر : مقدمة الدكتور الشويمى للصاحبى : ١٩ - ٢٠ ، غير أنه لم يشر - كما لم يشر الخطيب كذلك - الى شىء من الخلاف ، الواقع بين الذين ترجموا لابن فارس ، فى اسم الكتاب ، فقد ذكره ابن الانبارى فى " نزهة الالباء " : ٢٢١ ، والسيوطي فى "البغية" : ٣٥٢/١ ، واسماعيل البغدادى فى " هدية العارفين " : ٦٨/١ ، وحاجى خليفه فى " كشف الظنون " : ١٢٨٨ باسم (فقه اللغة) ، وذكره ياقوت فى " معجم الادباء " : ٧/٢ ، وحاجى خليفة فى " كشف الظنون " : ١٠٦٨ باسم (الصاحبى) ، وذكره السيوطي فى " طبقات المفسرين " : ٤ ، وطاش كبرى زاده فى " مفتاح السعادة " : ١٠٩/١ باسم (فقه اللغات) ، وذكره ابن فارس فى أول كتاب الصاحبى باسم " الصاحبى فى فقه اللغة العربية وسنن العرب فى كلامها " .
والعجيب أن ياقوتا - فى ترجمته لابن فارس - ذكر أن " له من التصانيف : كتاب المجمل ، وكتاب متخير الالفاظ ، وكتاب فقه اللغة .... وكتاب الصاحبى - صنفه لخزانة الصاحب " ، فوهم ، وجعل من الكتاب الواحد كتابين .

ففى " الاقتراح " قدم علم أصول النحو وجدله مرتبا موصلا فى أوجز صورة ، ناسجا فيه على منوال أهل الاصول .

وفى " المزهر " انفرد بطابعة تأليف مبتكرة ، قامت على محاكاة علوم الحديث النبوى الشريف فى التقاسيم والانواع ، وعلى تفهمه التصور العربى لقضايا الالفاظ وقضايا المعنى فى اللغة ، وعلى بقية الاعتبارات التى وضعها فى ذهنه ، حال تأليفه هذا الكتاب ، فاخرج لنا علوم اللغة العربية وأوعيها التى تعد - اليوم - من صميم فقه اللغة ، اخراجا متميزا عن سواه ، فكان يبلورة ممتازة لجهود السابقين ، ومرجعا أساسيا فى البحث اللغوى عند العرب منذ عصره حتى الان .

وفى " الاشباه والنظائر النحوية " يستخدم - فى عرض مواده - منهجا تاريخيا ممزوجا بالمنهج النقدى ، فهو يعرض لنا أهم الكتب التى ألفت فى هذا الباب قبله ، ويصفها ، ويفاضل بينها ، ويفضل بعضها على الاخر ، ثم يسير فى سرد موضوعاته سير علماء الفقه ، فينحو بالتأليف فى العربية نحوا جديدا غير ما ألفه الناس . (١)

وفى ضوء هذه الاسس المبتكرة التى وضعها السيوطى فى تأليف كتبه ، رجع الى " الصاحبى " ، ونقل منه كثيرا .

ولنا - الان - أن نبين أهمية " الصاحبى " الشديدة التى ألجأت السيوطي الى الاخذ منه ، بمثل هذه الصورة الكبيرة التى نرى كتبه عليها ، بحيث تردد اسم هذا الكتاب وصاحبه فى كتاب ، كالمزهر ، نحوا من سبعين مرة ، ووجدناه فرحان جذلا بالنسخة التى وقع عليها منه ، لانها كانت مقروءة على ابن فارس وكان عليها خطه ، وصرح بأنه قد نقل فى المزهر غالب ما فى هذه النسخة . (٢)

وترجع أهمية كتاب " الصاحبى " فى تصورنا الى ما يأتى :

١ - يحتوى على أربعة فنون رئيسية من فنون العربية ، وعلى طائفة غير قليلة من أقوال الادباء والعلماء ، وأمثلة الشعر والنثر على الموضوعات المختلفة .

---

(١) يشبه السيوطي كتابه " الاشباه والنظائر النحوية " بكتاب القاضى تاج الدين السبكى فى الفقه وكتاب " القواعد " للزركشي ، انظر : الاشباه والنظائر : ١/٣ ، ٥ .

(٢) انظر : المزهر : ١/٤٠٣ .

٢ ـ جاء الفن الاول من الكتاب فى اللغويات مجيدا فياضا ، عرض للكثير من الموضوعات ذات الاهمية البالغة فى خصائص العربية ، ولغة القرآن ، واللغات المذمومة ، والخط العربى ، وقضية الوضع اللغوى ، والاحتجاج ، والقياس ...

٣ ـ أنه التزم فيه جانب الايجاز الشديد ، وحالف طريق الاختصار بالقدر الذى يوضح المراد ، دون تتبع الاختلافات ، أو جمعها فى قول متحد ، أو التصدى للرد عليها ، والاقلال من الشواهد ، والاقتصار على المعروف منها فقط .

٤ ـ منهجه القائم على الرغبة فى التيسير حمله على حسن الترتيب ، وتوخى التقريب والابانة بالمنطق القريب والعبارة المألوفة .

٥ ـ أنه يعدّ من أهم المصادر فى علوم اللغة العربية وفقهها ، ومؤلفها من أوائل علماء اللغة الذين عالجوا موضوعات اللغة ، وتميز كل منهم بمنهج مستقل ، فتميز ـ من بينهم ـ ابن فارس فى " الصاحبى " بالشمول والايجاز .

واذا نحن ألقينا نظرة سريعة على منهج السيوطي فى " المزهر " مثلا ، لنرى الى أى حد وافق السيوطي ابن فارس فى هذه الاعبارات التى نظن ظنا أنه أخذ بها نفسه حين شرع فى تأليف " الصاحبى " ، والى أى حد يختلفان ، ألفيناهما يتحدان فى شىء منها ، ويختلفان فى أشياء .

فهما متحدان فى جانب النقل مما كتبه العلماء المتقدمون ، وجمع ما تناثر ـ فى كتبهم ـ من المعلومات المختلفة والحقائق المشتته ـ لتأليف كتابيهما الجامعين المتخصصين ، ولذلك وجدنا ابن فارس يقول : " والذى جمعناه ـ فى مؤلفنا هذا ـ مفرق فى أصناف مؤلفات العلماء المتقدمين "(١) ، ثم وجدنا السيوطي ـ لعنايته بالنقل من كتب المتقدمين ، كابن فارس ـ لا يرى لكتابه " المزهر " مقدمة أفضل ، ولا أوجز ، ولا أكثر دلالة على عمله فيه من كلام ابن فارس هذا ، فعمد الى نقله بحذافيره ، ثم قال : " وبمثل قوله أقول فى هذا الكتاب "(٢) .

ولكنهما مختلفان فى كيفية ترتيب هذه المعلومات ، وكميتها ، ثم فى معالجة الابواب وطريقة العرض ، وفى نسبة الموضوعية والاستيعاب والوفاء بالمصطلحات .

---

(١) الصاحبى : ٣١ .
(٢) المزهر : ١/ ٦ .

فاذا كان ابن فارس قد ألم بمختلف موضعات اللغة الهامة عابرة ، فراح يقطف لنا من كل روض زهرة ، ويعرضها لنا في ا مامة صغيرة ، فان السيوطي قد انتقع بكتاب ابن فارس هذا ، كما انتقع من المصادر التي عول عليها في تأليفه ، ومن كل كتاب وقع عليه ، أعظم انتفاع ، وحقق فيها جميعا ودقق ، حتى استبان له ما يمكن أن نطلق عليه اسم ميدان فقه اللغة بمعناه الواسع ، فاتجه الى ما قد جمعه من النصوص والجذاذات الكثيرة ، واستل منها كل ما يتعلق بهذا الميدان ، وأقام منه علما مستقلا يكاد يكون مستوعب النظريات ، مستوفى المصطلحات .

وهذا يفسر لنا كيف هرع السيوطي الى كتاب " الصاحبي " فانتزع منه كل ما له علاقه بموضوعه ، وضمه الى كتابه " المزهر " ، بل نقل غالب ما فيه في كتابه ، كما قال (١) ، ثم كيف أنه يضيف اليه - بعد ذلك - ماجاء في الكتب الاخرى مما يدخل في موضوع بحثه من آراء موافقه ، أو معارضه ، أو شارحه ، كذلك يفسر لنا سبب تقيد السيوطي بالنصوص التي ينقلها - عادة - من الصاحبي ، ولا يكاد يتصرف فيها بالحذف ، أو الاختصار ، أو التلخيص ، كما فعل مع ابن جني - مثلا - في " الخصائص " .

فهناك نحو من سبعين نصا انتخبها السيوطي من " الصاحبي " ، ونثرها في كتابه " المزهر " ، والنص الواحد قد يطول حتى ليكاد يبلغ فصلا - بأكمله - من باب ، وقد يقصر فلا يتجاوز عددا من الاسطر .

وأبرز أمثلة النصوص الطويلة ، النص الذي ورد في النوع الثاني والعشرين من " المزهر " (٢) ، وأوله : " قال ابن فارس في فقه اللغة : لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها ، قال تعالى : (وانه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الامين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين) (٣) ، فوصفه - سبحانه - بأبلغ ما يوصف به الكلام ، وهو البيان ... " (٤) .

وآخره : " وهذه كلمات من قدحة واحدة ، فكيف اذا جال الطارف في سائر الحروف مجاله ، ولو تقصينا ذلك لجاوزنا الغرض ، ولما حوته أجلاد وأجلاد . هذا ما ذكره ابن

---

(١) انظر : المزهر : ١/٤٠٣ .
(٢) في معرفة خصائص اللغة .
(٣) سورة الشعراء : الايات ١٩٢ - ١٩٥ .
(٤) المزهر : ١/٣٢١ .

فارس في هذا الباب "(١).

وهذا النص يشكل بابا - بكامله - من أبواب القسم الاول لكتاب " الصاحبي "، وهو " باب القول على أن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها "، وعدة صفحاته في طبعة الدكتور الشويمي سبع.(٢)

وفي أثناء هذا النص، يتوقف السيوطي مرات، كعادته في النصوص الطويلة، فهو - مرة - يعقب على كلام ابن فارس: " وحدثني أحمد بن محمد بن بندار، قال: سمعت أبا عبد الله بن خالويه الهمذاني، يقول: جمعت - للاسد - خمسمائة اسم، وللحية مائتين "(٣) بقوله: قلت: ونظير ذلك ما في فقه اللغة للثعالبي: قد جمع حمزه ابن حسن الاصبهاني من اسماء الدواهي ما يزيد على أربعمائة، وذكر أن تكاثر اسماء الدواهي من الدواهي. قال: ومن العجائب أن أمة وسمت معنى واحدا بمئتين من الالفاظ "(٤).

ثم يكمل نقل النص قائلا: " ثم قال ابن فارس: وأخبرني علي بن أحمد بن الصباح قال: حدثنا أبو بكر بن دريد ..."(٥).

ومرة، يقف ليحذف بعض العبارات التي يرى أنه لا أهمية لذكرها، وهذا ما يحدث - عنده - قليلا، حين يطول به النص المنقول، فيتخلله شيء من الاستطرادات والزوائد التي من شأنها أن تباعد ما بين الموضوع وعنوانه أو تخرج به الى ما لا يفيد، ومثاله قول ابن فارس: " حدثنا ابن أخي الاصمعي عن عمه أن الرشيد سأله عن شعر لابي حزام المكلي، ففسره، فقال: يا أصمعي، ان الغريب عندك لغير غريب. قال: يا أمير المؤمنين، الا أكون كذلك وقد حفظت للحجر سبعين اسما. وهذا كما قاله الاصمعي. ولكافي الكفاة(٦) - أدام الله أيامه، وأبقى للمسلمين فضله - في ذلك كتاب مجرد "(٧).

---

(١) المزهر: ١/٣٢٧.
(٢) من: ٤٠ حتى ٤٧.
(٣) نسخة عارف حكمت: ق ٦٥/ب.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) نفسه.
(٦) يريد: الصاحب بن عباد.
(٧) الصاحبي: ٤٤.

حذف منه السيوطي العبارة الاخيرة " وهذا كما قاله الاصمعي . ولكافي الكفاة ـ أدام اللهايامه ، وأبقى للمسلمين فضله ـ في ذلك كتاب مجرد " ، وتابع نقل النص ، مشعرا قارئه ـ على عادته ـ بأن هناك حذفا قد طرأ على النص المنقول ، مصدرا عبارة ابن فارس الجديدة بقوله : " قال ابن فارس : فاين لسائر الامم ما للعرب؟ ومن ذا يمكنه أن يعبر عن قولهم : ذات الزمين ، وكثرة ذات اليد ، ويد الدهر ... "(١)

ثم يقف ـ أخيرا ـ مع آخر هذا النص ، ويقول " هذا آخر ما ذكره ابن فارس في هذا الباب "(٢) ، ليضيف اليه ما يدخل في الموضوع من كلام ابن فارس نفسه في مواضع أخرى من كتابه " الصاحبي " ، ومن كلام غيره من العلماء السابقين ، وهذا ما أعطى " المزهر " صفة الكتاب الجامع لمفردات علم فقه اللغة ، والحاوي لكثير من الاراء والنقول التي تخدم المباحث اللغوية المختلفة خدمة هائلة .

قال : " وقال(٣) في موضع آخر : باب ذكر ما اختصت به العرب : من العلوم الجليلة التي اختصت بها الاعراب الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ ... هذا كلام ابن فارس "(٤) .

وقال : " ثم قال : وللعرب حفظ الانساب وما يعلم أحد من الامم عني بحفظ النسب عناية العرب ... قال ابن فارس : انفردت العرب بالهمز في عرض الكلام ، مثل : قرأ ولا يكون في شيء من اللغات الا ابتداء . قال : ومما اختصت به لغة العرب الحاء والطاء ، وزعم قوم أن الضاد مقصورة على العرب ، دون سائر الامم "(٥) .

ثم قال : " وقال أبو عبيد : قد انفردت العرب بالالف واللام التي للتعريف ، كقولنا : الرجل والفرس ، فليستا في شيء من لغات الامم غير العرب ... "(٦) .

وهكذا ، فالسيوطي يجمع ـ في هذا الباب ـ بين ما اختص به العرب وما اختصت به لغتهم ، فيضم النصوص التي تعالج هذا الباب في متفرقات كتاب " الصاحبي " وغيره ، فيعرض لنا ـ من خلال عمله هذا ـ طريقة نقوله من المصادر المختلفة ، وصورة ترتيبها وتنظيمها ، ويعطينا فكرة طيبة عن أسلوب تفكيره وطبيعة تأليفه .

---

(١) المزهر : نسخة عارف حكمت : ق ٦٥/ب .
(٢) نفسه : ق ٦٦/أ .
(٣) يعني : ابن فارس في كتابه " الصاحبي " .
(٤) المزهر : ق ٦٦/أ .
(٥) نفسه .
(٦) نفسه .

ومن أمثلة النصوص القصيرة التى استمدها السيوطي من كتاب " الصاحبى " ، واستعان بها فى تأليف " المزهر " ، ما جاء فى أول النوع الخامس والعشرين منه فى معرفة المشترك ، قال : " قال ابن فارس فى فقه اللغة : باب الاسماء كيف تقع على المسميات ؟

" يسمى الشيئان المختلفان بالاسمين المختلفين ، وذلك أكثر الكلام ، كرجل وفرس . وتسمى الاشياء الكثيرة بالاسم الواحد ، نحو : عين الماء ، وعين المال ، وعين السحاب . ويسمى الشيء الواحد بالاسماء المختلفة ، نحو : السيف ، والمهند ، والحسام . انتهى "(١)

ولا يجرى السيوطي عادة أى تغيير فى هذه النصوص القصيرة ، حيث لا مجال للتغيير ، وليس هناك حشو ، أو استطراد ، أو طول يحسن التصرف فيه بحذف أو تلخيص .

* * *

ثم أن انتفاع السيوطى بكتاب " الصاحبى " لا يقف عند حد النقل منه ، والاضافة عليه ، فليس هذا دأب مصنف مجتهد يروم وضع كتاب جديد مبتكر فى فقه اللغة العربية ، وتاريخ وجودها ، وسيرة حياة مفرداتها ، ودلالات الفاظها " لم يسبقه اليه سابق ، ولا طرق سبيله قبله طارق " ، كما ذكر فى مقدمة " المزهر "(٢) .

وانما هو يأخذ فى دراساته اللغوية المتعمقة لما جمعه من النصوص أو عثر عليه من الملاحظات فى الموضوع ، ويدقق النظر فيه ، ويقلب الرأى فى مدى صحته وخطئه ، وقوته وضعفه ، وجماله وقبحه ، بحثا عن أى ضوء يعينه على تحقيق ما غمض أو أهمل أو اختلف فيه ، حتى اذا وضع كتابه قد تأتى له أن يتعقب ابن فارس ، فيعلن موافقته على ما يقول حين يستصيب رأيه ، وعدم موافقته له حين يرى رأيا غيره ، أو يستدرك عليه بشيء فاته من المعلومات والفوائد الاضافية ، لتقوية المعنى أو مزيد تفصيل فيه .

---

(١) المزهر : ق٧٥/أ ، ووازن بالصاحبى : ٩٦ ، وانظر - ان شئت - فى هذا الباب : المزهر : ق٥٣/ب ، ووازن بالصاحبى : ٤٨ (باب القول على اختلاف لغات العرب) و ق ٦٠/ب ، ووازن بالصاحبى : ٧٨ - ٧٩ (باب الاسباب الاسلامية) ، و ق ٦٨/ب ، ووازن بالصاحبى : ٦٧ (باب القول فى لغة العرب : هل لها قياس؟) ، وق ٧١/أ ، ووازن بالصاحبى : ١٩٦ - ١٩٧ (باب سنن العرب فى حقائق الكلام والمجاز) ، وق ٨٤/أ ، ووازن بالصاحبى : ٢٧٠ (باب الاتباع) ، وق ٩٩/أ ووازن بالصاحبى : ٢٧١ (باب النحت) .

(٢) انظر : ق١/أ .

واليك بعض الامثلـــة :

١ ـ قال ، فى النوع الثانى والاربعين ، عند كلامه على " معرفة كتابة اللغة " : "قال ابن فارس : والذى نقوله فيه : ان الخط توقيف ، وذلك لظاهر قوله تعالـــى : (الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم) (١) . وقوله تعالى : (ن والقلـم وما يسطرون) (٢) . واذا كان كذا ، فليس ببعيد أن يوقف آدم ـ عليه السلام ـ أو غيره من الانبياء ـ عليهم السلام ـ على الكتاب ، فأما أن يكون مخترع اخترعه من تلقاء نفسه ، فشىء لا يعلم صحته الا من خبر صحيح .

" قلت : يؤيد ماقاله من التوقيف ما أخرجه ابن اشتة (٣) ، من طريـــق سعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال : أول كتاب أنزله الله من السماء أبو جـــاد ، وأخرج الامام أحمد بن حنبل فى مسنده عن أبى ذر أن النبى ـ صلى الله عليـــه وسلم ـ قال : أول من خط بالقلم ادريس ـ عليه السلام " (٤) .

٢ ـ قال ، فى النوع السادس ، عند كلامه عن " معرفة من تقبل روايته ومن ترد " : " قال ابن فارس فى فقه اللغة : تؤخذ اللغة سماعا من الرواة الثقات ذوى الصدق والامانة ، ويتقى المظنون ، فحدثنا على بن ابراهيم عن المدانى ، عن أبيه ، عن معروف بـــن حسان ، عن الليث ، عن الخليل ، قال : ان التحاريز ربما ادخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب ، ارادة اللبس والتعنيت .....

" وقال (٥) الكمال ابن الانبارى ـ فى لمع الادلة فى أصول النحو : يشترط أن يكون ناقل اللغة عدلا ، رجلا كان أو امرأة ، حرا كان أو عبدا ، كما يشترط فى نقل الحديث ، لان بها معرفة تفسيره وتأويله ، فاشترط فى نقلها مـــا اشترط فى نقله ، وان لم تكن ـ فى الفضيلة ـ من شكله ، فان كان ناقل اللغة فاسقا لم يقبل نقله " (٦) .

---

(١) سورة العلق : الآيتان ٤ ـ ٥ .
(٢) سورة القلم : آية ١ .
(٣) هو : محمد بن عبد الله بن اشتة ، عالم بالعربية والقراءات .
(٤) المزهر : ق ١٩٥ /أ .
(٥) هذا من كلام السيوطي .
(٦) المزهر : ق ٢٩/أ ، ووازن بالصاحبى : ٦٢ ـ ٦٣ (باب القول فى مأخذ اللغة) .

٣ ـ وقال ، في النوع الثامن والعشرين ، عند كلامه عن " معرفة الاتباع " : "قال ابن فارس في فقه اللغة : للعرب الاتباع ، وهو أن تتبع الكلمة الكلمة على وزنها أو رويها اشباعا وتأكيدا .

" وروى أن بعض العرب سئل عن ذلك ، فقال : هوشيء نتد به كلامنا . وذلك قولهم : ساغب لاغب ، وهو خب ضب ، وخراب يباب . وقد شاركت العجم العرب في هذا الباب . انتهى . (١)

" وقد ألف ابن فارس المذكور تأليفا مستقلا في هذا النوع (٢) ، وقد رأيته مرتبا على حروف المعجم ، وفاته أكثر مما ذكره ، وقد اختصرت تأليفه ، وزدت عليه ما فاته في تأليف لطيف ، سميته : الالماع في الاتباع " (٣) .

٤ ـ وقال ، في النوع الثاني والاربعين ، عند كلامه عن " معرفة كتابة اللغة " : " قال ابن فارس : وكان ابن عباس يقول : أول من وضع الكتاب العربي اسماعيل ـ عليه السلام ـ وضعه على لفظه ومنطقه .

" قلت : هذا الاثر أخرجه ابن أشتة والحاكم (٤) في المستدرك (٥) ، من طريق عكرمة (٦) عن ابن عباس ، وزاد أنه كان موصولا ، حتى فرقه بين ولده ، يعني أنه وصل فيه جميع الكلمات ، ليس بين الحروف فرق ، هكذا : بسم الله الرحمن الرحيم . ثم فرقه بين أبنيه : هميسع وقيذر . (٧)

" ثم قال ابن فارس : والروايات في هذا الباب تكثر وتختلف .

" قلت : ذكر العسكري عن الاوائل في ذلك أقوالا ، فقال : أول من وضع الكتاب العربي اسماعيل ـ عليه السلام ـ ، وقيل مرامر بن مرة ، وأسلم بن جدرة ، وهما من أهل الانبار ، وفي ذلك يقول الشاعر :

---

(١) يعني : كلام ابن فارس ، وأن ما بعده من كلام السيوطي .
(٢) اسمه ، كما ذكره السيوطي ضمن تآليف ابن فارس في البغية : ١/٣٥٢ ، الاتباع والمزاوجة ، وذكر سركيس في " معجمه " : ١/١٩٩ أنه جمع فيهما ورد في كلام العرب مزدوجا ، وأنه قد نشر بتحقيق المستشرق الاستاذ رود ولف برونو في جيسن بالمانيا سنة ١٩٠٦م .
(٣) المزهر : ق٨٣/أ ، وقد ذكر السيوطي كتاب "الالماع في الاتباع" ضمن كتبه في فن اللغة والنحو والتصريف (فهرس مؤلفاته : ق٦/ب) وقد وهم محققو المزهر ، حين خلطوا بين هذا الكتاب وكتاب ابن فارس " الاتباع والمزاوجة " ، فجعلوا "الالماع في الاتباع" من الكتب التي احال عليها السيوطي في تصنيف كتابه المزهر ، انظر : ٢/٦٣٩ .
(٤) محدث خراسان . (٥) اشار الزركلي في "الاعلام" : ٧/٢٤٤ الى أنه مطبوع .
(٦) عكرمة البربري . (٧) انتهى كلام السيوطي ، وسيعود لوصل ما انقطع من النص .

كتبت اباجاد ، وحطى مرامر
وسودت سربالى ، ولست بكاتب

" وقيل : أول من وضعه ، أبجد ، وهوز ، وحطى ، وكلمن ، وسعفص ، وقرشت ، وكانوا ملوكا فسمى الهجاء بأسمائهم "(١) .

---

(١) المزهر : ق١٩٤/ب .

الفصل الثاني
مراجعه الثانويّة

أمّا مراجعه الثانويّة في اللّغة وهي ، في جملتها خلا المعاجم ، لا تخرج عن أحد إثنين : إمّا كتب مغمورة لم تر دور النّشر بعد ، أو رسائل صغيرة ، بعضها مطبوع ، وبعضها الآخر ـ وهو الكثير ـ ما يزال مخطوطاً ؛ فأهمّها :

١ ـ ارتشاف الضّرب من لسان العرب : لأبي حيّان الأندلسيّ ؛ وهو تجريد لكتابه الكبير " التذييل والتكميل في شرح التسهيل " ، كما نصّ على ذلك في مقدّمة " الارتشاف " (١) .

قال السيوطيّ : " لم يؤلّف ـ في العربية ـ أعظم من هذين الكتابين ، ولا أجمع ولا أحصى للخلاف والأحوال ، وعليهما اعتمدت في كتابي : جمع الجوامع ، نفع الله تعالى به " (٢) .

وليس في " المزهر " سوى نصّين من " الارتشاف " ؛ أحدهما صغير في عدد من الأسطر (٣) ، والآخر كبير في عدد من الصفحات (٤) ، وفي " الاقتراح " نصّ واحد لا يعدو عدد أسطره عن ستة (٥) ، وفي " الإتقان " نصّ واحد لا تعدو كلماته عن اثنتين (٦) .

ولم يطبع هذا الكتاب حتى الآن . (٧)

---

(١) انظر : مقدّمة النسخة المحفوظة في مكتبة عارف حكمت تحت رقم ١٨ لغة : ق ٢/أ .
(٢) البغية : ١/٢٨٢ .
(٣) انظر : المزهر : ١/٢٦٩ ـ ٢٧٠ .
(٤) انظر : نفسه : ٢/٥ ـ ٣٦ ، وهي تشكّل باباً برأسه من أبواب هذا النّوع ، وهو في " ذكر أبنية الأسماء وحصرها " .
(٥) انظر : الاقتراح : ٨٤ .
(٦) انظر : الإتقان : ٢/١٥٥ .
(٧) وقد وقفت الدكتورة خديجة الحديثيّ ، زمن إعدادها كتاب " أبو حيّان النّحويّ " على عشر نسخ خطيّة من الكتاب ، موزّعة في عدد من مكتبات العالم ، انظر : الكتاب : ١٣٨ ـ ١٣٩ .

٢ - التـذكرة : لتاج الدين أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم القيسى ، ذكر السيوطي أنها تقع فى ثلاثة مجلدات ، سماها ابن مكتوم قيد الاوابـد ، وصرح بأنه وقف عليها بخطه فى المحمودية . (١)

ويفهم من كلام السيوطي ، حين يتحدث عن مؤلفات ابن مكتوم ، ويقول : " ما نرومه فيها يحتاج الى دهر طويل من الوقوف على الغرائب والمناظرات واسناد الاحاديث والاخبار ، وان كنا حصلنا من ذلك - بحمد الله - الجم الغفير ، لكن لا نخلو كل يوم من الوقوف على فائدة جديدة ، والاطلاع على ما لم نكن اطلعنا عليه ، فيلزم ، من الاسراع بتبييضها ، اما اتلاف النسخ على أصحابها ، أو اخلاؤها من الزوائد " (٢) ، أن للرجل تصانيف كثيرة ، وأنها على جانـب كبير من الاهمية ، وأن السيوطي يستحسنها .

ومع أنه نقل لنا ، فى المزهر وحده ، اثنى عشر نصا من " التذكرة " تميزت بالايجاز (٣) ، فان الذى يفهم من كلام السيوطي - أيضا - حين ينقل من هذا الكتاب أنه لم يكن متداولا بين الناس فى زمنه بشكل واسع ، وذلك من نحو قولـه فى تصدير النص المنقول من " التذكرة " : " ونقلت من خط الشيخ تاج الديـن ابن مكتوم النحوى ... " (٤) ، أو قوله : " وفى تذكرة الشيخ تاج الدين ابـن مكتوم بخطه ... " (٥) ، أو قوله : " قال التاج ابن مكتوم فى تذكرته ، ومـن خطه نقلت ... " (٦) ، أو قوله : " رأيت بخط الشيخ ... " (٧) .

واذا كان الكتاب - فى زمنه - كذلك ، فهو - فى عصرنا الحاضـر - فى عداد الكتب المجهولة المفقودة ، وليس هناك البته ما يشير الى أن الكتـاب منشور ، أو ان كان مخطوطا فأين هى نسخه الخطية أو المصورة ، فى جميع مـا رجعنا اليه من كتب التراجم والفهارس .

---

(١) انظر : البغية : ١/٣٢٧ .
(٢) نفسه .
(٣) انظر : ١/٩١ ، ٢٧٥ ، ٢٩٣ ، ٤٢١ ، ٥٣٩ ، ٥٥٥ ، ٢/٩١ ، ١٠٦ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٩ ، ٢٧١ .
(٤) نفسه : ١/٤٤٣ .
(٥) نفسه : ١/٤٢١ .
(٦) نفسه : ٢/٩١ .
(٧) نفسه : ١/٤٤٧ .

٣ - كتاب الاتبـاع والمزاوجه : لابى الحسين أحمد بن فارس الرازى ، وهو تأليف مستقل فى " الاتباع " ، يبحث فيما ورد من كلام العرب مزدوجا ، بغيـة اشباع الكلمة وتأكيدها ، استعان به السيوطي فى النوع الذى جرده - مـن المزهـر - للكلام عن ظاهرة الاتباع فى اللغة(١) ، وذكر أنه اختصر تأليفـه ، وزاد عليه ما فات مصنفه ، فى تأليف سماه " الالماع فى الاتباع " (٢) .

نشر هذا الكتاب مرتين ، المرة الاولى فى " جيسن " بالمانيا سـنة ١٩٠٦ م ، نشره المستشرق الاستاذ رودولف برونو ، واعتمد فى نشره - علـى نسخة خطية مؤرخة فى ٦٢٦ هـ ، والمرة الثانية فى مطبعة السعادة بالقاهـرة سنة ١٩٤٧ م ، بتحقيق الاستاذ كمال مصطفى ، واعتمد - فى تحقيقه - علـى نسختين ، نسخه برونو التى مر ذكرها ، ونسخة خطية محفوظة فى دار الكتـب المصرية ، مؤرخة فى ٧١١ هـ(٣)

٤ - نوادر ابن الاعرابـى : لابى عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الاعرابى ، وهو غير : نوادر الزبيريين ، ونوادر بنى فقعس ، وهما لابن الاعرابى أيضـا ، ذكرها السيوطي جميعا فى " البغية " ، حين ترجم له ، فذكر أن " له مـن الكتب : النوادر ، الانواء ، صفة المحل ، صفة الدرع ، الخيل ، مدح القبائل ، معانى الشعر ، تفسير الامثال ، النبات ، الالفاظ ، نسب الخيل ، نوادر الزبيريين ، نوادر بنى فقعس ، النبت والبقل " (٤) .

وما تزال هذه الكتب بين مخطوطة ومفقودة ، وذكر بروكلمان أن هنـاك نسخة خطية واحدة من كتابنا " نوادر ابن الاعرابى " فى المكتبة الخالدية بالقدس(٥).

وفى "المزهر" وحده تسعة عشر نصا من هذا الكتاب .(٦)

---

(١) انظر : المزهر : ١/٤١٤ - ٤٢٥ .
(٢) نفسه .
(٣) انظر : مقدمة الاتباع والمزاوجة - ط . الاستاذ كمال مصطفى .
(٤) البغية : ١/١٠٦ .
(٥) بروكلمان : ٢/٢٠٤ .
(٦) انظر : ١/٣٩٤ ، ٤٣٩ ، ٤٧٩ ، ٥٠٥ ، ٥٢٧ ، ٥٣٨ ، ٥٤٨ ، ٥٧٦ ، ٢/٦١ ، ٩٤ ، ٢٢٠ ، ٢٢٧ ، ٢٩٠ ، ٣٠٤ ، ٤٣٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ .

الباب الخامس

نقد وتقويم

توطئة

لابدّ لنا ، بعد أن وصلنا إلى نهاية جولتنا مع السيوطيّ وجهوده في الدّراسات اللّغويّة ، أن نعمل على تقويم تلك الأعمال التي تركها ، حتى نتمكّن من إبراز قيمتها اللّغويّة ، ومن ثم نتبين أثرها في الدّراسات اللّغويّة ، ونحدّد مكانة صاحبها بين علماء اللّغة الذين حملوا رايتها ، وأضفوا أعمارهم في حفظها ودراستها .

ونبدأ ذلك بالوقوف — أوّلاً — على آراء عدد من القدماء والمحدثين من علماء اللّغة في هذه الأعمال .

ثمّ نناقش ، من أقوال المجحفين بحقّ السيوطيّ ، ما نظنّ أنّه يتّصل ببحثنا ويستحقّ منّا الوقوف عنده قليلاً .

وأخيراً نعرض للمآخذ التي لم يسلم منها السيوطيّ كما لم يسلم منها كثير من معاصريه ، فنقف على ما يؤخذ على مادّته ومنهجه على السواء .

الفصل الأول
آراء القدماء والمحدثين في السيوطي

لمّا كان الناس — قديماً وحديثاً — مختلفين في الرأي متفرّقين في الهوى ، يتباينون في أصغر المسائل كما يتباينون في أكبرها ، وربّما بلغ بهم هذا التباين — أحياناً — إلى حدّ التّضاد ، بسبب حدّة الخلاف بين الطوائف السياسيّة وأصحاب المذاهب الفقهيّة في الفروع ، في مصر السيوطيّ خاصة ، فقد كان له آثار بعيدة المدى فعلاً في الحكم على الموافق وعلى المخالف إلاّ من عصم اللّه من الشرور مع الهوى ، والخضوع للعصبيّة المقيتة ، فبينما يَعُدُّ بعضهم عالماً ما في أولياء الله المقرّبين ، يصفه آخرون بأنّه من أعداء اللّه المبعدين .

لمّا كان الناس على هذه الحال ، كان طبيعيّاً أن تتوزّع آراء القدماء والمحدثين في جهود السيوطيّ اللّغويّة إلى أربع طوائف :

الأولى : متقدمون يقرظونه .
والثانية : متقدمون يثلبونه .
والثالثة : متأخرون ينقدونه ، وينصفونه .
والرابعة : متأخرون يظلمونه ، ويغمطونه حقه ، دون تحقيق .

أولا - متقدمون يقرظونه :

من المتقدمين [1] من أثنى على السيوطى فى جهوده اللغوية ، ورأى فيه رأيا حسنا ، ويدخل فى هؤلاء معاصروه وتلاميذه الذين تلمذوا له ، وأفادوا منه شخصيا ، كما أفادوا من مصنفاته ، كما يدخل فيهم خالفوه ممن أتوا بعده ، ولم يتتلمذوا عليه ، ولم يأخذوا منه مباشرة ، وانما استفادوا من مصنفاته ، وبالغوا فى الحفاوة بها ، وفى تقدير صاحبها .

ومن هؤلاء وهؤلاء نذكر :

(أ) الحافظ شمس الدين محمد بن على بن أحمد الداودى المصرى الشافعى أو المالكى (ت ٩٤٥هـ) شيخ أهل الحديث فى عصره ، وواحد من أكثر تلاميذ السيوطى افادة من آثار شيخه .

قال فى ترجمة السيوطى : " وكان جبلا راسخا فى سائر الفنون والعلوم ، وماتزلزل فى جواب أجاب به ، ولقد قال : ما أجبت بجواب الا وأعددت له جوابا بين يدى الله تعالى ، وكان حافظا لحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بجميع أنواعه وفنونه كلها فى صحيحه ، وحسنه ، وضعيفه ، وموضوعه ، وطرقه ، وغريب ألفاظه ، وشرحه ، واعرابه ، وحل مشكله ، واستنباط فقهه ، وأحكامه ، وأسماء رجاله ، وضبطهم ، وجرحهم ، وتعديلهم ، ومواليدهم ، ووفياتهم . له اليد الطولى فى هذه الفنون كلها . وله فى هذه الأنواع مؤلفات متكفلة بذلك ، لايحتاج معها الى غيرها . وكان كثير النقل ، حسن التصريف ، مداوما للمطالعة والتصنيف . يؤدى الأمانة بعزو كل قول الى قائله " . [2]

---

(١) ونعنى بهم الذين عاصروا السيوطى ، أو أتوا بعده من العلماء الى بداية عصر النهضة الحديث .

(٢) ترجمة جلال الدين السيوطى : ق ١/أ . وذكر العماد الحنبلى أن له ترجمة فى مجلد ضخم ، فلعلها أن تكون ترجمة أخرى غير التى بأيدينا ، لأن التى بأيدينا تقع فى صفحتين فقط .

(ب) أبو محمد عبد الوهاب بن أحمد بن على الحنفى [1] الشعرانى (ت ٩٧٣ هـ) من علماء الصوفية ، وواحد من أكثر تلاميذ السيوطى اقتداء بشيخه حتى فى كثرة مؤلفاته .

قال فى أول " ذيل طبقاته " [2] يترجم السيوطى : " ومنهم شيخنا وقدوتنا الى الله تعالى الشيخ جلال الدين السيوطى — رحمه الله تعالى — ... وقد كان الشيخ جلال الدين — رحمه الله تعالى — على قدم السلف الصالح من العلماء العاملين وكمال العارفين ، وكان له مكاشفات غريبة ، وخوارق ، وعلوم جمة ، ومصنفات جيدة ، كثيرة الفوائد ، وأرسل الىّ ورقة مع والدى باجازته لى بجميع مروياته ومؤلفاته ، ثم لما جئت الى مصر ، قبيل موته ، اجتمعت به مرة واحدة ، فقرأت عليه بعض أحاديث من الستة ، وشيئا من المنهاج فى الفقه ، تبركا ، ثم بعد شهر ، سمعت ناعيه ينعى موته ، فحضرت الصلاة عليه عند الشيخ أحمد الابارىقى بالروضة ، عقب صلاة الجمعة ، وفى سبيل المؤمنين عند الجامع الجديد بمصر المتيق " [3]

(ج) أبو الطيب محمد صديق حسن خان الحسينى البخارى القنوجى [4] الملقب بنواب عالى الجاه أمير الملك بهادر ، زوج ملكة بهوپال (ت ١٣٠٧ هـ) ، وهو من المصنفين المكثرين ، صنف بالعربية والفارسية والهندية ، مستفيدا من تصانيف سلفه السيوطى ، فقد كان معتنيا بآثاره ، معنيا بتلخيص بعضها .

قال فى خطبة كتابه " البلغة فى أصول اللغة " [5] وهو يتحدث عن العربية وبلاغتها وفضلها ، ثم عن علومها وعلمائها : " وقد عنى بعلم اللغة ثلة من السلف المبرزين ، وجلة من الخلف المتقنين . ولم يعن بأصولها وارتيادها الا واحد — فيما علمت — من الفحول ، ومع ذلك لم يسمه بالأصول " [6]

---

(١) نسبة الى محمد ابن الحنفية ، فهو من ذريته ، كما جاء فى "شذرات الذهب" ٣٧٢/٨ .

(٢) مايزال " ذيل طبقات الشعرانى " مخطوطا حتى الآن ، فيما نعلم ، ومنه نسخة فى دار الكتب المصرية رقم ٤٩٣ تاريخ .

(٣) ذيل طبقات الشعرانى : ق ٢/أ .

(٤) كما ورد فى كتابه " البلغة فى أصول اللغة " ، وفى " الاعلام " : ٣٦/٧ فما بعد ، وجاء فى " ايضاح المكنون " : ص ١٠ وفى " تاريخ آداب اللغة " : ٦٠٢/٤ : " صديق خان ابن السيد حسن بن على بن لطف الله الحسينى القنوجى البخارى " .

(٥) مطبوع فى مط الجوائب بالقسطنطينية سنة ١٢٩٦ هـ ، لخص فيه كتاب " المزهر " وسار — الى حد كبير — على نظامه وترتيبه ، بل ألفاظه أحيانا .

(٦) يريد أن السيوطى سمى كتابه " المزهر " فى علوم اللغة وأنواعها " ، ولم يسمه "المزهر فى علوم اللغة وأصولها " .

بل وسمه بأنواع . وحاكى به علوم الحديث فى التقاسيم والانواع ، وأتى فيه بنفائس كثيرة تهتز لها الطباع ، ولطائف شريفة تطرب بها الاسماع ، وهو الجلال السيوطى فى المزهر ، أجزل الله له الاجر الوافر . فأردت انتقاءه على ذلك النظام ، وأفرغته فى قالب الايجاز بحسن الانسجام ، لتقاصر هم أبناء الزمان ، عن بلوغ ذروة الكمال ، وتقاعدهم عن التمسك بأذيال كمال العرفان ، لضيق المجال مع التزام اتمام المعانى ، وابرام قواعد المبانى . ولخصته مطروح الزوائد ، مجموع الفوائد . مع زيادة نزرة امتلأ بها الوطاب ، وتصرف يسير اعتلى منه الخطاب " (١)

(د) أبو الانوار ماء العينين بن محمد فاضل بن مامين (٢) (ت١٣٢٨هـ) من علماء شنقيط المكثرين من التصنيف فى الحديث واللغة والسير ، المقتدين بآثار السيوطى فى شموله وتنوع اهتماماته ، وذكروا أنه " ماجاء بعده مثله فى اقبال الناس عليه وانفاقه ... وصارت له فى مراكش أملاك طائلة من زوايا ودور وبساتين ومزارع ، وكان فاضلا كريما نافذ الكلمة فى المغرب " (٣) ، وعد له سركيس سبعة وأربعين كتابا مطبوعا حتى نهاية سنة ت ١٣٣٩ هـ (٤) ، وذكر أن جميع تصانيفه طبعت فى مدينة فاس.

من بين هذه التصانيف " ثمار المزهر " فيه نظم كتاب " المزهر " شعرا ، ويقع فى أكثر من ألفى بيت .

قال فى أول هذا النظم :

" قال عبيد الله ماء العينين ... يرجو القبول عند ذى الكونين

الحمد لله الذى شرفنا ... بلغة النبى اذ عرفنا

---

(١) البلغة فى أصول اللغة : ص ٤ .

(٢) كما جاء فى كتابه " ثمار المزهر " وجاء فى "الوسيط فى أخبار شنقيط" : ٣٦٠ وفى "معجم المطبوعات العربية " : ١٦٠١ " أبو عبد الله مصطفى بن محمد فاضل بن محمد مامين الشنقيطى القلقمى الملقب بماء العينين " .

(٣) معجم المطبوعات العربية : ١٦٠١ .

(٤) نفسه

صلى عليه الله ما قد فتحـــا ... لسان شخص عن ضمير شـــرحا
وبعد ذا فهاكموا أهل اللغـات ... نظما يفيد فى اللغات السـائغـات
نظمته من مزهر السيوطى كـــى ... يفيد ذا فصاحة وكل عـــــي
نوّعته كماله قد نوعـــــا ... لكن ذا مختصر نظما ســـمى
سميته لـــذا ثمار المزهـــر ... وصفتـــه من جوهر كالجوهـــر (١)

ونظم أحدهم (٢) تقريظا فى " ثمار المزهر " هذا ، قال فيه :

"خلّ عنّا نفحـات المزهـــر ... وأنلنا من ثمار المزهـــر
روض علم أينمـــت أزهـــاره ... فغدا جامع معـــنى أزهـــر
مال قلـــبى نحـــوه لما بـــدا ... مثل ميل العـــين نحو العبهـــر
يغبط الشيخ بـــه لو أبصـــرت ... ـــه عيون المجد بل والجوهـــرى
ويقينا لو رأى أزهـــاره ... لتمناه الامـــام الازهـــرى
حقّ أن يبـــذل ذو اللب لتحـ ... ـصيلـه أبهى صحاح الجوهـــر
فابذل المجهود فيـــه لو تجد ... فى تحاطيعناء الابهـــر
فلقد أبرزه الطـــبع لنـــا ... فى سما الكتـــب كبدر أشـــهر
اذ تناهى طبعـــه أرختـــه ... دونكم قطعـا ثمار المزهـــر" (٣)

(هـ) احمد بن الأمين الشنقيطى ، نزيل القاهرة ، والمتوفى فيها سنة ١٣٣١هـ ، صاحب كتاب " الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط" (٤) ، وأحد الذين أتـــوا بعد السيوطى وأثنوا كثيرا على كتبه ، واللغوية منها بوجه خاص ، ووصفوها بأنها عجيبة حسنة لم يسبق الى مثلها .

قال فى خطبة كتابه "الدرر اللوامع على همع الهوامع" (٥) : "ان الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى - رحمه الله تعالى - خدم لغة العـــرب خدمة قصر عنها معاصروه ، ولم يفته فيها سابقوه ، وقد ألف فيها كتبا كثـيرة ، منها ماخص به أصولها ، ومنها ماخص به فروعها ، وقلما غاص فى لجة الا استخرج

---

(١) ثمار المزهر : ص ٣
(٢) هو : أبو زيد عبد الرحمن بن جعفر الكتانى ، انظر ص ٢ من الكتاب نفســه .
(٣) ثمار المزهر : ص ٢
(٤) وهو مطبوع عدة طبعات .
(٥) طبع هذا الكتاب مرتين ، الاولى فى المطبعة الجمالية فى مصر سنة ١٣٢٨ هـ ، والثانية بالاوفست فى دار المعرفة فى بيروت سنة ١٣٩٣هـ .

مافيها من الدرر وان فاتته نكتة فى كتاب ، فماذاك الا لانه أدرجها فى غيره من كتبه ، ومن أجمع ما ألف ، وأنفع ماصنف: همع الهوامع على جمع الجوامع ، لولا بتره لشواهده ، فانه كثيرا ما يأتى بشطر بيت أو بكلمة أو كلمتين منه ، وكان الشاهد فيما بقى ، وانما فعل ذلك اتكالا على الحفظ ، لما يعلم فى أهل زمانه من سيلان الاذهان ، والحرص على العلم ، ولانه ألف كتابه هذا للعلماء ، ولم يؤلفه لصغار الطلبة ، فندبنى من حركته محبته لنشر الكتب المفيدة الى تذييله بما يوضح شواهده السيد محمد أمين الخانجى الكتبى ، وربما أتيت ببحث اقتصره أو تركه ، اعتمادا منه على مامر بيانه ، مع نسبة الشاهد الى قائله ، ولم أتعرض لترجمته ، غالبا - لعدم الحاجة اليها "[1].

ثانيا - متقدمون يثلبونه :

أثار السيوطى من الحساد والأعداء فى عصره لشهرته وانتشار كتبه واعتداده بنفسه ، وانتقاده أكثر علماء عصره ، وحدته وعنفه فى جداله معهم ، فتألبوا عليه وألصقوا به التهم ، ولقي منهم أذى كثيرا مع نكران فضل ، وجحود احسان ، وعاش حياته يتلقى عواقب مزاجه هذا ، زاهدا فى الدنيا ، مفترا بين الناس[2].

وله مقامة [3] أنشأها فى الاعتذار عن ترك الافتاء والتدريس لفساد زمانه وحقد أهله له ، وهي طافحة بشكواه من الناس وحسدهم اياه ، مع رجولة وصلابة وعزة نفس.

---

(١) الدرر اللوامع : ١/٢.

(٢) جاء فى " ذيل طبقات الشعرانى " : "لما بلغ الشيخ جلال الدين أربعين سنة ، أخذ فى التجرد للعبادة والانقطاع الى الله - عز وجل - والاشتغال به صرفا والاعراض عن الدنيا وأهلها حتى كأنه لم يعرف أحدا منهم ، وشرع فى تحرير مؤلفاته وترك الافتاء والتدريس ، وألف كتابا سماه : " التنفيس فى الاعتذار عن ترك الافتاء والتدريس ، واقام فى روضة المقياس فلم يتحول منها الى أن مات ، وبلغنا أنه لم يفتح طاقات بيته التى على بحر النيل مدة سكناه " : ق ١٧/ ب.

(٣) اسمها " المقامة اللؤلؤية " أو "التنفيس فى الاعتذار عن ترك الافتاء والتدريس" ومنها نسخة خطية جيدة فى قسم المخطوطات بجامعة الرياض منقولة عن نسخة دار الكتب المصرية بخط عبد العزيز عطية حمودة ، وهي برقم ١١٦١.

ومما جاء فيها : " الى كم تكثرون عليّ الكلام • وتدبرون لدى المـــلام • وتشيرون الي بالسلام • وتريشون لاجلى السهام • وتشرعون لى ألسنة كالاسنة • وتسرعون فى نسبى الى الضنة بالظنة • كأنى عندكم ممن لا يحفظ السنة • ولا ممن يعرف طرائق الســلف التى هي طرائق الى الجنة • فمهلا رويدا • وازرا على هذا الزمان الذى أزرى بنا وأيدا • وعونا على ماحملناه على النكد والكبد ممـــا كاده كل عدو مبين كيدا ••• أليس هذا زمان الصبر • الصابر فيه كقابض علـــى الجمر • رأينا فيه ما أنذر به الرسول • وصحت به الأحاديث سول • من آيـات وعلامات • ماكانت تقـــع فيما مضى منامات • ويود كل لبيب لو أنه عند المـــنى مـات • وما من آية منها الا وقد أمر النبى ــ عليه الصلاة والسلام ــ بأن يلـزم العالم عندها خاصة نفسه ويجلس فى بيته ويسكت ويدع أمر العوام • من ذلك الشـح المطاع • ودنيا مؤثرة وهوى له ذو أتباع • واعجاب كل ذى رأى برأيه ، وذلـك عين الابتداع • قد مرجت الأمانات والعهود • وكثر القائلون بالزور والشـهود • وجم الاختلاف • وقل الائتلاف • وكذب الصادق • وصدق الكاذب المـائق • وخون الأمين • وائتمن الخائن ومن يمين • ونطق الرويضـة [1] وذلـــك هو الطـامـة • وتكلم الرجل التافه فى أمر العامـة • وتعلم المتعلم لغـير العمل • وكان التفقه للدنيا وليس له فى الآخرة أمل • وأهين الكبير • وقـدم عليـه الصغير • ورفعت الأشـرار • ووضعت الأخيار • فلا يتبع العليم • ولا يستحى من الحليم • واتخذت البدعة سنة ، فلا يغيرها من مر • وصار الموت أحـب الى العلماء من الذهب الأحمر • واستعلى الجهال على العلماء • وقهـر السفهاء الحلماء • وولي الدين غير أهله • وظهر الفحش من كل جاهل علـى قدر جهله " [2] .

---

(١) كذا فـى الأصـل ، ولعله مصغر الرابضة ، وهو الرجل التافـه أى الحقير ــ ينطق فى أمر العامة ، والرويض الغنم برعاتها المجتمعة فـى مرابضها ومجتمع الحوايا ، انظر : القاموس المحيط : ٣٤٢/٢ فما بعد .

(٢) المقامة اللؤلؤية (مصورتى بالفوتوستات عن النسـخة الخطية المحفوظة فى قسـم المخطوطـات بجامعة الرياض برقـم ١١٦١) ق ٢ .

وأشد من جرّد على السيوطى لسانه ، من المتقدمين ، برهان الدين البقاعى (ت ٨٨٥هـ) والشمس الجوجرى (ت ٨٨٩هـ) وشمس الدين السخاوى (ت ٩٠٢هـ) وبرهان الدين ابن الكركى (ت ٩٢٢هـ) وشهاب الدين القسطلانى (ت ٩٢٣هـ) وابن العليف تلميذ الجوجرى (ت ٩٢٦ هـ) .

وأشد هؤلاء - فيما نظن :

الحافظ أبو الخير شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبى بكر ابن عثمان بن محمد السخاوى الشافعى المؤرخ الحجة الذى برع فى الفقه والحديث والقراءات والعربية ، وشارك فى الفرائض والحساب والتفسير وأصول الفقه والميقات وغيرها ، صاحب كتاب " الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع " (١) الذى ترجم فيه السيوطى ترجمة قاسية سجل فيها عليه أمورا انتقصه فيها ، وحمل عليه ، وعابه فى خلقه وعلمه ومؤلفاته جملة ، بحيث لم يكد ينسب اليه حسنة واحدة .

وانتصف السيوطى لنفسه من السخاوى فى كتابه " الكاوى فى الرد على السخاوى " (٢) وفى " نظم العقيان فى أعيان الاعيان " وفى "مسالك الحنفا " (٣) وفى " تنوير الحلك فى امكان رؤية النبى والملك " (٤) وفى " الرية النصر فى خصيصى بالقصر " (٥) وهدم مابناه فى تاريخه من مزاعم ، ونزه فيهما عرضه وأعراض بعض الائمة الاعلام ممن دأب السخاوى على الحط منهم فى تاريخه ، واشتغل بتنقيصهم وتتبع زلاتهم ، من أمثال: الفخر الديمى ، والبرهان البقاعى ، والبلقينى ، والقاياتى ، والقلقشندى ، والمناوى ، والمقريزى .

---

(١) مطبوع فى مكتبة القدسى بالقاهرة سنة ١٣٥٣هـ ، ثم نشرته دار مكتبة الحياة ببيروت بالاوفست .

(٢) مايزال مخطوطا - فيما نعلم - ومنه نسخة خطية محفوظة فى دار الكتب المصرية برقم ٢٠٢ مجاميع .

(٣) مطبوع عدة طبعات فى حيدر آباد الدكن ، وفى مصر ، وفى بيروت .

(٤) مطبوع فى مصر سنة ١٣٢٩هـ .

(٥) مطبوع ضمن كتابه " الحاوى للفتاوى " أنظر: ط الأستاذ محمد محي الدين عبد الحميد ، ٢/٤٧٨ - ٤٧٩ .

ومما قاله فى ترجمة السخاوى : " حضر املاء الحافظ ابن حجر صغيرا ، فحبب اليه الحديث ، فلازم مجالسه ، وكتب كثيرا من مصنفاته بخطه [1] ، وسمع الكثير جدا على المسندين بمصر والشام والحجاز ، وانتقى وخرج لنفسه ولغيره ، مع كثرة لحنه ، وعريه من كل علم ، بحيث انه لا يحسن من غير الفن الحديثى شيئا أصلا . ثم أكب على التاريخ ، فأفنى فيه عمره ، وأغرق فيه عمله ، وسلق فيه أعراض الناس ، وملأه بمساوىء الخلق وكل ما رموا به ان صدقا وان كذبا . وزعم أنه قام فى ذلك بواجب ، وهو الجرح والتعديل ، وهذا جهل مبين ، وضلال وافتراء على الله . بل قام بمحرم كبير ، وباء بوزر كثير ، كما أشرت اليه فى مقدمة هذا الكتاب [2] ، وانما نبهت على ذلك لئلا يغتر به ، أو يعتمد على ما فى تاريخه من الازراء بالناس ، خصوصا العلماء ، ولا يلتفت اليه " [3] .

والظاهر أن الذين أتوا بعد السيوطى لم يكتفوا بما انتصف به لنفسه من السخاوى ، وانما أرادوا أن ينتصفوا له منه أيضا ، فالرجل قد طعن فى طباعه ومواهبه وعلمه ومؤلفاته جميعا ، طعنه أقرانه ومنافسوه ، وهو دأب الاقران فى كل زمان ومكان مع الفضلاء والنابهين من العلماء .

ومن هؤلاء الشوكانى ، فى كتابه " البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع " ، فقد أفرد فيه سبع صفحات [4] ، للرد على مزاعم السخاوى فى السيوطى ، واحدا واحدا ، دون أن يطلق قلمه فيه ، وانما استهجن — فى هدوء — أسلوبه فى التحامل على السيوطى ، وتتبع اتهاماته التى شوه بها كثيرا من جهوده ، وردها عليه ، وأبان عن وجه الصواب .

---

(١) وفى " الدوران الفلكى على ابن الكركى " للسيوطى (لا يزال مخطوطا — فيما نعلم — ومنه نسخة جيدة فى دار الكتب برقم ٢٠٢ مجاميع) ذكر أن غالب ما ألفه السخاوى فى الفن الحديثى مسودات ظفر بها فى تركة شيخه الحافظ ابن حجر ، وساقها بألفاظها وحروفها ، ونسبها لنفسه .

(٢) يعنى كتابه " نظم العقيان " ، وقد أشار فى مقدمته الى أن هناك شروطا نص المتقدمون على ضرورة توفرها فى المؤرخين ، قبل أن يتصدوا لكتابة التاريخ ، وذكر منها : الصدق ، والاعتماد على نقل الثقات ، والوقوف على حال صاحب الترجمة علما ودينا وخلقا ، والانصاف ، فلا يغلبهم الهوى ، ويضعون من أناس ويرفعون من آخرين ، فيقعون فى محرم ، انظر : ص ٨ فما بعد .

(٣) نظم العقيان : ص ١٥٢ فما بعد .

(٤) من ١/٣٢٨ الى ٣٣٥ .

واليك شيئا من تفصيل ذلك :

قال السخاوى فى ترجمة السيوطى : " ... [1] كل ذلك مع كثرة مايقع له من التحريف والتصحيف وماينشأ عن فهم المراد ، لكونه لم يزاحم الفضلاء فى دروسهم ، ولا جلس بينهم فى مسائهم وتعريسهم " [2].

فقال الشوكانى : " وتصانيفه فى كل فن من الفنون [3] مقبولة قد سارت فى الاقطار مسير النهار ، ولكنه لم يسلم من حاسد لفضله وجاحد لمناقبه . فان السخاوى فى الضوء اللامع ، وهو من أقرانه ، ترجمه ترجمة مظلمة ، غالبها ثلب فظيع ، وسب شنيع ، وانتقاص ، وغمط لمناقبه ، تصريحا وتلويحا ، ولا جرم فذلك دأبه فى جميع الفضلاء من أقرانه ، وقد تنافس هو وصاحب الترجمة منافسة أوجبت تأليف صاحب الترجمة لرسالة سماها : الكاوى لدماغ السخاوى [4] ، فليصرف المطلع على ترجمة هذا الفاضل ، فى الضوء اللامع ، انها صدرت من خصم له غير مقبول عليه ... وقوله : انه كثير التصحيف والتحريف - مجرد دعوى عاطلة عن البرهان ، فهذه مؤلفاته على ظهر البسيطة محررة أحسن تحرير ، ومتقنة أبلغ اتقان " [5].

قال السخاوى : " ... وليته اذا اختلس ، لم يمسخها ، ولو نسخها على وجهها أنفع ، وفيها مما هو لغيره الكثير " [6].

فقال الشوكانى : " وكذا قوله : انه مسخ كذا ، وأخذ كذا ، ليس بعيب ، فان هذا مازال دأب المصنفين ، يأتى الآخر فيأخذ من كتب من قبله ، فيختصر ، أو يوضح ، أو يعترض ، أو نحو ذلك من الاغراض التى هي الباعثة على التصنيف ، ومن ذلك الذى يعمد الى فن قد صنف فيه من قبله ، فلا يأخذ من كلامه [7] "

---

(١) الترجمة مشحونة بذكر المساوئ وثلب الاعراض ، فقد رماه بالكذب ، واليتم ، والفقر ( ) ، والترفع على الناس ، والتكبر حتى على أمه ، وانه ليس أهلا للمعروف ، لأنه لا يشكر من أحسن اليه ، وأنه كان بليدا ، لعدم معرفته الحساب ، وان أمه كانت أمة تركية ، وانه لم يصل ولا كاد ، وتزيب قبل أن يتحصرم ، وأنه كان سيئ الأدب ، مهووسا ، الى غير ذلك من الاوصاف التى تتصل بشخصه دون مؤلفاته ومنهجه التأليفى .

(٢) ضوء اللامع : ٤/٦٨ .

(٣) يريد السيوطى .

(٤) هذه عبارة الشوكانى ، وقد ذكرها السيوطى فى فهرس مؤلفاته بعنوان " الكاوى فى الرد على السخاوى " : ق ١٠/أ نسخة الرباط ، وفى دار الكتب نسخة خطية منها تحمل العنوان نفسه .

(٥) البدر الطالع : ١/٣٢٨

(٦) الضوء اللامع : ٤/٦٦ فما بعد .

(٧) البدر الطالع : ١/٣٣٣ .

وقال السخاوى : " وأول ما أبرز : جزءا له فى تحريم المنطق ، جرده من مصنف لابن تيمية [١] ، واستعان فى أكثره ، فقام عليه الفضلاء ، بحيث كفه العلم البلقينى عنه ، وأخذ ماكان استكتبه به فى المسئلة ، ولولا تلطفى بالجماعة كالابناسى ، وابن الفالاتى ، وابن قاسم ، لكان مالا خير فيه " [٢].

وقال الشوكانى : " وأما مانقله من أقوال ماذكره من العلماء مما يؤذن بالحط على صاحب الترجمة [٣] ، فسبب ذلك : دعواه الاجتهاد ، كما صرح به ، ومازال هذا دأب الناس مع من بلغ الى تلك الرتبة ، ولكن قد عرفناك فى ترجمة ابن تيمية [٤] أنها جرت عادة الله - سبحانه - كما يدل عليه الاستقراء ، برفع شأن من عودى لسبب علمه وتصريحه بالحق وانتشار محاسنه بعد موته ، وارتفاع ذكره وانتفاع الناس بعلمه ، وهكذا كان أمر صاحب الترجمة ، فان مؤلفاته انتشرت فى الاقطار ، وسارت بها الركبان الى الانجاد والاغوار [٥] ، ورفع الله له من الذكر الحسن والثناء الجميل ، مالم يكن لأحد من معاصريه ".

وقال السخاوى : " وذكر [٦] أن تصانيفه زادت على ثلاثمائة كتاب ، رأيت منها ماهو فى ورقة ، وأما ماهو دون كراسة ، فكثير " [٧].

نقال الشوكانى : " وقوله : انه رأى بعضها فى ورقة ، لايخالف ماحكاه صاحب الترجمة من ذكر عدد مصنفاته ، فانه لم يقل انها زادت على ثلاثمائة مجلد ، بل قال انها زادت على ثلاثمائة كتاب ، وهذا الاسم يصدق على الورقة ومافوقها " [٨].

---

(١) والمعروف أن السيوطى قد اختصر كتاب " نصيحة أهل الايمان فى الرد على منطق اليونان " لتقي الدين ابن تيمية ، وسمى مختصره هذا "كتاب جهد القريحة فى تجريد النصيحة" ، وهو مطبوع فى مصر بتحقيق الاستاذ على سامى النشار سنة ١٩٤٧م ، ويقع فى ١٨٧ صفحة من القطع الكبير.

(٢) الضوء اللامع : ٤/٦٦.

(٣) يعنى : السيوطى .

(٤) هو ليس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام تقي الدين ابن تيمية الحرانى المشهور ، ولكن "محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الحليم بن عبد السلام" أو ولده "محمد" ويعرفان بان تيمية أيضا ، انظر ترجمتهما فى الضوء اللامع : ٩/١٢٤ فما بعد و ٩/٢٣٠.

(٥) البدر الطالع : ١/٣٣٤

(٦) يعنى : السيوطى .

(٧) الضوء اللامع : ٤/٦٨.

(٨) البدر الطالع : ١/٣٣٣.

وقال : " وعلى كل حال ، فهو غير مقبول عليه ، لما عرفت من قول أئمة الجرح والتعديل بعدم قبول الاقران فى بعضهم بعضا ، مع ظهور أدنى منافسة ، فكيف بمثل المنافسة بين هذين الرجلين ، التى أفضت الى تأليف بعضهم فى بعض . فان أقل من هذا يوجب عدم القبول ، والسخاوى - رحمه الله - وان كان اماما غير مدفوع ، لكنه كان كثير التحامل على أكابر أقرانه ، كما يعرف ذلك من طالع كتابه : الضوء اللامع ، فانه لا يقيم لهم وزنا ، بل لا يسلم غالبهم من الحط منه عليه ، وانما يعظم شيوخه وتلامذته ، ومن لم يعرفه ممن مات فى أول القرن التاسع قبل موته ، أو من كان من غير نصره ، أو يرجو خيره ، أو يخاف شره " (١)

ثالثا - متأخرون ينقدونه وينصفونه :

ولئن كنا رأينا فى المتقدمين نمطين متطرفين فى موقفهما من السيوطى وجهوده ، فاننا نرى فى المتأخرين نمطين أقل تطرفا ، حقا هناك نمط من المتحاملين أذاع كثيرا مما قاله أقران السيوطى ، وألقى أستارا صفيقة على الحقائق العلمية ، وحجبها عن أنظار كثير من الباحثين ، بحيث لم نسمع منه الا كلاما متحاملا ، معادا مكرورا ، ألقى على عواهنه دون فحص وبحث ، أو تحفظ واحتياط .

ولكن هناك ، الى جانب هذا النمط ، طرازا آخر من الباحثين ، أخذ نفسه بقول الحق ، والارتكان - فى الأحكام - على الفحص والتثبت والتوقف فى مواضع التوقف ، والصدور - بعد هذا كله - عن يقين ، فانصفه

---

(١) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع : ١/ ٣٢٨ فما بعد ، وانظر ترجمة السخاوى نفسه فى " الضوء اللامع " : ٨/ ١ - ٣٢ ، وترجم : البدر حسين بن احمد الازهرى : ٣/ ١٣٥ فما بعد ، والشيخ محمد بن أحمد النحريرى الضرير : ٧/ ١١ ، والشمس محمد ابن عمر الطباخ : ٨/ ٢٤٣ ، والعارف بالله يوسف بن أحمد الصفى : ١٠/ ٣٠٠ فما بعد ، والزين عبد الغنى بن محمد الاشليمى : ٤/ ٢٥٧ فما بعد ، والشمس محمد بن اسماعيل الونائى : ٧/ ١٤٠ فما بعد ، والمقرئ محمود بن محمد الهندى الاحمد آبادى : ١٠/ ١٤٨ ، والسلطان الاشرف أحمد ابن اينال الظاهرى (من ذرية الظاهر بيبرس) : ١/ ٢٤٦ .

ودل على مدى الظلم المجحف الذى صب عليه صبا - بحيث جعل موازين الباحثين المعاصرين تختل ازاءه اختلالا شديدا .

واليك بعضا من الأمثلة :

(أ) قال الدكتور مازن المبارك : " كان هذا الامام [1] واسع العلم فى العربية وعلوم الدين ، ووفق الى الكتابة فيهما ، حتى كان له من ذلك تراث عظيم " [2] .

وقال : " وقد شك بعضهم فى نسبة هذا العدد الضخم من المؤلفات الى السيوطى ، ووصفه بعضهم بأنه جماعة يؤلف من كتب غيره ، وأن كتبه ليس له فيها الا الجمع والترتيب .

" والحق أن كثيرا من الكتب التى ألفها ليست الا رسائل صغيرة ، وأن له كتبا جيدة فى بابها ، على الرغم من اعتماده فيها على كتب غيره ، كالاتقان فى علوم القرآن ، والاشباه والنظائر ، والاقتراح فى أصول النحو ، والمزهر فى علوم اللغة ، وبغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة " [3] .

(ب) وقال الأستاذ على محمد عمر فى مقدمة تحقيقه كتاب "طبقات الحفاظ" للسيوطى: " لخص الامام السيوطى طبقاته هذه من : طبقات الحفاظ [4] ، لمؤرخ الاسلام الحافظ الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨هـ . وجمع فيها تراجم من يرجع الى اجتهادهم فى التوفيق والتجريح ، والتضعيف والتصحيح ... على انى بعد أن قارنت مافى: طبقات الحفاظ - للسيوطى ، بما فى : طبقات الحفاظ - للذهبى ، رأيت أن السيوطى لم يتقيد تماما بما ذكره الذهبى فى طبقاته . فقد وجدت عند السيوطى من الآراء والنقول ماليس مذكورا عند الذهبى ، وهذا الأمر يدل على أن السيوطى كان يختار ويؤلف ، ولا يلخص فقط " [5] .

---

(١) يريد : السيوطى .
(٢) النحو العربى : ص ١٤٧ .
(٣) النصوص اللغوية : ص ٩٣ .
(٤) وقد نص السيوطى على ذلك فى خطبة كتابه فقال : " أما بعد ، فهذا كتاب طبقات الحفاظ ، ومعدل حملة العلم النبوى ، ومن يرجع الى اجتهادهم فى التوفيق والتجريح والتضعيف والتصحيح . لخصتها من طبقات امام الحفاظ أبى عبد الله الذهبى ، وذيلت عليه من جاء بعده" : ص ١ .
(٥) مقدمة كتاب طبقات الحفاظ للداودى - تحقيق الاستاذ على محمد عمر : ٧-٨ .

(جـ) وقال الدكتور صبحى الصالح : " ... ثم يجمع جلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١هـ من علماء القرن التاسع الهجرى - كتابه العظيم : المزهر فى علوم اللغة وأنواعها ، من أكثر الكتب المتقدمة ، ويزيد عليها بعض الأبحاث الجديدة . ولعل كتابه - بتنوع أبوابه ، واتساع أغراضه - ألصق المؤلفات بفقه اللغة : ففيه تقرأ عن نشأة اللغات، وتداخلها وتوافقها ، والمصنوع والفصيح ، والمستعمل والمهمل ، والحوشى والغريب ... " (١) .

وقال : " هاهو ذا السيوطى يصهر فى : اتقانه (٢) جميع المباحث القرآنية البلاغية التى التقطها من عدد لا يستهان به من المصنفات السابقة ، وهو يشير اليها بأمانة واخلاص ، فيدرس تشبيه القرآن واستعارته وكنايته ، وتعريضه ، وحقيقته ، ومجازه ، وحصره ، واختصاصه ، وايجازه ، واطنابه ، وخبره ، وانشاءه ، وجدله ، وأمثاله ، وأقسامه ، فلايكاد يفوته فن من فنون القرآن الأدبية ، ولا يكاد ينسى جملة مستجادة لأحد المفسرين ، يبرز بها موطنا من مواطن الجمال القرآنى " (٣) .

(د) وقال الدكتور محمد عيد : " وقد كان عمل السيوطى مفيدا من حيث جمع الجزئيات التى اطلع عليها فى كتب السابقين فى موضع واحد ، وهذه وهي اللفته المفيدة الذكية التى تذكر له فتشكر ... هذا وقد تأثر بالسيوطى أحد علماء القرن الحادى عشر ، واسمه : يحيى المغربى ، اذ ألف كتابا أسماه : ارتقاء السيادة فى أصول النحو - مخطوطة بالتيمورية (٤)، يسير فيه وراء السيوطى خطوة خطوة ، مع اختلاف الأسلوب ، وطريقة العرض فقط ، لكنه لم يقدم شيئا جديدا يستحق التنويه به ، تماما كما فعل بعد ذلك البغدادى فى : خزانة الأدب : " (٥) .

---

(١) دراسات فى فقه اللغة : ص ٢٥ .
(٢) يريد : الاتقان فى علوم القرآن .
(٣) مباحث فى علوم القرآن : ص ٢٦٢ .
(٤) ومنه نسختان وقفنا عليهما فى الخزانة العامة بالرباط ، الاولى برقم ١٨٦٢ د ، والأخرى برقم ١٩٩٥ د .
(٥) الرواية والاستشهاد باللغة : ص ١١٦

(هـ) وقال الأستاذ عبدالوهاب عبداللطيف فى مقدمة تحقيقه كتاب " تدريب الراوى " للسيوطى : " هو أحفظ للمتون من السخاوى ، وأبصر باستنباط الأحكام الشرعية ، وله الباع الطويل فى العربية ، والتفسير بالمأثور ، وجمع المتون والاطلاع على كثير من المؤلفات التى لم يطلع عليها علماء عصره ، وأنه أفاد وانتفع به فى الافتاء والأجزاء والتأليف. وقد وقع فى بعض مؤلفاته الحديثية بعض التسامح والتناقض ، مثل ماذكره الحافظ أحمد الصديق فى كتابه : المغير على الجامع الصغير[1]، وذلك لازم للمكثرين من العلماء ، مثل ماوقع لأبى الفرج ابن الجوزى فى مؤلفاته فى الحديث ، وبعض مؤلفاته وصلت الينا محرفة ، لعدم العناية من نساخ الأصول ، مثل ماذكر عنه من علامات الصحة والضعف على الجامع الصغير ، مما تناقض فيه تلميذه العلقمى وغيره من العلماء، وتعددت فيه النسخ ، وبعض ذلك كان اجتهادا منه ، والمجتهد المخطىء مأجور . وقد نسبت اليه مؤلفات ، هو منها برىء ، دست عليه من حساده ، وأضافها اليه بعض الناس لترويجها ، وفى مؤلفاته ماهو معدوم النظير فى بابه " [2] .

(و) وقال الدكتور شوقى ضيف : " ... هو أغزر العلماء المصريين فى عصره تأليفا فى جميع الميادين ، فى التفسير ، والحديث ، والفقه ، والتاريخ ، والتراجم ، واللغة ، والنحو . ومن أنفس كتبه اللغوية كتابه : المزهر فى علوم اللغة ، وهو يضم مباحث واسعة فى فقه العربية[3]".

وقال : " وكان طبيعيا فى هذا العصر [4] ، وقد عاد تراثنا العلمى العربى الى الحياة حياة خصبة ، أن يندفع العلماء فى مصر والشام

---

(١) مطبوع عدة طبعات .

(٢) مقدمة كتاب " تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى - للسيوطى : ١/٢٧ .

(٣) المدارس النحوية : ص ٣٦٢ - ٣٦٣ .

(٤) يريد : العصر الممتد من سقوط بغداد فى أيدى المغول سنة ٦٥٦ هـ الى سقوط دولة المماليك المصرية الشامية فى أيدى العثمانيين سنة ٩٢٣ هـ .

الى تجديده وتنميته ، والاضافة اليه اضافة تختلف من علم الى علم قوة وضعفا ، وسعة وضيقا ، ونحن نستعرض في اجمال بعض ما حققوه من اضافات جديدة في مختلف العلوم ، ونبدأ بعلوم اللغة والنحو ، أما في اللغة فقد نفذ السيوطي في كتابه : المزهر - الى تطبيق ما وضعه المحدثون على رواية الحديث النبوي من نقد للسند والمتن على الرواية اللغوية ، فاذا منها متواتر وآحاد ومرسل وأفراد ومطرد وشاذ وضعيف ومنكر الى غير ذلك من ألقاب رواية الحديث ، جمع لها من كتب اللغة الشواهد والأمثلة ، فاذا اللغة علم نقدي يلتقي مع نقد الحديث ومصطلحاته التقاء علميا بارعا ...(١)".

(ز) وقال الأستاذ محمد الصباغ في مقدمة تحقيقه كتاب " تحذير الخواص" للسيوطي : " ... لقد نفع الله بالرجل ومؤلفاته كثيرا . وكتب له من الشهرة ما لم يتح الا لعدد قليل من العلماء ، ويعود ذلك الى أسباب مختلفة . لعل منها : حسن اختياره الكتب وموضوعاتها وجمعه أكبر مادة فيها .

" ومنها أن السيوطي لخص كتبا غير شائعة ، فكانت المعلومات التي تضمنتها كتبه معلومات شيقة لا يتيسر مثلها في الكتب المتداولة .

" ومنها أنه رزق من التلاميذ والأعوان والمعجبين العدد الذي يكفي لترويج هذه الكتب ونشرها .

" ولعل الضجة الكبرى التي علت في عصره بسبب الخصومة بينه وبين عدد من علماء عصره كانت من الأسباب التي أدت الى انتشار كتبه .

" ولعل الرجل كان مخلصا في تأليفها ، فاخلاص المؤلف من أكبر أسباب انتفاع الناس بكتبه ، وهذا أمر ملاحظ ملموس .

" والحق أن هذه المؤلفات الكثيرة ناطقة بسعة علمه وعظيم جلده وقوة استحضاره ". (٢)

---

(١) عصر احياء التراث العربي وتجديده : ص ١١ .
(٢) مقدمة كتاب " تحذير الخواص" : ص ٤٣ - ٤٤ .

(حـ) وقال الدكتور عبد الصبور شاهين في مقدمة تحقيقه كتاب " لطائف الاشارات " للقسطلاني : " غير أن علاقة أخرى توشك أن تكون على النقيض مما سبق ، وهي علاقته [1] بالامام جلال الدين السيوطي (٨٤٩ هـ - ٩١١ هـ) فقد كانا متعاصرين ، وكلاهما ذو همة عالية في انجاز الأعمال الكثيرة والكبيرة ، وهما يعيشان بمصر ، فوقع بينهما مايقع بين الاقران من التنافس العلمي الموضوعي ، وربما أدى ذلك الى التباغض [2] " [3] .

(طـ) وقال بروكلمان : " السيوطي ... أغزر الكتاب المصريين انتاجا في العصر المملوكي ، بل لعله أغزر كتاب العربية قاطبة .. ويتميز نشاطه في التأليف الذي بدأه في سن السابعة عشرة ، بالتنوع العجيب ... وكان السيوطي يطمح الى استخدام مهارته في تناول فروع المعرفة الاسلامية جميعا ، وألف من ثم عددا من التصانيف لاغنى لنا عنها الآن ، فهي تعوضنا عما فقد من الكتب القديمة ، كما تزودنا بمجموعات من المواد ... ويتناول السيوطي ميدان فقه اللغة بأسره في موسوعة جليلة القدر ، وافية كل الوفاء ، عنوانها : المزهر في علوم اللغة " [4] .

رابعا - متأخرون يظلمونه ويغمطونه حقه دون تحقيق :

أما هؤلاء الذين وقر في أذهانهم ماقاله أقران السيوطي في جهوده وتصانيفه ، لأنهم لم يزنوه ، ولم يختبروه ، ولم يقلبوا الرأي في مدى صحته وبطلانه ، فذهبوا - دونما قصد في الأحكام ، أو تروّ في اصدارها - الى أن السيوطي كان كذا وكذا ، واخترعوا لذلك أسبابا ، وابتدعوا تعللات ، وبنوا على أحكامهم تصورات خاطئة لتراث هذا الرجل .

---

(١) يريد : الشهاب القسطلاني .

(٢) يشير الى قصة أخذ القسطلاني من كتب السيوطي ، واستمداده منها دون أن ينسب النقل اليه ، وكيف أن السيوطي كان يغض منه بسبب ذلك ، وكيف مشى القسطلاني اليه ، في آخر حياته ، بقصد الاعتذار اليه وازالة مافي خاطره ، فعذره ولم يفتح له الباب ولم يقابله .

(٣) مقدمة كتاب " لطائف الاشارات " : ١٣/١ (ط المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة ١٣٩٢ هـ - ط ١) .

(٤) دائرة المعارف الاسلامية : ٢٧/١٣ ، ويعيد الكلام نفسه - مع تلخيص شديد - في كتابه " تاريخ الأدب العربي " : ١٧٥/٢ - ١٨١ (في قائمة كتاب ومؤلفي دوائر المعارف والكتب الجامعة - الأصل الألماني) .

أما هؤلاء فقد كانوا موضع الاشفاق فى نكد السيوطى بحق ، فبهم تكون خصومة الناس له ماتزال حية ، لم تنقطع بموته ، ومع أن دواعى الخصومة كلها قد زالت ، والمتخاصمين قد زالوا ، يستمر بهؤلاء حظه السيئ ، ينسج حول اسمه ومؤلفاته ذيولا من الانتقاص ، والتعنت فى محاسبته .

لقد نعتوه بأنه كان لا يعزو منقولاته الى أصحابها ، ووصفوه بأنه كان يتصرف فى هذه النقول ويشوهها ، وذكروا أنه لا يفحص النصوص والآراء والأقوال التى يستمدها من الآخرين ، وقالوا أن كتبه خالية من الطرافة والابداع ، وانه عاش حياته كلها يؤلف بالقياس الى أسلافه تأليف التابع للمتبوع ، تأليفا تقليديا خامدا جامدا (١) .

واليك بعضا من الأمثلة :

(أ) قال الأستاذ سعيد الأفغانى : " . . . ويعرف العلماء أن جهودا ضخمة لعلماء كثيرين ، ضاعت عليهم ، لتظهر فى كتب السيوطى ، ولم يكن السخاوى متجنيا عليه حين قال فى : الضوء اللامع (أخذ السيوطى من كتب المحمودية ، وغيرها كثيرا من التصانيف المتقدمة التى لا عهد لكثير من العصريين بها ، ففير فيها يسيرا وقدم وأخر ، ونسبها لنفسه ، وهول فى مقدماتها بما يتوهم منه الجاهل شيئا مما لا يوفى لبعضه) .

" قلت : ومن هذا صنيعه حين نقل كتاب ابن الأنبارى (لمع الأدلة) الى كتابه (الاقتراح) الذى زعم ، فى مقدمته ، أنه مبتكر هذا النمط من التأليف " (٢) .

وقال فى كتاب آخر : " ثم يأتى السيوطى ، ويؤلف كتاب الاقتراح الذى كان الناس يعدونه الكتاب الفريد فى أصول النحو ، حتى نشرنا كتاب ابن الأنبارى ونبهنا على أنه هو الأصل الذى استقى منه السيوطى فى : الاقتراح ، والمزهر ، وغيرهما ، ولم يشر الا اشارة خفية الى مصدره الأصلى ، محاولا حجبه عن الأنظار " (٣) .

---

(١) وسنفرد الفصل الآتى - بعد - لنصفة الرجل مما نسب اليه بغير وجه حق ، ثم نسجل ما يؤخذ عليه .

(٢) فى أصول النحو : ص ١٠١ - ١٠٢ .

(٣) من تاريخ النحو : ص ١٥٣ (ط دار الفكر - بيروت . بدون تاريخ) .

(ب) وقال الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم فى مقدمة تحقيقه كتاب " الاتقان " : " وينقل نصوصا من الكتب التى ألفت فيه (١) فصولا كاملة ، أو مختصرا منها، وكثيرا ما يذيل هذه الأبواب برأيه ... ويؤخذ على السيوطى أنه أورد فى الكتاب كثيرا من الروايات الضعيفة والأحاديث التى لم تثبت صحتها عند المحدثين ، ولكنه أوردها باسنادها ، وان كان فى ذكر السند ما يميز الصحيح من الضعيف " (٢) .

(جـ) وقال الدكتور حسن عون : " ... بعد هذا القرن (٣) ، نجد رواة آخرين يرددون نفس الروايات المتقدمة ، دون أن تكون لهم اصالة أو رأى جديد . ولعل أولاهم بالذكر الحافظ ابن حجر المتوفى سنة ٨٥٢هـ ، والسيوطى المتوفى سنة ٩١١هـ ، والقفطى المتوفى سنة ٦٤٦ هـ .

" أما الحافظ ، فانه ينقل عبارة المبرد التى ذكرناها فيما مضى ... ، وأما السيوطى ، فانه يذكر أغلب هذه الآراء المتقدمة ، وهو كدأبه لا يحاول تمحيصها ، ولا ابداء رأى فيها . وأما القفطى فانه يسلك مسلك السيوطى فى جمع الآراء والاكتفاء بنسبتها الى أصحابها " (٤) .

(د) وقال الدكتور على سامى النشار فى مقدمة تحقيقه كتاب " صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام " للسيوطى : " عاش السيوطى فى عصر المماليك فى طوره الأوسط ، وفى عهد من عهود العلم الزاهرة ، لا من ناحية طرافة تراثها العلمى ، انما من ناحية قدرة علماء هذا العصر ومفكريه على الجمع ، وتلخيص الكتب . كان العقل الاسلامى قد توقف فى هذه الفترة عن الابداع - فى نطاق العلوم الفكرية ، وانتهى فيه عهد الاصالة المطلقة التى انبثقت آخر مرة ، وفى صورة زاهية لامعة ، فى تقي الدين ابن تيمية ... وكان السيوطى واحدا من هؤلاء الأخيرين ، خلت كتبه حقا من الطرافة والابداع ، ولكنها كانت حافظة ممتازة حوت نصوصا من مختلف العلوم والفنون لا يعرفها العالم الاسلامى الآن عن غير طريقه ، هذا علاوة

---

(١) يريد : فى القرآن .

(٢) مقدمة كتاب " الاتقان فى علوم القرآن " : ١/١٠ .

(٣) يريد : بعد القرن الرابع .

(٤) اللغة والنحو - دراسة تاريخية وتحليلية ومقارنة - للدكتور حسن عون : ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

عن أهميتها الكبرى في ملء فجوات في تاريخ الفكر الاسلامي ، وقد أفرغ السيوطي جهده في هذا العمل الشـــاق ، وأرهفت حواسه لـه لكي يحقق تلك الامنية".

(هـ) وقال الأستاذ محمود رزق سليم: " ومن أهم ما يؤاخذ به السيوطي ، كثـرة نقلـه من كتب المتقدمين ، دون أن يصرف همته الى استنباط الجديـد ، وابتداع الفكرة المستقلة ؛ ثم دون أن يبذل في منقوله ، جهدا يوضحه به ، ويرتبه ، ويهذبه ، ويستدل له ، ويعلق عليه ... على أنهـا هي روح العصر ، وسياق حوادثه ؛ وعلى غرار السيوطي نبغ كثير مـن أئمة العصر . وأصبحت مؤلفاته هذه - التي توجه اليها سهام النقـد - المرجـع والسند في كثير من العلوم والفنون " (٢) .

---

(١) مقدمة كتاب " صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام " : ص ط .

(٢) عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي: ٣/٣٦٣ .

الفصل الثاني
مناقشة

قبل أن نتصدّى لمناقشة هؤلاء الذين تعصّبوا للسيوطيّ وجعلوه أمّة في العلم ، ونابغة من نوابغه ، وأسطورة لم تتكرّر على مرّ الزّمان ، خلواً من كلّ عيب أو ما يشبه العيب ، والذين تعصّبوا عليه وجعلوا منه مثلاً يضرب في "البلادة" ، و"ركود الذّهن" ، وتلم الفهم" ، و"قلّة الكفاية في العلم والتّصنيف".

وقبل أن نحكم للسيوطيّ أو عليه ، علينا أن نضع نصب أعيننا ، أوّلاً ، الاعتبارات الآتية :

١ — ليس من السهل أن يسلم كتاب قديم أو حديث من مآخذ تتناول المادّة أو المنهج .

٢ — ليس من النّصفة أن نقيس تصانيف السيوطيّ بمقاييس التأليف اليوم .

٣ — خصومة أقرانه له ، في حياته ، كانت بسبب : المعاصرة ، والحسد ، ودعواه الاجتهاد .

٤ — نسبت إلى السيوطيّ مؤلّفات ليست له ، دسّها عليه حسّاده ، أو الراغبون في ترويج كتبهم .

٥ — على طريقة القدماء في التصنيف ، كان السيوطيّ يؤلّف كتبه ، ثم يعود إلى إعادة النظر فيها ، بين حين وآخر ، فينقّحها ، ويتزيّد فيها .

٦ — بعض الخلاف اليسير الذي نلحظه بين نقول السيوطيّ والأصول التي نقل عنها ، يمكن إرجاعه إلى عدم عناية نسّاخ الأصول ، أو تعدّد النّسخ .

٧ — للسيوطيّ — في حياته التأليفيّة — طوران : بدأ ، في الطّور الأوّل ، ملخّصاً ومختصراً ، وانتهى ، في الطّور الثاني ، شارحاً ودارساً ، واستحال مؤلّفاً ، مجوّداً ، محرّراً .

الآن ، وقد وضعنا الاعتبارات والحقائق المذكورة نصب أعيننا ، نحاول — في إيجاز شديد — أن نناقش من أقوال المجحفين بحقّ السيوطيّ ، والمتعنّتين في محاسبته ما نظنّ أنّه يتّصل ببحثنا ، ويستحقّ منّا الوقوف عنده قليلاً .

(أ) مع الأستاذ سعيد الأفغانيّ :

ولعلّ أحداً من الباحثين المعاصرين ، من عرب ومستشرقين ، لم يظلم السيوطيّ ، ويخطه حقّه ، كما فعل الأستاذ سعيد الأفغانيّ الذي أطلق القول بعدم أمانة

السيوطي في النقل ، وألصق به تهمة السطو على مؤلفات غيره من السابقين عليه والمعاصرين له ، كما ألصقها به ، من قبل ، خصمه السخاوي ، وزعم أنه " يعرف العلماء أن جهودا ضخمة لعلماء كثيرين ضاعت عليهم ، لتظهر في كتب السيوطي[1] .

واذا كنا نجد العذر للسخاوي في الصاق هذه التهمة بالسيوطي ، لأنهما كانا متعاصرين ومتنافسين [2] ، فلايستريح السخاوي الى السيوطي ، ويروعه كثرة مؤلفاته ، فيتخذها حجة على أخذه من كتب السابقين ، ولا يستريح السيوطي الى السخاوي ، ويوجه اليه التهمة نفسها [3] ، فاننا لا نجد للاستاذ الافغاني ، في الصاق هذه التهمة بالسيوطي، من جديد ، عذرا ولا مايشبه العذر !

فهذه مؤلفات السيوطي بين أيدينا تنطق بأمانته العلمية ، ونظرة واحدة في أحد كتبه المتقدمة أو المتأخرة على السواء تدلنا على مبلغ حرص الرجل على نسبة كل قول الى قائله ، وان كان ناقلا ، وعزو كل رواية الى راويها ، وان كان مجهولا في زمنه ، على نحو مافصلنا القول فيه في مكانه من البحث [4] ، ورجل هذه أمانته في الاشارة الى ما ينقله من النصوص المفردة - مهما كانت قصيرة ، أو مجهولة ، أو ناقلة - لايصح أن يقال في حقه إنه أخذ تصانيف بأكملها لغيره ، وقدم فيها ، وأخر ، ونسبها لنفسه [5] ، كما زعم السخاوي ، وتبعه فيه من تبعه من الباحثين المحدثين .

---

(١) في أصول النحو : ص ١٠٢ .

(٢) والمعروف أن السخاوي لم يتنكر للسيوطي الا بعد أن صار السيوطي من أقرانه ومنافسيه في العلم .

(٣) ذكر عنه في كتابه "الدوران الفلكي على ابن الكركي" ان غالب ماألفه السخاوي في فن الحديث والاثر مسودات ظفر بها في تركة الحافظ ابن حجر ، فنسبها لنفسه ، مثل مؤلفه " في الخصال الموجبة للظلال" وانه أخذ كلام " فتح الباري" بنصه ، وساقه بحروفه ، وجعله مؤلفا لنفسه في كتابه" في قلم الاظفار" أنظر : ق ٤/أ - ب .

(٤) أنظر : الفصل الخامس من الباب الثالث .

(٥) يبدو أن هذه التهمة - بالذات - كانت متداولة بين المتقدمين بشكل واسع ، فكثير من المتعاصرين في عصر السيوطي ممن تنافسوا ، تراموا بها ، والسيوطي نفسه رمى السخاوي بسطوه على مؤلفات شيخه ابن حجر ، كما مر معنا قبل قليل .

وكيف يصح أن يقال مثل هذا القول فى حق من كان يدعو الى الأمانة العلمية فى النقل عن الآخرين ، ويصرح كثيرا بأن من بركة العلم وشكره عزوه الى قائله ، ويؤكد بأنه " لهذا لا ترانى أذكر فى شئ من تصانيفى حرفا الا معزوا الى قائله من العلماء ، مبينا كتابه الذى ذكر فيه " (١) ، وينتقد أحد معاصريه ، لأنه أخذ منه مسودة كتابه " الخصائص النبوية " (٢) وادعاها لنفسه ، فاضطر أن يعيد تأليف الكتاب من جديد ، وكتب - فى ذلك - مقامة سماها " الفارق بين المصنف والسارق " (٣) ، وقال فى هذه الحادثة : " لعمرى ان المؤلف انما يطلب أجره من الله تعالى على تأليفه ، فكيف يطلب أجره على مالم يعمله " (٤) .

انها تهمة باطلة ، لأنها دعوى بلا دليل ؛

أما اذا كان المراد أن السيوطى قد أفاد من كتب الخزانة المحمودية أيما افادة ، وأن كتبه مشحونة بالنقل عنها ، فتلك حقيقة ، ولم يكن السيوطى بدعا فيها بين المصنفين فى زمانه ، فقد جبلوا على الأخذ من كتب من سبقهم ، لأن " هذا مازال دأب المصنفين ، يأتى الآخر ، فيأخذ من كتب من قبله ، فيختصر ، أو يوضح ، أو يعترض " (٥) كما قال الشوكانى .

فما الذى حمل الأستاذ سعيد الأفغانى على أن يتجاهل كل هذا الذى يمتاز به السيوطى فى التأليف من الحرص الشديد على نسبة كل قول الى قائله ، ومن الكفاية العقلية على تأليف كل هذه الكثرة من مؤلفاته ، وأن اتحاد الأسلوب فى تناول الموضوعات فى هذه الكتب جميعا دليل على أن صاحبها واحد ، وأن استبداد اللاحق من السابق أمر طبيعى فى التأليف ، وأن هذا لا يمكن أن يسمى اختلاسا ، مادام يتم بطريقة علمية صحيحة ، وأن السخاوى كان متجنيا على السيوطى فى تهمته التى ألصقها به .

اننا لا نجد سببا واحدا حمله على أن يتجاهل كل هذا سوى رغبته فى أن يسمو بالكتاب الذى تصدى لتحقيقه ، ويرفع من قدر صاحبه ، وينيله حظا أوفر من الشهرة ،

---

(١) أنظر : المزهر : ٢/ ٣١٩ ، والكاوى فى الرد على السخاوى : ق ٤/أ ، والمنجم فى المعجم : ق ٤٧/أ .
(٢) مطبوع فى مط النظامية بحيدر آباد الدكن سنة ١٣٢٠هـ باسم " الخصائص الكبرى " .
(٣) ذكره السيوطى فى " فهرس مؤلفاته " : ق ١٠/أ (نسخة الرباط) .
(٤) ذيل طبقات الشعرانى : ق ١٢/ ب .
(٥) البدر الطالع : ١/ ٣٣٣ .

وينيل كتابه حظا أوفر من الانتشار والذيوع ، واليك البيان :

هناك ظاهرة خطيرة أخذت ، بين الذين يشتغلون بتحقيق التراث ، تتسع يوما بعد يوم ، حتى كادت تصبح لازمة من اللوازم ، وهي محاولة المحقق فى ترويج الكتاب الذى يعمل على تحقيقه ، بجعله الكتاب الأول من نوعه فى الفن الذى يتناوله ، وجعل صاحبه المؤلف الفذ الذى شق دربا جديدا فى التأليف لم يكن مسلوكا من قبل ، ولا بأس - فى سبيل تقرير هذين الأمرين - أن يبتدع ويتمحل ويتعلل بأسباب لا وجود لها ، ويوقع حيفا على أصحاب الفضل الحقيقيين .

وضع السيوطى كتابه " الاقتراح فى علم أصول النحو وجدله " وذكر فى خطبته أن " هذا كتاب غريب الوضع ، عجيب الصنع ، لطيف المعنى ، طريف المبنى ، لم تسمح قريحة بمثاله ، ولم ينسج ناسج على منواله فى علم لم أسبق الى ترتيبه ، ولم أتقدم الى تهذيبه ، وهو أصول النحو الذى هو بالنسبة الى النحو كأصول الفقه بالنسبة الى الفقه ، وان وقع فى متفرقات كلام بعض المؤلفين ، وتشتت فى أثناء كتب المصنفين ، فجمعه وترتيبه صنع مخترع ، وتأصيله وتبويبه وضع مبتدع ... واعلم أنى قد استمديت(1) فى هذا الكتاب كثيرا من كتاب : الخصائص - لابن جنى ، فانه وضعه فى هذا المعنى ، وسماه : أصول النحو ، لكن أكثره خارج عن هذا المعنى ، وليس مرتبا ، وفيه الغث والسمين والاستطرادات ، فلخصت منه جميع ما يتعلق بهذا المعنى بأوجز عبارة وأرشقها وأوضحها معزوا اليه ، وضمنت اليه نفائس أخر ظفرت بها فى متفرقات كتب اللغة العربية (2) والأدب وأصول الفقه ، وبدائع استخرجتها بفكرى ، ورتبته على نحو ترتيب أصول الفقه ، فى الأبواب والفصول والتراجم كما ستراه واضحا بينا " (3) .

فهو ينص على أنه رجع ، فى تأليف كتابه هذا ، الى خصائص ابن جنى ، ومتفرقات كتب اللغة والنحو ، كما ينص على أنه ألفه على غير مثال سابق فى جمعه وترتيبه وتهذيبه ، لا فى وضع مادته ابتداء ، فهو الذى أصل علم " أصول النحو " ووضعه على غرار علم " اصول الفقه " ، كما سبق أن أصل " علوم اللغة " ووضعها على غرار " علوم الحديث " .

---

(١) كما فى نسخة الرياض : ق ١/ب ، وفى النسخة المطبوعة : استمددت .
(٢) كما فى نسخة الرياض : ق ١/ب ، وفى النسخة المطبوعة : اللغة والعربية .
(٣) كتاب الاقتراح : ص ٢ .

ثم الحق خطبته المتقدمة بقوله : " ثم بعد تمامه [١] ، رأيت الكمال ابن الأنبارى قال فى كتابه : نزهة الألباء فى طبقات الأدباء ـ علوم الأدب ثمانية ، اللغة ، والنحو ، والتصريف ، والعروض ، والقوافى ، وصنعة الشعر ، وأخبار العرب ، وأنسابهم ، ثم قال : وألحقنا [٢] بالعلوم الثمانية : علمين وضعناهما : علم الجدل فى النحو ، وعلم اصول النحو ، فيعرف به القياس ، وتركيبه ، وأقسامه ، من قياس العلة ، وقياس الشبه ، وقياس الطرد ، الى غير ذلك ـ على حد أصول الفقه ، فان بينهما من المناسبة مالا خفاء به ، لأن النحو معقول من منقول ، كما ان الفقه معقول من منقول ، هذه عبارته [٣] ، وتطلبت هذين الكتابين ، حتى وقفت عليهما ، فاذا هما لطيفان جدا ، واذا فى كتابى هذا من القواعد المهمة والفوائد مالم يسبق اليه أحد ، ولم يعرج فى واحد منهما عليه ... وقد أخذت من الكتاب الأول اللباب ، وأدخلته معزوا اليه فى خلل هذا الكتاب ، وضممت خلاصة الثانى فى مباحث العلة ، وضممت اليه من كتابه : الانصاف فى مباحث الخلاف [٤] ـ جملة ، ولم أنقل من كتبه حرفا الا مقرونا بالعزو اليه ، ليعرف مقام كتابى من كتابه " [٥] .

والذى يبدو ـ لتفسير هذا التدافع ـ أنه ألف كتاب " الاقتراح " ، ووضع نظامه أولا ، فى وقت مبكر ، قبل أن يطلع على كتاب " نزهة الألباء " ، ليعرف من خلاله أن لابن الأنبارى كتابين فى علم أصول النحو ، وهما : لمع الأدلة ، والاغراب فى جدل الاعراب ، فوقف عليهما ، وأخذ من الأول لبابه ، ومن الثانى خلاصة مباحث العلة ، وألحق الجميع بكتابه " الاقتراح " ، على طريقة المتقدمين فى التزيد فى كتبهم كلما رأوا شيئا مفيدا ، كل هذا ، مع الحرص الشديد على عزو ما أخذه ، من الكتابين ، الى ابن الأنبارى .

---

(١) أى : بتمام تأليف الكتاب .
(٢) مايزال الكلام لابن الأنبارى .
(٣) الكلام الآن للسيوطى .
(٤) يعنى : كتاب " الانصاف فى مسائل الخلاف بين النحويين : البصريين ، والكوفيين " ، وقد نشره محققا فى مصر ، الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ، وطبع عدة مرات .
(٥) كتاب الاقتراح : ص ٣ ـ ٤ .

ثم قيض الله لهذين الكتابين الأستاذ سعيد الأفغاني ، فنشرهما محققين على النحو العلمي الحديث، وجعلهما مع كتاب الانصاف " أولية تاريخية[1] في فنون ثلاثة في العربية ، لا ينازع ابن الأنباري فيها منازع ، بل لم ينسج بعده على منواله أحد نعلمه مدة أربعمئة سنة " [2] .

وجعل ابن الأنباري " قبلة الأنظار في أساتذة النظامية [3] ، يرحل اليه العلماء من جميع الأقطار ، وقد تخاطفت الطلاب والأدباء تصانيفه حتى ذاعت كل مذاع ... تفرد بابتكاره في فن التأليف ، حتى ليستأثر بطابع خاص بين هذه الكثرة الكاثرة من المؤلفين في علوم العربية ، وان الذي ألف أسلوبه في تأليفه وتوليده ولمس أستاذيته في تنسيقه وعرضه ، ليميز كلامه من كلام غيره على أيسر سبيل ، وان حاولت أن تغيبه بين عشرات الأساليب في مختلف الأعصار .. انني اذا أردت التعبير عن أسلوب ابن الأنباري بكلمة جامعة ، لم أجد أصدق من قولي: أسلوب رياضي جميل . أما الجمال فشيء يتذوق ولا يعرف ، لكني أشير عليك بأن تقرأ منه صفحة ، ثم تقرأ في موضوعها صفحة أخرى من أي عصر شئت ، مع وجود بلغاء كثيرين ألفوا في النحو ، انك لن تجد في طراوة أسلوبه وسهولته أسلوبا لعالم آخر ، حتى ولا لابن جني . وأما الرياضة في أسلوبه فسمة بارزة تنادي على نفسها في هاتين الرسالتين اللتين ستقرؤهما [4] ... لا يؤلف ابن الأنباري في أسلوب مطروق ، فاذا عرض للمسائل المطروقة ابتكر لها تنسيقا جديدا ونظرة عميقة شاملة ، ثم وضع تصميم البناء الذي تخيله ، ثم صبه في قالب بديع لا تجد له نظيرا فيما سبق

---

(١) وقد رددنا على ابن الأنباري دعواه ابتكار علم أصول النحو، ابتداء ، على غير مثال سابق ، بما وقفنا عليه من جهود العلماء الذين عالجوا هذا الموضوع، قبله ، وكتبوا مؤلفات فيه ، وأطلقوا على هذه المؤلفات اسم " أصول النحو"، وهو الاسم الذي ارتضاه ابن الأنباري ، وحرص عليه ، مثل كتاب الأصول ـ لابن السراج (ت ٣١٦ هـ) ، وأصول النحو ـ لابن برهان (ت ٤٥٠هـ) ، وقد ذكرهما ابن الأنباري نفسه حين ترجم صاحبيهما في كتابه " نزهة الألباء": ص ١٥٠ ـ ١٥١ ، ٢١١ ـ ٢١٢ .
انظر تفصيل ذلك في معرض حديثنا عن كتاب " الاقتراح " في الباب الذي عقدناه لـ " أهم مصادر السيوطي ، وطريقة افادته منها " .

(٢) الاغراب في جدل الاعراب ولمع الأدلة في أصول النحو : ص ٢١ .

(٣) يعني : المدرسة النظامية ، وقد كان ابن الأنباري اشتغل معيدا بها لمادة فقه الشافعية .

(٤) يعني : الاغراب في جدل الاعراب ، ولمع الأدلة في أصول النحو .

الابتكار والابداع فى التأليف ثم التبسيط والسهولة فى العرض ، ثم الاحكام يسدده عقل رياضى ، ويصبه ذوق رفيع فى أسلوب طلى جميل ، هذه سمات فن ابن الانبارى"(١)

وطبيعى أن من أطلق مثل هذه الأحكام على انسان ، ودنا به من مستوى الأساطير والمعجزات ، لا يستنكف أن يبعد كل الذين يزاحمونه ، ويزعمون أنهم متقدمون عليه ، خصوصا اذا كانوا من الذين أتوا بعده ، مثل السيوطى .

لقد رأى الأستاذ الافغانى أن السيوطى يزعم فى أول خطبة كتابه " الاقتراح" أنه أول من وضع فى " أصول النحو وجدله " كتابا جامعا ، مبوبا ، مرتبا ، ثم رآه يذكر، فى آخر الخطبة ، أنه طالع كتابى ابن الانبارى فى علم أصول النحو ، وعلم الجدل فى النحو ، فلخص منهما ، وأخذ اللباب ، ووقف حائرا من هذا التدافع ، كيف يزعم السيوطى لنفسه السبق فى هذا المجال ، وهو الذى أقر بأن هناك تأليفين قبله فيه ، طالعهما ، وأفاد بهما فى تأليف كتابه .

قال : " وسوف يدهش القارى اذا علم أن أكثر فصول (لمع الأدلة) فى الأصول مدرج ، ببعض اختصار يسير ، فى كتاب السيوطى (الاقتراح) البالغ مئة صفحة ، وأنه نقل فيه كثيرا عن كتب ابن الانبارى الثلاثة : الانصاف ، والاغراب، ولمع الأدلة ، بل نقل عن ابن الانبارى أيضا فى كتابه الآخر المزهر " (٢) .

الى هنا ، كان حقيقا بمثل الأستاذ الافغانى أن يتوقف بعد أن وضع يد القارئ على الحقيقة التى توصل اليها ، وان لم يقفه على تفسير لها ، ولكنه ذهب الى أبعد من ذلك ، حين نسب اليه ، دون تمحيص ، سرقة جهود العلماء ، فأوقع الحيف عليه بدون أى وجه حق ، وهو منه بنجوة وبراء .

قال : " نشرنا هذا الكتاب (٣) سنة ١٩٥٧م وطبع فى مطبعة الجامعة . وكان المطلعون يظنون ، قبل نشره، أن السيوطى هو مبتكر هذا الوضع ، اعتمادا على ماذكر فى مقدمة كتاب الاقتراح ، ثم ظهر الحق ، بعد المقابلة بين صنيعه وصنيع ابن الانبارى ، رحمهما الله .

---

(١) الاغراب فى جدل الاعراب ولمع الأدلة : ص ٨ فما بعد .
(٢) نفسه : ص ٢١ .
(٣) يريد : كتاب لمع الأدلة .

" ويعرف العلماء أن جهودا ضخمة لعلماء كثيرين ضاعت عليهم ، لتظهر في كتب السيوطي [1] ، ولم يكن السخاوي متجنيا عليه حين قال في الضوء اللامع : أخذ السيوطي من كتب المحمودية وغيرها كثيرا من التصانيف المتقدمة التي لا عهد لكثير من العصريين بها ، ففير فيها يسيرا ، وقدم وأخر ، ونسبها لنفسه ، وهول في مقدماتها بما يتوهم منه الجاهل شيئا مما لا يوفي ببعضه .

" قلت [2] : ومن هذا صنيعه حين نقل كتاب ابن الأنباري (لمع الأدلة) الى كتابه (الاقتراح) الذي زعم في مقدمته أنه مبتكر هذا النمط من التأليف "[3].

فالأستاذ الأفغاني يسلم ، أولا ، بما قاله السخاوي في السيوطي - على الرغم مما كان بينهما من معاصرة ومنافسة ومقادحة - لأنه يخدم غرضه الذي نصبه لنفسه ، منذ البداية ، في رفع شأن ابن الأنباري ، والمنافحة عن كتابه ، ثم يبني عليه حكمه المجحف بحق السيوطي ، ويجعل نقله من " لمع الأدلة " سرقة من جهود ابن الأنباري ، مع أن السيوطي لم ينقل منه حرفا الا مقرونا بالعزو اليه ، كما نص على ذلك في خطبة كتابه .

(ب) مع الأستاذ أبي الفضل ابراهيم ورفاقه :

كان السيوطي معنيا بالأمانة في الرواية للنص ، غير مسوغ لنفسه ادخال أي تعديل في لفظ من ألفاظه ، بل في أي حرف من حروفه ، ولكنه - لثقوب فهمه وقدرته على التصرف - قد يختصر النص اذا كان طويلا ، أو يلخصه بعبارته ، فقد يعمد الى حذف بعض العبارات بالنص ، اذا رأى أن لا أهمية لذكرها ، أو خروجها عن الموضوع الذي يتناوله ، مثل الشواهد الكثيرة ، وهذا يمكن أن يدخل في باب اختصاره للنص ، وقد يفصل النص بجملة معترضة له ، يعقب فيها على ماتقدم في النص ، أو يوضح فيها المراد ، وقد يعمد الى التغيير الطفيف في ألفاظ النص ، بالتعبير أحيانا بالمرادف ، توضيحا له ، وقد يكون ذلك متعمدا حين يتصرف ليصوب ، ولكنه - في جميع ذلك - يؤدي دلالات النص ومقاصده بدقة وأمانة .

---

(١) وليته ذكر أحدا من هؤلاء العلماء ، أو ذكر واحدا من الذين ضاعت جهودهم لتظهر في كتب السيوطي ، فاننا - في كل ماوصل الى علمنا حتى الآن - لم نقف على شيء من ذلك .

(٢) الكلام للأفغاني .

(٣) في اصول النحو : ص ١٠١-١٠٢ .

وهو - فى كل ماتقدم كذلك - حريص على نسبة ماينقله أو يختصره أو يلخصه ، أو يتصرف فيه بأى شكل من أشكال التصرف المتقدمة ، كما هو حريص على التنبيه الى أن النص " انتهى ملخصا " أو " هذا جميع ماذكره فلان بحروفه " أو " هذا حاصل ماذكره فلان فى كتابه " أو " ملخص من كتاب فلان مع زيادات من شروحه " أو " هذه عبارته " أو " وهو الذى اختاره فلان أخيرا " أو " وتأول فلان الآية على أن معنى كذا هو كذا " أو " ومال الى هذا القول فلان ونقله عن شيخه " أو " قال فلان فى تذكرته " أو " انتهى ، والأمر كما قال " (١) .

وأما مانسب اليه من التحريف وتشويه النصوص ، فلعله من خطأ النساخ ، أو من خطأ الطابعين والناشرين فى العصر الحديث ، على مامر بك بيانه فى الكلام عن المزهر المطبوع بتحقيق الأساتذة محمد أبى الفضل ابراهيم ، ومحمد أحمد جاد المولى ، وعلى محمد البجاوى .

قال الدكتور فيليب حتى فى مقدمة تحقيقه كتاب " نظم العقيان " للسيوطى: " كنا نود المحافظة كل المحافظة على الأصل كما تركه لنا الحسنى (٢) فى مخطوطة ليدن ، والجينينى (٣) فى مخطوطة القاهرة ، لولا أن ذلك الأصل جاء سقيما واهيا لاتكاد صحيفة منه تخلو من أغلاط كتابية ونحوية أو تاريخية ، حتى ان بعض آيات قرآنية جاءت محرفة (ص ٢ و ٦) . وذلك فضلا عما فى المخطوطتين من الكلمات والجمل الساقطة التى بقى مكانها بياضا . لذلك رأينا الأفضل فى أكثر الأحيان أن نثبت اصلاحنا فى المتن والأصل فى الحواشى . وفى كل الأحوال لم نحدث تغييرا واحدا دون تنويه به وذكر أصله . ولا يخفى أن علامات الفصل ، والتقطيع الى فقرات ، ووضع عناوين للتراجم ، كلها من عندنا ، مع أن الجينينى فصل أبيات الشعر بعضها عن بعض ، وصدرها عن عجزها بنقط من الحبر الأحمر ، ومد خطا أحمر فوق الكلمة الأولى من كل جملة جديدة " (٤) .

---

(١) وانظر : الفصل الخامس من الباب الثالث من بحثنا هذا .

(٢) هو : الشريف أحمد بن أحمد بن حسن الرديني الحسنى ، ناسخ الكتاب فى الحادى والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٩٧٤هـ.

(٣) هو : ابراهيم بن سليمان بن محمد بن عبد العزيز الحنفى الجينينى ، ناسخ الكتاب فى الرابع عشر من صفر سنة ١٠٩٧هـ .

(٤) مقدمة كتاب " نظم العقيان " : ص ط - ظ .

وحين نعود الى الورقة الأخيرة التى صورها لنا المحقق بالتصوير الشمسى عن نسخة الجينيني المحفوظة فى مكتبة أحمد تيمور فى مصر ، وصدر بها مقدمته للتحقيق (١) نرى عجبا ، فالناسخ يعطى نفسه حق التصرف فى النص ، ويدخل التعديلات ، ويصلح ماقدر عليه ، ويخرج عن حدود وظيفته الى المشاركة فى التصنيف .

قال الجينيني : " تم هذا آخر ماوجد ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، وقد كتبت هذه النسخة من نسخة سقيمة ، أصلحت ماقدرت عليه من غيره من التواريخ ، وبها بياض كثير فى الوفيات والمولد ، كتبت ماعرفته منها " (٢) .

واذا عدنا الى متن الكتاب وجدنا - نتيجة خطأ النساخ - اختلافا كبيرا بين نسختى الكتاب (٣) ، وفشو الغلط والتصحيف فى نسخة دون الأخرى (٤) ، واختلاف ترتيب الكلام أو الشعر بين النسختين (٥) ، وكثرة السقط والبياض فيهما (٦) .

وقال الأستاذ محمد الصباغ فى مقدمة تحقيقه كتاب " تحذير الخواص من أكاذيب القصاص " للسيوطى : " (ظ) عثرت على هذه المخطوطة فى المكتبة الظاهرية فى دمشق تحت رقم ٨٩٧٥ حديث - وقد كتبت بخط رقعى ، خلت معظم كلماتها من النقط ، مما جعل قراءتها غير سهلة ، ولاحظت أنه يكتب الكاف مثل اللام ، ولا سيما أن كانت فى وسط الكلمة ، وقد تبينت أن هذه المخطوطة مستقلة عن الأصول الأخرى مخالفة لها فى أغلاطها ، واستطعت أن أصوب كثيرا من الكلمات التى وردت مغلوطة فى الأصول الأخرى ، وفيها زيادات انفردت بها .

---

(١) انظر : ص ب .
(٢) نفسه .
(٣) انظر مثلا : ص ٩٧ ، ١٠٧ ، ١١٤ ، ١٢١ ، ١٢٦ .
(٤) انظر مثلا : ص ٢ ، ٣ ، ٥ ، ٧ ، ٨ ، ١٤ .
(٥) انظر مثلا : ص ٣٤ ، ٥٨ ، ٧٥ ، ٨٨ ، ١٠٦ .
(٦) انظر مثلا : ص ٩ ، ١٠ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٥٤ ، ٦٦ .

" وقد كانت تستحق لجودتها أن تعتبر هي الأصل ، ولكن وقوفي عليها كان متأخرا ، والكتاب في المطبعة بعد أن طبعت الملزمتان الأوليان " (١) .

ونقف عند هذا الكلام قليلا ، لنرى أي حيف كبير يقع فيه السيوطي بسبب حظه السيئ ، فالمحقق يعثر على النسخة الأصلية من الكتاب في الوقت الذي أنهى فيه تحقيقه اياه استنادا الى نسخة خطية واحدة فقط ، بها كثير من الأخطاء والزيادات التي توصل اليها بمقارنتها بالأصل المطبوع في مصر (٢) .

قال يصف هذه النسخة : " وبعد دراستها والنظر فيها وجدت أنها نسخة جيدة ، فيها مخالفة للأصل الذي اعتمده من نشر الكتاب في مصر ، وفيها بعض النواحي التي اشتركت معها فيها ،

" وفي المخطوطة زيادات عديدة ليست في المطبوعة ، لم ألتزم الاشارة اليها ، لأنني التزمت الاشارة الى ماوادعن الأصل فقط .

" وفيها تصويبات عديدة أثبتت في الهامش " (٣) .

ثم يقف - مكتوف اليدين - حائرا من أمر هذه النسخة التي عثر عليها متأخرا ، وكانت جديرة بأن تعد الأصل الذي يعتمده في تحقيق الكتاب ، لما تمتاز به من جودة ، واستقلال عن الأصول الأخرى ، ومخالفة لها في أغلاطها ، وقدمها .

قال : " أما تاريخ كتابتها فلم يثبت في آخر الكتاب ولا أوله ، وكذلك فان اسم الكاتب غير معروف . ويبدو أنها قديمة لا تتجاوز القرن العاشر بحال من الأحوال ، كما قدر ذلك الثقات من أهل الخبرة " (٤) .

ونحن نرجح أن هذه النسخة هي أم النسخ الأخرى للكتاب ، لأننا نظن أنها كتبت بخط السيوطي نفسه ، فهي نسخة خالية من التنقيط في معظم كلماتها ، ومكتوبة بخط رقعي ، كما ذكر المحقق ، وقد لاحظنا في كل ماوقفنا عليه من مجموعاته الخطية واجازاته لتلاميذه وحواشيه على بعض كتبه (٥) ، أنها تسير على قاعدة واحدة لا تختلف ، وهي أنها تكتب بالخط الرقعي غير المنقوط .

---

(١) مقدمة كتاب " تحذير الخواص " : ص ٤٧ .
(٢) مطبوع في مط المعاهد بالقاهرة سنة ١٣٥١هـ بتصحيح عبد الله بن محمد المغربي .
(٣) مقدمة كتاب " تحذير الخواص " : ص ٤٦ . (٤) نفسه : ص ٤٨ .
(٥) انظر مثلا : المجموعة الخطية المحفوظة في دار الكتب تحت رقم ٢٠٢ مجاميع ، فهي تحوي مايزيد عن عشر مخطوطات للسيوطي .

وقال الأستاذ على سامى النشار فى مقدمة تحقيقه كتاب " صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام " للسيوطى : " وقد اتجهت ، أولا ، الى محاولة تقديم النص سليما من الأخطاء ، كاملا غير منقوص ، وقد تبين لى أن بالنسخة أغلاطا لغوية ونحوية كثيرة ، وعبارات كثيرة ساقطة وأخرى غير مفهومة ، وقطعا كبيرا .

أما الاغلاط اللغوية والنحوية فقد أصلحتها ، وهي فى غالب الأحيان سهو من الناسخ . ثم اجتهدت فى اضافة عبارات مكان السقط والجمل المحذوفة ، ووضعت هذه العبارات بين معقوفتين ، دلالة على اضافتها من الناشر ، وعلى أنها لم تكن فى صلب المتن ، ثم حذفت بعض العبارات غير المفهومة اذا تعذر علي فهمها أصلا ، وأبقيت البعض فى المتن اذا ماشككت فى المعنى ، غير أننى فى كل تلك الحالات أثبت فى الهوامش أو فى نهاية الكتاب ماقمت به من تصحيح لخطأ أو اضافة أو حذف لحرف أو لكلمة أو لعبارة ، ثم أكملت القطع الكبير فى المخطوط"(١)

واذا كان المحقق معذورا فى اصلاح الاغلاط اللغوية والنحوية ، لأنها - كما قال - من سهو الناسخ ، ولأنه ينشر الكتاب استنادا على نسخة وحيدة ، فما عذره فى اجتهاداته الأخرى حين أضاف عبارات مكان السقط والجمل المحذوفة ، وحين حذف بعض العبارات غير المفهومة اذا تعذر عليه فهمها ؟

كأنا بالأستاذ المحقق قد فهم أن مهمة المحقق هي اخراج الكتاب بصورة أحسن مما وضعه عليه مؤلفه ، أو مما وجده من نسخ كتابه ، فلم يحافظ على الأصل الذى اعتمده ، ولم يحقق فيه الأمانة ، ويؤد واجب العلم .

قال الأستاذ عبد السلام محمد هارون فى كتابه " تحقيق النصوص ونشرها " : " ليس تحقيق المتن تحسينا أو تصحيحا ، وانما هو أمانة الأداء التى تقتضيها أمانة التاريخ ، فان متن الكتاب حكم على المؤلف ، وحكم على عصره وبيئته ، وهي اعتبارات تاريخية لها حرمتها ، كما أن ذلك الضرب من التصرف عدوان على حق المؤلف الذى له وحده حق التبديل والتغيير .

" واذا كان المحقق موسوما بصفة الجرأة ، فأجدر به أن يتنحى عن مثل هذا

---

(١) مقدمة كتاب " صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام " : ص ن - س .

العمل ، وليدعه لغيره ممن هو موسوم بالاشفاق والحذر " (١) .

كذلك ، فان ما نسب الى السيوطى من التحريف وتشويه النصوص ، قد يرجع - فى معظمه - الى اختلاف نسخ كتب اللغة أو الأدب التى ينقل عنها ، سواء كان هذا الاختلاف ناتجا من نساخ الأصول ، أو كان بسبب تزيد المؤلفين أنفسهم فى مواد كتبهم كلما عثروا على فائدة جديدة .

مثلا ، جاء فى المزهر : " قال القالى فى أماليه : فى الفرس من أسماء الطير عدة : الهامة - العظم الذى فى أعلى رأسه ، والفرخ - وهو الدماغ ، والنعامة : الجلدة التى تغطى الدماغ ، والعصفور : العظم الذى تنبت عليه الناصية ، والذبابة : النكتة الصغيرة التى فى انسان العين فيها البصر . . . " (٢) .

وأشار المحققون الثلاثة فى الهامش الى أن السيوطى قد صحف فى "الذبابة" ، لأنهم وجدوها " فى الأمالى واللسان : الذباب ، وفى المخصص : الذباب: ماحد من طرف أذن الفرس " (٣) .

وبمقارنة النص بما فى الأمالى ، وجدناها : "الذبابة" وليست " الذباب " كما ذكروا .. (٤)

وورد فى النص نفسه : "والصردان : عرقان تحت لسانه . والسمامة : الدائرة التى فى صفحة العنق " (٥) .

وأشاروا فى الهامش الى أنه ورد " فى الأمالى : الدارة " (٦) .

وبالرجوع الى الأمالى وجدناها " الدائرة " وليست " الدارة " كما أشاروا (٧) .

وورد كذلك : " والقطاة مقعد الردف خلف الفارس " (٨) .

---

(١) تحقيق النصوص ونشرها : ص ٤٤ (ط ٢ مؤسسة الحلبى - القاهرة ١٩٦٥م) ، أما الجمل المحذوفة من الكتاب والعبارات غير المفهومة التى تعذر على الأستاذ المحقق فهمها فكان من الممكن التنبيه عليها فى هوامش الكتاب ، وتوجيهها ، وبيان وجه الصواب فيها .

(٢) المزهر : ١/٣٧٧ .

(٣) نفسه .

(٤) أنظر : الامالى : ٢/٢٥٢ .

(٥) المزهر : ١/٣٧٧ .

(٦) نفسه .

(٧) أنظر : الأمالى : ٢/٢٥٢ .

(٨) المزهر : ١/٣٧٧ .

وأشاروا فى الهامش الى أن العبارة التى ميزوها بوضعها بين معقوفتين هي " زيادة من الأمالى " (١) .

وعدنا الى الأمالى فلم نجدها ، ولم نجد محققه يشير الى أن هناك نسخة من الكتاب فيها مثل هذه الزيادة . (٢)

وورد كذلك : " واليعسوب : الغرة على قصبة الأنف ، والناهض : اللحم الذى فى أعلى العضد . والخرب : الهزمة التى بين الحجبة والقصرى فى الورك" (٣) .

وجاء فى المزهر المحقق استنادا الى نسخة الأمالى التى اعتمدها المحققون : " والناهض: اللحم الذى يلى العضدين من أعلاهما المجتمع ، والخرب (٤) " .

ولم يشر المحققون فى الهامش الى شيء البتة ، ولعلهم تركوا التهميش اعتمادا على فراسة القارىء لأنهم همشوا للعبارة المتقدمة التى وضعوها بين معقوفتين الى انها زيادة من الأمالى ، وهو ليس صحيحا .

وورد كذلك : " والسحاءة : كل مارق وهش من العظام التى تكون فى الخياشيم وفى رؤوس الكتفين ، والزرق : وهو فى الشية : الشعرات البيض فى اليد أو الرجل ، والدخل : وهو لحم الفخذين " (٥) .

وأشاروا فى الهامش الى أمرين : أولهما - أنه جاء بعد كلمة " الكتفين " فى العبارة المتقدمة " فى الأمالى : وهي الخفاش أحد السحاءتين ، وهما عظيمان صغيران فى أصل اللسان " (٦) .

وثانيهما - أن العبارة التى وضعوها بين معقوفتين هي " زيادة من الأمالى (٧) " .

وعدنا الى الأمالى ، فلم نجد حرفا واحدا من العبارة التى أوردوها فى تعريف " الكتفين " (٨) .

---

(١) المزهر : ١/٣٧٧ . (٢) الأمالى : ٢/٢٥٢ .
(٣) المزهر : ق ٧٧/أ (نسخة عارف حكمت ٧٦ لغة).
(٤) المزهر : ١/٣٧٧ .
(٥) نفسه .
(٦) نفسه : ١/٣٧٨ .
(٧) نفسه .
(٨) الأمالى : ٢/٢٥٣ .

وليس لهذه الاختلافات الكثيرة التي وردت في نص واحد جاء في أقل من عشرة أسطر من تفسير سوى أنها راجعة الى اختلاف نسخ الكتاب نفسه ، وان كنا نأخذ على المحققين عدم ذكرهم على أية طبعة من الكتاب أو أية نسخة خطية له كانوا يعولون ، كما نأخذ عليهم اعتمادهم ، في نشره ، على الطبعات الثلاث : الاميرية ، والسعادة ، وصبيح فقط ، وعدم رجوعهم الى أية نسخة خطية منه ، بدعوى أن الثقات في دار الكتب ذكروا لهم أن المطبوعة الاميرية من الكتاب لا تختلف في حرف واحد عن النسخ الخطية المحفوظة في الدار .

ولئن فعلوا ، اذن لأراحوا أنفسهم من عناء كثير تجشموه ، وسهلوا لنا سبل الافادة من الكتاب ، فقد بذلوا مجهودا مضنيا فيما لا طائل تحته ، وصرفوا من الوقت ما كان جديرا أن يصرف بمطالعة نسخ الكتاب الخطية المحفوظة بالدار ، وجلب ما يمكن جلبه من النسخ المحفوظة في مكتبات العالم .

قالوا : " ولما عزمنا على طبع هذا الكتاب رجعنا الى الثلاث الطبعات ، فوجدناها جميعا صورة واحدة ، لا تختلف واحدة عن الأخرى ، ورأيناها كلها قد ملئت تحريفا وتصحيفا .

" ولما كان السيوطي قد نقل كتابه - كما أسلفنا - من كتب اللغة ، فقد رجعنا في تصحيحه الى ما عثرنا عليه من مراجعه الأصلية أولا ، ثم الى المعجمات اللغوية ثانيا ، وصححنا مئات من الأخطاء التي كانت قد شوهت الكتاب وحالت دون الافادة منه .

" والكتاب - كما هو معروف - كتاب في اللغة ، يذكر كثيرا من مفرداتها وأمثالها وشعرها ، لذلك بذلنا في ضبطه ما استطعنا من الجهد حتى تسهل قراءته ويتيسر فهمه .

" ثم رأينا كثيرا من ألفاظه في حاجة الى شرح ، لغرابتها وندرتها ، فأثبتنا ذلك تعليقا على الكتاب ، راجعين في ذلك الى أمهات كتب اللغة والأدب .

" أما ما لم نهتد الى ضبطه من الألفاظ ، أو ما لم نستطع تحريره من العبارات - وهو قليل - فقد أشرنا اليه في ذيل الصفحات ، ولعلنا نهتدي بعد الى جلاء ما أشكل علينا أمره ، وكشف ما طمست الأيام معالمه " (١) .

---

(١) المقدمة : ١ / ب - ج .

ومن ثم بنوا على عملهم هذا كثيرا من الأحكام المطلقة بحق السيوطى ، من مثل قولهم : " ولكن من الحق أن نقول أيضا : ان المؤلف كان أحيانا يبتر العبارة ، أو يختصر المطول ، فيستبهم الغرض ، ويدق المعنى المراد ، لذلك كنا - عند الحاجة - نكمل مانقله المؤلف بكلمات أو عبارات توضح المعنى أو تكمله ، ونضعها بين قوسين " (١) .

(جـ) مع مجموعة من الأساتذة :

هناك ، على مر الزمان ، أحكام جائرة لحقت ببعض الشخصيات العلمية المرموقة ، كتب لها حظها العاثر أن تذيع ، على الدوام ، وتشيع على الألسنة ، فتخاصمها الناس حيا ، ثم تستمر تخاصمها ميتا ، وكأنها لم تفد الناس شيئا فى كل ما أثر عنها ، بل أفسدت ، وابتدعت ضلالات ، ثم ماتت ، وبقيت آثارها تمض كلّ من يقرؤها .

ولعل أحد الأسباب التى أدت الى هذا ، أن بعض الباحثين ينأون بأنفسهم ، لسبب أو لآخر ، عن البحث والفحص الدقيقين ، ثم عن القصد والتروى فى القدح ، قبل أن يتبعوا بعض المتقدمين فى أحكامهم التى أطلقوها ، ان صدقا وان كذبا ، على هذه الشخصيات العلمية ، ومن هنا جاءت طائفة كبيرة من تراجمهم ونقودهم وأحكامهم فى هذه الشخصيات نسخا أخرى من أقوال المتقدمين فيها .

وبذلك تظل بعض الحقائق العلمية منحجبة عن أنظار المعاصرين ، وتستمر بعض الشخصيات العلمية منزوية عن رأى ينصفها ، ويقشع عن سمائها الغمامة ، ويزيل ما التبس من أمرها عند جمهرة العامة وكثرة من الخاصة .

فاذا قال السخاوى فى السيوطى مثلا : " بل أخذ من كتب المحمودية وغيرها كثيرا من التصانيف المتقدمة التى لا عهد لكثير من العصريين بها فى فنون ، فغير فيها يسيرا ، وقدم ، وأخر ، ونسبها لنفسه ، وهول فى مقدماتها بما يتوهم منه الجاهل شيئا مما لا يوفى ببعضه . . . كل ذلك مع كثرة مايقع له من التحريف والتصحيف ، وما ينشأ عن عدم فهم المراد ، لكونه لم يزاحم الفضلاء فى دروسهم ، ولا جلس بينهم فى مسائهم وتعريسهم ، بل استبد بأخذه من بطون الدفاتر والكتب ، واعتمد مالا يرتضيه من الاتقان صحب " (٢) .

---

(١) المقدمة : ١/ب - ج . (٢) الضوء اللامع : ٤/٦٦ - ٦٨ .

جاء بعض المتأخرين ، وأعاد بعض هذا الكلام ، بقليل من التحوير ، وقال : " تفرغ [1] للتأليف ، فأخرج نحو ٦٠٠ مصنف ، بين كبير في أجزاء ، وصغير في أوراق . وكان في كثير منها يعتمد على الكتب القديمة ، يغير فيها يسيرا ، ويقدم ، ويؤخر ، ويلخص ، ويشرح ، وينظم " [2] .

وجاء بعضهم ، وأعاد بعضه الآخر ، فبالاضافة الى أن السيوطي كان يعول كثيرا على كتب المتقدمين ، ويأخذ عنها ، وأنه ليس له في كتبه الا الجمع والترتيب ، فقد " كان - أحيانا - يبتر العبارة ، أو يختصر المطول ، فيستبهم الغرض [3] "

وجاء الدكتور فيليب حتى ليردد القول بأن السيوطي " كان جماعة وملخصا ومختصرا . ويظهر أنه - أيضا - كان خطاطا ، وربما نسب الى نفسه مؤلفات لغيره وقعت نسخها بين يديه " [4] .

وجاء الأستاذ عبد الوهاب حمودة ليردد القول بأن " من أهم ما يؤاخذ به السيوطي كثرة نقله من كتب المتقدمين ، دون أن يصرف همته الى استنباط الجديد ، وابتداع الفكرة المستقلة ، ثم دون أن يبذل في منقوله جهدا ، يوضحه به ، ويرتبه ، ويهذبه ، ويستدل له ، ويعلق عليه " [5] .

ولف لفهم الدكتور حسن عون ، وقال : " وأما السيوطي ، فانه يذكر أغلب هذه الآراء المتقدمة ، وهو كدأبه لا يحاول تمحيصها ، ولا ابداء رأي فيها " [6] .

وهكذا ، يتأثر بعض الخالفين بخطأ بعض السالفين ، ويعيدون كلامهم في السيوطي دون تحفظ أو تدقيق ، ومع أن أغلب المعاصرين الذين تابعوا القدماء هم ممن حققوا كتب السيوطي التي لخص فيها كتب غيره [7] ، وهذا يعني - بالضرورة -

---

(١) يعني السيوطي .
(٢) الموسوعة العربية الميسرة - للاستاذ محمد شفيق غربال : ص١٠٥٩ .
(٣) مقدمة كتاب " المزهر " بتحقيق الثلاثة : ١/أ - ب .
(٤) مقدمة كتاب " نظم العقيان " لتحقيق الدكتور فيليب حتى : ص د .
(٥) صفحات من تاريخ مصر في عصر السيوطي : ص٢٤٨ .
(٦) اللغة والنحو - للدكتور حسن عون : ص ٢٢٥ .
(٧) مثل : الدكتور محمد أسعد طلس الذي حقق كتاب " الوسائل الى معرفة الأوائل " للسيوطي ، والدكتور علي سامي النشار الذي حقق كتاب " جهد القريحة في تجريد النصيحة " ، للسيوطي أيضا .

أنه سيفيد منها ، ويكون قليل الطرافة والابداع ، وقد علما - من قبل - أن تلخيص كتب الآخرين كان يمثل طورا من أطوار التأليف في حياة السيوطي ، فقد كان من الأمانة العلمية والعدل التاريخي أن يستقرئوا بقية كتبه ، قبل أن يتعجلوا بمتابعة القدماء في حكمهم .

هذا، ولا يستطيع الباحث المدقق أن يتقبل أن نعت السيوطي بأن ليس له في كتبه الا الجمع والترتيب ، وأن فن التصنيف - عنده - يقوم على الأخذ من الكتب القديمة بأن يغير منها يسيرا ، ويقدم ، ويؤخر " دون أن يبذل في منقوله جهدا ، يوضحه به ، ويرتبه ، ويهذبه ، ويستدل له ، ويعلق عليه " لا يتفق مع مايدعو هو نفسه اليه ، فهو القائل بأن على اللغوي أن يتثبت في الرواية[1] ، ويرجع الى الصواب[2] ، ويرد على العلماء اذا أخطأوا[3] ، وينبه على اختلاف الروايات[4] ، وأن على الذي يتصدى للتأليف أن " يحذر كل الحذر أن يسرع في تصنيف مالم يتأهل له ، فان ذلك يضره في دينه وعلمه وعرضه ، وليحذر - أيضا - من اخراج تصنيفه من يده الا بعد تهذيبه ، وترداد نظره فيه وتكريره ، وليحرص على ايضاح العبارة وايجازها ، فلايوضح ايضاحا ينتهي الى الركاكة ، ولا يوجز ايجازا يفضي الى المحق والاستغلاق ، وينبغي أن يكون اعتناؤه من التصنيف بالم يسبق اليه أكثر "[5] .

الحق أن السيوطي كان ينقل ، كعادة أهل زمانه ، ولكنه كان يدأب - أيضا - في تمحيص ماينقله ، ويبدي رأيه فيه ، ونظرة واحدة في أحد كتبه المتأخرة ، على وجه خاص ، تدلنا على مبلغ حرص الرجل على أن يختبر منقولاته ، ويصرف همته فيها الى الاستنباط والاستدلال ، كنا تدلنا على براعة تجميعها في صعيد واحد ، ومن ثم تنسيقها ، وحسن الربط بينها .

حقا ، يحدث - أحيانا - أن يكون السيوطي في مجال استعراض آراء الناس أو رواياتهم في مسألة من المسائل ، ينقل الأقوال من الكتب المختلفة ، على مابينها من تباين وافتراق ، دون أن يمحصها ، أو يبدي رأيه فيها ، ولكنه يقصد الى ذلك قصدا ، فهو ليس معنيا - هنا - بالتمحيص أو النقد ، وانما هو بصدد ايقاف القارئ على جملة ماقيل في هذه المسألة أو تلك من أقوال فحسب[6] .

---

(١) أنظر: المزهر: ٢/ ٣١١.
(٢) نفسه: ٢/ ٣٢٠.
(٣) نفسه: ٢/ ٣٢٢.
(٤) نفسه: ٢/ ٣٣٠.
(٥) التعريف بآداب التأليف: ق ٢/أ.
(٦) أنظر، مثلا، المزهر: ١/ ٧ - ٢٤.

أما اذا كان المراد أن السيوطى كان غير عميق الاستنباط ، غير بعيد التعليل ، فهذا - أيضا - لم يكن من أغراضه ولا أغراض أحد من المؤلفين فى زمانه ، وهذا لا يغض - بالضرورة - من قيمته التأليفية ولا من قيمتهم ، ولا يدعو الى نعته ونعتهم بالانحطاط والاعياء الفكرى ، ذلك لأن العصر كان عصر ازدهار علمى ، من حيث كان العلماء والأدباء فيه مشتغلين بتمثل التراث ، منكبين على تجديده وتنميته بادخال اضافات جديدة تتناول منه الشكل والمضمون معا ، وهم - فى هذه الحالة - لابد أن يعمدوا الى هذا التراث ، ويعتمدوا فى تصنيفهم عليه ، فهل كانوا بذلك مقلدين ، أو كما قال بعض الباحثين قد توقفت بهم نهضتنا العلمية وأعقمت لأن " العقل الاسلامى قد توقف فى هذه الفترة عن الابداع - فى نطاق العلوم الفكرية ، وانتهى عهد الأصالة المطلقة " (١) .

ان الذى حدث فى عصر السيوطى من محاولات التأليف العلمى المتخصص يعد فى حد ذاته عملا فكريا رائدا ، وان جاء مشوبا ببعض الهنات ، شأن كل البدايات، وليس من الحكمة فى شىء أن نقيس السيوطى بمقاييس اليوم ، ونرميه بالتبعية وعدم التعمق فى الاستنباط والتعليل والتمحيص ، ولئن كان كذلك فى بعض كتبه ، وبخاصة المتقدمة منها - فى موازين النقد اليوم - فاننا نلتمس له العذر بانصرافه عن مثل هذه الأمور فيها الى احياء التراث ، وعرض نتاج الأسلاف عرضا دقيقا ، وشرحه وتفسيره وتجديده ، بغية تسهيل سبل العلم للمتأخرين فى كل حقول المعرفة الرائجة فى عصره .

ولئن كان السبق فى الابتكار والابتداع يعنى ، فى غير هذا العصر الذى عاش فيه السيوطى ، الجديد الذى لم يكن له من وجود سابق ، فى أى باب من أبواب الفكر ، فان الابتكار والابتداع بهذا المعنى لم يكن ، فى عصر السيوطى خاصة ، يعنى - دوما - الجديد الذى لم يكن له من وجود سابق ، انما كان يعنى - غالبا - التجديد فيما كان موجودا ، وسبكه ، أو صياغته بشكل أجمل وأفضل .

وقد عبر السيوطى نفسه عن هذا النوع من التجديد فى كتابه " التعريف بآداب التأليف " بتفصيل واسع (٢) .

---

(١) مقدمة تحقيق " صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام " ، ص ط .
(٢) أنظر : ق ٢/أ - ب .

الفصل الثالث
مايؤخذ على السيوطي

على أنّ هذا كلّه لا يعني أنّ السيوطيّ كان فوق مستوى البشر ؛ كما صوّره بعض الذين ترجموا له [1] ، فهو العالم المتبحّر ، الذي " ورث العلم والأدب والفضل الوافر وسائر المحامد والمفاخر كابراً عن كابر " [2] ، وهو الفذّ في " رواية الكثير وحباية الغزير وفصاحة التقرير ، ومتانة التحرير ، ورشاقة التعبير ، مع زيادة مهارة له في الإيجاز وحسن الإلغاز كما تظهر من مباراته الرابية على حدّ الإعجاز ، والمحاكية عن الفهم المتاز " [3] ، و " محاسنه ومناقبه لا تحصى كثرة ، ولو لم يكن له من الكرامات إلاّ كثرة المؤلّفات مع تحريرها وتدقيقها لكفى ذلك شاهداً لمن يؤمن بالقدر " [4] .

بل لم يسلم من كثير من المآخذ التي تتناول المادّة والمنهج ، إذا أحتكمنا إلى المنطق — لا إلى موازين النّقد الحديثة ؛ وهو دليل على أنّ النّقص يلحق البشر جملة : العاديّين والممتازين على السواء ، وأنّ الكمال المطلق لله وحده .

وفيما يلي نجمل هذه المآخذ ، ثم نأخذ في تفصيل كلّ واحد منها على حدة ، بشيء من الإيجاز : [5]

١ — التشهيات ، أحياناً ، تكون في غير موضعها ، ولا تخدم غرضه .

٢ — قد يعمد إلى النص ، فلا ينقله كلّه ، وإنّما يسقط منه بعض الفقرات ، وينسى أن ينوّه بذلك .

٣ — قد يعزو النصّ إلى صاحبه ، دون أن يذكر مؤلّفه الذي نقل منه ، وله أكثر من كتاب .

٤ — قد يترك التعليق على مسائل ، ليس من التعليق عليها بدّ .

٥ — أحياناً ، تشغله عنايته بالجمع عن العرض الحسن البديع .

٦ — أحياناً ، تغيب شخصيّته العلميّة في خضم الأقوال التي ينقلها من العلماء .

---

(١) أنظر ، مثلاً ، ترجمته في كتاب " نشأة النّحو وتاريخ أشهر النّحاة " للأستاذ محمد الطنطاوي : ص ٢٤٤ — ٢٤٥ ، وفي " روضات الجنّات " : ٣ / ٣١٤ فما بعد ، وفي " الكواكب السائرة " : ١ / ٢٢٦ فما بعد .

(٢) روضات الجنّات : ٣ / ٣١٤ .

(٣) نفسه .

(٤) الكواكب السائرة : ١ / ٢٢٩ .

(٥) ولأنّ هذه المآخذ تتجلّى أكثر ما تتجلّى في كتابه اللّغوي الجامع " المزهر " ، فقد أكتفينا بالتمثيل عليها منه ؛ وبعض الأمثلة يغني عن بعض .

أولا - استشهاداته أحيانا ، تكون فى غير موضعها ، ولا تخدم غرضه :

لأن السيوطى كان - فى خضم الأقوال التى ينقلها عن العلماء - منشغلا بفرزها، وحسن اختيارها ، ودقة تبويبها ، وسلامة عرضها ، يبدو أن الوقت كان ، أحيانا ، لا يسمح له بمراجعة بعض هذه الأقوال وتمحيصها ، كما ينبغى ، ولكن هذا لا يعفيه من النقد ، لأن المؤلف لا يصح أن يعول فى وقت من الأوقات - على جذاذاته وحدها تعويلا مطلقا ، وينشغل بالنقل عنها ، عن كثرة ترديد النظر فيها ، ومراجعتها، واختبارها ، حتى لا تجىء متضاربة مع ماقبلها أو مابعدها ، أو تكون غريبة فى مكانها الذى وضعت فيه .

مثلا ، كان السيوطى فى النوع الخامس والعشرين من " المزهر " يعالج قضية الاشتراك اللفظى فى اللغة ، وعلى نحو طريقته فى التصنيف ، ذكر عنوان الموضوع ، وحده ، وشفعه بفائدة معرفته ، وذكر أمثلة منه ، ثم استعرض اختلاف الناس فيه ،

فذكر أن الناس ازاء الاشتراك اللفظى على ثلاثة مذاهب :

الأول : متوسعون فى قبوله ، ومنهم الأصمعى .

الثانى : معتدلون فى قبوله ، ومنهم أبو على الفارسى .

الثالث: مغالون فى انكاره ، ومنهم ابن درستويه .

قال : " قال ابن درستويه فى شرح الفصيح - وقد ذكر لفظة : وجد ، واختلاف معانيها - هذه اللفظة من أقوى حجج من يزعم أن من كلام العرب مايتفق لفظه ويختلف معناه ، لأن سيبويه ذكره فى أول كتابه ، وجعله من الأصول المتقدمة ، فظن من لم يتأمل المعانى ، ولم يتحقق الحقائق أن هذا لفظ واحد قد جاء لمعان مختلفة ، وانما هذه المعانى كلها شىء واحد ، وهو اصابة الشىء خيرا كان أو شرا ، ولكن فرقوا بين المصادر ، لأن المفعولات كانت مختلفة ، فجعل الفرق فى المصادر بأنها أيضا مفعولة ، والمصادر كثيرة التصاريف جدا ، وأمثلتها كثيرة مختلفة ، وقياسها غامض ، وعللها خفية ، والمفتشون عنها قليلون ، والصبر عليها معدوم ، فلذلك توهم أهل اللغة أنها تأتى على غير قياس ، لأنهم لم يضبطوا قياسها ولم يقفوا على غورها"(1).

الى هنا ، والاستشهاد صحيح ، ولكنه عاد بعد ذلك يقول : " قال

---

(١) المزهر - بتحقيق الثلاثة : ١ / ٣٨٤ ، ونسخة عارف حكمت ٥٦ لغة : ق٧٧/ب.

ابن درستويه فى شرح الفصيح : لا يكون فعل وأفعل بمعنى واحد ، كما لم يكونا على بناء واحد ، الا أن يجيء ذلك فى لفتين مختلفتين ، فأما من لغة واحدة فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد ، كما يظن كثير من اللغويين والنحويين ، وانما سمعوا العرب تتكلم بذلك على طباعها وما فى نفوسها من معانيها المختلفة ، وعلى ما جرت به عاداتها وتعارفها ، ولم يعرف السامعون لذلك العلة فيه والفروق ، فظنوا أنهما بمعنى واحد ، وتأولوا على العرب هذا التأويل من ذات أنفسهم ، فان كانوا قد صدقوا فى رواية ذلك عن العرب فقد أخطأوا (١) عليهم فى تأويلهم مالا يجوز فى الحكمة ، وليس يجيء شىء من هذا الباب الا على لفتين متباينتين كما بينا ، أو يكون على معنيين مختلفين ، أو تشبيه شىء بشىء على ماشرحناه فى كتابنا الذى ألفناه فى افتراق معنى فعل وأفعل "(٢) .

ومعلوم أن لا علاقة لهذا النص البتة بموضوع الاشتراك اللفظى ، وانما علاقته بموضوع الترادف ، لأن ابن درستويه ينكر فيه الترادف ، وكان من حق السيوطى أن يأتى به - بعد - فى النوع السابع والعشرين ، حين يعالج قضية الترادف اللفظى ، للدلالة على أن ابن درستويه من المغالين فى انكار الترادف فى لغة واحدة .

ونترك ، لبرهة ، هذا النوع ، ونمضى الى النوع السابع والعشرين من " المزهر " حيث يعالج السيوطى فيه قضية الترادف ، ونستعرض آراء الناس فى امكان وقوعه فى لغة واحدة ، فلانجد من بينهم ابن درستويه ، ولا نجد لرأيه فى الترادف أثرا البتة .

ثم نعود الى النوع الخامس والعشرين ، لنجد السيوطى يستمر فى الاستشهاد بأقوال المغالين فى انكار المشترك اللفظى قائلا : " وقال فى موضوع آخر (٣) : أهل اللغة أو عامتهم يزعمون أن - فعل وأفعل - بهمزة وبغير همزة قد يجيئان لمعنى واحد ، وأن قولهم : دريرى ، وأدريرى من ذلك . وهو قول فاسد فى القياس والعقل ، مخالف للحكمة والصواب ، ولا يجوز أن يكون لفظان مختلفان لمعنى واحد ، الا أن يجيء أحدهما فى لغة قوم ، والآخر فى لغة غيرهم ، كما يجيء فى لغة العرب والعجم ، أو فى لغة رومية ولغة هندية .

" وقد ذكر ثعلب أن أدريرى لغة ، فأصاب فى ذلك ، وخالف من يزعم أن فعلت

---

(١) كما فى المزهر (نسخة عارف حكمت ٥٦ لغة) : ق ٧٨ / ب ، وفى المزهر - بتحقيق الثلاثة " اخطئوا " : ١ / ٣٨٥ .

(٢) المزهر - بتحقيق الثلاثة : ١ / ٣٨٤ - ٣٨٥ ، ونسخة عارف حكمت : ق ٧٨ .

(٣) يعنى : ابن درستويه .

وأفعلت بمعنى واحد ، والأصل فى هذا قد درت وهو الفعل اللازم ، ثم ينقل امـــا بالباء واما بالألف ، فيقال : قد ديربى أو أدرت ، فهذا القياس . ثم جيء بالباء مع الألـــف فقيـل : قد أدير بى. كما قيل قد أسرى بى على لغة من قال أسرى فى معنى ســرى ، لأن ادخال الألف فى أول الفعل ، والباء فى آخره للنقل خطأ ، الا أن يكون قد نقل مرتين ، احداهما بالألف ، والأخرى بالبـــاء " (١).

وواضح أن هذا الاستشهاد فى غير موضعه ، لأنه دليل على عدم وقوع الترادف الا من واضعين فى لغتين مختلفتين ، وليس دليلا على عدم وقوع المشترك اللفظـــى .

ثانيا— <u>قد يعمد الى النص ، فلاينقله كله ، وانما يسقط منه بعض الفقرات ، وينســـى أن ينوه بذلك</u> :

الكثير فى نقول السيوطى أنه يعمد الى بعض النبذ من كتاب اختاره لموضوعـه ، فينقلها لفظا وحرفا دون التصرف فيها .

ولكنه ، أحيانا ، لايعمد الى نقل كل ماورد فى النصوص الطويلة ، بخاصـة ، بل نراه يتصرف باسقاط بعض الفقرات منها ، والاقتصار على الذى يطيب لـــه ويصح عنده ، ومايطابق خطته من الموضوع .

ومع أن هذا هو سمة العصر الغالبـة ،والأسـلوب الذى دأب الناس فيـــه على الركون اليه ، وأن السيوطى لم يستطع أن يخرج — فى بعض الأحيـــان — على عادة أهل زمانه فيها ، فكان مثل النويرى فى " نهاية الأرب فى فنـــون الأدب " (٢) ، والقلقشندى فى " صبح الأعشـــى فى صناعة الانشاء " (٣) ، والقسطلانى فى " لطائف الاشارات لفنـــون القراءات " (٤) ، فاننا لانجـــد بدا من أن نأخـذ على السيوطى وأهل عصره عـــدم التنويه بالتصرف فـــى النقل ، وان كانوا قد احتفظوا للنصوص بدلالاتها ومقاصدها ، لأن عـــدم

---

(١) المزهر — بتحقيق الثلاثة : ١/ ٣٨٦ ، ونسخة عارف حكمت : ق ٧٨/ ب .

(٢) أنظر ، مثلا ، فى نهاية الأرب: ٢/ ٢٢٥ ووازن بالأغانى : ١/ ١٠١ ، ٢/ ٣٦٠ ، ووازن بأصول الأحساب وفصول الأنساب : ١/ ١٤ ، ٣/ ٩ ، ووازن بمجمع الأمثال : ١/ ١٦ .

(٣) أنظر ، مثلا ، فى صبح الأعشى : ١/ ٤٠ ، ووازن بالعقد الفريد : ٤/ ١٦٤ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ووازن بالصناعتين : ١/ ١٤٠ — ١٤١ ، ١٥٤ ، ووازن بأدب الكاتـــب: ص ٧ فما بعد .

(٤) أنظر ، مثلا ، فى لطائف الاشارات : ص ١٠ ، ووازن بالبحر المحيط : ١/ ٣١٢ ، ووازن بتأويل مشكل القرآن : ص ٢٨— ٢٩ ، ٤٨ ، ووازن بطبقات القراء : ١/ ٤٣١ .

التنويه معناه أنهم نقلوا النصوص لفظا وحرفا دون التصرف فيها .

واليك مثالا على ذلك :

قال السيوطى[١] : " قال أبو بكر بن الأنبارى فى أول كتابه[٢] : . . . وقال تعالى : (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم) . أراد الذين يتيقنون ذلك ، فلم يذهب وهم عاقل الى أن الله تعالى يمدح قوما بالشك فى لقائه . وقال تعالى حاكيا عن يونس: (وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه) . أراد رجا ذلك وطمع فيه . ولا يقول مسلم : ان يونس تيقن[٣] أن الله لا يقدر عليه .

" ومجرى حروف الأضداد مجرى الحروف التى تقع على المعانى المختلفة وان لم تكن متضادة ، فلا يعرف المعنى المقصود منها الا بما يتقدم الحرف[٤] ويتأخر بعده مما يوضح تأويله ، كقولك : حمل ـ للواحد من الضأن ، وحمل ـ اسم رجل ، لا يعرف أحد المعنيين الا بما وصفنا .

" وكذلك غسق ، يقع على معنيين مختلفين : أحدهما ـ أظلم من غسق الليل ، والآخر ـ سال من الغساق ، وهو ما يغسق من صديد أهل النار ، فى ألفاظ كثيرة يطول احصاؤها ، تصحبها العرب من الكلام ما يدل على المعنى المخصوص منها ، وهذا الضرب من الألفاظ هو القليل الظريف فى كلام العرب "[٥] .

ونحيلك ـ الآن ـ الى كتاب " الأضداد " لابن الأنبارى ، لتوازن بين النصين : الأصل والمنقول ، فتعرف كيف يتصرف السيوطى، أحيانا ، فى النقل من غير أن يشير الى تصرفه هذا بكلمة واحدة .

جاء فى " الأضداد " : " وقال الله ـ عز وجل ـ وهو أصدق قيل[٦] : (الذين يظنون أنهم ملاقوا الله)[٧] . أراد : الذين يتيقنون ذلك ، فلم يذهب وهم عاقل

---

(١) فى النوع السادس والعشرين من " المزهر " : معرفة الأضداد .
(٢) يعنى : الأضداد .
(٣) كما فى نسخة عارف حكمت ٥٦ لغة : ق ٨١/ب ، وهي عبارة "الأضداد" ، وأما فى النسخة المحققة : ١/ ٣٩٩ " ولا يقول مسلم : تيقن يونس ان الله لا يقدر عليه" .
(٤) كما فى نسخة عارف حكمت : ق ٨١/ب ، وفى " الأضداد " ، وأما فى النسخة المحققة : ١/ ٣٩٩ " بما يتقدم الحروف " .
(٥) المزهر : نسخة عارف حكمت : ق ٨١ ، والنسخة المحققة : ١/ ٣٩٨ ـ ٣٩٩ .
(٦) اختصرها السيوطى بقوله : " وقال تعالى " .
(٧) الآية كما فى سورة البقرة : ٢٤٩ ، وفى المزهر " الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم" .

الى أن الله - عز وجل - يمدح قوما بالشك فى لقائه [1] . وقال فى موضع آخر حاكيا عن فرعون فى خطابه موسى (انى لأظنك يا موسى مسحورا) [2] . وقال تعالى حاكيا عن يونس (وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه) [3] . أراد : رجا ذلك وطمع فيه ، ولا يقول مسلم : ان يونس تيقن أن الله لا يقدر عليه .

" ومجرى حروف الأضداد مجرى الحروف التى تقع على المعانى المختلفة ، وان لم تكن متضادة ، فلا يعرف المعنى المقصود منها الا بما يتقدم الحرف ويتأخر بعده مما يوضح تأويله ، كقولك : حمل - لولد الضأن من الشاء [4] ، وحمل - اسم رجل ، لا يعرف أحد المعنيين الا بما وصفنا .

" وكذلك [5] (يتلمظان) ، و (يكتسبان) ، و (يقوم عبد الله) ، لا يعرف أن شيئا من هذا منقول عن معناه الى تسمية الرجال به الا بدليل يزيل اللبس عن السامعين ، فمن ذلك ما أنشدنا أبو العباس [6] ، عن سلمة ، عن الفراء :

اذا ما قيل أى الناس شر ... فشرهم بنو يتلمظان

جعل (يتلمظان) اسما لرجل .

" وأنشدنا أبو العباس أيضا :

خذوا هذه ثم استعدوا لمثلها ... بنى يشتهى رز الخليل المناوب

جعل (يشتهى) ، وما بعده اسما لرجل .

" وأنشدنا أبو العباس ، عن سلمة عن الفراء ، عن الكسائى :

وكنت ابن عم بازلا فوجدتكم ... بنى جد ثدياها على ولا ليا

جعل (جد ثدياها) اسما .

" وأنشدنا أبو العباس ، عن سلمة ، عن الفراء ، عن الكسائى :

أعير بنى يدب اذا تعشى ... وعير بنى يهر على العشاء

جعل (يهر) و (يدب) اسمين [7] .

---

(١) غيرها السيوطى ، وجعلها : " الى أن الله تعالى يمدح " .
(٢) سورة الاسراء : ١٠١ ، وحذف السيوطى العبارة من " وقال فى موضع آخر " الى نهاية هذه الآية الكريمة .
(٣) سورة الأنبياء : ٨٧ .
(٤) غيرها السيوطى ، وجعلها : " للواحد من الضأن " .
(٥) من هنا ، الى قوله : " وكذلك غسق " محذوف فى " المزهر " .
(٦) يعنى : أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلب .
(٧) هذا كله أسقطه السيوطى من النص .

" وكذلك (غسق) ، يقع على معنيين مختلفين للعلة التى تقدمت[1] ، أحدهما - أظلم من غسق الليل ، والآخر - سال من الغساق ، وهو مايغسق من صديد أهل النار ، "[2] قال عمارة بن عقيل :

ترى الضيف بالصلعاء تغسق عينه من الجوع حتى تحسب الضيف أرمدا

وقال عمران بن حطان :

اذا ماتذكرت الحياة وطيبها الى جرى دمع من العين غاسق

أى : سائل .

" والجميل : الرجل الحسن ، والجميل : الشحم المذاب ، يعرف معناهما بما وصفناه .

" والزبرج : الاثر ، والزبرج : السحاب الرقيق .

" والحلمة : رأس الثدى ، والحلمة : نبات ينبت فى السهل .

" والأمة : تباع الأنبياء ، والأمة : الجماعة ، والأمة : الصالح الذى يؤتم به ، والأمة : الدين ، والأمة : المنفرد بالدين ، والأمة : الحين من الزمان ، والأمة : الأم ، والأمة : القامة ، وجمعها أمم ، قال الأعشى[3] :

وان معاوية الأكرمين حسان الوجوه طوال الأمم[4]

فى ألفاظ كثيرة يطول احصاؤها وتعديدها[5] ، تصحبها العرب من الكلام مايدل على المعنى المخصوص منها .

وهذا الضرب من الألفاظ هو القليل الظريف فى كلام العرب "[6] .

---

(١) حذف السيوطى الجملة الأخيرة : " للعلة التى تقدمت " .

(٢) بعد هذه العبارة ، يعود السيوطى فيسقط عددا من الأسطر ، الى قوله : " فى ألفاظ كثيرة يطول احصاؤها " .

(٣) ديوان الأعشى : ص ٣٢ .

(٤) ترك السيوطى كل الفقرات المتقدمة .

(٥) أسقط السيوطى كلمة " وتعديدها " .

(٦) كتاب " الأضداد " لأبى بكر محمد بن القاسم الأنبارى - بتحقيق الأستاذ محمد أبى الفضل ابراهيم : ص ٣ (ط الكويت ١٩٦٠م ، مطبعة حكومة الكويت) .

وانظر أمثلة أخرى من النصوص التى لا يتقيد السيوطى بنقلها ، وانما يغير فيها أو يحذف منها ، على نحو مارأينا فيما تقدم : المزهر : ١ / ٥ فما بعد ، ووازن بالصاحبى : ص ٣٠ فما بعد ، والمزهر : ١ / ٤٧ فما بعد ، ووازن بالخصائص ٢ / ١٥٣ فما بعد ، والمزهر : ١ / ٣١١ فما بعد ، ووازن بأدب الكاتب : ٢٠٧ .

ثالثا — قد يعزو النص الى صاحبه ، دون أن يذكر مؤلفه الذى نقل منه ، وله أكثر من كتاب :

حرص السيوطى — فى نقوله — على ذكر الكتاب الذى نقل عنه النص، وذكر اسم صاحبه ، وربما — أيضا — حدد مكان العبارة من الكتاب بقوله مثلا : " وقد عقد ابن جنى فى الخصائص بابا لمناسبة الألفاظ للمعانى، وقال ..."[1]، وقوله : " وقال ابن فارس فى فقه اللغة : باب القول فى مأخذ اللغة"[2]، وقوله : " قال الكمال أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنبارى فى كتابه (لمع الأدلة فى أصول النحو) : اعلم أن النقل ينقسم الى قسمين : تواتر وآحاد ..."[3] ، وقوله : " وقال الثعالبى فى فقه اللغة : فصل — فى سياقة أسماء فارسيتها منسية وعربيتها محكية مستعملة "[4] ، وقوله : " وقال محمد بن سلام الجمحى فى أول طبقات الشعراء ..."[5] .

ولكنه ، مع حرصه هذا على عزو النصوص الى أصحابها ، والى كتبهم عزوا كاملا ، وقد يحدث أن ينسى ، فيذكر اسم المؤلف ، ولا يذكر اسم كتابه الذى نقل منه .

وليس فى الأمر اشكال ، اذا كان اسم المؤلف مرتبطا فى أذهان الناس بكتاب معين ، بحيث اذا ذكر لهم أحدهما ، استدعى الآخر بالضرورة ، أو كان هذا المؤلف مشتهرا ، لسبب أو لآخر ، بكتاب واحد ، فلا بأس اذا قال السيوطى : " وقال الخليل "[6] ، و" قال الجوهرى "[7] ، و" قال سيبويه "[8] .

وانما الاشكال فيما اذا كان للمؤلف أكثر من كتاب ، وليس مشتهرا بواحد من هذه الكتب دون الأخرى .

واليك بعضا من الأمثلة :

قال السيوطى[9] : " الردى" المذموم من اللغات هو أقبح اللغات

---

(١) المزهر — نسخة عارف حكمت : ق ١٠/أ ، والمزهر — بتحقيق الثلاثة : ١/ ٤٨ .
(٢) المزهر — نسخة عارف حكمت : ق ١٢/أ ، والمزهر — بتحقيق الثلاثة : ١/ ٥٨ .
(٣) المزهر — نسخة عارف حكمت : ق ٢٠/ب، والمزهر — بتحقيق الثلاثة : ١/ ١١٣ .
(٤) المزهر — نسخة عارف حكمت : ق ٢٢/أ ، والمزهر — بتحقيق الثلاثة : ١/ ١٧١ .
(٥) المزهر — بتحقيق الثلاثة : ١/ ٥٣٣ .
(٦) نفسه : ١/ ١٣٦ .
(٧) نفسه : ٢/ ٤٩ .
(٨) فى النوع الحادى عشر من "المزهر" ، وهو النوع الذى عقده لمعرفة الردى" والمذموم .
(٩) المزهر — بتحقيق الثلاثة : ١/ ٢٢١ .

وأنزلها درجة ، قال الفراء : كانت العرب تحضر الموسم فى كل عام ، وتحج البيت فى الجاهلية ، وقريش يسمعون لغات العرب ، فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به ، فصاروا أفصح العرب ، وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ، ومستقبح الألفاظ، من ذلك : الكشكشة ، وهي فى ربيعة ومضر ... "[1] .

وقال[2] : " وقال ابن السكيت : العرب تقول : لأقيمنّ ميلك ، وجنفك ، ودرأك ، وصفاك ، وصدعك ، وقذلك ، وضلعك ، كله بمعنى واحد "[3] .

وقال[4] : " قال الامام فخر الدين وأتباعه : جهات المجاز يحضرنا منها اثنا عشر وجها : ... قال الامام وأتباعه : المجاز خلاف الأصل ، لأنه يتوقف على الوضع الأول ، والمناسبة ، والنقل ، وهي أمور ثلاثة ، والحقيقة على الوضع ، وهو أحد الثلاثة ، فكان أكثر ... "[5] .

وفى مثل هذه الحالة يستطيع المرء أن يدرك مبلغ العسر الذى يمكن أن يلقاه الدارس فى سبيل الحصول على هذه المراجع الأصول ، ومن ثم الوقوف على الفقرات التى اقتبسها السيوطى منها[6] .

رابعا - <u>قد يترك التعليق على مسائل ، ليس من التعليق عليها بد :</u>

ومما يؤخذ على السيوطى ، أنه - أحيانا - يترك بعض المسائل دون تعليق ، فى حين أنه يعوزها شىء غير قليل من التعليق .

من ذلك ماذكره فى اختلاف الناس فى وقوع المعرب فى القرآن[7] ، فابن عباس ومجاهد وابن جبير وعكرمة وعطاء وغيرهم من أهل العلم من الفقهاء - قالوا بوقوعه ، وأكثر أهل العربية يقولون بأنه ليس بالقرآن شىء من كلام العجم ، وقال فريق ثالث ، منهم أبو عبيدة ، أن الصواب " مذهب فيه تصديق القولين

---

(١) المزهر - بتحقيق الثلاثة : ١/ ٢٢١ .
(٢) فى النوع السابع والعشرين ، فى أثناء كلامه عن " الترادف " .
(٣) المزهر - نسخة عارف حكمت : ق ٨٣/ب ، والمزهر - بتحقيق الثلاثة : ١/ ٤١١ .
(٤) فى النوع الرابع والعشرين ، وهو النوع الذى عقده لمعرفة الحقيقة والمجاز .
(٥) المزهر - نسخة عارف حكمت : ق ٧٢/أ ، والمزهر - بتحقيق الثلاثة : ١/ ٣٥٩ .
(٦) وهناك أمثلة أخرى يعزو فيها السيوطى النص الى صاحبه دون أن يذكر كتابه الذى نقل منه ، انظر : المزهر المحقق : ١/ ٣٦٣ فما بعد ، ونسخة عارف حكمت : ق ٧٣/أ ، والمزهر المحقق : ١/ ٣٦٧ فما بعد ، ونسخة عارف حكمت : ق ٧٤/ب والمزهر المحقق : ١/ ٣٨٧ ، ونسخة عارف حكمت : ق ٧٨/أ .
(٧) انظر : المزهر : ١/ ٢٦٨ فما بعد (النوع التاسع عشر : معرفة المعرب) .

جميعا ، وذلك أن هذه الحروف أصولها عجمية كما قال الفقهاء ، الا أنها سقطت الى العرب فأعربتها بألسنتها ، وحولتها عن ألفاظ العجم الى ألفاظها ، فصارت عربية ، ثم نزل القرآن - وقد اختلطت هذه الحروف - بكلام العرب ، فمن قال انها عربية فهو صادق ، ومن قال عجمية فهو صادق "[1] .

فقد ترك هذه الآراء دون أى تعليق ، ولا ترجيح أحدها عن الباقى ، مع أنه يفهم من كلامه فى " الاتقان "[2] أنه اختار المذهب الأول للفقهاء القائل بوقوع المعرب فى القرآن ، ويفهم كذلك ، من كتابه " المتوكلى فيما وقع فى القرآن من اللغات العجمية " ، فقد ذكر فيه نماذج مما ورد فى القرآن بالرومية والفارسية والهندية والسريانية والحبشية والنبطية والعبرية والتركية والقبطية .

ومن ذلك ماذكره من اختلاف الناس فى امكان وقوع الترادف فى اللغة[3] ، فبعضهم يقول بوقوعه مطلقا ، وبعض العلماء القدامى ينكرون وقوعه ، وأهل الأصول يقولون بأن الأكثر فى الترادف ماكان من واضعين ، والأقل ماكان من واضع واحد ، فقد استعرض هذه الأقوال ، ولم يعقب على أحدها بشىء ، ولم يترك لنا فيها رأيه .

والعجيب أنه بعد ذلك مباشرة أتى برأى ثانوى ، وعلق عليه بعبارة ناقدة ، قال : " قال الكيا فى تعليقه فى الأصول : الألفاظ التى بمعنى واحد تنقسم الى : ألفاظ متواردة ، وألفاظ مترادفة ، فالمتواردة كما تسمى الخمر عقارا ، وصهباء ، وقهوة ، والسبع أسدا ، وليثا ، وضرغاما ، والمترادفة هي التى يقام لفظ مقام لفظ لمعان متقاربة يجمعها معنى واحد ، كما يقال : أصلح الفاسد ، ولم الشعث ، ورتق الفتق ، وشعب الصدع ، انتهى "[4] .

قال السيوطى بعدها : " وهذا تقسيم غريب "[5] .

ويدخل فى هذا الباب ،أيضا ، أنه ربما أتى ببعض الروايات الخرافية ، وببعض الأحاديث الموضوعة ، دون أن يعلق عليها بما يدل على تكذيبه لها ، أو حتى يشير الى أنها خرافية أو موضوعة ، ليقف القارىء على حقيقتها .

---

(١) المزهر - نسخة عارف حكمت : ق ٥٥/ب ، والمزهر - بتحقيق الثلاثة : ١/ ٢٦٩ .

(٢) انظر : ٢/ ١٠٥ فما بعد (النوع الثامن والثلاثون : فيما وقع فيه بغير لغة العرب .

(٣) المزهر - نسخة عارف حكمت : ق ٨٢ ، والمزهر بتحقيق الثلاثة : ١/ ٤٠٢ .

(٤) المزهر - نسخة عارف حكمت : ق ٨٣/ب ، والمزهر - بتحقيق الثلاثة : ١/ ٤٠٦ - ٤٠٧ .

(٥) نفسه .

على أن هذا لا يعني ، بالضرورة ، أننا نتهمه بأن مثل هذه الروايات الخرافية والأحاديث الموضوعة قد أصبحت في عداد معتقداته ، لأننا نعرف ماله من دقة النظر ، وعلو الكعب في العلوم الدينية ، بحيث نستبعد معه مجرد هذا الظن الآثم[1] ، وانما نحن نأخذ عليه ، فقط ، أنه أتى بها ، وتركها دون أن يعلق عليها .

ومما ذكره من الروايات الخرافية والأحاديث الموضوعة :

* " كانت مراد تعبد نسرا ، يأتيها في كل عام ، فيضربون له خباء ، ويقرعون[2] بين فتياتهم ، فأيتهن أصابتها القرعة ، أخرجوها الى النسر ، فأدخلوها الخباء معه ، فيمزقها ويأكلها ، ويؤتى بخمر فيشربه ، ثم يخبرهم بما يصنعون في عامهم ويطير ، ثم يأتيهم في عام قابل ، فيصنعون به مثل ذلك "[3] .

* " عن أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : النيل وسيحان وجيحان والفرات من أنهار الجنة . قال ابن عبد الحكم حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن كعب الأحبار أنه كان يقول : أربعة أنهار من الجنة وضعها الله في الدنيا ، فالنيل نهر العسل في الجنة ، والفرات نهر الخمر في الجنة ، وسيحان نهر الماء في الجنة ، وجيحان نهر اللبن في الجنة . . . وقال : حدثنا عثمان بن صالح حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أن معاوية بن أبي سفيان سأل كعب الأحبار : هل تجد لهذا النيل في كتاب الله خبرا ، قال : أي والذي فلق البحر لموسى اني لأجده في كتاب الله يوحى اليه في كل عام مرتين . . . "[4] .

---

(١) سبق لكثير من العلماء ، كالغزالي ، أن استشهد وافي كتبهم بالروايات الخرافية والأحاديث الموضوعة والضعيفة ، فأخذ عليهم عدم تحاشيهم مثل هذا الاستشهاد ، فأجيب عنهم بأنهم انما استشهدوا بمثل هذه الروايات والأحاديث ، على سبيل الاستئناس ، وفي مواضع من القول لا تمس الدين أو العقيدة بسوء ، بل استشهدوا بها في مواضع الذكر والعظة والعبر ، وبهذا يندفع ما أخذه بعضهم على السيوطي من أنه أورد في بعض كتبه " كثيرا من الروايات الضعيفة والأحاديث التي لم تثبت صحتها عند المحدثين ، ولكنه أوردها باسنادها ، وان كان في ذكر السند ما يميز الصحيح من الضعيف " ، انظر : مقدمة تحقيق " الاتقان " : ١/١٠ .
وللسيوطي نفسه كتاب في الأحاديث الموضوعة اسمه : " اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة " ، وقد طبع في المطبعة الأدبية بمصر ١٣١٧هـ .

(٢) يعني : ضرب القرعة .

(٣) المزهر - بتحقيق الثلاثة : ١/١٦٤ - ١٦٥ (النوع السابع : معرفة طرق الأخذ والتحمل) .

(٤) حسن المحاضرة : ٢/٢٣٨ - ٢٤٠ .

* " وكان بأعلاه [1] مرآة ترى منها قسطنطينية ، وبينهما عرض البحر ، فكلما جهز الروم جيشا رؤى فى المرآة ، . . وقد عملت الجن لسليمان بن داود — عليهما الصلاة والسلام — فى الأسكندرية مجلسا من أعمدة الرخام الملون المجزع كالجزع اليمانى المصقول كالمرآة اذا نظر الانسان اليها يرى من يمشى خلفه لصفائها ، وكان عدد الأعمدة ثلاثمائة عمود ، وكل عمود ثلاثون ذراعا ، وفى وسط المجلس عمود طوله مائة واحدى عشرة ذراعا ، وسقفه من حجر واحد أخضر مربع ، قطعته الجن ، ومن جملة تلك الأعمدة عمود واحد يتحرك شرقا وغربا ، يشاهد ذلك الناس ولا يرون ما سبب حركته " [2] .

خامسا — أحيانا ، تشغله عنايته بالجمع عن العرض الحسن البديع :

لقد توفرت كتب السيوطى على العرض الحسن البديع ، القائم على التفكير والروية ، فهو يقسم الكتاب على فنون ، وهذه الفنون على أبواب وفصول ، وكل فصل ضمن مبحث خاص أو نبذة معينة ، ليسهل على الطالب مهمة البحث المضنى ومكابدة المشاق التى يجدها فى كتب المتقدمين .

ولئن توفرت كتب السيوطى على هذا كله ، لقد توفر صاحبها على العقل الناضج والذوق السليم والعلم الغزير ، وتهيأ لكل عمل بخطة مرسومة أحكمت أصولها وترتيب وتهذيب روعي فيهما دقة الاختيار وحسن الانتخاب وجمال العرض .

ولكن المرء يتوقف أمام بعض الموضوعات التى يعالجها السيوطى فى بعض كتبه ، ويتعجب لأمرها ، فليس فيها مارأيناه فى سواها من اطراد فى طول الممارسة والتدبر للمادة قبل عرضها ، ولعل السبب فى ذلك يعود الى عنايته فيها بالجمع ، كالمتقدمين عليه والمعاصرين له من مؤلفى الكتب الجامعة ممن لم يعنوا كثيرا بغير الجمع ، وطبيعى أن تكون العناية بالجمع عند السيوطى ، حين يعتنى بالجمع — على حساب المنهج والخطة والعرض .

مثلا ، كانت طريقة السيوطى فى تصنيف موضوعات " المزهر " ، أن يذكر عنوان الموضوع ، فيذكر حده ، فأشهر من ألف فيه ، ثم يشفعه باختلاف العلماء فيه ، ويذكر مسائلهم ، وكثيرا ما يذيل هذه الموضوعات برأيه ،

---

(١) أى : بأعلى منار الاسكندرية .

(٢) حسن المحاضرة : ١/٥٣ — ٥٥ .

وبذكر الفرق بين هذا الموضوع والموضوعات الأخرى ، وبايراد الأمثلة له .

واذا ألقينا النظر على النوع الرابع والعشرين[1] من هذا الكتاب ، وجدناه ناشزا عن هذه الطريقة ، لأنه نوع غير مرتب ترتيبا محكما كالأنواع الأخرى ، فقد ذكر السيوطى فيه تعريفا للموضوع ، ثم أبان عن الفروق بين شقيه ، وانتقل الى الكلام عن مسائل أخرى تتصل بالموضوع ، ثم الى الكلام عن آراء الناس فيه ، ثم مالبث أن عاد الى الكلام عن الفروق ، ومن ثم عاد الى الكلام عن آراء الناس ، وختم الباب به ، واليك البيان :

على طريقة السيوطى فى التصنيف ، جاء بالحد أولا ، وقال : " قال ابن فارس فى فقه اللغة : الحقيقة من قولنا : حق الشئ — اذا وجب . واشتقاقه من الشئ المحقق ، وهو المحكم ، يقال : ثوب محقق النسج : أى محكمه ، فالحقيقة : الكلام الموضوع موضعه الذى ليس باستعارة ، ولا تمثيل ، ولا تقديم فيه ، ولا تأخير ، كقول القائل : أحمد الله على نعمه واحسانه . وهذا أكثر الكلام ، وأكثر آى القرآن وشعر العرب على هذا .

" وأما المجاز فمأخوذ من جاز يجوز — اذا استن ماضيا ، تقول : جاز بنا فلان ، وجاز علينا فارس ، هذا هو الأصل . ثم تقول : يجوز أن تفعل كذا : أى ينفذ ولا يرد ولا يمنع "[2] .

ولعل السيوطى لم يجد هذا التعريف شافيا ، لأن ابن فارس حد لنا فيه الحقيقة والمجاز — من الناحية اللغوية فحسب ، وأهمل التعريف عنهما — من الناحية الاصطلاحية ، وهو التعريف المهم الذى تدور فى فلكه : أكل الكلمات فى العربية حقائق أم مجازات ، وما الفرق بينهما ، وكيف يأتى كل منهما ؟

ولذلك شفعه بتعريف ابن جنى " الحقيقة ما أقر فى الاستعمال على أصل وضعه فى اللغة ، والمجاز : ماكان بضد ذلك ، وانما يقع المجاز ويعدل اليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة : وهي الاتساع ، والتوكيد ، والتشبيه ، فان عدمت الثلاثة تعينت الحقيقة ، فمن ذلك قوله — صلى الله عليه وسلم — فى الفرس : هو بحر ، فالمعانى الثلاثة موجودة فيه "[3] .

---

(١) فى معرفة الحقيقة والمجاز .

(٢) المزهر — نسخة عارف حكمت : ٧١/أ ، والمزهر — بتحقيق الثلاثة : ١/٣٥٥ .

(٣) المزهر — نسخة عارف حكمت : ٧١/ب ، والمزهر — بتحقيق الثلاثة : ١/٣٥٦ — ٣٥٧ .

ثم انتقل بنا الى الكلام عن المجاز ، وجهاته ، وعلام يدخل : على أسماء الأجناس أو على الأفعال ، وذكر نوعى المجاز ؛ المجاز لأجل اللفظ ، والمجاز لأجل المعنى ، ومن ثم راح يفصل القول فى الفرق بين الحقيقة والمجاز ، فالفرق بينهما " لا يعلم من جهة العقل ولا السمع ، ولا يعلم الا بالرجوع الى أهل اللغة ، والدليل على ذلك أن العقل متقدم على وضع اللغة ، فاذا لم يكن فيه دليل على أنهم وضعوا الاسم لمسمى مخصوص امتنع أن يعلم به أنهم نقلوه الى غيره ، لأن ذلك فرع العلم بوضعه ، وكذلك السمع انما يرد بعد تقرر اللغة ، وحصول المواظبة ، وتمهيد التخاطب ، واستمرار الاستعمال ، واقرار بعض الأسماء فيما وضع له ، واستعمال بعضها فى غير ماوضع له ، فيمتنع لذلك أن يقال انه يعلم به أن استعمال أهل اللغة لبعض الكلام هو فى غير ماوضع له لامتناع أن يعلم الشىء بما يتأخر عنه ... "(١)

وبعد أن انتهى من ذكر وجوه الفرق بين الحقيقة والمجاز ، أورد لنا آراء بعض العلماء فى الحقيقة والمجاز ، فابن برهان يرى أن " اللغة مشتملة على الحقيقة والمجاز ، وقال الأستاذ أبو اسحاق الاسفراييني : لامجاز فى لغة العرب ... "(٢) .

وبعد أن بين لنا عمدة القائلين باشتمال اللغة على الحقيقة والمجاز ، وأدلة القائلين بأن لامجاز فى اللغة ، وطرق الجواب عليهم ، عاد — من جديد — الى الكلام عن الفرق بين الحقيقة والمجاز ، فقال : " قال الامام وأتباعه : الفرق بين الحقيقة والمجاز اما أن يقع بالتنصيص أو بالاستدلال . أما التنصيص فمن وجهين : أحدهما — أن يقول الواضع : هذا حقيقة وذاك مجاز ، أو يقول ذلك أئمة اللغة . قال الصفي الهندى : لأن الظاهر أنهم لم يقولوا ذلك الا عن ثقة . والثانى — أن يقول الواضع : هذا حقيقة ، أو هذا مجاز ، فيثبت بهذا أحدهما . وهو مانص عليه .

"وأما الاستدلال فبالعلامات ، فمن علامات الحقيقة تبادر الذهن الى فهم المعنى ، والعراء عن القرينة ، أى اذا سمعنا أهل اللغة يعبرون عن معنى واحد بعبارتين ، ويستعملون احداهما بقرينة دون الأخرى ، فنعرف أن اللفظ حقيقة فى المستعملة بدون القرينة ، لأنه لولا استقرار أنفسهم على تعيين ذلك اللفظ لذلك المعنى بالوضع لم يقتصروا عادة" (٣) .

---

(١) المزهر — نسخة عارف حكمت : ق ٧٣ ، والمزهر — بتحقيق الثلاثة : ١ / ٣٦٢ .
(٢) المزهر — نسخة عارف حكمت : ق ٧٣ / ب ، والمزهر — بتحقيق الثلاثة : ١ / ٣٦٤ فما بعد .
(٣) المزهر — نسخة عارف حكمت : ق ٧٣ / أ ، والمزهر — بتحقيق الثلاثة : ١ / ٣٦٣ .

وهكذا ، فهو — على الرغم من القيود الفنية والدعائم التأليفية التى رأيناه آخذا بها نفسه فى عموم كتبه — لم يسلم ، فى بعض الأحيان ، من سمة الجمع والترتيب العفوى فى عصره ، تلك التى من شأنها أن تئود المنهج العلمى للتصنيف ، وتصيبه بشىء من الفوضى والبعثرة .

سادسا — أحيانا ، تغيب شخصيته العلمية فى خضم الأقوال التى ينقلها من العلماء :

فى كتب السيوطى المتقدمة التى ألفها فى أول أمره ، وهي فى معظمها بين ملخصات (١) ومختصرات (٢) ، وفى بعض كتبه المتأخرة التى ألفها بعد أن انتهى أمره الى الاستقلال فى التصنيف ، تغيب شخصيته العلمية — أحيانا — فى خضم الأقوال التى ينقلها من العلماء .

واذا كنا نلتمس له العذر فى الكتب المتقدمة ، فذلك لأنه كان — فى فترة التكوين — منشغلا بالعلم والأدب ، عاكفا على المطالعة والتلقى فى مختلف أبواب المعرفة ، يختزن فى صدره منه مايمكن اختزانه ، ويجمع مايجده فيه من مهمات ، ويضبطها فى كراريس ، بغية الاسهام به ، بعد ذلك ، فى الانتاج العلمى ، أو مجرد الاستئناس به ، ليرجع اليه متى أراد .

ثم ان الفترة التكوينية فى حياة الانسان تكون — عادة — فترة غير منتجة ، أو تكون فترة انتاج ردىء ، ولا يمكن أن تقاس بفترة النضج العقلى التى يحسن فيها الانسان — عادة — طرائق العلم ، ويتقن أسلوب البحث .

أما ماجاء فى بعض كتبه المتأخرة من غياب شخصيته فى تناوله بعض المسائل ، وان كان غياب الشخصية فى معظم كتب معاصريه أمرا جرت عليه طبيعة الثقافة والتأليف فى عصره ، فهو من المآخذ التأليفية التى تعيب صاحبها ان كان ممن وهبوا القريحة الفياضة فى التصنيف ، والحظ الوافر فى الابداع ، وعلو الكعب فى دقة التناول وعمق المعالجة ، والمعرفة الواسعة بآداب التأليف — كالسيوطى .

---

(١) نحو : " لباب النقول فى أسباب النزول " ، لخصه من جوامع الحديث والأصول كما قال فى مقدمة الكتاب ، و" النقاية " ، لخص فيه مانشره الناس فى الكتب الكبار فى أربعة عشر علما ، و" اللآلى المصنوعة فى الأخبار الموضوعة " ، لخصه من موضوعات ابن الجوزى .

(٢) نحو : " طبقات الحفاظ " اختصره من طبقات الذهبى وأكمل عليه ، و" لب اللباب فى تحرير الأنساب " ، اختصره من أنساب ابن الأثير فى عشرة أيام متوالية كما قال فى آخره ، و" كتاب جهد القريحة فى تجريد النصيحة " اختصره من كتاب " نصيحة أهل الايمان فى الرد على منطق اليونان " لتقي الدين ابن تيمية .

ويتركز غياب شخصيته فى بعض كتبه المتأخرة فى عدد من المسائل ، منهـــا :

١ - المسائل المختلف فيها بين العلماء ، فهو - فى كثير من الأحيان - يقتصر على نقلها دون أن يبدى رأيه ، أو يرجح أحدها ، أو يسفه الأخرى ، كما لوكان يتعمد ذلك ، حتى يترك القارئ لحكمه .

يتعرض ، مثلا ، لآراء الناس فى الاشتقاق الأصغر [(١)] ، فيقول نقلا عـــن أبى حيان : " واختلفوا فى الاشتقاق الأصغر ، فقال سيبويه ، والخليل ، وأبو عمرو ، وأبو الخطاب ، وعيسى بن عمر ، والأصمعى ، وأبو زيد ، وابن الأعرابى ، والشيبانى ، وطائفة : بعض الكلم مشتق ، وبعضه غير مشتق . وقالت طائفة من المتأخرين اللغويين : كل الكلم مشتق ، ونسب ذلك الى سيبويه والزجاج . وقالت طائفة من النظار : الكلم كله أصل . . . "[(٢)] .

ويتعرض لآراء الناس فى الترادف [(٣)] ، فيقول نقلا عن ابن فارس : "يسمى الشىء الواحد بالأسماء المختلفة ، نحو السيف والمهند والحسام ، والـــذى نقوله فى هذا أن الاسم واحد وهو السيف ، وما بعده من الألقاب صفـــات ، ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى . وقد خالف فى ذلـك قوم ، فزعموا أنها وان اختلفت ألفاظها فانها ترجع الى معنى واحد ، وذلك قولنا : سيف وعضب وحســـام "[(٤)] .

ويتعرض لآراء الناس فى المشترك اللفظى [(٥)] ، فيقول نقلا عن ابن فـــارس أيضا : " واختلف الناس فيه ، فالأكثرون على أنه ممكن الوقوع ، لجواز أن يقع اما من واضعين ، بأن يضع أحدهما لفظا لمعنى ، ثم يضعه الآخر لمعـــنى آخر ، ويشتهر ذلك اللفظ بين الطائفتين فى افادته المعنيين ، وهـــــذا على أن اللغات غير توقيفية ، واما من واضع واحد لغرض الابهام على السامع حيث يكون التصريح سببا للمفسدة ، كما روى عن أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - وقد سأله رجل عن النبى - صلى الله عليه وسلم - وقت ذهابهما الى الغار :

---

(١) فى النوع الثالث والعشرين من " المزهر "

(٢) المزهر - نسخة عارف حكمت : ق ٦٩/ب ، والمزهر - بتحقيق الثلاثة : ١/٣٤٨ .

(٣) فى النوع السابع والعشرين .

(٤) المزهر - نسخة عارف حكمت : ق ٨٢/ب ، والمزهر - بتحقيق الثلاثة : ١/٤٠٤ .

(٥) فى النوع الخامس والعشرين .

من هذا ؟ قال : هذا رجل يهدينى السبيل ،

"والاكثرون أيضا على أنه واقع لنقل أهل اللغة ذلك فى كثير من الالفاظ. ومن الناس من أوجب وقوعه " (١) .

٢ — ومن المسائل التى تؤخذ على السيوطى كثرة التعاريف والحدود التى ينقلها من كتب المتقدمين ، دون أن يكتفى ، غالبا ، بأوفاها فى الدلالة على المقصود ، أو مايشير الى اصابة أحدها دون الأخرى .

فهو ينقل لنا ، فى النوع الذى عقده للأضداد مثلا ، تعريف أهل الأصول للأضداد ، فتعريف الأرموى فى " الحاصل" ، فتعريف الكيا فى "تعليقه " ، فتعريف ابن فارس فى " فقه اللغة " ، فتعريف المبرد فى كتاب "ماتفق لفظه واختلف معناه" وهكذا .

قال : " قال أهل الأصول : مفهوما اللفظ المشترك اما أن يتباينا ، بأن لا يمكن اجتماعهما فى الصدق على شىء واحد ، كالحيض والطهر . . . أو يتواصلا ، فاما أن يكون أحدهما جزءا من الآخر ، كالممكن العام للخاص، أو صفة كالأسود لذى السواد فيمن سمي به . وذكر صاحب الحاصل (٢) : أن النقيضين لا يوضع لهما لفظ واحد . . . وقال غيره : يجوز أن يوضع لهما لفظ واحد من قبيلتين . وقال الكيا فى تعليقه : المشترك يقع على شيئين ضدين ، وعلى مختلفين غير ضدين ، فما يقع على الضدين كالجون ، وجلل ، ومايقع على مختلفين غير ضدين كالعين . وقال ابن فارس فى فقه اللغة : ومن سنن العرب فى الأسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد ، نحو : الجون للأسود ، والجون للأبيض . . . وقال المبرد فى كتاب ماتفق لفظه واختلف معناه . . . من كلام العرب اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ، واختلاف اللفظين والمعنى واحد ، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ، فأما اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين فقولك : ذهب ، وجاء ، وقام ، وقعد ، ورجل ، وفرس ، ويد ، ورجل ، وأما اختلاف اللفظين والمعنى واحد فقولك : ظننت وحسبت ، وقعدت وجلست ، وذراع وساعد ، وأنف ومرسن ، وأما اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين فقولك : وجدت شيئا ،

---

(١) المزهر — نسخة عارف حكمت : ق ٧٥/أ ، والمزهر — بتحقيق الثلاثة : ١/٣٧٠ .

(٢) يعنى : سراج الدين الأرموى .

اذا أردت وجدان الضالة ، ووجدت على الرجل ـ من الموجدة ، ووجدت زيدا كريما ـ أى علمت "[1] .

٣ ـ ومن المآخذ ، أيضا ، أنه سجل لنا بعض المسائل ، دون أن يعدل أصحابها أو يجرحهم ، أو يبدى فيهم رأيه ، أو ينقد مسألتهم ، كما كان يصنع علماء الحديث[2] ، وانما كان يعول فيها على الكتب وحدها ، ويكتفى بالاحالة الى غيره .

قال ، مثلا ،[3] " وأخرج ابن عساكر فى التاريخ بسند رواه[4] عن أنس ابن مالك موقوفا، قال : لما حشر الله الخلائق الى بابل بعث اليهم ريحا ، فاجتمعوا ينظرون لماذا حشروا له ، فنادى مناد : من جعل المغرب عن يمينه والمشرق عن يساره ، واقتصد البيت الحرام بوجهه فله كلام أهل السماء . فقام يعرب بن قحطان ، فقيل له : يايعرب بن قحطان بن هود، أنت هو ؟ فكان أول من تكلم بالعربية المبينة ، فلم يزل المنادى ينادى من فعل كذا وكذا فله كذا وكذا ، حتى افترقوا على اثنين وسبعين لسانا ، وانقطع الصوت وتبلبلت الألسن ، فسميت بابل ، وكان اللسان يومئذ بابليا"[5] .

وقال : " وقال الشيرازى فى كتاب الألقاب : أخبرنا أحمد بن سعيد المعدانى : أنبأنا محمد بن أحمد بن اسحاق الماسى ، حدثنا محمد ابن جابر ، حدثنا أبو يوسف يعقوب بن السكيت ، قال : حدثنى الاشرم عن أبى عبيدة ، حدثنا مسمع بن عبد الملك ، عن محمد بن على بن الحسين ، عن أبائه ، عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : أول من فتق لسانه بالعربية المتينة اسماعيل ـ عليه السلام ـ وهو ابن أربع عشرة سنة "[6] .

وقال : " قال أبو الفرج الأصبهانى ـ رحمه الله ـ فى كتاب الأمالى : أخبرنا أبو جعفر بن رستم الطبرى النحوى عن عثمان المازنى عن أبى عمر الجرمى عن أبى الحسن الأخفش عن سيبويه عن الخليل بن أحمد عن عيسى ابن عمر عن عبد الله بن اسحاق الحضرمى عن عنبسة الفيلى وميمون الأقرن عن يحيى بن يعمر الليثى أن أبا الأسود الدؤلى ـ رضى الله عنه ـ

---

(١) المزهر ـ نسخة عارف حكمت: ق ٧٩ /أ ، والمزهر ـ بتحقيق الثلاثة : ١ / ٣٨٧ .
(٢) وقد كان هو واحدا منهم . (٣) النوع الأول : معرفة الصحيح .
(٤) انظر : تاريخ ابن عساكر : ١ / ٨٧ (ط بدران ، مطروضة الشام بدمشق ١٣٢٩ هـ) .
(٥) المزهر ـ نسخة عارف حكمت : ق ٧ /أ ، والمزهر بتحقيق الثلاثة : ١ / ٣٢ .
(٦) المزهر ـ نسخة عارف حكمت : ق ٧ / ب ، والمزهر ـ بتحقيق الثلاثة : ١ / ٣٤

دخل الى بنته بالبصرة ، فقالت : يا أبـــة ، ماأشدّ الحر — رفعت أشد — فظنها تسأله ، وتستفهم منه أى أزمان الحر أشـــد ، فقال لها : شهر ناجر ، فقالت : ياأبة ، أنا أخبرتك ولم أسألك ، فأتـى على بن أبى طالب — كرم الله وجهه — فقال : يا أمير المؤمنين ، ذهبت لغة العرب ، لما خالطت العجم ، وتوشك أن تطاول عليها زمان أن تضمحل ، فقال له : وماذلك ، فأخبره خبر ابنته ، فأمره فاشترى صحفا بدرهم وأملى عليه : الكلام كله لا يخرج عن اسم وفعل وحرف ... "[1] .

وكأننا بالسيوطى لم ير ضرورة لتوثيق هؤلاء القائلين ، أو نقد مقالاتهـــم ، على خلاف مافعل فى فن الحديث ، لأن الحديث النبوى الشـريف مصدر من مصـــادر التشريع ، تقام عليه الأحكام ، أما اللغة فليست كذلك .

لكن هذا ، أيضا ، لا يعفيه من المؤاخذة ، لأن اللغوى لا يصح أن يقتصـر على الكتب وحدها ، وبخاصة الكتب التى ألفت فى عصره الذى عاش فيه[2] ، فربمـــا كان القائل غير ثقة ، أو كان قوله صادرا عن عاطفة خاصة تزين له وجهة ما ، بل لابد من الاحتكام الى الأصول الأخرى والمنطق والرأى ، لأن الباحث اذا توخى ذلـــك أمن العثار وابتعـــد عن المزلات والمغالط .

على أنه قد يقلل من شأن هذه المآخذ المتقدمة التى أخذناها على السيوطى أنه لم يكن بدعا فى معظمها بين لغويى عصره ومؤلفيه بصورة عامة ، فقد نهج سوادهم الأعظم هذا النهج ، لأنهم كانوا يشتغلون فيه بجمع المواد وتقصيد العلوم وتأصيـــل الفنون ، أكثر من اشتغالهم فيه بأى أمر آخر .

وحسب السيوطى أنه أدى للغة العربية مالم يستطع أن يؤديه أحد ، فـــى السالفين والخالفين على حد سواء ، اذ مهر بعلم من تقدمه من علماء اللغة ، وحفظ لنا زبدة ما فى كتبهم ، مما صح عنده من أنواعها ، واستدرك بفطنته وكثرة تتبعـــه ونظره أشـياء وفوائد أخرى ، واجتهد فى أن يقدم لنا — من مجموع ذلك كلـــه — عملا منهجيا متكاملا فى فن واحد مستقل ، وهو فن اللغة .

---

(١) سبب وضع علم العربية — للسيوطى : ص ٥١ .

(٢) والكلام نفسه يمكن أن يقال فى تلك النصوص التى نقلها فى بعض كتبه التاريخية ، وسجل فيها أقوال معاصريه فى تاريخهم عصره الذى عاش فيه وشاهد أحداثه ، دون أن ينقدها أو يتثبت من أمرها .

خاتمة

والآن ؛ وقد انتهينا من هذه الدّراسة إلىٰ حيث أراد البحث ، وحدّده الموضوع ، ورسمه المنهج ، ينبغي أن نتساءل : ما الفائدة التي عادت علينا من دراسة هذا الموضوع؟

وللإجابة عن هذا التّساؤل ، يجمل بنا — في هذه الخاتمة — أن نلمّ بالمعالم الرئيسيّة للبحث ، ونعرض لما بذلنا فيه من جهود ، وما حقّقنا من إضافات .

موضوع البحث : (السيوطيّ، وجهوده في الدّراسات اللّغويّة) ؛ وقد اقتضىٰ المنهج أن تكون الدّراسة في خمسة أبواب ، يسبقها مدخل ، وتتلوها خاتمة ، ثمّ جريدة مفصّلة بأسماء المصادر والمراجع ، وفهرس عامّ لمحتويات الرسالة ، وفهرس للأعلام الوارد ذكرهم فيها .

ففي المدخل ، رجونا أن نرسم صورة مختصرة لـ (عصر السيوطيّ) ؛ فتحدّثنا — في فصول ثلاثة — عن حاله السياسيّة والاجتماعيّة والعلميّة ، وجلينا البيئة العامّة التي نشأ في ظلّها السيوطيّ ، رابطين — قدر الإمكان — بين شخصيّة الرجل وأحداث عصره ، حتىٰ إذا مضينا في موضوع البحث ، رأينا مقدار ما تفاعل السيوطيّ هو والبيئة التي عاش فيها — مؤثّرا ، ومتأثّرا .

وكان من نتائج هذا المدخل :

١ — أن نبّهنا إلىٰ أن الحركة العلميّة في عهد المماليك — علىٰ خلاف ما قال به كثير من مؤرّخي الأدب — كانت مزدهرة ، حيّة ، ولم يمنع الاضطراب السياسيّ الذي ساد هذه الدّولة ، في الدّاخل والخارج علىٰ حدّ سواء ، من نشوء نهضة علميّة ، كان لها أكبر الأثر في نشر الثقافة الإسلاميّة وتطوّرها ، وبعث الرّوح الخلّاقة في كيان هذه الأمّة بعد تلك الهزّات العنيفة التي توالت علىٰ المسلمين إثر هجمات التّتر والمغول .

ولأنّ قسماً كبيراً من السلاطين المماليك عرف أنّ للثقافة والعلم دوراً كبيراً في توطيد حكمه ، كما أنّ لهما رسالة كبيرة في بناء الأمّة ، لأنّه لم تظهر دولة في التاريخ لها مكانة مرموقة ، ومجد مؤثّل إلاّ بالعلم والثقافة ؛ فقد عرف أنّ عليه أن يأخذ علىٰ عاتقه القيام بهذه الرسالة ، بعد ما ضاع كثير من التّراث العلميّ في حوادث بغداد ، واستشعر في نفسه أنّه أصبح مسؤولاً أمام الله وأمام التاريخ عن حياة هذا التّراث ، وبعثه من جديد .

ومن ثمّ ساهم هذا القسم من سلاطين المماليك مساهمة فعّالة في تنشيط الحركة العلميّة ؛ فبنىٰ المدارس والمساجد والخوانق ، وأسّس خزانات الكتب ، وعيّن من يشرف علىٰ ذلك كلّه من العلماء والموظّفين ، وأجرىٰ عليه المرتّبات ، ومنح طلبة العلم المكافآت السخيّة ؛ لتعينهم علىٰ سدّ نفقات طلبهم .

بل إنّنا رأينا أن نقرّر أنّ عصر المماليك كان العصر الذهبيّ لمصر الإسلاميّة في الناحية العلميّة ؛ فالمتتبّع للنشاط العلميّ في هذا العصر يجد نفسه أمام ثروة علميّة واسعة ، تتمثّل في تلك الجمهرة الكبيرة من المؤلّفات التي آستهدفت — قبل كلّ شيء — إحياء التّراث القديم وجمعه ، والمحافظة عليه من الضّياع والآندثار ، وضعها أساطين العلم والمعرفة الذين برزوا في هذه الحقبة ؛ أمثال : القلقشنديّ ، والمقريزيّ ، وأبي حيّان ، وآبن حجر ، والعينيّ ، وآبن هشام ، وآبن خلدون ، والسيوطيّ .

٢ — ورأينا — في الجملة — أنّ الحال الآجتماعيّة والسياسيّة ، في مجتمع ما ، تسير — في بعض الأحيان — في خطّ مقابل للحال العلميّة ؛ فكلّما آزدهرت فيه الحال الآجتماعيّة والسياسيّة تدهورت الحال العلميّة ، وكلّما تدهورت الحال الآجتماعيّة والسياسيّة آزدهرت الحال العلميّة ، وأنّ هذا — في رأينا — مايفسّر التناقض الحاصل في دولة المماليك ، حين آمتزج فيها الفساد والقسوة والوحشيّة بالرقيّ في الحضارة الماديّة والتقدّم العلميّ .

وأمّا الباب الأوّل ؛ فقد خصّصناه للكلام عن (سيرة السيوطيّ ، وآثاره العامّة) في فصلين ؛ يكشفان من شخصيّته مالفّه الغموض وعمّه الخلاف ، ويلقيان الضوء علىٰ ثقافته العامّة ، فآستفتينا النصوص ، وماتوحي به الآثار والأخبار ؛ لتحقيق نسبه ، ووضعه الآجتماعي ، وتكوّنه العلميّ ، والأئمة الذين تأثّر بهم ، وخلقه ، وخصوماته ، والمرحلة الأخيرة من حياته ، وسمات آثاره ، وكثرة مؤلّفاته وما نسب إليه ، وأسباب ذلك .

وآنتهينا إلىٰ :

١ — أنّ السيوطيّ سليل أسرة كريمة آشتغل أغلب أبنائها بالعلم ؛ عرفوا به ، وبرزوا فيه .

٢ — أنّ السيوطيّ من أب عربيّ ، وأمّ تركيّة ، وردنا ماقاله السخاويّ وغيره من أنّ أباه كان أعجميّاً .

٣ — أنّ السيوطيّ كان قد تزوّج من آمرأة ، آسمها " غصون " ، وأعقب منها ولداً آسمه " محمد " ، وأنّه قد آختارهما الله إلىٰ جواره في الشطر الأوّل من حياته ؛ فظل

بقيّة عمره ، عزباً ، متوحّداً ، ورتّبنا على ذلك أنّ السيوطيّ قد أعمن ، بعد ذلك ، في التجرّد للعلم والتصنيف .

٤ — أنّ السيوطيّ قد درس ، منذ التاسعة من عمره ، العلوم المختلفة الشائعة في عصره على شيوخ عصره ؛ وهي علوم : القرآن والحديث ، والتفسير ، والفقه وأصوله ، واللّغة والنحو ، والبيان والبديع ، وعلم الكلام ، وعلم القراءات ، وبدأ في التصنيف ؛ وهو في السابعة عشرة من عمره ؛ فأسهم مساهمة كبيرة في النشاط العلميّ الذي ساد عصره ، ومثّل — في كتاباته — العقليّة العلميّة للعصر الذي عاش فيه ؛ فالنزعة الموسوعيّة التي اتسم بها عصره ظاهرة جليّة في معظم تآليفه ؛ فقد ألّف أكثر من ستمائة مؤلّف بين مطوّل وموجز ، في شتى العلوم والفنون وفي كلّ منها ترى النزعة الموسوعيّة مسيطرة على قلمه ؛ إذ كان — على عادة علماء زمانه — شديد العناية بحشد الرّوايات والأخبار والنصوص التي تجمعها جامعة ما ؛ فيحشدها في صعيد واحد ؛ ليجعل منها مؤلّفاً متسقاً جامعاً لشتات تلك النصوص ، حتى عدّها بعض الباحثين دوائر معارف ، كلّ منها في بابه .

٥ — أنّ السيوطيّ ، مع امتاز به من سمة النقل والجمع في مؤلّفاته ، لم يكن — كما قيل عنه — مجرّد ناقل وجامع قضى عمره في جمع المعلومات ، أو حاطب ليل لا يعنى بشيء قدر عنايته بتصنيف النصوص وتبويبها ، ثمّ نشرها مرّة أخرى تحت اسم جديد ؛ فإنّ ذلك إن كان يصدق على بعض مؤلّفاته ، لا يصدق عليها جميعاً ؛ لأنّ صاحبنا كان في أوّل أمره جامعاً ؛ لا شغل له إلاّ جمع النصوص من هنا وهناك وتصنيفها وتبويبها ، ثمّ انتهى مؤلّفاً مستقلاً ؛ له منهجه التأليفيّ وسماته وآراؤه .

٦ — أنّ السيوطيّ قد أخذ عن غالب علماء عصره ، وأنّ شيوخه بلغوا نحو ثلاثمائة شيخ ، وأنّ هذه الكثرة في شيوخه من أهمّ الأسباب التي أدّت إلى سعة اطلاعه ، وامتداد أفقه ، وحدّة ذهنه ، وتعدّد مجالات فنونه .

٧ — أنّ أبرز الأئمة الذين تأثّر بهم السيوطيّ ، وأخذ منهم وتلقى عنهم — كان الكافيجيّ ، كما تحكي به مظاهر التأثّر التي تبدّت عنده بما اقتفى له من آثار ، وأنّ من أبرز الأسباب التي دفعته إلى التأثّر بهذا الإمام أكثر من سواه — كان حنوّه وحدبه عليه ؛ فهو عنده بمثابة أبيه بعد أن اختار الله أباه إلى جواره .

٨ — أنّ السيوطيّ كان على جانب كبير من اليسر ، والتواضع ، وطهارة النفس ،

وسموّ الخلق ، وناقشنا ما رُمِيَ به من الجلافة ، والتكبّر ، وعدم الوفاء ، وسوء الخلق .

٩ — أنّ اشتهار السيوطيّ على أقرانه ، وانتشار مصنّفاته في مصر وخارجها ، وتصدّيه للردّ على بعض علماء عصره ، ودعواه الاجتهاد ؛ كلّ ذلك أدّى إلى تألّب معاصريه من أقرانه ومنافسيه من العلماء ، عليه ؛ فطعنوه في طباعه ومواهبه وعلمه ومؤلّفاته ، ورموه بما ليس فيه ، حسداً منهم وحقداً عليه .

١٠ — أنّ مصنّفات السيوطيّ قد نافت على ستمائة مصنّف ، غير ما نسب إليه من المصنّفات — خطأً وتعمّداً .

١١ — على الرغم من أنّ مؤلّفات السيوطيّ قد بلغت من الكثرة هذا المبلغ ، لا تكاد نجد في كتبه تكراراً ؛ فلا يغني أحدها عن الآخر ، وإنّما يكمل بعضها بعضاً ؛ فكلّ كتاب منها يتناول موضوعاً محدّداً بعينه ، في فنّ من الفنون ، إذا أنت عمدت إلى جمع ما كتبه في الفنّ الواحد من كتب ، وقفت على مكتبة متكاملة في هذا الفنّ قد تغنيك عن كلّ ما عداها .

١٢ — أن آثار السيوطيّ العامّة ، على تخصّصها ، أفسحت من صفحاتها للّغة مكاناً رحيباً ؛ فالسيوطيّ لا يكاد يحتفي ، في عموم مؤلّفاته ، بشيء قدر احتفائه باللّغة ومسائلها ؛ بحيث لا يجد مناسبة لذكر فائدة لغويّة حتى يذكرها في حينها .

١٣ — أنّ هناك أسباباً كثيرة تضافرت على تيسير أسباب التصنيف عند السيوطيّ ، حتى بلغت من الكثرة ما بلغت ؛ تتبّعناها ، ورتّبناها على حسب أهمّيتها ، وقصدنا قصداً إلى تفصيل الحديث عن بعضها ، ورأينا أنّ أهمّها تفرّغه للعلم .

١٤ — أنّ معظم مؤلّفات السيوطيّ ، وبخاصة المتأخّرة منها ، تعطينا صورة واضحة عن رغبته في تحقيق مظاهر التأليف العلمي المنهجيّ في كتبه .

ثمّ كان الباب الثاني في (آثاره اللّغويّة) ، مشتملاً على ثلاثة فصول ؛ تسهم — إلى حدّ ما — في تعريف ميداني لكلّ آثار السيوطيّ اللّغويّة فيما يشبه الحصر ، ولخّصنا الكلام عن كلّ منها في خطوات ثلاث : وثّقناه ، وعرّفنا به ، ثمّ عرضنا لمنهجه وطابعه . ثمّ وقفنا عند " المزهر " و " ديوان الحيوان " ؛ فمنحنا هذين الأثرين اللّغويّين فضلاً من البيان ؛ الأول — على أنّه أنموذج من كتبه المطبوعة المتداولة ، والثاني — على أنّه أنموذج من كتبه المخطوطة غير المتداولة ، فتحدّثنا عنهما ، وبيّنا مكانهما من علمائنا السالفين ، وامتداد أثرهما في الخالفين ، ونبّهنا إلى ضرورة أن يكفلهما أحد الدّارسين

بتحقيقها ، ونشرهما على نحو علميّ دقيق ، وعلّقنا على موقف بعض الباحثين المعاصرين من هذين الأثرين ، وذكرنا وجه الخطأ في موقفهم .

وقد سجّل البحث ، في هذا الباب ، عددًا من النتائج ، أهمّها :

١ — أنّنا أعتقد نا أنّنا بهذه الدّراسة قد أسهمنا في تصوّر جزء كبير من تراثنا اللّغويّ ، وقدّمنا بحثًا عن تاريخ اللّغة وحياتها ، من خلال ماعرضنا من آثار السيوطيّ اللّغويّة المختلفة ؛ فهي تلقي ضوءًا ساطعًا على الأصول اللّغويّة التي أعتمد عليها " فقه اللّغة العربيّة " على مدى عصوره المتطاولة ، وتبيّن التطوّر التاريخيّ ، والمراحل المتباينة التي سار في ركابها ، ولعلّنا لا نبالغ إذا قلنا إنّ ثلاثة أرباع التّراث اللّغوي ، على الأقلّ ، قد حفظتها لنا كتب السيوطيّ ، وأنّنا إذا كنّا نقدّم مثل هذا المجهود فإنّما نردّ شيئًا من الحقّ إلى أصحابه ؛ فالسيوطيّ بجهوده في الدّراسات اللّغويّة قد حفظ لنا جزءًا كبيرًا من تراثنا اللّغويّ ؛ إذْ ضمّت كتبه — فيما ضمّت — نصوصًا لغويّة هائلة باتت أصولها مفقودة أو في حكم المفقودة ، وأضاف إلى هذا الجزء الذي حفظه جزءًا عزيزًا ، قدّم بهما السيوطيّ خدمة بالغة الأهميّة لدارسي اللّغة على مرّ العصور .

٢ — أنّ أهميّة السيوطيّ في الدّراسات اللّغويّة تتمثّل ، كذلك ، في دوره الواضح في تطوير " فقه اللّغة العربيّة " ، ودفعه إلى الاكتمال والاستقلال ؛ فبعد أن كان أساس الفصل بين اللّغة والنّحو في الدّراسة لا معنى له ، لأنّ شقي العربيّة : اللّغويّ والنّحويّ واحد ؛ كوجهي الدّرهم وحدة غير قابلة للتبعيض ؛ لأنّهما واجهتان لحقيقة واحدة — كما يقولون ، وبعد أن كانت الفروق بين هذين الشقّين غير ثابتة ، وإنّما كانت مضطربة قلقة ، والحدود مائعة مبهمة ؛ جاء السيوطيّ ، فحاول أن يفرّق مابينهما ، ويقدّم كلًّا منهما على حدة .

٣ — أنّ من المصادفات العجيبة أنّ السيوطيّ لم يؤلّف ، في شبابه ، إلّا عددًا قليلًا جدًّا من الرّسائل اللّغويّة ، بالقياس إلى عدد كبير جدًّا من المصنّفات في فروع أخرى من المعرفة ، وأنّه إنّما ألّف معظم كتبه في اللّغة حين تأصّل تفكيره ، ونضجت ثقافته ، واستوت معارفه ؛ ولذلك كانت من أنفس مؤلّفاته .

٤ — أنّه ممّا يدعو إلى الغبطة أنّه قد انتهى إلينا من تراث السيوطيّ اللّغويّ معظمه ، وأهمّ مافيه ، وأنّه لابدّ من تكوين لجنة من العلماء والمتخصّصين لتحقيقه ونشره على نفقة الدّولة ؛ فإن المطبوع من هذا التّراث قليل بالنسبة لما لم يطبع ؛ فهو لا يكاد يمثّل واحدًا من عشرة .

٥ — أنّ كتاب " المزهر " يعدّ فتحاً جديداً في تاريخ " فقه اللّغة العربيّة " ، ودفعة موفّقة إلى الأمام في ميدان البحث اللّغويّ ؛ لأنّه أوّل كتاب جمع مفردات هذا العلم في صعيد واحد ، واتجه — في تأليفها — اتجاهاً لغويّاً خالصاً .

٦ — أنّ المزهر" المطبوع يشتمل على تحريفات وتشويهات كثيرة ، ولا يصلح لمراجعة الباحثين .

٧ — أنّ كتاب " ديوان الحيوان وذيله " يعدّ معجماً لغويّاً ، فريداً في بابه ، من حيث كونه — فيما نعلم — أكبر مرجع عربيّ يتناول الحيوان في أسمائه ، وصفاته ، ومشتقّاته ، ومرادفاته ، والمسائل اللّغويّة والنّحويّة والصرفيّة المتعلّقة به ؛ إذْ ذابت فيه موادّ كثير من المعاجم والرّسائل اللّغويّة الصغيرة التي عنيت بتدوين الألفاظ الخاصّة بالحيوان وما يتصل به .

ثمّ خلصنا إلى الباب الثالث ؛ وفيه عقدنا دراستنا على (منهجه اللّغوي وطريقته في التأليف) ؛ فنظرنا كتبه في ذلك ، وتبيّنا مدى ظهور نهجه الذي التزمه فيها ؛ فحصرنا — لأوّل مرّة — سمات التأليف في اللّغة عند السيوطيّ حصراً تقريبيّاً — في ستة فصول — وبيّنا ، من خلالها ، مذهبه وتفكيره ، وطريقته في معالجة مسائل اللّغة .

وكان من النتائج التي انتهينا إليها في هذا الباب :

١ — أنّ له منهجاً واضحاً في التأليف في اللّغة ، وهذا المنهج قد لا يختلف كثيراً عن المنهج الذي سلكه المؤلّفون المتأخّرون — القائم على الاختيار والانتخاب ؛ لأنّ السيوطيّ لم يكن — وحده — هو الذي سار عليه ؛ فقد كان ديدن العصر ، إذْ دأب معظم رجاله — في مختلف العلوم والفنون — على النقل من كتب سابقيهم ؛ فعجّت مؤلّفاتهم بعبارات المتقدّمين ، وجاءت أغلب تصانيفهم تعاليق ، ومختصرات ، وشروحاً ، وذيولاً لما سبقها من الكتب ، إلاّ أنّ السيوطيّ كان أكثرهم إفادة من كتب السابقين ، وتتبّع ما جاء فيها من معلومات وآراء ، وتعقّبها بالتنبيه والاستدراك ، وكان من أكثرهم إعمال فكر فيها ، وانسجاماً في تأليفها ، وإجادة في عرضها وتبويبها بشكل يدنو من المنهج العلميّ الحديث في التأليف.

٢ — أنّ السيوطيّ حين يشير إلى ابتكاره في فنّ من الفنون ؛ فيقول في بعض كتبه : " إنّ هذا المجموع لم يسبقني إليه سابق ، ولا طرق سبيله قبلي طارق " أو يقول: " هذا كتاب غريب الوضع ، عجيب الصنع ، لطيف المعنى ، طريف المبنى ، لم تسمح قريحة بمثاله ، ولم ينسج ناسج على منواله ، في علم لم أسبق إلى ترتيبه ،

ولم أتقدّم إلىٰ تهذيبه "؛ لم يكن يعني أنّه ابتكر الجديد الذي لم يكن له من وجود سابق، وإنّما كان يعني التجديد فيما كان موجوداً، وسبكه، وصياغته بشكل أجمل وأفضل.

٣ - أنّه قد جرت العادة أن توصف الأعمال العلميّة القيّمة بأنّها مبتكرة، مع أنّ أصحابها لم يأتوا فيها من عندهم بكلّ شيء، كما يظنّ بعض الذين يسلمون السيوطيّ حقّه في الاتصاف بالابتكار في بحوثه اللّغويّة، وإنّما اعتمدوا فيها علىٰ القديم اعتماداً كبيراً. وقد ذهبنا إلىٰ أنّ العمل العلميّ الحقيق بأن يوصف بالابتكار هو العمل الذي لا يتجاهل صاحبه شيئاً مما كتب قبله في موضوعه، وإنّما يقف عليه، ويفيد منه، ويخرج منه بأمر جديد؛ ولهذا صحّ - عندنا - أن يقدّم السيوطيّ علىٰ بعض اللّغويّين المتقدّمين والمتأخّرين ممن لم يعنوا كثيراً بمصادرهم، أو لم يفيدوا منها بشكل منهجيّ سليم، ولم يبتدعوا منها معنىً أو وضعاً البتة.

٤ - أنّ السيوطيّ وضع طائفة من كتبه اللّغويّة علىٰ غير مثال سابق؛ فهو يتناول مباحثه فيها علىٰ تصوّر جديد لتلك المباحث، وعلىٰ اعتبارات طريفة يأخذ بها نفسه، ويبني عليها مباحثه؛ من ذلك - مثلاً - أنّه يضع في ذهنه اعتبارات حديثيّة وفقهيّة وأصوليّة، حين يتناول الأنواع اللّغويّة المختلفة بالتصنيف، مقتدياً - في ذلك - بالكتب المؤلّفة في علوم الحديث ومصطلحه، وفي الفقه وأصوله؛ فيستعير منها التقاسيم والأنواع، ويوجه مسائله اللّغويّة توجيهاً فقهيّاً وأصوليّاً متميّزاً، ويحاول تطبيق ما يمكنه تطبيقه من مباحث تلك العلوم علىٰ اللّغة وفقهها، حتىٰ كان لنا من ذلك كتابان؛ هما "المزهر" و"الاقتراح"، انفرد السيوطيّ فيهما، من بين سائر المشتغلين باللّغة، ببيان أوجه الشبه بين مجالات التأليف في الحديث والفقه والأصول واللّغة، كما انفرد بالتصنيف في اللّغة - محاكياً أساليب التأليف في الحديث والفقه والأصول بصورة موسّعة مفصّلة.

٥ - وأنّ ذلك أثّر بصورة لها جانب كبير من الأهمّيّة في طريقته في نقل النصوص من المصادر اللّغويّة والنّحويّة المختلفة؛ إذْ عكست أمانته التامّة وتحرّيه الشديد في إرجاع النقول إلىٰ مصادرها الأصليّة، كما عكست دقّته في تصنيف تلك النقول؛ فإنّ علم الحديث والفقه يستندان - في الدّرجة الأولىٰ - علىٰ الدقّة والأمانة في ذكر المصدر المأخوذ عنه؛ لأنّ الأسانيد في هذين العلمين هي جزء من مادّة البحث.

٦ - أنّه كان يجوز للمؤلّف في عصره أن يختصر مطوّلاً ، أو يضيف إلىٰ المختصر شيئاً من عنده ، أو يتصرّف فيه بالتقديم أو التأخير ، دون أن يشير إلىٰ شيء مما يفعل ؛ وقد آحتذىٰ السيوطيّ حذو غالب علماء عصره في التصرّف ، أحياناً ، في نقوله ، وإليه عزونا ماظهر لنا في بعض مؤلّفاته اللّغويّة من فروق طفيفة لا تمسّ المعنىٰ بين بعض نقوله وأصولها .

٧ - أنّ التصحيف والتحريف اللّذين يعتريان بعض النصوص في بعض كتبه ، ويؤدّيان إلىٰ تفاسير خاطئة ومغايرة للأصل - يعودان ، في نظرنا ، إلىٰ عدد من الأسباب ؛ منها صعوبة قراءة الخطّ العربيّ ومشكلاته ، وعدم حذق بعض النسّاخ بالعربيّة ، وإلمامهم بموضوعات الكتب التي ينسخونها ، ومنها آختلاف نسخ الكتب التي كان السيوطي يرجع إليها ؛ فقد كان من عادة علمائنا أنّهم يستمرّون ، زمناً طويلاً ، في تحسين مصنّفاتهم ، وتعديلها ، وتشذيبها ، حتىٰ بعد أن تكون قد شاعت ، وآنتشرت بين الناس .

٨ - أنّه توفّر علىٰ تقديم مؤلّفاته اللّغويّة ميسّرة خالية - غالباً - من الحشو والأسانيد والعنعنات ، وتوفّر علىٰ ربط موضوعات هذه الكتب ، وترتيبها ترتيباً منطقيّاً ، مع الدقّة والسهولة في العرض .

٩ - أنّه مال للبصريّين في الأصول العامّة ؛ فوقف من السماع والقياس والآحتجاج مثل موقفهم ، ورجّح مذهبهم ، في ذلك ، علىٰ مذهب الكوفيّين ، أمّا في المسائل الفرعيّة فقد كان يختار، وينتخب الرأي الذي صحّ عنده دليله ، فيوافق البصريّين تارة ، ويخالفهم تارة أخرىٰ ، ويستحسن رأي الكوفيّين في مسألة ، ويستقبح رأياً في أخرىٰ .

ثمّ آنتقلنا، في الباب الرابع ، إلىٰ الحديث عن (أهمّ مصادره ، وطريقة إفادته منها) ، حديثاً مفصّلاً ، ينتظم فصلين ؛ يعرضان بالدرس والتحقيق لأهمّ مصادر السيوطيّ الأساسيّة والمراجع الثانويّة في اللّغة ، ويقفان - من خلالها - علىٰ موضوعها ومنهجها وطريقتها أولاً ، ثمّ يستنتجان طريقة إفادة السيوطي منها موضوعاً ومنهجا .

وقد هدتنا الدّراسة ، في هذا الباب، إلىٰ عدد من النتائج ؛ نوجز - فيما يلي - أهمّها :

١ - أنّ تيار النقل والرّواية - في عصر السيوطيّ - كان هو التيار السائد الذي آنعكس أثره علىٰ مؤلّفات المصنّفين في هذا العصر بصورة لم نشهد لها مثيلاً علىٰ مرّ الزّمان .

٢ — أنّ السيوطيّ قد أكثر من الاعتماد على جهود اللّغويّين المتقدّمين ، واستعان بها في التصنيف ، فتضخّمت مصادره في اللّغة تضخّماً ملحوظاً — فقد استطاع أن يستوعب — في كتبه — جلّ ما قاله القدماء والمعاصرون له ، من علماء اللّغة ، وحشد فيها نقولاً واسعة ، جمعها من كتبهم التي عالجت موضوعاته وعنت بمباحثه ، وتتبّع فيها كلّ ما تيسّر له من أوجه الاتفاق والاختلاف .

٣ — أنّ رغبة السيوطيّ في وضع المصنّفات الجامعة المانعة التي يجد فيها طالب اللّغة كلّ ما يحتاج إليه في هذا العلم ، من مبتدأ نشأته إلى زمان المصنّف ، ورغبته في جمع مادّة تفوق المادّة التي جمعها غيره ، ثمّ إظهار ما أضافه هو من مصادر قديمة ، ولفت النظر إلى ما فيها من فوائد — من أهمّ الأسباب التي جعلت مصادره تكون على هذه الوفرة ، وجعلته — في الوقت نفسه — يفيد منها أبلغ فائدة .

٤ — أنّه تختلف طريقة إفادة السيوطيّ من مصادره الأساسيّة ومراجعه الثانويّة باختلاف موضوعات هذه المصادر ومنهجها ، كما تختلف كمّيّة هذه الإفادة باختلاف مادّتها واتساعها .

٥ — أنّ أبا عبيد القاسم بن سلاّم ، وأبا إبراهيم إسحاق الفارابيّ ، وأبا الفتح ابن جنّي ، وأحمد بن فارس — يعدّون أهمّ اللّغويّين الذين نظر السيوطيّ في كتبهم ، واقتفى في كتبه آثارهم ، ولذلك جاءت كتبه اللّغويّة فيّاضة بالنقل عنهم ، بل ربّما ضمّن بعض كتبه خلاصة وافية لأبواب وأقسام من بعض كتبهم .

وأخيراً ، أفردنا الباب الخامس (نقد وتقويم) ؛ لنقف على القيمة الموضوعيّة للسيوطيّ وجهوده في الدّراسات اللّغويّة ؛ فعقدنا ثلاثة فصول ، عنينا — في أحدها — ببيان أقوال العلماء في السيوطيّ ، قديماً وحديثاً ، وبيّنا أنّها كانت بين إفراط وتفريط ؛ ففريق يشدّد النكير عليه ، وآخر يغالي في التساهل معه ، وناقشنا — في الثاني — بعض الذين حملوا على السيوطيّ ، أو انحازوا معه بدون وجه حقّ ، وقوّمنا بعض آرائهم ، وكشفنا عن الأسباب التي من أجلها حملوا أو انحازوا ، وأيّدنا ذلك كلّه بالشواهد والنصوص ، وتتبّعنا — في الثالث — مآخذ عليه لا تُنكر ، استخلصناها من كتبه ، ودلّلنا عليها بطائفة من الأمثلة .

ولعلّ أهمّ ما حقّقه البحث في هذا الباب :

١ — أنّ السيوطيّ قد أكثر من الحسّاد والخصوم في عصره لشهرته ، وانتشار كتبه ، واعتداده بنفسه ، وانتقاده أكثر علماء عصره ، وحدّته وعنفه — أحياناً — في جداله معهم ؛ فتألّبوا عليه ، وألصقوا به التّهم ، ولقي منهم أذىً كثيراً ، وأنّ هذا هو دأب الأقران في كلّ زمان ومكان مع الفضلاء والنابهين من العلماء .

٢ — أنّ في المتأخّرين باحثين أعادوا كلام المتقدّمين دون فحص وبحث أو تحفّظ واحتياط — فأذاعوا كثيراً ممّا قاله أقران السيوطيّ فيه ؛ فألقوا أستاراً صفيقة على بعض الحقائق العلميّة المتصلة بشخص السيوطيّ وآثاره ، وحجبوها عن أنظار كثير من الدارسين .

٣ — أنّ في المتأخّرين ، كذلك ، باحثين أخذوا أنفسهم بقول الحقّ ، والارتكان ، في الأحكام ، على الفحص والتثبّت والتوقّف في مواضع التوقّف ، والصدور ، بعد هذا كلّه ، عن يقين ؛ فأنصفوا السيوطيّ ، ودلّوا على مدى الظّلم المجحف الذي صبّ عليه صبّاً جعل موازين الباحثين المعاصرين تختلّ إزاءه اختلالاً شديداً .

٤ — أنّ الضجّة الكبرى التي علت في عصره بسبب الخصومة بينه وبين عدد من معاصريه، إلى جانب حسن اختياره الكتب وموضوعاتها ، وجمعه أكبر مادّة فيها ، وإلى جانب أنّه لخّص كتباً غير شائعة ، فكان كثير من المعلومات التي تضمّنتها كتبه معلومات طريفة لا يتيسّر مثلها في الكتب المتداولة ، وإلى جانب أنّه رزق من التلاميذ والأعوان العدد الذي يكفي لنشر كتبه وترويجها ، إلى جانب إخلاص الرجل في تأليف كتبه — كلّ أولئك كان من الأسباب التي أدّت إلى انتشار مؤلّفاته ؛ فنفع الله به كثيرا .

٥ — أنّه قبل أن نحكم للسيوطيّ أو عليه ، علينا أن نضع نصب أعيننا ، أولاً ، بعضاً من الاعتبارات ؛ منها أنّه ليس من السهل أن يسلم كتاب قديم أو حديث من مآخذ تتناول المادّة أو المنهج ، كما أنّه ليس من النّصفة أن نقيس تصانيف السيوطيّ بمقاييس اليوم ، وأنّ السيوطيّ كان — في أوّل أمره — جامعاً ، ثمّ انتهى — آخر الأمر — مؤلّفاً مستقلاً ، وأنّ بعض الخلاف اليسير الذي نلحظه بين نقول السيوطيّ والأصول التي نقل عنها ، يمكن إرجاعه إلى عدم عناية نسّاخ الأصول أو تعدّد نسخها .

٦ — أنّ هناك هنات تأليفيّة أخذناها عليه في كتبه اللّغويّة ؛ منها أنّ استشهاداته ،

أحياناً ، تكون في غير موضعها ، ولا تخدم غرضه ، وأنّه قد يعمد إلى النصّ ، فلاينقله كلّه ، وإنّما يسقط منه بعض الفقرات ، وينسى أن يشير إلى ذلك ، وأنّه كان يعزو النصّ — أحياناً — إلى صاحبه ، دون أن يذكر مؤلّفه الذي نقل عنه ؛ وله أكثر من كتاب ، على الرغم من أنّه كان يجوز للمؤلّف — في عصره — كما يبدو في كثير من مؤلّفات معاصريه ، أن يفعل ذلك ؛ بل يختصر نصّ خبر ينقله ، أو يضيف إليه بعض ملاحظاته حسبما يريد ؛ بل إنّ إغفال ذكر المصدر الذي كانوا يأخذون عنه كان عادة شائعة .

وأخذنا عليه أيضاً أنّه كان — أحياناً — يترك التعليق على مسائل ، ليس من التعليق عليها بدّ ، وأنّه — أحياناً — تشغله عنايته بالجمع عن العرض الحسن البديع ، وأنّه — أحياناً — تغيب شخصيّته العلميّة في خضم الأقوال التي ينقلها من العلماء .

وبعد : فالشكر لله أن وفّق لرسم منهج السيوطيّ في التأليف اللّغويّ ، وتقديم صورة كاشفة لجهوده ، وأن هيّأ لنا من أسباب التوفيق في البحث ما حقّقناه من مسائل في غضون الأبواب المختلفة فيه ، وماظننا أنّه جديد رجونا أن نضيفه إلى مكتبتنا العربيّة والإسلاميّة ليسدّ فراغاً ولو صغيرا .

على أنّنا لا ندعي الكمال في شيء من عملنا ، أو أنّنا أتينا بشيء لا يقبل المراجعة ، ولكنّنا نزعم أنّنا نشدنا الحقّ في عملنا ، وأخلصنا — في الدّرس والنظر — لخدمة تراثنا اللّغوي ، وجهدنا أن نكون قد استوعبنا موضوعنا بدقّة وعناية ، وفق مايتطلّبه المنهج العلميّ الحديث ، ونزعم أنّنا أثرنا موضوعات للمناقشة ، ومن المناقشة ينبثق النور ، كما يقولون .

والله الهادي إلى الصّواب ، وله وحده العصمة .

فهرس مصادر الرسالة ومراجعها (*)

أولاً ـ المخطوطات :

البوريني : بدر الدين حسن بن محمد الشافعي (ت ١٠٢٤ هـ)

(١) تراجم الأعيان من أبناء الزمان ـــ مخطوطة بمكتبة عارف حكمت رقم ٤٢ تراجم .

أبو حيان : أثير الدين محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)

(٢) ارتشاف الضرب من لسان العرب ـــ مخطوطة بمكتبة عارف حكمت رقم ١٨ لغة .

(٣) تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب ـــ مصورتي على الميكروفيلم عن نسخة دار الكتب رقم ٩/٢ تفسير .

(٤) لغات القرآن ـــ مصورتي على الميكروفيلم عن نسخة دار الكتب رقم ٧٤ لغة .

الداوودي : شمس الدين أبو الحسن محمد بن علي (ت ٩٤٥هـ)

(٥) ترجمة جلال الدين السيوطي ـــ مصورتي الشمسية عن نسخة عارف حكمت رقم ١٧٤ مجاميع .

ابن دريد : أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت ٣٢١ هـ)

(٦) الملاحن ـــ مصورتي على الفوتوستات عن نسخة عارف حكمت رقم ١٠٤ مجاميع .

ابن السكيت : أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت ٢٤٦هـ)

(٧) كتاب الأضداد ـــ مصورتي على الميكروفيلم عن نسخة دار الكتب رقم ٣٣٢ مجاميع لغة ـ تيمور .

(٨) كتاب الحروف التي يُتكلّم بها في غير موضعها ـــ مصورتي على الميكروفيلم عن نسخة دار الكتب رقم ٣٣٢ مجاميع لغة ـ تيمور .

السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ)

(٩) الأشباه والنظائر النحوية ـــ مخطوطة بمكتبة عارف حكمت رقم ١ نحو .

(١٠) الاقتراح في علم أصول النحو :

أ ـ نسخة عارف حكمت رقم ٢ نحو .

(*) لم نسرد في هذا الفهرس إلاّ الكتب التي رجعنا إليها أكثر من مرة . أمّا ما رجعنا إليه مرّة أو مرّتين ؛ مثل بعض معاجم اللغة ودواوين الشعر وكتب التاريخ ، فقد اكتفينا بالإشارة إليه ـ غالباً ـ في هوامش البحث .

ب ـ نسخة جامعة الرياض رقم ١٣٨٢ م .

جـ ـ نسخة المكتبة الاحمدية بتونس رقم ٦٧٧٠ نحو .

(١١) بذل المجهود فى خزانة محمود ـــ مصورتى على الفوتوستات عن نسخة مكتبة الختني رقم ٣٧ مجاميع .

(١٢) التبرى من مضرة المعرى ـــ مصورتى الشمسية عن نسخة عارف حكمت رقم ١٧ لغة .

(١٣) التعريف بآداب التأليف ـــ مصورتى الشمسية عن نسخة عارف حكمت رقم ١٤٠ مجاميع .

(١٤) التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كل مائة ـــ مصورتى على المايكروفيلم عن نسخة دار الكتب رقم ٢٠٢ مجاميع تيمور .

(١٥) التهذيب فى اسماء الذيب ـــ مصورتى الشمسية عن نسخة عارف حكمت رقم ١٧ لغة .

(١٦) جر الذيل فى علم الخيل ـــ مصورتى الشمسية عن نسخة عارف حكمت رقم ١٧ لغة .

(١٧) الدوران الفلكى على ابن الكركي ـــ مصورتى الشمسية على المايكروفيلم عن نسخة دار الكتب رقم ٢٠٢ مجاميع ـ تيمور .

(١٨) ديوان الحيوان وذيله ـــ مصورتى الشمسية عن نسخة عارف حكمت رقم ١٧ لغة .

(١٩) الرد على من أخلد الى الارض ، وجهل أن الاجتهاد فى كل عصر فرض ـــ مصورتى على الفوتوستات عن نسخة جامعة الرياض رقم ١٦٥ .

(٢٠) رسالة فى الاجتهاد ـــ مصورتى على الفوتوستات عن نسخة جامعة الرياض رقم ٢٥٣٧ .

(٢١) رسالة فى بيان الالفاظ المعربة فى القرآن ـــ مصورتى على المايكروفيلم عن نسخة دار الكتب رقم ٣٣٢ مجاميع لغة ـ تيمور .

(٢٢) رسالة فى تحقيق التضمين ـــ مخطوطة بمكتبة الحرم المكي الشريف رقم ٦٧ مجاميع .

(٢٣) رسالة فى التصوف ـــ مصورتى على الفوتوستات عن نسخة جامعة الرياض $\frac{١٣٦٨}{٢}$ م .

(٢٤) رسالة فى التعريف ـــ مخطوطة بمكتبة الحرم المكى الشريف رقم ٦٧ مجاميع .

(٢٥) رسالة فى حروف الهجاء :

أ ـ نسخة الحرم المكي الشريف رقم ٦٧ مجاميع .

ب ـ نسخة جامعة الرياض رقم ١٤١٣ .

(٢٦) رسالة فى مسألة استعمال ألفاظ القرآن الكريم فى المحاورات ـــ مصورتى على الفوتوستات عن نسخة المكتبة المحمودية رقم ٦٥ مجاميع .

(٢٧) رسالة فى معرفة الحلي والكنى والاسماء والالقاب ـــ مصورتى على الفوتوستات عن نسخة عارف حكمت رقم ٨٠ مجاميع .

(٢٨) رشف الزلال من السحر الحلال (وتسمى : مقامة النساء) ـــ مصورتى الشمسية عن نسخة عارف حكمت رقم ١٠ مجاميع .

(٢٩) زاد المسير فى الفهرست الصغير — مصورتى الى المايكروفيلم عن نسخة دار الكتب رقم ٨٠ مصطلح حديث .

(٣٠) الشمعة المضيئة فى علم العربية — مصورتى على الفوتوستات عن نسخة جامعة الرياض رقم ٩٢١ .

(٣١) ضوء الصباح فى اسماء النكاح — مصورتى على المايكروفيلم عن نسخة دار الكتب رقم ٣٣٢ مجاميع لغة — تيمور .

(٣٢) الطارثوث فى فوائد البرغوث — مصورتى الشمسية عن نسخة عارف حكمت رقم ١٧ لغة .

(٣٣) طوق الحمامة :

أ — مصورتى الشمسية عن نسخة عارف حكمت رقم ١٧ لغة .

ب — نسخة أخرى فى المكتبة نفسها رقم ١٠٨ مجاميع .

(٣٤) فريدة كل عقد درة ، فى جبهة المختصرات غرة — مصورتى الشمسية عن نسخة عارف حكمت رقم ٢٨ مجاميع .

(٣٥) فهرست مؤلفات السيوطي :

أ — مصورتى الشمسية عن نسخة عارف حكمت رقم ١٧٤ مجاميع .

ب — مصورتى الشمسية عن نسخة الخزانة العامة بالرباط رقم $\frac{١٠٣٢}{١١}$.

(٣٦) القول المجمل فى الرد على المهمل — مصورتى على المايكروفيلم عن نسخة دار الكتب رقم ٣٣٢ مجاميع لغة — تيمور .

(٣٧) الكاوى فى الرد على السخاوى — مصورتى على المايكروفيلم عن نسخة دار الكتب رقم ٢٠٢ مجاميع .

(٣٨) الكر على ابن عبد البر — مصورتى على المايكروفيلم عن نسخة سليم أغا باسطانبول رقم ١٦١ .

(٣٩) اللفظ الجوهرى فى رد خباط الجوجرى — مصورتى على الفوتوستات عن نسخة عارف حكمت رقم ٤ مجاميع .

(٤٠) المتوكلي فيما فى القرآن من اللغات العجمية — مصورتى على الفوتوستات عن نسخة عارف حكمت رقم ١٢٥ تفسير .

(٤١) المزهر فى علوم اللغة وأنواعها :

أ — مصورتى الشمسية عن نسخة عارف حكمت رقم ٥٦ لغة .

ب — مصورتى الشمسية عن نسخة أخرى فى المكتبة نفسها رقم ٥٤ لغة .

ج — مصورتى على المايكروفيلم عن نسخة الخزانة الملكية بالرباط رقم ٢٥٤٦ .

د — مصورتى على المايكروفيلم عن نسخة دار الكتب رقم ٦٤٢ .

هـ — مصورتى على المايكروفيلم عن نسخة أخرى فى المكتبة نفسها رقم ٢٣٦ .

و — مصورتى على المايكروفيلم عن نسخة مكتبة الدراسات الشرقية ببرلين رقم ٦٧٧٢ .

(٤٢) المعاني الدقيقة فى ادراك الحقيقة :

أ — مصورتى الشمسية عن نسخة عارف حكمت رقم ١٠٨ مجاميع .

ب — مصورتى الشمسية عن نسخة جامعة الرياض رقم $\frac{٢٢٧٦}{٥}$ م .

(٤٣) المقامة اللؤلؤية (وتسمى : التنفيس فى الاعتذار عن الافتاء والتدريس) — مصورتى على الفوتوستات عن نسخة جامعة الرياض رقم ١١٦١ .

(٤٤) المنتقى فن الينبوع — مصورتى على الفوتستات عن نسخة عارف حكمت رقم ٤ مجاميع .

(٤٥) المنجم فى المعجم — مصورتى على الفوتستات عن نسخة عارف حكمت رقم ٤٤٢ تاريخ .

(٤٦) المهذب فيما وقع فى القرآن من المعرب — مصورتى على المايكروفيلم عن نسخة دار الكتب رقم ١٢٣ مجاميع .

(٤٧) نظم العقيان فى أعيان الاعيان — مصورتى على الفوتوستات عن نسخة عارف حكمت رقم ٩٦ مجاميع .

(٤٨) النقاية — مصورتى على الفوتستات عن نسخة جامعة الرياض رقم ١١٣٦ .

(٤٩) النكت على الالفية والكافية والشافية والشذور ونزهة الورى :

أ — مصورتى الشمسية عن نسخة جامعة الرياض رقم ٨٤٥ .

ب — مصورتى على المايكروفيلم عن نسخة دار الكتب رقم ٣٥٩ نحو .

(٥٠) الوديك فى فضل الديك — مصورتى الشمسية عن نسخة عارف حكمت رقم ١٧ لغة .

(٥١) الوشاح فى فوائد النكاح :

أ — مصورتى الشمسية عن نسخة جامعة الرياض رقم ٧٩٧ .

ب — نسخة جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة رقم ١١٩٦ .

الشعـــراني : أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد (ت ٩٧٣ هـ)

(٥٢) ذيل طبقات الشعرانى — مصورتى على المايكروفيلم عن نسخة دار الكتب رقم ٤٩٣ تاريخ .

الشـــلي : جمال الدين محمد بن أبى بكر اليمنى (ت١٠٩٣هـ)

(٥٣) السنا الباهر بتكميل النور السافر من أخبار القرن العاشر — مصورتى على المايكروفيلم عن نسخة دار الكتب رقم ١٥٨٦ تاريخ .

أبو عبيد : القاسم بن سلام الهروى البغدادي (ت ٢٢٤ هـ)

(٥٤) الاجناس من كلام العرب (وهو ما اشتبه فى اللفظ ، واختلف فى المعنى) — مصورتى على الفوتوستات عن نسخة عارف حكمت رقم ٢ لغة .

(٥٥) الغريب المصنف — مصورتى على المايكرو فيلم عن نسخة المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة رقم ٩ لغة .

عدنان محمد سلمان (الدكتور)

(٥٦) السيوطي النحوى — رسالة مقدمة الى كلية الآداب بجامعة القاهرة سنة ١٩٧٠م لنيل درجة الدكتوراه فى الآداب .

ابن علان : شهاب الدين محمد بن على الصديقى (ت ١٠٥٧)

(٥٧) شرح الاقتراح (ويسمى : داعى الفلاح لمخبئات الاقتراح) — مصورتى على المايكرو فيلم عن نسخة دار الكتب رقم ٥٠٣ نحو — تيمور .

(٥٨) المقرب فى معرفة ما فى القرآن من المعرب — مصورتى على الفوتوستات عن نسخة المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة رقم ١٠٠ مجاميع .

الصيدرومى : محي الدين عبد القادر بن شيخ (ت ١٠٣٨ هـ)

(٥٩) النور السافر من أخبار القرن العاشر — مخطوطة بمكتبة عارف حكمت رقم ٢٦٩ تاريخ .

الفارابى : أبو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم (ت ٣٥٠ هـ)

(٦٠) ديوان الأدب — مخطوطة بالمكتبة المحمودية بالمدينة المنورة (الجزء الأول محفوظ تحت رقم ٧ أدب ، والجزء الثانى تحت رقم ٢٤ لغة) .

المالكى : شرف الدين يونس (ت ٧٧٠هـ)

(٦١) الكنز المدفون والفلك المشحون على المسائل والفنون — مخطوطة بمكتبة الحرم النبوى الشريف رقم ٢٨ تصوف .

المحبى : محمد أمين بن فضل الله بن محب الله الحموى (ت ١١١١هـ)

(٦٢) قصد السبيل فيما فى اللغة العربية من الدخيل — مصورتى على المايكرو فيلم عن نسخة عارف حكمت رقم ٣٣ لغة .

ثانيا — المطبوعات :

الأصمعى : أبو سعيد عبد الملك بن قريب (ت ٢١٦هـ)

(٦٣) كتاب الابل — تحد الدكتور أوغست هفنر (ضمن مجموعة الكنز اللغوى فى اللسن العربى) ، مط الكاثوليكية للآباء اليسوعيين — بيروت ١٩٠٣م (أوفست) .

(٦٣) كتاب الاشتقاق ـــ تح الاستاذ محمد حسن آل ياسين ، مستل من مجلة المجمع العلمي العراقي ١٩٦٨م .

(٦٤) كتاب خلق الانسان ـــ تح الدكتور أوغست هفنر ، (ضمن مجموعة الكنز اللغوي) ، مط الكاثوليكية ـ بيروت ١٩٠٣م (أوفست) .

(٦٥) كتاب الخيل ـــ تح الدكتور نوري حمودي القيسي ، مستل من مجلة كلية الاداب بجامعة بغداد (العدد ١٢ ـ ١٩٦٩م) .

(٦٦) كتاب الدارات ـــ تح الدكتور أوغست هفنر والاب لويس شيخو ، مط الكاثوليكية بيروت ١٩١٤م ، ط ٢ .

(٦٧) كتاب الشاء ـــ تح الدكتور أوغست هفنر ، ط فينا ١٨٣٦م .

(٦٨) كتاب النبات والشجر ـــ تح الدكتور أوغست هفنر والاب لويس شيخو (ضمن مجموعة البلغة في شذور اللغة) ، مط الكاثوليكية ـ بيروت ١٩١٤م ، ط ٢ .

(٦٩) كتاب النخل والكرم ـــ تح الدكتور أوغست هفنر والاب لويس شيخو (ضمن مجموعة البلغة في شذوذ اللغة) ، مط الكاثوليكية ـ بيروت ١٩١٤م ، ط ٢ .

الافغاني : سعيد

(٧٠) في أصول النحو ـــ مط جامعة دمشق ١٩٦٤م ، ط ٣ .

(٧١) من تاريخ النحو ـــ دار الفكر ـ بيروت ، ط ١ .

ابن الانباري : أبو بكر محمد بن القاسم (ت ٣٢٨هـ)

(٧٢) كتاب الاضداد ـــ تح الاستاذ محمد أبي الفضل ابراهيم ، مط حكومة الكويت ١٩٦٠م ، ط ١ .

ابن الانباري : كمال الدين عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٧٧هـ)

(٧٣) أسرار العربية ـــ تح الاستاذ خريستيان فريدرخ سيلد ـ ط ليدن ١٨٨٦م ، ط ١ .

(٧٤) الاغراب في جدل الاعراب ـــ تح الاستاذ سعيد الافغاني ، مط الجامعة السورية ١٩٥٧م ، ط ١ .

(٧٥) البيان في غريب اعراب القرآن ـــ تح الدكتور طه عبد الحميد طه ، ط الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ـ القاهرة ١٩٦٩م ـ ١٩٧٠م ، جزءان ، ط ١ .

(٧٦) لمع الادلة في أصول النحو :

أ ـ تح الاستاذ سعيد الافغاني ، مط الجامعة السورية ١٩٥٧م ، ط ١ .

ب ـ تح الدكتور عطيه عامر ، مط الكاثوليكية ـ بيروت ١٩٦٣ م ، ط ١ ،
(ومالم يشر فيه الى هذه الطبعة فهو عن طبعة الاستاذ الافغاني السابقة)

(٧٧) نزهة الالباء في طبقات الادباء ـــ تح الاستاذ محمد أبي الفضل ابراهيم ، مط دار نهضة مصر ، القاهرة ١٩٦٧م ، ط ١ .

الانصاري : أبو زيد سعيد بن أوس (ت ٢١٥ هـ)

(٧٨) كتاب اللبا واللبن ـــ تح الدكتور أوغست هفنر والاب لويس شيخو (ضمن مجموعة البلغة في شذور اللغة) ، مط الكاثوليكية ـ بيروت ١٩١٤م ، ط ٢ .

(٧٩) كتاب المطر ـــ تح الدكتور أوغست هفنر والاب لويس شيخو (ضمن مجموعة البلغة في شذور اللغة) ، مط الكاثوليكية ـ بيروت ١٩١٤م ، ط ٢ .

(٨٠) النوادر في اللغة ـــ تح الاستاذ سعيد الخووى الشرتوني ، مط الكاثوليكية ـ بيروت ١٨٩١م (أوفست) .

الانباكي : محمد

(٨١) الوجيز في فقه اللغة ـــ مط مكتبة دار الشرق ـ بيروت، ط ٢ .

أنيس : ابراهيم (الدكتور)

(٨٢) دلالة الالفاظ ـــ مط مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة ١٩٧٢م ، ط ٣ .

(٨٣) في اللهجات العربية ـــ مط لجنة البيان العربي ـ القاهرة ١٩٥٢م ط ٢ .

(٨٤) من أسرار اللغة ـــ مط مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة ١٩٦٦م ، ط ٣ .

ابن اياس : أبو البركات محمد بن أحمد (ت ٩٣٠ هـ)

(٨٥) بدائع الزهور في وقائع الدهور ـــ ٥ ج ، الاول والثاني والثالث ط بولاق ١٣٠٢ ـ ١٣١١ هـ ، والرابع والخامس ط استانبول ١٩٣١ ـ ١٩٣٢ م .

(٨٦) صفحات لم تنشر من بدائع الزهور في وقائع الدهور ، من سنة ٨٥٧ هـ الى سنة ٨٧٢ هـ ، اخراج الاستاذ محمد مصطفى ـ مصر ١٩٥١ م .

باشا : عمر موسى (الدكتور)

(٨٧) أدب الدول المتتابعة : عصور الزنكيين والايوبيين والمماليك ـــ مط دار الفكر الحديث ـ بيروت ١٩٦٧ م ، ط ١ .

بروكلمان : كارل (ت ١٩٥٦م)

(٨٨) تاريخ الادب العربي — ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ، مط دار المعارف بمصر ١٩٦٩م ، ٣ ج ، ط ٢ ، الى جانب الاصل الالماني (حين كنا نستعين بالاصل الالماني ، كنا نضيف : "طبعة ليدن" أو "الاصل الالماني") .

(٨٩) تاريخ الشعوب الاسلامية — نقله الى العربية الاستاذان نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي — بيروت ١٩٤٨ — ١٩٥٠م ، ٥ ج .

بشر : كمال محمد (الدكتور)

(٩٠) دراسات في علم اللغة — مط دار المعارف بمصر ١٩٧٣م ، ط ١ .

(٩١) علم اللغة العام — مط دار المعارف بمصر ١٩٧٣م ، ط ١ .

البغدادي : أحمد بن علي الخطيب (ت ٤٦٣ هـ)

(٩٢) تاريخ بغداد — مط السعادة بمصر ١٩٣١م (أوفست) ، ١٤ ج .

البغدادي : اسماعيل باشا بن محمد أمين الباباني (ت ١٣٣٩ هـ)

(٩٣) ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون — مط المكتبة الاسلامية — طهران ١٣٧٨ هـ (أوفست) ، جزءان ، ط ٣ .

(٩٤) هدية العارفين ، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين — ط استانبول ١٩٥١م — ١٩٥٥م (أوفست) ، جزءان .

البغدادي : عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣ هـ)

(٩٥) خزانة الادب ولب لباب لسان العرب على شرح الكافية — مط بولاق — القاهرة ١٢٩٩ هـ (أوفست) ، ٤ ج .

البوريني : بدر الدين الحسين بن محمد (ت ١٠٢٤ هـ)

(٩٦) تراجم الاعيان من أبناء الزمان — تح الدكتور صلاح الدين المنجد ، مط المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥٩ حتى ١٩٦٦م ، جزءان .

البيانوني : أحمد عز الدين

(٩٧) الاجتهاد والمجتهدون — مط مكتبة الشباب المسلم — حلب ١٣٨٨ هـ ، ط١ .

التبريزي : أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب (ت ٥٠٢ هـ)

(٩٨) تهذيب اصلاح المنطق — تح الاستاذ صالح بن علي ، مط السعادة بمصر ١٣٢٥ هـ ، جزءان .

(٩٩) كنز الحفاظ في كتاب تهذيب الالفاظ — تح الاب لويس شيخو ، مط الكاثوليكية

ـ بيروت ١٨٩٥ م (أوفست) .

ابن تغـرى بردى : جمال الدين يوسف الظاهرى (ت ٨٧٤ هـ)

(١٠٠) النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة ـــ مط دار الكتب المصرية (أوفســت) ، ١٤ ج .

التهانـوى : محمد بن على ابن القاضي الفاروقي (ت بعد ١١٥٨ هـ)

(١٠١) كشاف اصطلاحات الفنون ـــ تحـ الدكتور لطفى عبد البديع والدكتور عبد النعيم محمد حسين ، ط المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة ـ القاهـــرة ١٩٦٣ م ، ١ ج ، ط ١ .

الثعالـبي : أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩ هـ)

(١٠٢) فقه اللغة وسر العربية ـــ تحـ الاساتذة مصطفى السقا وابراهيم الابيـــارى وعبد الحفيظ شلبي ، مطالبابي الحلبى ، القاهرة ١٩٧٢ ، ط ١ .

(١٠٣) يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر ـــ تحـ الاستاذ محمد محيي الدين عبـــد الحميد ، مط السعادة بمصر ١٣٧٥ هـ ـ ١٣٧٧ هـ ، ٤ ج .

ابن جمـــاعة : أبو اسحاق ابراهيم ابن السيد العارف الكناني (ت ٧٣٣ هـ)

(١٠٤) تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتعلم ـــ تحـ الاستاذ محمد هاشـــم الندوى ، مط دائرة المعارف بحيدر آباد ١٣٥٤ هـ (أوفست) .

ابن جني : أبو الفتح عثمان النحوى (ت ٣٩٢ هـ)

(١٠٥) الخصائص ـــ تحـ الاستاذ محمد على النجار ، مط دار الكتب المصريـــة ١٣٧١ هـ ـ ١٣٧٦ هـ ، ٣ ج ، ط ١ .

(١٠٦) سر صناعة الاعراب ـــ تحالاستاذ مصطفى السقا ورفاقه ، مط البابى الحلبى بمصر ١٣٧٤ هـ ، ١ ج ، ط ١ .

(١٠٧) المكتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها ـــ تحـ الاساتذة علـى النجدى ناصف والدكتور عبد الحليم النجار و الدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلـبى ، ط المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ـ القاهرة ١٣٨٦ ـ ١٣٨٩ هـ ، جـــزءان ، ط ١ .

(١٠٨) المقتضب من كلام العرب ـــ مط العربية بمصر ١٩٢٤ م ، ط ١ .

(١٠٩) المنصف ، شرح ابن جني لتصريف أبي عثمان المازني — تح الاستاذين ابراهيم مصطفى وعبد الله أمين ، مط البابي الحلبي - القاهرة ١٩٥٤ - ١٩٦٠م ، ٣ ج .

الجواليقي : أبو منصور موهوب بن أحمد (ت ٥٤٠ هـ)

(١١٠) اسماء خيل العرب وفرسانها — طبع مع كتاب " نسب الخيل في الجاهلية والاسلام " لابن الكلبي ، ليدن ١٩٢٨ م .

(١١١) تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامة — تح الاستاذ عز الدين التنوخي ، مط المجمع العلمي العربي بدمشق ، ط ١ .

(١١٢) المعرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم — تح الاستاذ أحمد محمد شاكر ، مط دار الكتب المصرية ١٩٦٩ م ، ط ٢ .

ابن الحاجب : جمال الدين عثمان بن عمر المقرى (ت ٦٤٦ هـ)

(١١٣) منتهى الوصول والامل في علمي الاصول والجدل — تح الشيخ محمد بدر الدين النعساني ، مط السعادة بمصر ١٣٢٦ هـ ، ط ١ .

حاجي خليفة : مصافى بن عبد الله المعروف بكاتب جلبي (ت ١٠٦٧هـ)

(١١٤) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون — الاستانة ١٩٤٧ م (أوفست) جزءان .

حجازي : محمود فهمي (الدكتور)

(١١٥) علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة — مط الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر - القاهرة ١٩٧٠ م ، ط ١

(١١٦) اللغة العربية عبر القرون — مط دار الكاتب العربي - القاهرة ١٩٦٨م ، ط ١ .

حسان : تمام (الدكتور)

(١١٧) مناهج البحث في اللغة — مط مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٥٥م ، ط ١

حسن : عباس (الدكتور)

(١١٨) اللغة والنحو بين القديم والحديث - مط دار المعارف بمصر ١٩٧١ م ، ط ٢ .

ابن حسنون : أبو أحمد عبد الله بن الحسين المقرئ (ت ٣٨٦ هـ)

(١١٩) كتاب اللغات في القرآن — تح الدكتور صلاح الدين المنجد - القاهرة ١٩٤٦ ، ط ١ .

حمزة : عبد اللطيف (الدكتور)

(١٢٠) الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين : الايوبي والمملوكي الاول ـــ مط دار الفكر العربي ـ القاهرة ١٩٦٨ م ، ط ٨ .

حمودة : عبد الوهـــــاب

(١٢١) صفحات من تاريخ مصر فى عصر السيوطي ـــ مط المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ـ القاهرة ١٩٦٥م ، ط ١ .

(١٢٢) القراءات واللهجات ـــ مط مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ١٩٤٨، ط ١ .

ابن خالويه : الحسين بن أحمد الهمذاني (ت ٣٧٠ هـ)

(١٢٣) ليس فى كلام العرب ـــ تح الاستاذ أحمد عبد الغفور عطار ، مط دار مصـــر ١٩٥٧ م ، ط ١ .

(١٢٤) مختصر فى شواذ القرآن من كتاب البديع ـــ تح الاستاذ براجشتراسر، مط الرحمانية ـ مصر ١٩٣٤م (أوفست) .

خان : أبو الطيب محمد بن على الحسينى صديق حسن بهادر القنوجي (ت١٣٠٧هـ)

(١٢٥) البلغة فى أصول اللغة ـــ مط الجوائب ـ القسطنطينية ١٢٩٦ هـ ، ط ١ .

(١٢٦) العلم الخفاق من علم الاشتقاق ـــ مط الجوائب ـ القسطنطينية ١٢٩٦هـ ،ط ١ .

الخليـــل : أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدى (ت١٧٥هـ)

(١٢٧) كتاب العين ـ تح الدكتور عبد الله درويش ، مط المعانى ـ بغداد ١٩٦٧ م ، ١ ج ، ط ١ .

الخوانسارى : محمد باقر ابن زين العابدين الموسوى (ت ١٣١٣هـ)

(١٢٨) روضات الجنات فى أحوال العلماء والسادات ـــ مط القلمى ـ طهران ، ٤ ج ، ط ٢ .

ابن دريد : أبو بكر محمد بن الحسن الازدى (ت ٣٢١ هـ)

(١٢٩) الاشتقاق :

أ ـ تح الاستاذ عبد السلام محمد هارون مط السنة المحمدية ـ القاهـــرة ١٩٥٨م ، ط ١ .

ب ـ تح الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ـ ضمن كتاب (فصيح ثعلـــب والشروح التى عليه) مط التوحيد ـ القاهرة ١٩٤٩م ، ط ١ .

(١٣٠) جمهرة اللغة ـــ تصحيح الاستاذين زين العابدين الموسوى وكرنكو ـ حيدرآباد ١٣٤٤ هـ (أوفست) ، ٤ ج .

(١٣١) ديوان ابن دريد ـــ تح الاستاذ عمر بن سالم ، مط الدار التونسية للنشر ـ تونس ١٩٧٣م .

الدميرى : كمال الدين محمد بن موسي (ت ٨٠٨ هـ)

(١٣٢) حياة الحيوان الكبرى ـــ مط البابى الحلبى بمصر ١٩٦٩م ، جزءان ، ط ٤ .

الراجحي : عبده (الدكتور)

(١٣٣) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ـــ مط دار المعارف بمصر ١٩٦٨م ، ط ١

الزبيدى : أبو بكر محمد بن الحسن الاندلسي (ت ٣٧٩ هـ)

(١٣٤) طبقات النحويين واللغويين ـــ تح الاستاذ محمد أبى الفضل ابراهيم ، مط دار المعارف بمصر ١٩٥٤ م ، ط ١ .

(١٣٥) لحن العوام ـــ تح الدكتور رمضان عبد التواب ، مط الكمالية بمصر ١٩٦٤ م ، ط ١ .

الزجاج : أبو السحاق ابراهيم بن محمد السرى بن سهل (ت ٣١١ هـ)

(١٣٦) كتاب فعلت وأفعلت ـــ من كتاب (فصيح ثعلب والشروح التى عليه) جمع وتعليق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى ، ط مكتبة التوحيد ـ القاهرة ١٩٤٩م

الزجاجي : أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق النهاوندى (ت ٣٣٩هـ)

(١٣٧) الايضاح فى علل النحو ـــ تح الدكتور مازن المبارك ، مط دار النفائس ـ بيروت ١٩٧٣ م ، ط ٢ .

(١٣٨) مجالس العلماء ـــ تح الاستاذ عبد السلام محمد هارون ، مط حكومة الكويت ـ ١٩٦٢ م ، ط ١ .

الزركشي : بدر الدين محمد بن عبد الله المنهاجي (ت ٧٩٤هـ)

(١٣٩) البرهان فى علوم القرآن ـــ تح الاستاذ محمد ابى الفضل ابراهيم ، مط دار احياء الكتب العربية ـ القاهرة ١٩٥٧م ، ٤ ج ، ط ١ .

الزمخشرى : أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ)

(١٤٠) الجبال والامكنة والمياه ـــ تح الاستاذ دى كراف ، ط ليدن ١٨٨٥م .

(١٤١) الفائق فى غريب الحديث ـــ تح الاستاذين على البجاوى ومحمد أبى الفضل ابراهيم ، مط البابى الحلبى بمصر ١٩٧١م ، ٤ ج ، ط ٢ .

(١٤٢) المفصل في علم العربية ـــ تح الاستاذ محمد بن يعقوب الراسبوري ، ط دهلى ١٨٩١ م (أوفست) .

زيـــدان : جرجي (ت ١٩١٤م)

(١٤٣) تاريخ آداب اللغة العربية ـــ ط دار مكتبة الحياة ـ بيروت ١٩٦٧م ، ٣ ج .

(١٤٤) الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية ـــ مط الهلال ـ القاهرة ١٩٠٤م ، ط ٢ .

السجستانـي : أبو بكر محمد بن عزيز العزيزي (ت ٣٣٠ هـ)

(١٤٥) كتاب غريب القرآن (ويسمى : نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن) ـــ تح الشيخ محمد بدر الدين النعساني ، مط السعادة بمصر ١٣٢٥هـ ، ط ١ .

(١٤٦) كتاب المصاحف ـــ تح الدكتور آرثر جفرى ، مط الرحمانية بمصر ١٣٥٥هـ ، ط ١ .

السجستانـي : أبو حاتم سهل بن محمد الجشيمي (ت ٢٥٥هـ)

(١٤٧) كتاب الاضداد ـــ تح الدكتور أوغست هفنر (ضمن ثلاثة كتب في الاضداد) ، مط الكاثوليكية ـ بيروت ١٩١٢م (أوفست) .

السخـــاوى : شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢ هـ)

(١٤٨) التبر المسبوك في ذيل السلوك (ويسمى : ذيل كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ـ للمقريزى) ـــ تح الاستاذ شارل غليار دوبك ، ط بولاق ١٨٩٦ م .

(١٤٩) الضوء اللامع لاهل القرن التاسع ـــ مط مكتبة الدسي ـ القاهرة ١٣٥٣ هـ (أوفست) ، ٨ ج .

ابن الســراج : أبو بكر محمد بن السرى النحوى (ت ٣١٦هـ)

(١٥٠) كتاب الاصول في النحو ـــ تح الدكتور عبد الحسين الفتلي ، ط ج ١ في مطبعة النعمان ـ النجف الاشرف ١٩٧٢م ، ط ج ٢ في مط سلمان الاعظمـــى ـ بغداد ١٩٧٣م .

سركيـس : يوسف اليان الدمشقي (ت ١٣٥١هـ)

(١٥١) معجم المطبوعات العربية والمعربة ـــ مط سركيس بمصر ١٩٢٨م (أوفست) جزءان

سزكـين : محمـد فـؤاد

(١٥٢) تاريخ التراث العربى ـــ نقله الى العربية الدكتور فهمى أبو الفضل وراجعـه الدكتور محمود فهمي حجازى ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ـ القاهرة ١٩٧١ م ، ١ ج .

ابن السكيت: أبو يعقوب يوسف بن يعقوب (ت ٢٤٤هـ)

(١٥٣) اصلاح المنطق ـــ تح الاستاذين أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، مط دار المعارف بمصر ١٩٥٦م ، ط ٢ .

(١٥٤) كتاب الاضداد ـــ تح الدكتور أوغست هفنر (ضمن ثلاثة كتب في الاضداد) ، مط الكاثوليكية ـ بيروت ١٩١٢م (أوفست) .

(١٥٥) كتاب القلب والابدال ـــ تح الدكتور أوغست هفنر (ضمن مجموعة الكنز اللغوي في اللسن العربي) ، مط الكاثوليكية ـ بيروت ١٩٠٣م (أوفست) .

سلام : محمد زغلول (الدكتور)

(١٥٦) الادب في العصر المملوكي ـــ مط دار المعارف بمصر ١٩٧١م جزءان ، ط ١ .

سليم : محمود رزق

(١٥٧) عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والادبي ـــ مط مكتبة الاداب ـ القاهرة ١٣٦٦هـ ـ ١٣٦٩ هـ ، ٤ج .

ابن سنان الخفاجي : أبو محمد عبد الله بن محمد الحلبي (ت ٤٦٦هـ)

(١٥٨) سر الفصاحة ـــ تح الاستاذ عبد المتعال الصعيدي ، مط محمد علي صبيح ـ القاهرة ١٩٥٢ م ، ط ١ .

سيبويه : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠ هـ)

(١٥٩) الكتاب ـــ ط بولاق ـ القاهرة ١٣١٦ هـ ـ ١٣١٧ هـ (أوفست) ، جزءان .

ابن سيده : أبو الحسن علي بن اسماعيل الاندلسي (ت ٤٥٨ هـ)

(١٦٠) المحكم والمحيط الاعظم في اللغة ـــ تح مجموعة من الاساتذة ، مط البابي الحلبي منذ ١٩٥٨م ، ٤ج .

(١٦١) المخصص ـــ ط بولاق ١٣١٦ هـ ـ ١٣٢١ هـ (أوفست) ، ١٧ج .

السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)

(١٦٢) الاتقان في علوم القرآن :

أ ـ مط الكسلتية ـ القاهرة ١٢٧٩ هـ .

ب ـ تح الاستاذ محمد أبي الفضل ابراهيم ، مط المشهد الحسيني ـ القاهرة ١٩٦٧م ، ٤ج ، ط ١ .

(١٦٣) اتمام الدراية لقراء النقاية الجامع لاربعة عشر علما ـــ مط البابى الحلبى بمصر ١٣٥٤هـ .

(١٦٤) الاشباه والنظائر فى النحو :
أ ـ مط دائرة المعارف العثمانية ـ حيدرآباد الدكن ١٣٦٠هـ ، ٤ج ، ط ٢ .
ب ـ تح الشيخ طه عبد الرؤوف سعد ، مط مكتبة الكليات الازهرية ـ القاهرة ١٣٩٥ هـ .

(١٦٥) الاقتراح فى علم أصول النحو وجدله ـــ مط دائرة المعارف العثمانية ـ حيدرآباد الدكن ١٣٥٩هـ .

(١٦٦) بغية الواعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ـــ تح الاستاذ محمد ابى الفضل ابراهيم ، مط البابى الحلبى ـ القاهرة ١٩٦٥م ، جزءان ، ط ١ .

(١٦٧) تاريخ الخلفاء ـــ تح الاستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد ، مط الفجالة الجديدة ـ القاهرة ١٩٦٩م ، ط ٤ .

(١٦٨) تحذير الخواص من أكاذيب القصاص ـــ تح الاستاذ محمد الصباغ ، مط المكتب الاسلامى ـ بيروت ١٩٧٢م ، ط ١ .

(١٦٩) تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى ـــ تح الاستاذ عبد الوهاب عبد اللطيف ، مط دار الكتب الحديثة ـ القاهرة ١٩٦٦م ، جزءان ، ط ٢ .

(١٧٠) الحاوى للفتاوى في الفقه وعلوم التفسير والحديث والاصول والنحو والاعراب وسائر الفنون ـــ تح الاستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد ، مط السعادة بمصر ١٩٥٩م ، جزءان ، ط ٢ .

(١٧١) حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة :
أ ـ مط ادارة الوطن ـ القاهرة ١٢٩٩ هـ ، جزءان ، ط ١ .
ب ـ تح الاستاذ محمد ابى الفضل ابراهيم ، ط دار احياء الكتب العربية ـ القاهرة ١٩٦٧ م ، جزءان .

(١٧٢) الدر النثير تلخيص نهاية ابن الاثير ـــ مط بهامش كتاب (النهاية فى غريب الحديث والاثر ـ لابن الاثير) ، مط الخيرية بمصر (د . ت) ، ٤ج .

(١٧٣) ذيل طبقات الحفاظ ـــ مط بآخر كتاب (تذكرة الحفاظ ـ للذهبي) ، ط دائرة المعارف العثمانية ـ حيدرآباد الدكن ١٣٧٧ هـ (أوفست) .

(١٧٤) الرسائل التسع للسيوطي ـــ مط دائرة المعارف النظامية ـ حيدرآباد الدكن ١٣٣٤ هـ ، ط ٢ .

(١٧٥) رسالة فى أصول الكلمات ـــ مط مكتبة القدسي والبدير ـ دمشق ١٣٤٨هـ ، ط ١ .

(١٧٦) رسالة فى تحقيق التضمين ـــ تح الدكتور ناصر بن سعد الرشيد ، مجلة جامعة الملك عبد العزيز (السنة الاولى ـ العدد الاول ـ جمادى الاخرة ١٣٩٥هـ) .

(١٧٧) رسالة فى سبب وضع علم العربية ـــ ضمن مجموعة (التحفة البهية والطرفة الشهية) ، مط الايتام ـ بغداد ١٩٣٣م .

(١٧٨) رسالة فى علم الخط ـــ ضمن مجموعة التحفة البهية والطرفة الشهية) ، مط الايتام ـ بغداد ١٩٣٣م .

(١٧٩) رصف اللال فى وصف الهلال ـــ ضمن مجموعة (التحفة البهيئة والطرفةالشهية) مط الايتام ـ بغداد ١٩٣٣م .

(١٨٠) شرح السيوطي على ألفية ابن مالك (ويسمى : البهجةالمرضية فى شرح الالفية) ـــ ط دار احياء الكتب العربية ـ القاهرة (د . ت) .

(١٨١) شرح شواهد المغنى ـــ تح الاستاذ أحمد ظافر كوجان ، ط دار مكتبة الحياة ـ بيروت ١٩٦٦م ، جزءان ، ط ١ .

(١٨٢) شرح عقود الجمان فى علم المعانى والبيان ـــ مط البابى الحلبى بمصر١٣٥٨هـ.

(١٨٣) صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام ـــ تح الدكتور على سامى النشار، مط مكتبة الخانجي بمصر ، ط ١ .

(١٨٤) طبقات الحفاظ ـــ تح الاستاذ على محمد عمر ،مط مكتبة وهبة ـ القاهرة ، ١٩٧٣م ، ط ١ .

(١٨٥) كتاب التحدث بنعمة الله ـــ تح اليزابيث مارى سارتين ، مط العربية الحديثة ـ القاهرة ١٩٧٥م .

(١٨٦) كتاب الرد على من أخلد الى الارض ، وجهل أن الاجتهاد فى كل عصر فرض ـــ مط الثعالبية ـ الجزائر ١٩٠٧ م ، ط ١ .

(١٨٧) المزهر فى علوم اللغة وأنواعها :

أ ـ مط السعادة بمصر (د . ت) .

ب ـ مط محمد على صبيح بمصر (د . ت) .

جـ ـ تح الاساتذة محمد أبى الفضل ابراهيم وعلى محمد البيجاوى ومحمد أحمد جاد المولى ، مط دار احياء الكتب العربية ـ القاهرة (وما لم يشر فيه الى احدى الطبعتين السابقتين فهو عن هذه الطبعة) .

(١٨٨) معترك الاقران فى اعجاز القرآن ـــ تح الاستاذ على محمد البيجاوى ، مط دار الفكر العربى ـ القاهرة ١٩٦٩ ـ ١٩٧٣م ، ٣ ج .

(١٨٩) نظم العقيان فى أعيان الاعيان ـــ تح الدكتور فيليب حتى ، مط السورية الامريكية ـ نيويورك ١٩٢٧م ، ط ١ .

(١٩٠) همع الهوامع شرح جمع الجوامع فى علم العربية :

أ ـ مط السعادة بمصر ١٣٢٧ هـ بتصحيح الاستاذ محمد بدر الدين النعسانى (أوفست) .

ب ـ تح الاستاذ عبد السلام محمد هارون والدكتور عبد العال سالم مكرم ، ط دار البحوث العلمية ـ الكويت ١٩٧٥ م ، جزءان (وما لم يشر فيه الى هذه الطبعة فهو عن الطبعة السابقة) .

الشكعة : مصطفى (الدكتور)

(١٩١) مناهج التأليف عند العلماء العرب ـــ مط دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٧٣ م ، ط ١ .

الشنقيطي : أحمد بن الامين (ت ١٣٣١ هـ)

(١٩٢) الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع فى العلوم العربية ـــ مط الجمالية بمصر ١٣٢٨ هـ (أوفست) جزءان .

الشوكانى : محمد بن على بن محمد الصنعانى (ت ١٢٥٠ هـ)

(١٩٣) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ـــ ط الشيخ معروف عبد الله باسندوة ـ القاهرة ١٣٤٨ هـ ، جزءان .

الصالح : صبحى (الدكتور)

(١٩٤) دراسات فى فقه اللغة ـــ مط دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٦٨ م ط ٣ .

(١٩٥) مباحث فى علوم القرآن ـــ مط الجامعة السورية ـ دمشق ١٩٥٨م .

ابن الصلاح : أبو عمر عثمان بن عبد الرحمن الشهرزورى (ت ٦٤٣ هـ)

(١٩٦) علوم الحديث ـــ تح الاستاذ نور الدين عتر ، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ١٣٨٦ هـ ، ط ١ .

ضيف : شوقى (الدكتور)

(١٩٧) البحث الادبى : طبيعته . مناهجه . أصوله . مصادره ـــ دار المعارف بمصر ١٩٧٢ م ، ط ١.

(١٩٨) عصر احياء التراث العربى وتجديده (٦٥٦ ـ ٩٢٣ هـ) ـــ مجلة المجلة (السنة الحادية عشرة ـ العدد ١٢٢ ـ فبراير ١٩٦٧م) .

(١٩٩) المدارس النحوية ـــ دار المعارف بمصر ١٩٦٨ م ، ط ١ .

الطرابلسي : أمجد (الدكتور)

(٢٠٠) نظرة تاريخية فى حركة التأليف عند العرب فى اللغة والادب ـــ مكتبة دار الفتح ـ دمشق ١٩٧٢ م ، ط ٥ .

طلس : محمد أسعد

(٢٠١) عصر الانحدار ـــ دار الاندلس ـ بيروت ١٩٦٣ م ، ط ١ .

أبو الطيب اللغوى : عبد الواحد بن على الحلبى (ت ٣٥١ هـ)

(٢٠٢) كتاب الابدال ـــ تح الاستاذ عز الدين التنوخى ، مط المجمع العلمى العربى بدمشق ١٩٦١ م ، جزءان .

(٢٠٣) مراتب النحويين ـــ تح الاستاذ محمد ابى الفضل ابراهيم ، دار نهضة مصر ١٩٧٤ م ، ط ٢ .

ظاظا : حسن (الدكتور)

(٢٠٤) كلام العرب ـــ مط دار المعارف بمصر ١٩٧١ م ، ط ١ .

(٢٠٥) اللسان والانسان ـــ مط دار المعارف بمصر ١٩٧١ ، ط ١ .

عابدين : عبد المجيد

(٢٠٦) لمحات من تاريخ الحياة الفكرية المصرية قبل الفتح العربى وبعده ـــ مط الشبكشى ـ مصر ١٩٦٤ م ، ط ١ .

عبد التواب : رمضان (الدكتور)

(٢٠٧) فصول فى فقه العربية ـــ مط مكتبة دار التراث ـ القاهرة ١٩٧٣م ، ط ١ .

أبو عبيد : القاسم بن سلام الهروى

(٢٠٨) رسالة فيما ورد فى القرآن الكريم من لغات القبائل ـــ طبع بذيل صحائف كتاب (تفسير الجلالين) ، مط البابى الحلبى بمصر ١٩٥٤ م ، ط ٣ .

(٢٠٩) غريب الحديث ـــ ط الشيخ محمد عبد المعين خان ـ حيدرآباد ١٩٦٧ م ، ٤ ج ، ط ٣ .

(٢١٠) كتاب الاجناس من كلام العرب ـــ ط الاستاذ امتياز على عرشى الرامفـــورى ، مط القيمة ـ بومباى ١٩٣٨م .

أبو عبيـدة : معمر بن المثنى التيمي (ت ٢٠٩ هـ)

(٢١١) كتاب الخيل ـــ مط دائرة المعارف العثمانية ـ حيدرآباد ١٣٥٨هـ ، ط ١ .

(٢١٢) مجاز القرآن ـــ تح الاستاذ محمد فؤاد سزكين ، مط الخانجى بمصر ١٩٥٤م ، جزءان .

العســـكرى : أبو أحمد الحسن بن عبد الله (ت ٣٨٢هـ)

(٢١٣) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ـــ تح الاستاذ عبد العزيز أحمد ، مط البابى الحلبى بمصر ١٩٦٣م ، ط ١ .

على ابراهيم حسـن (الدكتور)

(٢١٤) مصر في العصور الوسطى من الفتح العربى الى الفتح العثمانى ـــ مط النهضة المصرية ١٩٦٤ م ، ط ٥ .

على صافـى حســين

(٢١٥) كتاب جلال الدين السيوطي ـــ كتاب الجمهورية الدينى ـ مصر ١٩٧١م .

ابن العماد الجنبلغ : أبو الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩ هـ)

(٢١٦) شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ـــ مط مكتبة القدسي بمصر ١٣٥٠ هـ ـ (أوفست) ، ٨ج .

عـــــون : حسن (الدكتور)

(٢١٧) اللغة والنحو ـــ مط رويال ـ الاسكندرية ١٩٥٢ م ، ط ١ .

عيـــــد : محمد (الدكتور)

(٢١٨) الرواية والاستشهاد باللغة ـــ مط عالم الكتب ـ القاهرة ١٩٧٢م ، ط ١ .

الفـــزى : نجم الدين محمد بن محمد (ت ١٠٦١هـ)

(٢١٩) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ـــ تح الاستاذ جبرائيل سليمان جبـور ، مط الاميركانية ـ بيروت ١٩٤٥م ـ ١٩٥٩م ، ٣ج .

ابن فارس : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)

(٢٢٠) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها — تح الدكتور مصطفى الشويمي ، ط مؤسسة بدران للطباعة والنشر - بيروت ١٩٦٤م .

الفراء : أبو زكريا يحيى بن زياد (ت ٢٠٧هـ)

(٢٢١) الايام والليالي والشهور — تح الاستاذ ابراهيم الابياري ، مط الاميرية ١٩٥٦ م .

(٢٢٢) معاني القرآن — تح مجموعة من الاساتذة ، ط ١ و ٢ في دار الكتب المصرية ١٩٥٥ م - ١٩٦٦م ، ط ٣ عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م .

(٢٢٣) المنقوص والممدود — تح الاستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي ، مط دار المعارف بمصر ١٩٦٧ م .

القالي : أبو علي اسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦هـ)

(٢٢٤) الامالي — مط دار الكتب المصرية ١٩٢٦م (أوفست) جزءان .

(٢٢٥) البارع في اللغة — تح الاستاذ هاشم الطعان ، مكتبة النهضة - بغداد ١٩٧٥م ، ط ١ .

القفطي : أبو الحسن علي بن يوسف الشيباني (ت ٦٤٦ هـ)

(٢٢٦) انباه الرواة على أنباه النحاة — تح الاستاذ محمد أبي الفضل ابراهيم ، مط دار الكتب المصرية ١٩٥٠ - ١٩٥٥م ، ٣ج .

القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ)

(٢٢٧) صبح الاعشى في صناعة الانشا — مط الاميرية ١٩١٣ - ١٩٢٠ م (أوفست) ١٤ ج .

الكرملي : الاب أنستاس ماري (ت ١٣٦٦هـ)

(٢٢٨) أغلاط اللغويين الاقدمين — مط الايتام - بغداد ١٩٣٣م ، ط ١ .

ماجد : عبد المنعم (الدكتور)

(٢٢٩) دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر - مط الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٦٤ - ١٩٦٧م ، جزءان .

مختار عمر : أحمد (الدكتور)

(٢٣٠) البحث اللغوى عند العرب ـــ مط سجل العرب ـ القاهرة ١٩٧١م .
(٢٣١) الفارابى اللغوى وتحقيق مقدمة معجمه ديوان الادب ـــ مجلة معهد المخطوطات العربية (المجلد السابع ـ الجزء الثانى ـ جمادى الاولى ١٣٨١)

الموفق البغدادى : أبو محمد عبد اللطيف بن أبى العز (ت ٦٢٩هـ)

(٢٣٢) كتاب ذيل فصيح ثعلب ـــ طبع ضمن كتاب (فصيح ثعلب والشروح التى عليه) جمع وتعليق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى ، مط مكتبة التوحيد ـ القاهرة ١٩٤٩م ، ط ١ .

نصـــار : حسين (الدكتور)

(٢٣٣) المعجم العربى : نشأته وتطوره ـــ مط دار مصر ١٩٦٨م ، جزءان ، ط٢ .
(٢٣٤) نشأة الكتابة الفنية فى الادب العربى ـــ مط النهضة المصرية ١٩٦٦م ، ط ٢ .

النـويرى : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ)

(٢٣٥) نهاية الارب فى فنون الادب ـــ مط دار الكتب المصرية ١٩٢٣ ـ ١٩٥٤م ، (أوفست) ١٨ ج .

اليازجـي : كمـال (الدكتور)

(٢٣٦) معالم الفكر العربى فى العصر الوسيط ـــ مط دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٦١م ، ط ١ .

يـــاقوت الحموى : شهاب الدين أبو عبد الله الرومى (ت ٦٢٦هـ)

(٢٣٧) معجم الادباء (ويسمى :ارشاد الاريب الى معرفة الاديب) ـــ تحـ د . س . مرجليوث ، مط هندية بالموسكى بمصر ١٩٢٣ ـ ١٩٢٥ م ، ٧ ج .
(٢٣٨) معجم البلدان ـــ تحـ الاستاذ وستنفلد ـ ليبسك ١٨٦٦ ـ ١٨٧٠م ، (أوفست) ٤ ج وجزءان تعاليق وفهارس .

ثالثا ـ الفهارس ودوائر المعارف :

(٢٣٩) تذكرة النوادر من المخطوطات العربية ـ رتبت وطبعت بأمر جمعية دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ١٣٥٠هـ .
(٢٤٠) دائرة المعارف الاسلامية ـ نقلها الى العربية الأساتذة محمد ثابت الفندى وابراهيم زكى خورشيد وعبد الحميد يونس وأحمد الشنتناوى ، ط ١ سنة ١٩٣٣م ـ ١٩٥٧م ، ١٤ ج .

(٢٤١) دفتر كتبخانة عاشر أفندى (فهرس خزانة المسمى عاشر أفندى) — استانبول ١٣٠٦هـ .

(٢٤٢) فهرس الخزانة التيمورية — مط دار الكتب المصرية ١٣٦٧هـ — ١٣٦٩هـ ، ٤ج .

(٢٤٣) فهرس الكتب العربية المحفوظة بالكتبخانة الخديوية — مط ادارة الوطن بمصر ١٣٠٨هـ — ١٣١٠هـ هـ ، ٧ ج .

(٢٤٤) فهرس المخطوطات (نشرة بالمخطوطات التى اقتنتها دار الكتب المصرية من ١٩٣٦م الى ١٩٥٥م) — تصنيف الأستاذ فؤاد سيد ، مط دار الكتب المصرية ١٣٨٠هـ ، ٣ ج .

(٢٤٥) فهرس مخطوطات جامعة الرياض (نشرة خاصة بمخطوطات السيوطي) — وضعه الاستاذ يحيى محمود الساعاتى ، الرياض ١٣٩٣هـ .

(٢٤٦) فهرس مخطوطات حسن الانكركى المهداة الى مكتبة الأوقاف العامة ببغداد — مط الآداب بالنجف الأشرف ١٩٦٧م .

(٢٤٧) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (علوم القرآن) — وضعه الدكتور عزه حسن ، ط المجمع العلمى العربى بدمشق ١٣٨١هـ .

(٢٤٨) فهرس مخطوطات دار الكتب المصرية — مط دار الكتب المصرية ١٩٥٦م ، ٣ ج .

(٢٤٩) فهرس المخطوطات العربية فى مكتبة الأوقاف العامة فى بغداد — وضعه الأستاذ عبد الله الجبورى ، مط الارشاد ببغداد ١٩٧٣م — ١٩٧٤م ، ٤ج .

(٢٥٠) فهرس المخطوطات العربية المحفوظة فى الخزانة العامة بالرباط — وضعه الأستاذ محمد محي الدين المشرفى ، مط التومى بالرباط ١٩٧٣م .

(٢٥١) فهرس المخطوطات المصورة فى معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية — جزءان ، طبع فى مصر ، الأول سنة ١٩٥٤م ، تصنيف الأستاذ فؤاد سيد ، والآخر قسمان ، وضع أحدهما الدكتور لطفى عبد البديع ، والثانى الاستاذ فؤاد سيد سنة ١٩٥٦م — ١٩٥٧م .

(٢٥٢) فهرس مخطوطات المكتبة الاحمدية بتونس (خزانة جامع الزيتونة) — تصنيف الأستاذ عبد الحفيظ منصور ، ط دار الفتح — بيروت ١٩٦٩م .

(٢٥٣) الفهرس المشروح للمخطوطات العربية المخزونة فى مكتبة سالارجنك — وضعه الدكتور محمد نظام الدين ، ط دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد بالهند .

(٢٥٤) كتاب مخطوطات الموصل ومدارسها الدينية ومدارس ملحقاتها — تصنيف الدكتور داود الجلبى الموصلى ، مط الفرات ببغداد ١٣٤٦هـ .

(٢٥٥) المخطوطات العربية فى الآستانة ـــ وضعه الدكتور صلاح الدين المنجد ، ط دار الكتاب الجديد ـ بيروت ١٩٦٨م.

(٢٥٦) مخطوطات عربية فى مكتبة صوفيا الوطنية البلغارية (كايرل وميتودى) ـــ تصنيف الدكتور يوسف عز الدين ، ط المجمع العلمى العراقى ببغداد ١٩٦٨م .

(٢٥٧) المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى ـــ وضعه الأستاذ أسامة ناصر النقشبندى ، ط مديرية الآثار العامة ببغداد ١٩٧٥م .

فهرس الموضوعات

هذا البحث
موضوعه • منهجه • مصادره
ب — ل

مدخل البحث
عصر السيوطيّ
١ — ١٠

الباب الأول
سيرة السيوطيّ ، وآثاره العامّة
١١ — ٤٩

الفصل الأول : سيرته .. .. ١٢ — ٣٠
أسرته ١٢
نسبه ١٤
مولده ١٥
البيئة التي نشأ فيها ١٥
شيوخه ١٦
تكوّنه العلميّ ٢٢
وضعه الاجتماعيّ ٢٤
خلقه ٢٥
خصوماته ٢٧
المرحلة الأخيرة من حياته ٢٩

الفصل الثاني : آثاره العامّة .. .. .. ٣١ — ٥٢
سمات آثاره ٣١
كثرة مؤلّفاته وما نسب إليه ٣٥
أسباب كثرة مؤلّفاته ٤٦

الباب الثاني
آثاره اللّغويّة
٥٠ — ١٣٠

الفصل الأول : آثاره المطبوعة والمخطوطة والمفقودة .. ٥١ — ٩٩

١ — آثاره المطبوعة ٥٣
٢ — آثاره المخطوطة ٦٤
٣ — آثاره المفقودة ٩٢

الفصل الثاني : المزهر في علوم اللّغة .. .. .. ١٠٠ — ١٢٢
١ — موادّه ١٠٠
٢ — أهمّيته ١٠٥
٣ — أثره في الدّراسات بعده ١٠٧
٤ — طبعاته ١١٠

الفصل الثالث : ديوان الحيوان وذيله .. .. .. ١٢٣ — ١٣٠
١ — موادّ الكتاب ١٢٣
٢ — نسخه ١٢٧
٣ — أهمّيته ١٢٨

الباب الثالث

منهجه اللّغوي ، وطريقته في التأليف

١٣١ — ٢٤٦

الفصل الأول : استيعابه .. .. ١٣٥ — ١٥٠
أسبابه ١٣٥
مظاهره ١٣٦

الفصل الثاني : دقّته وسهولة عرضه .. .. .. ١٥١ — ١٦٨
أسبابهما ١٥١
مظاهرهما ١٥٢

الفصل الثالث : محاكاته طريقة المحدّثين والفقهاء والأصوليّين .. ١٦٩ — ١٨٧
أسبابها ١٦٩
مظاهر محاكاته طريقة المحدّثين ١٧٤
مظاهر محاكاته طريقة الفقهاء والأصوليّين .. ١٨٢

الفصل الرابع : إعماله الفكر .. .. ١٨٨ — ٢٠٥
أسبابه ١٨٨
مظاهره ١٩٣

الفصل الخامس : أمانته العلميّة وتحرّيه .. .. .. ٢٠٦ — ٢٣٣
أسبابهما ٢٠٦
مظاهرهما ٢٠٩

الفصل السادس : إيثاره المذهب البصري على الكوفي .. .. ٢٣٤ — ٢٤٦
أسبابه ٢٣٤
مظاهره ٢٣٥

الباب الرابع

أهمّ مصادره ، وطريقة إفادته منها

٢٤٧ — ٣٢٠

الفصل الأول : مصادره الأساسيّة .. .. .. ٢٦٢ — ٣١٧
١ — الغريب المصنّف ٢٦٢
٢ — ديوان الأدب ٢٧٩
٣ — الخصائص ٢٨٩
٤ — الصاحبيّ ٣٠٦

الفصل الثاني : مراجعه الثانويّة .. .. .. ٣١٨ — ٣٢٠
١ — ارتشاف الضّرب ٣١٨
٢ — تذكرة ابن مكتوم ٣١٩
٣ — الإتباع والمزاوجة ٣٢٠
٤ — نوادر ابن الأعرابي ٣٢٠

الباب الخامس

نقد ، وتقويم

٣٢١ — ٣٧٩

الفصل الأول : آراء القدماء والمحدثين في السيوطيّ .. .. ٣٢٢ — ٣٤١
١ — متقدّمون يقرّظونه ٣٢٣
٢ — متقدّمون يثلبونه ٣٢٧
٣ — متأخّرون ينقدونه ، وينصفونه ٣٣٣
٤ — متأخّرون يظلمونه ، ويغمطونه حقّه .. ٣٣٨

الفصل الثاني :مناقشة .. .. ٣٤٢ — ٣٦٠
١ — مع الأستاذ سعيد الأفغاني .. ٣٤٢
٢ — مع الأستاذ أبي الفضل إبراهيم ورفاقه .. ٣٤٩
٣ — مع مجموعة من الأساتذة ٣٥٧

الفصل الثالث : مايؤخذ على السيوطي .. .. .. ٣٦١ — ٣٧٩

الخاتمة
في تلخيص البحث ونتائجه
٣٨٠ — ٣٩٠

فهارس البحث
المصادر . الموضوعات . الأعلام
٣٩١ — ٤٤٢

فهرس الأعلام

(الهمـــــزة)

آدم (عليه السلام) : ١٤١م ، ١٤٣ ، ١٤٩ ، ٢١٣ ، ٣٠١ ، ٣١٥ .

آدم متز : ٨٠ ، ٢٩٣ ، وهو مستشرق سويسري ألماني ، كان أستاذاً للغات الشرقية في جامعة بال بسويسرا ، وهو صاحب كتاب الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري الذي ترجمه إلى العربية الأستاذ محمد عبد الهادي أبو ريده ، وانظر ترجمته في مقدمة الكتاب .

إبراهيم بن محمد بن عرفة : ٢٠٣م ، ٢٠٤ ، وهو أبو عبد الله الملقب بنفطويه لشبهه بالنفط لدمامته ، على ما يحكيه الذين ترجموه ، وقد توفي سنة ٣٢٣هـ أو ٣٢٤هـ ، وترجمته في البغية : ١/ ٤٢٩ ـ ٤٣٠ ، وفي نزهة الألباء : ٢٦٠ ـ ٢٦٢ .

الابناسي : ٣٣٢ .

الاثرم : ٣٧٨ ، وهو أبو الحسن علي بن المغيرة (ت ٢٣٢ هـ) وترجمته في البغية : ٢/ ٢٠٦ .

ابن الاثير (أبو السعادات) : ٨٠م ، وهو المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٠٦هـ) وترجمته في البغية : ٢/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥ .

أحمد الإدريسي : ك .

أحمد بن الأمين الشنقيطي : ٣٢٦ ، وهو صاحب الدرر اللوامع (ت ١٣٣١هـ) وترجمته في معجم المطبوعات : ١١٤٨ ـ ١١٤٩ .

أحمد بن إينال : ٥م ، وهو المؤيد بن الأشرف الملائي الظاهري ، من ملوك دولة المماليك الثانية (ت ٨٩٣هـ) وترجمته في ابن إياس : ٢/ ٦٥ و ٢٨٤ .

أحمد بن حنبل (الإمام) : ٣١٥ ، وهو أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني الوائلي ، إمام المذهب الحنبلي (ت ٢٤١ هـ) ، وترجمته في تاريخ بغداد : ٤/ ٤١٢ ، ودائرة المعارف الإسلامية : ١/ ٤٩١ ـ ٤٩٦ .

أحمد الشرقاوي إقبال : ك .

أحمد الصديق : ٣٣٦ .

أحمد صقر (السيد) : ٣٠٨ .

أحمد عبد الغفور عطار : ٨٠ .

أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم : ٢٢٩ ، ٣١٩م ، وهو تاج الدين أبو محمد القيسي (ت ٧٤٩ هـ) وترجمته في البغية : ١/ ٣٢٦ ـ ٣٢٩ .

أحمد عبد القادر الفنيمي : ٨٣ .

أحمد عبيد : ٨١ ، ٨٤ .
أحمد بن محمد بن بندار : ٣١٢ .
أحمد مختار عمر (الدكتور) : ٢٣٢ .
الأخفش : ٢١٧ ، ٢٤٣ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٣٧٨ ، وهو أبو الحسن سعيد بن مسعده (ت ٢١٥ هـ) وترجمته في البغية : ١/ ٥٩٠ ـ ٥٩١ .
إدريس (عليه السلام) : ٣١٥ .
الأرمويّ : ٣٧٧ ، وهو سراج الدّين محمود بن أبي بكر صاحب التحصيل شرح المحصول (ت ٦٨٢ هـ) وترجمته في الطبقات الكبرى : ٥/ ١٥٥ .
الأزهريّ (صاحب التهذيب) : ١٠٩ ، ٢٠٣ ، ٢٦٣ ، ٣٢٦ (ت ٣٧٠ هـ) وترجمته في البغية : ١/ ١٩ ـ ٢٠ ، وشذرات الذهب : ٣/ ٧٢ ـ ٧٣ .
إسحاق بن بشر : ١٤٦ ، وهو أبو حذيفة إسحاق بن بشر بن محمد بن عبد اللّه البخاريّ (ت ٢٠٦ هـ) ، وترجمته في لسان الميزان : ١/ ٣٥٤ .
إسحاق الموصليّ : ٢٦٤ م (ت ٢٣٥ هـ) وترجمته في إنباه الرواة : ١/ ٢١٥ ـ ٢١٩ .
الإسفرائينيّ (أبو إسحاق) : ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٨٤ ، ١٩٤ ، ٣٧٤ (ت ٤١٨ هـ) ، وترجمته في شذرات الذهب : ٣/ ٢٠٩ ـ ٢١٠ .
الإسكندر : ٢٢٢ .
أسلم بن جدرة : ٣١٦ .
إسماعيل بن إبراهيم (عليهما السلام) : ١٤٧ م ، ٣١٦ م ، ٣٧٨ .
الأسيوطيّ (إبراهيم بن محمد) : ٤٤ ، وهو أبو إسحاق إبراهيم برهان الدّين (ت ١٠٧٩) ، وترجمته في خلاصة الأثر : ١/ ٤٥ .
الأسيوطيّ (شمس الدّين) : ٤١ ، وهو أبو عبد اللّه محمد بن أبي بكر ابن ناصر الدّين الشافعيّ (ت ٨٤٢ هـ) ، وترجمته في معجم المطبوعات : ١/ ١٠٧٦ ، ٢/ ١٦٢٦ .
الأسيوطيّ (صلاح الدّين) : ٤١ ، وهو محمد بن السيّد الشريف ناصر الدّين أبي بكر الشافعيّ (ت ٨٥٦ هـ) وترجمته في نظم العقيان : ١٤٠ .
ابن أشتة : ٢٠١ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، وهو محمد بن عبد اللّه بن أشتة (ت ٣٦٠ هـ) وترجمته في البغية : ١/ ١٤٢ .
الأشعريّ (أبو الحسن عليّ بن إسماعيل) : ١٤٣ ، ١٤٥ ، ٣٠٠ ، وهو مؤسّس مذهب الأشاعرة ، ومن الائمة المتكلّمين المجتهدين (ت ٣٢٤ هـ) وترجمته في وفيات الأعيان : ٢/ ٤٤٦ ـ ٤٤٧ .
الأصبهانيّ (أبو الفرج) : ٣٧٨ ، وهو مصنّف كتاب الأغانيّ (ت ٣٥٦ هـ) وترجمته في يتيمة الدهر : ٢/ ٢٧٨ .

الأصبهانيّ = حمزة بن حسن .
الأصمّ = أبو العبّاس محمد بن يعقوب ،
الأصمعيّ : ٧٥ ، ٧٩ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ٢١٧ ، ٢٦٢ ، ٢٦٧ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦م ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٣١٢م ، ٣١٣ ، ٣٦٢ ، ٣٧٦ (ت ٢١٣ أو ٢١٥ أو ٢١٦) وترجمته في البغية : ١١٢/٢ ـ ١١٣ .
ابن الأعرابيّ : ٢١٧ ، ٢٦٣ ، ٢٦٧ ، ٣٢٠م ، ٣٧٦ (ت ٢٣١ أو ٢٣٢) وترجمته في البغية : ١٠٥/١ ـ ١٠٦ .
الأعرابيّ = أبو مسحل .
الأعشى : ١٥٣ ، ٣٦٧ ، وهو ميمون بن قيس بن جندل الشاعر (ت ٧ هـ) وترجمته في الأغاني : ١٠٨/٩ .
الأفغانيّ = سعيد .
الأقسرائيّ : ١٦ ، ٢٢ ، وهو جمال الدّين محمد بن محمد (ت قبل الثمانمائة للهجرة) وترجمته في معجم المطبوعات : ٤٦٢/١ .
ألكيا الهراسيّ : ١٨٤ ، ٣٧٠ ، ٣٧٧م ، وهو أبو الحسن عليّ بن محمد (ت ٥٠٤ هـ) وترجمته في وفيات الأعيان : ٤٤٨/٢ ـ ٤٥٢ .
ابن الأنباريّ (أبو البركات) : ٥٧ ، ١٢٥ ، ١٦٠ ، ١٧١ ، ١٩٨ ، ٢١٢م ، ٢٩١ ، ٢٩٢م ، ٢٩٣ ، ٣١٥ ، ٣٣٩م ، ٣٤٦م ، ٣٤٧ ، ٣٤٨م ، ٣٤٩م ، ٣٦٨ ، وهو أبو البركات كمال الدّين عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٧٧ هـ) وترجمته في البغية : ٨٦/٢ ـ ٨٨ ، وإنباه الرواة : ٢٦٩/٢ ـ ١٧١ .
ابن الأنباريّ (أبو بكر) : ١١٨ ، ١٨١ ، ٢٢٣ ، ٣٦٥م ، وهو أبو بكر محمد بن القاسم ابن محمد بن بشّار اللّغوي البغداديّ (ت ٣٢٨ هـ) وترجمته في البغية : ٢١٢/١ ـ ٢١٤ ، وطبقات الحفّاظ : ٨٤٢/٣ ـ ٨٤٤ .
أنس بن مالك : ٣٧٨ (ت ٩٣ هـ) وترجمته في طبقات ابن سعد : ١٠/٧ .
الأنصاريّ (أبو زيد) : ٢٦٧ ، ٢٧١ ، ٢٧٥ ، ٢٩٨ (ت ٢١٤ أو ٢١٥) وترجمته في البغية : ٥٨٢/١ ـ ٥٨٣ ، ونزهة الألباء : ١٢٥ ـ ١٢٩ .
الإياديّ (أبو بكر) : ٢٦٣م ، وهو تلميذ شمر بن حمدويه الهرويّ ، وترجمته في مقدّمة تهذيب اللّغة ـ للأزهريّ : ١٤/١ ـ ٣١ .
ابن إياس : ٣٠ ، ٣٦ ، وهو أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس الحنفيّ ، أحد تلامذة جلال الدّين السيوطيّ ـ مصنّف بدائع الزهور (ت نحو ٩٣٠ هـ) وترجمته في بدائع الزهور نفسه : ٤٧/٤ .

البـــــاء

باكلاّ = محمد حسن (الدكتور)
باكـير: ١٢، وهو أبو بكر بن إسحاق بن خالد ، زين الدّين الكختاويّ المعروف بالشـــيخ باكـير النحويّ الصوفيّ (ت ٨٤٧ هـ)، وترجمته في شذرات الذهب : ٧/٢٦٠ .
البانيّ : ٢٨.
البجيلـــيّ : ١٧
البدر بن حبيـــب : ١٣٠.
ابن برهان (أبو الفتح) : ١١٩، ١٨٤، ١٩٧، ٣٧٤، وهو أبو الفتح أحمد بن علـيّ الشافعيّ (ت ٥١٠ هـ) وترجمته في شذرات الذهب : ٤/٦١ ــ ٦٢ .
ابن برهان (أبو القاسـم) : ٢٩٠، وهو عبد الواحد بن علي بن برهان العكبريّ النحـويّ (ت ٤٥٠ هـ)، وترجمته في البغية : ٢/١٢٠ ــ ١٢١.
بروكلمـان : ٤٣، ٥٣، ٥٥، ٥٦، ٦٤م، ٦٥، ٦٦، ٦٩م، ٧٢، ٧٣، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨٣م، ٨٧، ٨٨، ٩٥، ٩٦م، ٩٧، ٣٢٠، ٣٣٨، وهو كارل بروكلمـان ، وترجمته في مقدّمة ترجمة كتابه تاريخ الأدب العربيّ بقلم الدكتور عبد الحليم النجّـار.
برونو = رودلف (المستشرق) .
البطليوسـيّ = أبو محمد بن السيّد البطليوســـيّ .
البطليوسيّ = أبو الحسن البطليوســـيّ.
البغداديّ (إسماعيل صاحب إيضاح المكنون) : ٣٧، ٤٣، ٥٣، ٥٥، ٥٦، ٦٠م، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٨م، ٧٢م، ٧٣، ٧٤، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٨٠م، ٨٣، ٨٥، ٨٦م، ٨٧، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣م، ٩٤م، ٩٥م، ٩٦م، ٩٧م، ٩٨م، ٩٩، ٣٣٥ (ت ١٣٣٩هـ)، وترجمته في إيضاح المكنون نفســـه: ١/١٥٨.
البغداديّ (الموفّق) : ٢٢٦م، وهو موفّق الدّين عبد اللّطيف المعروف بابن اللّباد (ت٦٢٩) وترجمته في البغية : ١٠٦٢ــ ١٠٧، وحسن المحاضرة : ١/٢٥٩.
البقاعـــيّ (برهان الدّين) : ٣٢٩م، وهو أبو الحسن إبراهيم بن عمر المؤرّخ الأديـــب (ت ٨٨٥ هـ) وترجمته في نظم العقيـــان : ٢٤ ــ ٢٥ .
أبو بكر السّـــرّاج : ٢١٤م، ٢٢٩، ٢٩٠، ٢٩١، وهو أبو بكر محمد بن السـريّ (ت٣١٦) وترجمته في البغيـــة : ١/١٩ ــ ١١٠، ووفيات الاعيان : ٣/٤٦٢ ــ ٤٦٣.
أبو بكر الصديق (رضي اللّه عنه) : ك، ٣٧٦.
أبو بكر (القاضـــي) : ١٤٥.

أبو بكر الكمال السيوطيّ : ١٢ ، ٢٤ ، وهو كمال الدّين آبن محمد بن سابق الدّين آبن الفخر عثمان الخضيريّ الشافعيّ الأسيوطيّ (ت ٨٥٥ هـ) وترجمته في شذرات الذهب : ٧/ ٢٨٤ — ٢٨٥ ، ونظم العقيان : ٩٥ — ٩٨ .

بلباي : ٥ ، وهو الظاهر أبو النصر المؤيّديّ ، من سلاطين دولة المماليك الثانية (ت بعد ٨٧٢هـ) وترجمته في شذرات الذهب : ٧/ ٣١٥ .

البلقينيّ (سراج الدّين) : ١٧ ، ١٨ ، ١٩م ، ٢٠ ، ٢٢ ، وهو شيخ الإسلام عمر بن رسلان الكنانيّ الشافعيّ (ت ٨٠٥ هـ) وترجمته في شذرات الذهب : ٧/ ٥١ .

البلقينيّ (علم الدّين) : ١٦ ، ٢٥٣م ، ٣٢٩ ، ٣٣٢ ، وهو شيخ الإسلام صالح بن عمر بن رسلان (ت ٨٦٨ هـ) وترجمته في حسن المحاضرة : ١/ ٢٥٣ .

بيبرس (الظاهر) : ٤م ، ٩ ، وهو المظفر الجا شنكير المنصوريّ ، من سلاطين دولة المماليك الثانية (ت ٧٠٩ هـ) وترجمته في النجوم الزاهرة : ٨/ ٢٣٢ — ٢٧٦ .

البيضاويّ : ٢٥٤ ، وهو أبو سعيد عبد اللّه بن عمر القاضي (ت ٦٨٥) وترجمته في البداية والنهاية : ١٣ / ٣٠٩ .

البيهقيّ : ١٤٧ ، ١٨١ ، ٢٠٩م ، ٢١٦م ، وهو أبو عبد اللّه أحمد بن الحسين الشافعيّ (ت ٤٥٨ هـ) وترجمته في روضات الجنات : ١/ ٦٩ .

(التاء)

التبريزيّ : ٧٥ ، ٢٢٤ ، ٢٧٦ ، وهو أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب (ت ٥٠٢ هـ) وترجمته في البغية : ٢/ ٣٣٨ .

التجانيّ (أبو عبد اللّه محمد بن أحمد) : ٦٥ .

التفتازانيّ : ٢١ ، ٩٤ ، ١٨٧ ، وهو سعد الدّين مسعود بن عمر (ت ٧٩٣ هـ) وترجمته في البغية : ٢/ ٢٨٥ .

التفهنيّ : ١٢ ، وهو شمس الدّين محمد بن قاضي القضاء زين الدّين التفهنيّ الحنفيّ (ت ٨٤٩هـ) وترجمته في شذرات الذهب : ٧/ ٢٦٥ .

أبو تمّام : ٢٢٤م (ت ٢٣١ هـ) وترجمته في نزهة الألباء : ١٥٥ — ١٥٦ .

تمّام حسّان (الدكتور) : ى .

تمربغا : ٥ ، وهو الظاهر أبو سعيد ، من سلاطين دولة المماليك الثانية (ت ٨٧٩ هـ) وترجمته في آبن إياس : ٢/ ٨٧ و ١٥٦ .

ابن تيمية : ٣٣٢م ، ٣٤٠ (ت ٦٢٢هـ) وترجمته في شذرات الذهب : ٥/ ١٠٢ — ١٣ .

(الثاء)

ثابت بن أبي ثابت (أبو محمد) : ٧٩ ، وهو من كبار الكوفيين ، من أصحاب أبي عبيد ، وترجمته في البغية : ١/ ٤٨١ .

الثعالبيّ : ١٠٦، ٢٢٢، ٢٦٧، ٣٠٦، ٣١٢، ٣٦٨ (ت ٤٢٩ هـ) وترجمته في روضات الجنّات : ٤٦٢ - ٤٦٣.
ثعلب : ٢١٤، ٢٣٣، ٣٦٣ (ت ٢٩١ هـ) وترجمته في البغية : ١/ ٣٩٦ - ٣٩٨.
الثقفيّ (أبو علقمة) : ٢٦٧.

(الجيم)

الجاحظ : ٧٧ (ت ٢٥٥ هـ) وترجمته في تاريخ بغداد : ١٢/ ٢١٢.
الجاربردي : ٩٦، وهو فخر الدّين أحمد بن الحسين الشافعيّ الفقيه (ت ٧٤٦ هـ)، وترجمته في البدر الطالع : ١/ ٤٧.
جار اللّه بن فهد : ٢٠٩، وهو المؤرّخ جار اللّه بن عبد العزيز الهاشميّ (ت ٩٥٤ هـ) وترجمته في شذرات الذهب : ٨/ ٣٠١.
جان بلاط : ٥٥، وهو الأشرف آبن يشبك، من سلاطين دولة المماليك الثانية (ت ٩٠٦ هـ)، وترجمته في آبن اياس : ٢/ ٣٧٠، وشذرات الذهب : ٨/ ٢٨.
جبريل (عليه السلام) : ١٤٧.
أبو الجراح العقيليّ : ٢٦٧.
جرجي زيدان : ٤٣.
الجرميّ : ٢٤٤، ٢٤٥، ٣٧٨، وهو أبو عمر صالح بن إسحاق البصريّ (ت ٢٢٥ هـ) وترجمته في البغية : ٢/ ٨ - ٩.
جرهم : ١٤٧.
ابن الجزريّ : ١٧، وهو شمس الدّين أبو الخير محمد بن محمد الشيرازيّ (ت ٨٣٣ هـ) وترجمته في طبقات الحفّاظ للسيوطيّ : ٣/ ٨٥.
جقمق : ٥٥، وهو سيف الدّين العلائيّ، من ملوك دولة المماليك الثانية (ت ٨٥٧ هـ)، وترجمته في الضوء اللامع : ٣/ ٧١.
ابن جماعة : ١٤٩، وهو عزّ الدّين محمد بن أبي بكر (ت ٨١٩ هـ) وترجمته في البغية : ١/ ٦٣.
الجمحيّ = محمد بن سلام.
ابن أبي الجمراء : ٢١، وهو أبو محمد عبد اللّه بن سعد الأندلسيّ (ت ٦٩٥ هـ)، وترجمته في البداية والنهاية : ١٣/ ٣٤٦.
جميل المعظم : ٤٣.
الجنديّ (الرقباويّ) : ٧٧.
ابن جنّي : ٥٧، ١٠٦، ١٤٢، ١٤٦، ١٦٠م، ١٦١م، ١٦٢، ١٦٣، ١٧٠، ١٨٣، ١٩٥، ١٩٧م، ٢٠٣م، ٢٠٨، ٢٠١، ٢١٦م، ٢٤٤، ٢٦٢، ٢٧٠، ٢٨٩، ٢٩٠م، ٢٩١، ٢٩٣م، ٢٩٤م، ٢٩٥، ٢٩٨، ٢٩٩م، ٣٠١، ٣٠٢م، ٣٠٣م،

٣٠٤م، ٣٠٥م، ٣٠٨، ٣١١، ٣٤٥م، ٣٦٨، ٣٧٣، ٣٨٨ (ت ٣٩٢ هـ)
وترجمته في البغية : ٢/١٣٢.
الجواليقيّ : ٢١٣م، ٢٢١ (ت ٥٣٩ هـ) وترجمته في البغية : ٢/٣٠٨.
الجوجريّ : ٢٨، ٤٨، ١٩٥، ١٩٦، ٣٢٩م، وهو الشمس محمد ابن عبد المنعم بن محمد
(ت ٨٨٩ هـ) وترجمته في البغية : ١/٤٤٦ — ٤٤٨.
ابن الجوزيّ : ٤٢م، ٦٣، ٣٣٦، وهو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي البغداديّ (ت٥٩٧هـ)
وترجمته في البداية والنهاية : ١٣/٢٨.
الجوهريّ : ٧٥، ١٠٩، ١٢٣، ١٤٧، ٢٢٧، ٢٣٢م، ٢٦٩، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١م،
٢٨٣، ٢٩٣، ٣٢٦، ٣٦٨ (ت ٣٩٣ هـ) وترجمته في البغية : ١/٤٤٦ — ٤٤٨.
الجينينيّ: ٣٥٠م، ٣٥١م، وهو أبو إسحاق إبراهيم بن سليمان الحنفيّ (ت ١١٠٨هـ)،
وترجمته في معجم المطبوعات : ١/٧٢٩.

(الحـــاء)

ابن أبي حاتم : ١٤٦، وهو عبد الرحمن بن محمد بن إدريس التميميّ (ت ٣٢٧ هـ) وترجمته
في تذكرة الحفّاظ : ٣/٤٦.
أبو حاتم السجستانيّ : ١٢٣، ٢٢٨، وهو سهل بن محمد بن عثمان الجشميّ (ت ٢٥٠ أو
٢٥٥ هـ) وترجمته في البغية : ١/٦٠٦ — ٦٠٧.
ابن الحاجب : ٢٠، ٨٨م، ١٤٥ (ت ٦٤٦هـ) وترجمته في البغية : ٢/١٣٤.
حاجي خليفة : ٣٧م، ٤٢، ٤٤، ٥٣، ٥٥، ٥٦، ٦٠م، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥،
٦٦، ٦٨م، ٧٢م، ٧٣، ٧٤، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٨٠، ٨١، ٨٣م، ٨٥،
٨٦، ٨٧، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣م، ٩٤، ٩٥م، ٩٦م، ٩٧م، ٩٨م، ٩٩،
٢٣٣ (ت ١٠٦٧ هـ) وترجمته في مقدمة كشف الظنون، ومعجم المطبوعات : ١/٧٣٢.
الحارث بن وعلة الجرميّ : ٢٢٤، وهو الشاعر الجاهليّ (ت ؟) وترجمته في الأغاني
١٥/٧١ — ٧٥، والمؤتلف والمختلف : ١٩٦.
الحاكم (صاحب المستدرك) : ١٤٧، ٣١٦، وهو الحاكم النيسابوريّ محمد بن محمد
محدّث خراسان في عصره (ت ٣٧٨ هـ) وترجمته في نكت الهميان : ٢٧٠.
الحاكم بأمر الله : ٩٠.
الحامض (أبو موسى) : ٢٤٣، وهو سليمان بن محمد البغداديّ (ت ٣٠٥هـ) وترجمته
في إنباه الرواة : ٢/٢١.
الحجّار : ١٧٠.
ابن حجر العسقلانيّ : ١٢، ١٦، ٢٥٤، ٣٣٠، ٣٤٠م، ٣٨١ (ت ٨٥٢) وترجمته في
حسن المحاضرة : ١/٢٠٦ — ٢٠٨.

ابن حجّة الحمويّ: ١٦٨ (ت ٨٣٧ هـ) وترجمته في الضوء اللامع: ١١/٥٣.
الحريريّ (صاحب المقامات): ٢٢٠، ٢٣٥ (ت ٥١٦ هـ) وترجمته في روضات الجنّات: ١/٥٢٧.
أبو الحسن الأعرابيّ: ٢٦٧.
أبو الحسن البطليوسيّ: ١١٥م.
حسن خان = صديق حسن خان.
أبو الحسن بن داود بن حسن القرشيّ: ٢٩٠، وهو المقرئ النحويّ المعروف بالنقّار الكوفيّ (ت ٣٥٢ هـ) وترجمته في إيضاح المكنون: ١/٩٣.
حسن عون (الدكتور): ٣٤٠، ٣٥٨.
الحسنيّ = الرديني.
حسين نصّار (الدكتور): ٨٠، ٩٧.
الحضرميّ = يعقوب بن إسحاق.
حمد الجاسر: ٤٢، ٤٣م.
حمزة بن حبيب (القارئ): ٢٠١ (ت ١٥٦ هـ) وترجمته في تهذيب التهذيب: ٣/٢٧.
حمزة بن حسن الأصبهاني: ٢٢٢، ٣١٢ (ت ٣٦٠ هـ) وترجمته في إنباه الرواة: ١/٣٣٥.
الحمصيّ (السراج): ١٢، وهو القاضي محمد بن محمد الحنبليّ (ت ٨٥٥هـ) وترجمته في شذرات الذهب: ٧/٢٨٦.
الحمويّ = ياقوت.
أبو حيّان الأندلسيّ: ٢١٥م، ٢١٩، ٢٣١م، ٢٣٢، ٢٣٤م، ٢٤٣م، ٣١٨، ٣٧٦، ٣٨١ (ت ٧٤٥ هـ) وترجمته في البغية: ١/٢٨٠ ـ ٢٨٥.

(الخاء)

ابن خالويه: ٨٦م، ١٢٤، ٢٢٠، ٢٢٥، ٣١٢ (ت ٣٧٠ هـ) وترجمته في البغية: ١/٥٢٩ ـ ٥٣٠.
الخانجيّ (محمد أمين الكتبيّ): ٣٢٧.
خُشْقَدَم: ٥٥، وهو الظاهر أبو سعيد، من سلاطين دولة المماليك الثانية (ت ٨٧٢ هـ) وترجمته في ابن إياس: ٢/٧٠.
أبو الخطّاب (الأخفش): ٣٧٦، وهو الأخفش الأكبر عبد الحميد بن عبد المجيد (ت ١٧٧هـ) وترجمته في البغية: ٢/٧٤.
الخطيبيّ = محي الدّين.
ابن خلّاد: ١٧٩، وهو أبو علي الحسن بن عبد الرحمن (ت ٣٦٠ هـ) وترجمته في تذكرة الحفّاظ: ٣/٩٠٥ ـ ٩٠٧.

ابن خلدون : ٣٨١ (ت ٨٠٨ هـ) وترجمته في الضوء اللامع : ٤/١٤٥ ـ ١٤٩ .
الخليل بن أحمد : ٨٩ ، ١٥٧ ، ٢٠٢م ، ٢١٦ ، ٢٢١ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٩٥ ، ٢٩٩م ، ٣١٥ ، ٣٦٨ ، ٣٧٦ ، ٣٧٨ (ت ١٧٠ هـ) وترجمته في البغية : ١/٥٥٧ ـ ٥٦٠ .
خليل بن محمود : ٦١ ، ناسخ كتاب المعاني الدّقيقة في إدراك الحقيقة للسيوطيّ (نسخة قسم المخطوطات بجامعة الرياض) عاش في القرن الثاني عشر الهجريّ .
الخوانساريّ (صاحب روضات الجنّات) : ١٦ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٦٠ ، ٩٣ ، ٩٨ (ت ١٣١٣هـ) وترجمته في إيضاح المكنون : ١/٣٣ .
الخيضريّ : ٢٠٨م ، وهو أبو عبد اللّه محمد بن محمد (ت ٨٩٤هـ) وترجمته في نظم العقيان : ١٦٢ .
أبو الخير : ٣٧١ .

(الدال)

الدّاودي = محمد بن علي المصري .
داود الجلبيّ (الدكتور) : ٨٧ .
ابن دحية : ١٤٧ ، وهو عمر بن الحسن الكلبيّ (ت ٦٣٣هـ) وترجمته في شذرات الذهب : ٥/١٦٠
ابن درستويه : ١٢١م ، ٣٦٢م ، ٣٦٣م ، وهو أبو محمد عبد اللّه بن جعفر آبن المرزبان (ت ٣٤٧) وترجمته في البغية : ٢/٣٦ .
ابن دريد : ٧٥ ، ٩٧ ، ١٢٣ ، ١٤٧ ، ٢٠٣م ، ٢٠٤م ، ٢١٢ ، ٢١٧ ، ٢٢٢ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٥ ، ٢٦٩ ، ٢٧١م ، ٢٧٢م ، ٢٨٥ ، ٢٨٧ ، ٣٠٥م ، ٣١٢ (ت ٣٢١ هـ) وترجمته في البغية : ٧٦ ـ ٨١ .
الدّميريّ (كمال الدّين) : ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٢٩م ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ (ت ٨٠٨ هـ) وترجمته في حسن المحاضرة : ١/٢٠٧ .
ابن أبي الدّنيا : ١٨١ ، وهو أبو محمد عبد اللّه بن محمد (ت ٢٨١هـ) وترجمته في طبقات الحفاظ : ٢/٦٧٧ ـ ٦٧٩ .
الدؤلـيّ (أبو الأسود) : ٥٦ ، ٣٧٨ ، وهو ظالم بن عمرو (ت ٦٩ هـ) وترجمته في صبح الأعشى : ٣/١٦١ .
الديلميّ : ١٤٦ ، ١٨١ ، وهو محمد بن الحسن (ت ٧١١) وترجمته في الأعلام : ٦/٣١٨ .
الدّيميّ (الفخر) : ٣٢٩ ، وهو أبو عمرو عثمان بن محمد الحافظ (٩٠٨) وترجمته في الضوء اللامع : ٥/١٤٠ .

(الـذال)

أبو ذرّ الغفاريّ (الصحابيّ) : ٣١٥ ، وهو جندب بن جناده (ت ٣٢هـ) وترجمته في طبقات ابن سعد : ١/ ٢١٩ ـ ٢٣٧ .
الذهبيّ (الحافظ) : ٣٣٤م ، وهو شمس الدّين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ) وترجمته في نكت الهميان : ٢٤١ .

(الـــراء)

الرّازي = ابن فارس .
الرقباويّ = الجنديّ .
الرديني (الحسنيّ) : ٣٥٠ .
الرشيد (الخليفة) : ٣١٢ ، وترجمته في البداية والنهاية : ١٠/ ٢١٣ .
رمضان عبد التواب (الدكتور) : ل ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٧٩ .
ذو الرّمّة : ٢٧٥ ، وهو غيلان بن عقبة السدويّ الشاعر (ت ١١٧) وترجمته في الموشّح : ٢٧٠ .
رودلف برونو (المستشرق) : ٣٢٠ .
ابن الرّوميّ : ٢٣٥ ، وهو عليّ بن العبّاس بن جريج الشاعر (ت ٢٨٣هـ) وترجمته في تاريخ بغداد : ١٢/ ٢٢ .

(الـــزاي)

الزبيدي : ٧٥ ، ١٢٣ ، ٢٢٧ ، ٢٦٤م ، وهو أبو بكر محمد بن الحسن الاشبيليّ النحويّ (ت ٣٧٩ هـ) وترجمته في البغية : ١/ ٨٤ ـ ٨٥ .
الزجاجيّ : ٢١ ، ٥٩ ، ٧٩ ، ٣٧٦ ، وهو أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (ت ٣٣٩ أو ٣٤٠) وترجمته في البغية : ٢/ ٧٧ .
أبو زرعة العراقيّ : ١٧ ، وهو وليّ الدّين أحمد بن عبد الرحيم ، قاضي الدّيار المصريّة (ت ٨٢٦هـ) وترجمته في الضوء اللامع : ١/ ٣٣٦ ـ ٣٤٤ .
الزركشيّ : ١٢ ، ٥٤ ، ١٤٦م ، وهو بدر الدّين محمد بن بهادر المنهاجيّ (ت ٧٩٤ هـ) ، وترجمته في حسن المحاضرة : ١/ ١٨٥ .
الزركليّ (صاحب الأعلام) : ٤٤ ، ١٢٧ (ت ١٣٩٧هـ) وترجمته في الأعلام نفسه : ١٠/ ٢٥٧ .
زكريا القاضي : ٢٠٩ ، وهو أبو يحيى الانصاري الشافعي (ت ٩٢٦ هـ) وترجمته في الكواكب السائرة : ١/ ١٩٦ .
الزمخشريّ : ١٠٦ ، ١٨١ (ت٥٣٨هـ) وترجمته في البغية : ٢/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠ .

أبو زيد = الأنصاري ٠
السبكيّ : ١٩٩

(الســـــين)

السبكيّ : ١٩٩، وهو بهاء الدّين علي (ت ٧٦٣هـ) وترجمته في البغية : ١/٣٤٢ ـ ٣٤٣٠
ابن السبكيّ : ١٤٥، ١٤٦، ١٩٤، وهو تاج الدّين عبد الوهاب بن عليّ (ت ٧٧١هـ) وترجمته في حسن المحاضرة : ١/١٨٢٠
السجستانيّ = أبو حاتم ٠
السخاويّ : ٢٩، ٤٤، ٤٨، ٢٠٨م، ٣٢٩م، ٣٣٠م، ٣٣١م، ٣٣٢م، ٣٣٣، ٣٣٦، ٣٣٩، ٣٤٣م، ٣٤٩م، ٣٥٩، ٣٨١، وهو أبو عبد اللّه شمس الدّين (ت ٩٠٢ هـ) وترجمته في نظم العقيان : ١٥٢ ـ ١٥٣٠
السـراج = أبو بكر ٠
السـراج = الحصريّ٠
سركيـس : ٤١، ٤٣، ٦١، ٦٥، ١٢٧، ٣١٥، وهو يوسف بن إليان صاحب معجـم المطبوعات (ت ١٣٥١هـ) وترجمته في معجم المطبوعات نفسه : ٢/١٠٢٢٠
ابن السّريّ = أبو بكر السـرّاج ٠
ابن أبي السعادات : ١٣، وانظر : نظم العقيان : ٢٠ ٠
سعد الدّين = التفتازانيّ ٠
سعيد الأفغانيّ : ٣٣٩، ٣٤٢م، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٧، ٣٤٨م، ٣٤٩٠
سعيد بن أوس الأنصاريّ = الأنصاريّ ٠
سعيد بن جبير : ٣١٥، ٣٦٩، وهو أحد أعلام التابعين (ت ٩٥) وترجمته في تهذيب التهذيب : ٤/١١٠
ابن السّكّيت : ٧٥، ١٠٦، ٢١٢م، ٢١٧، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٣٠، ٢٦٦، ٢٧١، ٢٦٩، ٣٧٨ (ت ٢٤٣ هـ أو ٢٤٤ هـ) وترجمته في البغية : ٢/٣٤٩٠
السلفيّ (الحافـظ أبو طاهر) : ٢٠٦ (ت ٥٧٦ هـ) وترجمته في شذرات الذهـب : ٤/٢٥٥٠
سـلمة : ٣٦٦م، وهو أبو محمد ابن عاصم النحويّ (ت ٣١٠ هـ) وترجمته في ابن سعد : ٤/٣٨٠
سليمان بن حمزة : ١٧، وهو تقيّ الدّين المقدسيّ (ت ٧١٥هـ) وترجمته في الدّرر الكامنـة : ٢/١٤٦٠
سليمان بن داود (عليهما السلام) : ٣٧٢٠

السمؤال : ١٥٣ ، وهو الشاعر الجاهليّ الحكيم (ت نحو ٦٥ ق٠هـ) وترجمته في تاريخ العرب قبل الإسلام : ٢٦٩/٣ ـ ٢٧٣ ٠
السهيليّ : ١٤٩ ، ٢٣٩ ، وهو أبو زيد عبد الرحمن ابن عبد الله الأندلسيّ المالقيّ النحويّ (ت ٥٨١ هـ) وترجمته في إنباه الرواة : ١٦٢/٢ ٠
سيبويه : ٨٩ ، ١٢١ ، ١٣٢ ، ١٦١ ، ٢١٤م ، ٢١٧ ، ٢٣٨م ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٥٥ ، ٢٩٥ ، ٢٩٩ ، ٣٦٢ ، ٣٦٨ ، ٣٧٦م ، ٣٧٨ (ت ١٨٠ هـ) وترجمته في طبقات النحويّين : ٦٦ ـ ٧٤ ٠
ابن سيده : ٢٦٧ ، ٢٦٨ (ت ٤٥٨ هـ) وترجمته في معجم الأدباء : ٨٤/٥ ـ ٨٦ ٠
السيرافيّ (أبو سعيد) : ٢٥٠ ، وهو الحسن بن عبد الله بن المرزبان (ت ٣٦٨هـ) وترجمته في إنباه الرواة : ٣١٣/١ ٠
السيراميّ : ٢٠م ، وهو شمس الدّين يحيى السيراميّ (ت ٨٧١ هـ) وترجمته في المنجم في المعجم : ق ٣٢/أ ٠

(الشين) ٠

أبو بكر الشاشيّ : ٨١ ، وهو المستظهريّ فخر الإسلام محمد بن أحمد بن الحسين رئيس الشافعيّة بالعراق في عصره (ت ٥٠٧ هـ) وترجمته في طبقات السبكيّ : ٥٨/٤ ٠
الشاطبيّ (إمام القرّاء) : ٧٢ ، ٧٣ ، ٢٣٥ (ت ٥٩٠ هـ) وترجمته في معجم الأدباء : ١٨٤/٦ ٠
الشافعيّ (الإمام) : ١٨٤ (ت ٢٠٤ هـ) وترجمته في تذكرة الحفّاظ : ٣٦١/١ ـ ٣٦٣ ٠
الشافعيّ = الأسيوطيّ ٠
الشبليّ الحنفيّ : ٢١ ، وهو تقيّ الدّين أبو الأنوار (ت ٨٨٣هـ) وترجمته في حسن المحاضرة : ١٨٩/١ ٠
الشحنة = عبد البرّ ٠
الشرف الدمياطيّ : ١٧ ، وهو أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الحافظ (ت ٧٠٥ هـ) وترجمته في الدّرر الكامنة : ٤١٧/٢ ٠
الشرف ابن الكويك : ١٧ ، وهو عزّ الدّين أبو اليمن محمد بن عبد اللّطيف الرّبعيّ التكريكيّ (ت ٧٩٠ هـ) وترجمته في شذرات الذهب : ٣١٤/٦ ٠
الشرف المناويّ : ١٦ ، وهو قاضي القضاة أبو زكريا يحيى بن محمد المناويّ الشافعيّ ، جدّ الشيخ عبد الرؤوف المناويّ (ت ٨٧١ هـ) وترجمته في شذرات الذهب : ٣١٢/٧ ٠
الشعرانيّ : ١٦ ، ٢٨ ، ٣٠ ، وهو أبو محمد عبد الوهاب الحنفيّ الصّوفيّ (ت ٩٧٣هـ) وترجمته في شذرات الذهب : ٣٧٢/٨ ـ ٣٧٤ ٠

شمر بن حمدويه الهرويّ : ٢٦٣م (ت ٢٥٥ هـ) وترجمته في البغية : ٢/ ٤ ـ ٥ .
الشمّنيّ : ١٨ ، ١٩ م ، ٢٠ ، وهو تقيّ الدّين أحمد بن محمد الحنفيّ (ت ٨٧٢هـ) ، وترجمته في البغية : ١/ ٣٧٥ ـ ٣٧٩ .
الشنقيطيّ = أحمد بن الأمين .
الشنقيطيّ = محمد محمود بن التلاميد التّركزيّ .
الشنوانيّ : ٦٩م ، ٧١م ، وهو أبو بكر بن إسماعيل بن شهاب الدّين التونسيّ النحويّ (ت ١٠١٩هـ) وترجمته في الخطط الجديدة : ١٢/ ١٤١ .
الشهاب الصنهاجيّ : ١٢ ، وهو عثمان بن سليمان (ت ٨٢٥ هـ) وترجمته في شذرات الذهب : ٧/ ١٧٠ ـ ١٧١ .
شهاب الدّين القسطلانيّ : ٣٢٩ ، وهو أبو العبّاس أحمد بن محمد الحافظ (ت ٩٢٣هـ) وترجمته في البدر الطالع : ١/ ١٠٢ ـ ١٠٣ .
شوقي ضيف (الدكتور) : ى ، ٣٣٦ .
الشوكانيّ (صاحب البدر الطالع) : ٥٣ ، ٣٣٠ ، ٣٣١م ، ٣٣٢م ، ٣٣٤ (ت ١٢٥٠ هـ) وترجمته في البدر الطالع نفسه : ٢/ ٢١٤ ـ ٢٢٥ .
الشيبانيّ (أبو عمرو) : ٧٥ ، ٢٧١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٣٧٦ (ت ٢٠٦ هـ) وترجمته في نزهة الألباء : ٩٣ ـ ٩٦ .
شيذلة = عزيزي بن عبد الملك .
الشيرازيّ : ٣٧٨ ، وهو قطب الدّين محمود بن مسعود (ت ٧١٠ هـ) وترجمته في البغية : ٢/ ٢٨٢ .

(الصاد)

صبحي الصالح (الدكتور) : ٨١ ، ٨٤ ، ٣٣٥ .
الصّبيريّ (جمال الدّين) : ٤٤م ، وهو أبو عبد اللّه محمد المهديّ ابن عليّ ابن إبراهيم (ت ٨١٥) وترجمته في شذرات الذهب : ٧/ ١١١ .
صديق حسن خان : ٦٠ ، ١٠٨ ، ٣٢٤ ، وهو محمد صديق خان بن حسن بن عليّ بن لطف اللّه الحسينيّ البخاريّ القنوجيّ (ت ١٣٠٧هـ) وترجمته في تاريخ آداب اللّغة : ٤/ ٦٠٢ .
ابن الصّلاح : ٢٢ ، ١٧٨ ، ١٨١ ، ١٩٤ ، وهو تقيّ الدّين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوريّ (ت ٦٤٣هـ) وترجمته في تذكرة الحفّاظ : ٤/ ١٤٣٠ ـ ١٤٣٣ .
صلاح الدّين الصفديّ : ١٦٨ ، وهو خليل بن أيبك المؤرّخ الأديب (ت ٧٦٤ هـ) وترجمته في الدّرر الكامنة : ٢/ ٨٧ .

الصّيرفيّ (أبو الحسن) : ٢٠٦ ، وهو يحيىٰ بن محمد الانصاريّ (ت ٥٥٧ هـ) وترجمته في البغية : ٢/٣٤٣.
الصيمريّ = عبّاد بن سليمان .

(الطاء)

الطبريّ (أبو جعفر) : ٣٧٨ (ت ٣١٠ هـ) وترجمته في معجم الأدباء : ٦/٤٢٣.
الطلمنكيّ (أبو عمرو) : ٢٦٨ (ت ٤٢٩ هـ) وترجمته في غاية النهاية : ١/٢٠.
ابن طولون : ٣٦.
طومان باي بن قانصوه الأشرفيّ : ٥ ، وهو أبو النصر الأشرف ، من سلاطين دولة المماليك الثانية (ت ٩٢٣ هـ) وترجمته في ابن إياس : ٣/٦٨ - ١١٦.
أبو الطيّب اللّغوي : ١٩٤، ٢٢٢م ، ٢٣٠م، ٢٥٠ (ت ٢٥١هـ) وترجمته في البغية : ٢/١٢٠.
أبو طيبة الأعرابيّ : ٢٦٧.

(الظاء)

ابن ظهيرة (برهان الدّين) : ١٣ ، وهو أبو إسحاق إبراهيم بن عليّ ، قاضي مكة (ت ٨٩١هـ) وترجمته في نظم العقيان : ١٧.

(العين)

عاصم (القارئ) : ٢٠١ ، وهو عاصم بن أبي النجود (ت ١٢٧ هـ) وترجمته في ابن عساكر : ٧/١١٩.
ابن عامر (القارئ) : ٢٠١ ، وهو عبد اللّه بن عامر اليحصبيّ (ت ١١٨هـ) وترجمته في تهذيب التهذيب : ٥/٢٧٤.
عبّاد بن سليمان (الصّيمريّ) : ١٤٣م ، ٢٢٠م، ٢٠١.
ابن عبّاس (حبر الأمّة) : ١٤١ ، ٣١٥، ٣١٦م، ٣٦٩ (ت ٦٨ هـ) وترجمته في نكت الهميان : ١٨٠ - ١٨٢.
أبو العبّاس = المبرّد .
عبّاس الغيّاط : ٢٦٤.
العبّاس بن محمد الدّوريّ : ٢٠٦ (ت ٢٧١ هـ) وترجمته في البغية : ٢/٢٨.
عبد بن حميد : ١٤٦ ، وهو عبد الكسيّ (ت ٢٤٩ هـ) وترجمته في تذكرة الحفّاظ : ٢/١٠٤.
عبد الأعلىٰ بن عبد اللّه بن عامر : ٢٠١.
عبد البرّ (الشحنة) : ٤٨، ٨١ ، وهو سرّي الدّين ابن الشحنة الحلبيّ (ت ٩٢١هـ) وترجمته في أعلام النبلاء : ٥/٣٨١.

عبد الجليل الصابونيّ (أبو القاسم) : ١٤٥ ، ١٤٦ .
عبد الجواد الأصمعيّ : ١١٧ .
ابن عبد الحكم : ٣٧١ .
عبد الحميد أحمد حمّاد : ى ، ك .
عبد الرحمن اللّحنة : ٢٦٤ .
عبد السلام هارون : ١١٢ ، ١١٤ ، ١٢٠ ، ٢٢٩ ، ٢٣٣ ، ٣٥٣ .
عبد السلام الهراس : ك ، ٢٥٦ .
عبد الصبور شاهين (الدكتور) : ٣٣٨ .
عبد العزيز برهام (أستاذنا الدكتور) : ى ، ل .
عبد الغنيّ بن سعيد : ٢٠٦ (ت ٤٠٩ هـ) وترجمته في وفيات الأعيان : ٢/ ٣٩٠ ـ ٣٩١ .
عبد الفتاح السمار : ٩١ .
عبد القادر ابن أبي القاسم الأنصاريّ المالكي : ١٩م ، وهو محي الدّين حفيد قاضي القضاة محي الدّين الأنصاريّ ، وترجمته في البغية : ٢/ ١٠٤ ـ ١٠٥ .
عبد القاهر : ٢١٦ ، وهو أبو بكر عبد القاهر الجرجانيّ ، واضع أصول البلاغة (ت ٤٧١ هـ) وترجمته في البغية : ٢/ ١٠٦ .
عبد اللّه الجبوريّ : ٨٠ .
عبد اللّه الحاكم : ٢٠٦ ، وهو محمد بن عبد اللّه بن محمد بن حمدون النيسابوريّ الحافظ (ت ٤٠٥) وترجمته في شذرات الذهب : ٣/ ١٧٦ ـ ١٧٧ .
عبد اللّه الحجازيّ : ١١٥م .
عبد اللّه بن صالح : ٣٧١ .
عبد اللّه بن المعتزّ : ٢٣٥ ، وهو أبو العبّاس عبد اللّه بن محمد المعتزّ باللّه الشاعر (ت ٢٩٦ هـ) وترجمته في تاريخ بغداد : ١٠/ ٩٥ .
عبد الملك بن مروان : ٥٦ ، ١٦٦ (ت ٨٦ هـ) وترجمته في تاريخ بغداد : ١٠/ ٣٨٨ .
عبد الهادي الفضلي (الدكتور) : ى .
عبد الواحد اللّغوي = أبو الطّيّب .
عبد الوهاب بن حمد بن عليّ الحنفيّ (أبو محمد) : ٣٢٤ .
عبد الوهاب حمودة : ٤٣ ، ٣٥٨ .
عبد الوهاب عبد اللّطيف : ٣٢٦ .
أبو عبيد : ٧٥ ، ١٢٣ ، ٢٠٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٧ ، ٢٦٢م ، ٢٦٣ ، ٢٦٤م ، ٢٦٦ ، ٢٦٧م ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٥ ، ٢٧٨م ، ٢٨٤م ، ٢٨٧ ، ٣١٣ ، ٣٨٨ (ت ٢٢٣ هـ) وترجمته في البغية : ٢/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤ .

أبو عبيدة : ٧٩، ٢٧٦م، ٢٧٧م، ٢٧٨، ٣٦٩، ٣٧٨، (ت ٢٠٩ أو ٢١٠ أو ٢١١ أو ٢١٣)
وترجمته في البغية : ٢/ ٢٩٤ - ٢٩٦.
أبو العتاهية : ٢٣٥، وهو أبو إسحاق العينيّ الشاعر (ت ٢١١) وترجمته في تاريخ بغداد : ٦/ ٢٥٠.
عثمان (رضي الله عنه) : ٢٠١م.
عثمان بن جقمق : ٥، وهو المنصور ابن الظاهر جقمق، من ملوك دولة المماليك الثانية (ت ٨٩٢)
وترجمته في ابن اياس : ٢/ ٣٧.
عثمان بن صالح : ٣٧١.
أبو عثمان = المازنيّ.
عدنان محمد سلمان (الدكتور) : ى، ك، ل، ٥، ٣٧، ٣٨، ١٢٧، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٩، ٢٥٦.
العديس الكنانيّ : ٢٦٧.
العزّ الحنبليّ : ١٦، ٢٢.
العزّ المقدسيّ : ١٢.
عزة حسن (الدكتور) : ٧٣، ١٣٣.
عزّ الدّين التنوخيّ (الدكتور) : ٢٣٠.
عزيزي بن عبد الملك (شيذلة) : ٢١٧م، وهو أبو المعاليّ الجيليّ الواعظ عزيزي بن عبد الملك ابن منصور (ت ٤٩٤هـ) وترجمته في طبقات الشافعيّة : ٣/ ٢٨٧.
ابن عساكر : ١٤٦، ١٤٧، ١٤٩، ٣٧٨، وهو أبو القاسم علي بن الحسن هبة الله (ت ٥٧١)
وترجمته في دائرة المعارف الإسلاميّة : ١/ ٢٣٧.
العسكريّ : ٣١٦، وهو أبو هلال حسن بن عبد الله اللّغويّ (ت بعد ٣٩٥) وترجمته في معجم الأدباء : ٣/ ١٣٥.
عطاء (ابن أبي رباح) : ٣٦٩، وهو عطاء بن أسلم بن صفوان، من أجلاّء الفقهاء (ت ١١٤)
وترجمته في نكت الهميان : ١٩٩.
عكرمة : ٣١٦، ٣٦٩، وهو عكرمة بن عبد الله البربريّ - مولى عبد الله بن عبّاس، وعالم بالتفسير والمغازي (ت ١٠٥ هـ) وترجمته في تهذيب التهذيب : ٧/ ٢٦٣ - ٢٧٣.
العكليّ (أبو حزام) : ٣١٢.
أبو العلاء = المعرّيّ.
أبو علقمة = الثقفيّ.
العلقميّ : ٣٣٦.

علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) : ٥٦ ، ٣٧٩.
علي بن إبراهيم : ٣١٥.
علي بن أحمد بن الصباح : ٣١٢ (ت ٧٠٣ هـ) وترجمته في العقود اللؤلؤية : ١/ ٣٥٣ـ٣٥٥.
علي بن إسماعيل الأشعري = الأشعري.
علي سامي النشّار (الدكتور) : ٣٤٠ ، ٣٥٣.
علي صافي حسين (الدكتور) : ٥٥.
علي بن عبد العزيز : ٢٦٤ ، هكذا غير منسوب في سائر ما رجعنا إليه من كتب التراجم ، توفي سنة ٢٨٧هـ ، وترجمته في نزهة الألباء : ٢١٦.
أبو علي = الفارسيّ.
علي محمد البجاوي : ٦٢ ، ١١١ ، ٣٥٠.
علي محمد عمر : ٣٤.
ابن العليف : ٢٨ ، ٣٢٩ ، وهو أبو عبد الله أحمد بن الحسين المكي (ت ٩٢٦هـ) وترجمته في النور السافر : ١٢٦.
عمارة بن عقيل : ٣٦٧ ، وهو ابن عقيل بن بلال بن جرير اليربوعيّ التميميّ الشاعر (ت ٢٣٩ هـ) وترجمته في تاريخ بغداد : ١٢/ ٢٨٢.
عمر القبّانيّ : ٩١.
ابن العماد : ٣٦ ، ٤٤ ، ٢٠٩م ، وهو أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد الحنبليّ ، مصنّف شذرات الذهب في أخبار من ذهب (ت ١٠٨٩هـ) وترجمته في تاريخ آداب اللغة : ٣/ ٣١٠.
عمران بن حطّان : ٣٦٧ ، وهو أبو سماك السدوسيّ الشيبانيّ الشاعر الخطيب المحدّث (ت ٨٤هـ) وترجمته في ميزان الاعتدال : ٢/ ٢٧٦.
أبو عمرو الشيبانيّ : ٢٤٤ ، ٢٤٥م ، ٢٦٧ ، ٣٧٦ (ت ٢٠٦ أو ٢١٠هـ) وترجمته في البغية : ١/ ٤٣٩ ـ ٤٤٠.
أبو عمرو = الطلمنكيّ.
أبو عمرو بن العلاء : ١٢٥م (ت ١٥٤ هـ) وترجمته في نزهة الألباء : ٢٤ـ ٢٩.
عنبسة الفيل : ٣٧٨ ، وهو عنبسة بن معدان المهريّ ، صاحب أبي الأسود الدؤلي (ت ؟) وترجمته في البغية : ٢/ ٢٣٣ ، وإنباه الرواة : ٢/ ٣٨١ ـ ٣٨٢ ، ومراتب النحويّين : ١١ ـ ٢١.
عوف بن سلم الخزاعيّ (أبو المنهال) : ٢٣٥ ، وهو أحد العلماء الأدباء الرواة الشعراء الذين اختصّهم طاهر بن الحسين لمنادمته (ت ٢٢٠ هـ) وترجمته في فوات الوفيات : ٢/ ١١٨.
العيدروسيّ : ١٣ ، ٧٢ ، ٩٨ ، وهو محي الدين عبد القادر بن شيخ ، مصنّف النور السافر من أخبار القرن العاشر (ت ١٠٣٨هـ) وترجمته في خلاصة الأثر : ٢/ ٤٤٠.

عيسى بن عمر: ٢٧٥، ٢٧٦، ٣٧٨ (ت ١٤٩هـ) وترجمته في البغية : ١/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨.
العينيّ : ٢٣٦، ٣٨١، وهو بدر الدّين محمود الحنفيّ المؤرّخ المحدّث النحويّ (ت ٨٥٥هـ) وترجمته في شذرات الذهب : ٧/ ٢٨٦.

(الغـــين)

غالي بن عثمان بن جنّي : ٢٠٧، وهو أبو سعد بن أبي الفتح النحويّ ابن النحوي (ت٤٥٧ أو ٤٥٨) وترجمته في البغية : ٢/ ٢٤ (باسم عالي بن عثمان).
الغزالـــي : ١٨٤ (ت ٥٠٥ هـ) وترجمته في شذرات الذهب : ٤/ ١٠ ـ ١٣.
غصـــون : ١٤، ٣٨١، وانظر : شرح عقود الجمان للسيوطي : ١١٤.
الغوري : ٥، ٢٦، ٣٠، وهو قانصوه بن عبد الله الظاهري، من سلاطين دولة المماليـــك الثانية (ت ٩٢٢هـ) وترجمته في ابن إياس : ٣/ ٥٨.
غياث الدين نظام الملك : ٨١.

(الفـــاء)

الفارابـــي : ٧٥، ١١٣، ٢٢٧، ٢٣١م، ٢٣٢م، ٢٦٢، ٢٧٠، ٢٧٩م، ٢٨٠، ٢٨١م، ٢٨٢، ٢٨٣م، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧م، ٣٧٨، ٣٨٨ (ت ٣٥٠ هـ) وترجمته في البغية : ١/ ٤٢٧ ـ ٤٣٨.
ابن فارس (الرازيّ) : ٦٣، ٧٥، ٩٣، ١٠٠، ١٠١م، ١٠٦، ١٢٣، ١٤١، ١٤٢م، ١٧١، ١٨٣، ٢١٠، ٢١١م، ٢١٤م، ٢٢٠م، ٢٢١، ٢٢٧، ٢٢٨م، ٢٢٩، ٢٦٦، ٢٧٤، ٣٠٦، ٣٠٧م، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠م، ٣١١م، ٣١٢م، ٣١٣م، ٣١٤م، ٣١٥م، ٣١٦م، ٣٢٠، ٣٥٠، ٣٥٨، ٣٦٨، ٣٧٣، ٣٧٦م، ٣٧٧م، ٣٨٨ ـ (ت ٣٩٥هـ) وترجمته في البغية : ٢٥٢ـ ٣٥٣.
الفارسي (أبو علـــي) : ١٤٢، ١٩٤م، ١٩٥، ١٩٧، ٢٣٢، ٢٤٤، ٣٠١، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٦٢ (ت ٣٧٧ هـ) وترجمته في البغية ١ / ٤٩٦ـ ٤٩٨.
ابن الفالاتي : ٣٣٢، وهو شمس الدين محمد بن علي (ت ٨٧٠ هـ) وترجمته في شـــذرات الذهب ٧/ ٣١١.
أبو الفتح = ابن برهان.
فخر الدّين (الإمام) : ١٩٦، ٣٦٩، وهو أبو عبد الله محمد بن عمر التيميّ البكري الإمام المفسّر فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) وترجمته في لسان الميزان : ٤/ ٤٢٦.
الفرّاء : ٢٦٧، ٢٧٤، ٣٦٦م، ٣٦٩ (ت٢٠٧هـ) وترجمته في البغية : ٢/ ٣٣٣.
أبو الفرج = الأصبهانيّ.

فرعون : ٠٣٦٦
أبو الفضل العراقي (الحافظ) : ١٧
ابن فضل الله العمري ، ٢٣ ، ١٦٨ ، وهو شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت ٧٤٩هـ) وترجمته في النجوم الزاهرة : ١/ ٠٢٣٤
أبو القمص الأعرابي : ٠٢٦٧
ابن فورك : ١٤٣ ، وهو أبو بكر محمد بن الحسن الأنصاري الأصبهاني المحدّث الفقيه الأصولي (ت ٤٠٦ هـ) وترجمته في النجوم الزاهرة : ٤/ ٠٢٤٠
الفيروز آبادي : ٧٥ ، ٩٣ ، ١٢٣ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٦٩ (ت ٨١٧هـ) وترجمته في البغية : ١/ ٢٧٣ - ٠٢٧٥
فيليب حتى (الدكتور) : ٠٥٣
الفيومي (محمد بن سلام) : ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٧ ، ١٢٧ ، ٠١٢٨

(القـــاف)

ابن قاسم : ٠٣٣٢
القاسم بن سلام = أبو عبيد ٠
أبو قاسم بن كج : ١٩٤ ، وهو القاضي يوسف بن أحمد الدينوري (ت ٥٠٤هـ) وترجمته في شذرات الذهب : ٣/ ١٧٧ - ٠١٧٨
القالي (أبو علي) : ٣٥٤ ، وهو إسماعيل بن القاسم بن عيذون البغدادي ، مصنّف الأمالي (ت ٣٥٦ هـ) وترجمته في معجم الأدباء : ٢/ ٠٣٥١
قانصوه الأشرفي = الغوري ٠
ابن قانع : ٢١ ، ٢٢ ، وهو أبو الحسين القاضي الحافظ الأموي (ت ٣٥١ هـ) وترجمته في لسان الميزان : ٣/ ٠٣٨٣
القاياتي : ١٢ ، ٣٢٩ ، وهو شمس الدين محمد بن علي بن محمد بن يعقوب القاياتي (ت ٨٥٠ هـ) وترجمته في شذرات الذهب : ٧/ ٠٢٦٨
قايتباي : ٥٥ ، وهو الأشرف المحمودي الظاهري ، من سلاطين دولة المماليك الثانية (ت ٩٠١هـ) وترجمته في ابن إياس : ٢/ ٩٠ - ٠٣٠٣
ابن قتيبة : ١٢٨ ، ١٦٤ ، ٢٨٥ ، وهو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري النحوي اللغوي (٢٦٧ هـ) وترجمته في البغية : ٢/ ٦٣ - ٠٦٤
القرافي : ١٩٣ ، وهو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس (ت ٦٨٤هـ) وترجمته في حسن المحاضرة : ١/ ٠١٧٣

القرشيّ = أبو الحسن بن داود بن حسن ٠
القسطلانيّ : ٢٨ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩م ، ٣٦٤ ، وهو شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر المصري (ت ٩٢٣هـ) وترجمته في ابن إياس : ٣/ ١٠٥٠
القشيري : ٢٨ ، وهو زين الإسلام أبو القاسم عبد الكريم النيسابوري القشيري (ت ٤٦٥هـ) وترجمته في تاريخ بغداد : ١١/ ٨٣٠
ابن القطّاع : ١٢٤ ، وهو أبو القاسم علي بن جعفر السعدي (ت ٥١٥هـ) وترجمته في إنباه الرواة : ٢/ ٢٣٦٠
قطرب : ٢١٧ ، وهو أبو علي محمد بن المستنير النحوي (ت ٢٠٦هـ) وترجمته في البغية : ١/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣٠
قطز : ٣م ، ٤ ، وهو سيف الدين بن عبد الله المعزي ، من سلاطين دولة المماليك الثانية (ت ٦٥٨هـ) وترجمته في ابن إياس : ١/ ٩٦٠
القفطي (صاحب إنباه الرواة) : ٢٣٣ ، ٢٨١ ، ٣٤٠م ، وهو أبو الحسن علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ) وترجمته في البغية : ٢/ ٢١٢ ـ ٢١٣٠
القفطي (القاضي) : ٣٨٠ ، وهو والد صاحب إنباه الرواة (ت ٦٢٤ هـ) وترجمته في معجم الأدباء : ٢/ ٢٢٧٠
القلقشندي (أبو العبّاس) : ١٦٨ ، ٣٢٩ ، ٣٦٤ ، ٣٨١ (ت ٨٢١هـ) وترجمته في الضوء اللامع : ٢/ ٨٠
القمّي : ٦٧ ، وهو نظام الدين حسن بن محمد النيسابوريّ ، المعروف بنظام الأعرج المفسّر الرياضي الحكيم (ت بعد ٨٥٠هـ) وترجمته في أعيان الشيعة : ٢٣ / ١١٢ ـ ١١٥٠
قيذر : ٣١٦٠

(الكاف)

الكافيجيّ (محي الدين) : ١٦ ، ١٨م ، ١٩م ، ٢٠ ، ٢١ ، ٥٦ ، ١٦٦ ، ٣٨٢ ، وهو محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرومي (ت ٨٧٩هـ) وترجمته في البغية : ١/ ١١٧٠
الكتّاني : ٣٧ ، ١٠٩ ، وهو محمد عبد الحي الكتّاني ، مصنّف فهرس الفهارس ٠
ابن كثير (الحافظ) : ١٧٧م ، ١٧٨م ، ١٧٩ (ت ٧٧٤هـ) وترجمته في شذرات الذهب : ٦/ ٢٣١٠
ابن كجّ = أبو القاسم ٠
ابن الكركي (برهان الدين) : ٢٦ ، ٢٨ ، ٤٨ ، ٣٢٩ ، وهو أبو الوفاء إبراهيم الحنفي (ت ٩٢٢ هـ) وترجمته في شذرات الذهب : ٨/ ١٠٢ ـ ١٠٤٠
الكرملي (الأب أنستاس ماري) : ٥٥ ، ٥٩٠

الكسائي : ٢٦٧ ، ٢٧١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٣٦٦م (ت ١٨٢هـ) وترجمته في البغية : ٢/١٦٢ - ١٦٤ .
كعب الأحبار : ٣٧١م ، وهو كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري التابعي الحافظ (ت ٣٢ هـ) وترجمته في تذكرة الحفاظ : ١/٤٩ .
كمال مصطفى : ٣٢٠ .

(اللام)

ابن لهيعة : ٢٧١ ، وهو أبو عبد الرحمن عبد الله ابن لهيعة بن فرعان قاضي الديار المصرية وعالمها ومحدثها في عصره (ت ١٧٤ هـ) وترجمته في النجوم الزاهرة : ٢/٧٧ .
اللوباساني = نوح بن أحمد .
الليث : ٣١٥ ، ٣٧١ ، وهو الليث بن المظفر ، وترجمته في البغية : ٢/٢٧٠ .
الليثي = يحيى بن يعمر .

(الميم)

ماء العينين = ابن مامين .
ابن ماجه : ٢١م ، ٢٢م ، وهو أبو عبد الله محمد الربعي القزويني ، أحد الائمة في الحديث (ت ٢٧٣) وترجمته في تذكرة الحفاظ : ٢/١٨٩ .
المازري : ١٤٥ ، ١٤٦ ، وهو أبو عبد الله محمد بن علي (ت ٥٣٦ هـ) وترجمته في وفيات الأعيان : ١/٤٨٦ .
مازن المبارك (الدكتور) : ٣٣٤ .
المازني (أبو عثمان) : ١٨٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٣٧٨ (ت ٢٤٩ هـ) وترجمته في البغية : ١/٤٦٣ .
الماسي (محمد بن أحمد بن إسحاق) : ٣٧٨ ، وهو أبو الطيب محمد بن أحمد الوشاء (ت ٣٢٥ هـ) وترجمته في البغية : ١/١٨ .
ابن مالك : ١٦ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٨٨م ، ٩٦ ، ١٣٢ ، ٢٣٤م ، ٢٣٩م ، ٢٤٣ ، ٢٤٥م ، ٢٥٤ (ت ٦٧٢هـ) وترجمته في البغية : ١/١٣٠ - ١٣٧ .
المالكي = يونس .
ابن مامين (محمد فاضل) : ١٠٩ ، ٣٢٥ ، وهو أبو الانوار ماء العينين بن محمد فاضل بن مامين (ت ١٣٢٨هـ) وترجمته في الوسيط في أخبار شنقيط : ٣٦٠ .
المبرد : ١٦١ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٣٤٠ ، ٣٦٦م ، ٣٧٧م (ت ٢٨٦هـ) وترجمته في البغية : ١/٢٦٩ - ٢٧١ .
المتنبي : ٢٣٥ ، ٣٠٢م (ت ٣٥٤ هـ) وترجمته في تاريخ بغداد : ٤/١٠٢ - ١٠٥ .
المتوكل على الله : ٨١م .

مجاهد : ٣٦٩، وهو أبو الحجّاج مجاهد بن جبر المكي التابعيّ المفسّر (ت ١٠٤هـ) وترجمته في ميزان الاعتدال : ٣/٩٠
مجاهد الصواف (الدكتور) : ى ٠
ابن المجدي : ١٢، وهو أبو العبّاس أحمد بن رجب بن طنبغا الفلكيّ (ت ٨٥٠هـ) وترجمته في البغية : ١/٣٠٧٠
المجذوب (أبو عبد الله محمد) : ١٥٠
محمد (صلى الله عليه وسلم) : ١٤١، ٢١٣٠
محمد أحمد جاد المولى : ١١١، ٣٥٠٠
محمد أمين الكتبي = الخانجي ٠
محمد بن جابر : ٣٧٨٠
محمد بن حبيب : ٧٩، وهو أبو جعفر الراويّ النسّابة (ت ٢٤٥ هـ) وترجمته في البغية : ١/٧٣ـ ٧٤٠
محمد حسن باكلاّ (الدكتور) :ل٠
محمد ابن السّرّيّ = أبو بكر ابن السرّاج ٠
محمد بن سلام الجمحي : ٣٦٨ (ت ٢٣٢ هـ) وترجمته في نزهة الألباء : ١٥٧٠
أبو محمد بن السيد البطليوسي : ١١٥م٠
محمد السيوطيّ (ضياء الدّين) : ٢٤، ٣٨١، وانظر : البغية : ١/٣٧٧٠
محمد الصبّاغ : ٣٢٧، ٣٥١٠
محمد صديق خان ⇐ صديق حسن خان ٠
محمد بن عبد الصمد المصري (أبو الحسين) : ٦٣٠
محمد بن عبد الله بن طاهر : ٢٦٣، وهو والي بغداد في أيام المتوكّل العبّاسي (ت ٢٥٣ هـ) وترجمته في النجوم الزاهرة : ٢/٣٤٠٠
محمد بن عليّ بن أحمد الداودي (الحافظ) : ٣٧، ٣٢٣، وهو شمس الدّين محمد بن علي المصري الشافعي ، من تلاميذ جلال الدين السيوطيّ (ت ٩٤٥هـ) وترجمته في شذرات الذهب : ٨/٢٦٤٠
محمد بن علي بن الحسين : ٣٧٨٠
محمد بن علي الهروي (أبو سهل) : ٨٦٠
محمد عيد (الدكتور) :٣٣٥٠
محمد بن محمد بن طرخان = الفارابي ٠
محمد محمود بن التلاميد التركزي الشنقيطي : ٣٠٧ (ت ١٣٢٢هـ) وترجمته في الوسيط في تراجم أدباء شنقيط : ٣٧٤ ـ ٣٨٦٠

محمد بن يعقوب الأصمّ (أبو العبّاس) : ٢٠٦ (ت ٢٧١هـ) وترجمته في تذكرة الحفّاظ : ٣/ ٨٦٠.
محمود رزق سليم : ٤٣، ٧١، ٨٣، ٩٤، ٣٤١.
محمود بن علي الأستادار : ٢٥٣م.
محي الدّين الخطيب : ١٩٩، ٣٠٧، ٣٠٨.
مرامر بن مرّة : ٣١٦.
المرتضى : (الشريف) : ٢٣٥، وهو علي بن الحسين (ت ٤٣٦ هـ) وترجمته في روضات الجنّات : ١/ ٣٨٣.
المرزباني : ٢٠، وهو شمس الدّين سعد بن خليل الرومي الحنفي، خازن الكتب بالشيخونيّة (ت ٨٦٧ هـ) وترجمته في البغية : ١/ ٥٧٨.
المرزوقي : ٢٢٤، وهو أبو علي أحمد بن محمد الأصفهاني (ت ٤٢١ هـ) وترجمته في البغية : ١/ ٣٦٥.
المستظهر بالله : ٨١.
المستكفي بالله : ١٣.
أبو مسحل الأعرابي : ٢٣٢، وهو عبد الله بن قريش (ت ؟) وترجمته في البغية : ٢/ ٢١٨.
أبو مسلم = معاذ الهرّاء.
مسمع بن عبد الملك : ٣٧٨.
مصطفى الشويمي (الدكتور) : ٢٢٨، ٣٠٨م، ٣١٢.
المظفّر = قطز.
معاذ بن جبل : ٥٦م، ١٦٦، ١٦٧م (ت ١٨هـ) وترجمته في طبقات ابن سعد : ٣/ ٥٨٣.
معاذ الهرّاء (أبو مسلم) : ٥٦م، ١٦٦م، ١٦٧، وهو أبو مسلم معاذ بن مسلم، عمّ محمد بن أبي سارة الرؤاسي، ومؤدّب عبد الملك بن مروان (ت ١٨٧ هـ) وترجمته في البغية : ٢/ ٢٩٠ — ٢٩٣.
ابن أبي المعافى : ٦٣.
معاوية بن أبي سفيان : ٣٧١.
المعداني : ٣١٥، ٣٧٨.
معروف بن حسّان : ٣١٥.
المعرّي (أبو العلاء) : ٢١٨، ٢٣٠، ٢٣٥، ٢٧٩م، ٢٨١ (ت ٤٤٩هـ) وترجمته في نكت الهميان : ١٠١ — ١١٠.
المقريزي : ٣٢٩، ٣٨١، وهو أبو العبّاس أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ) وترجمته في البدر الطالع : ١/ ٧٩.
مكّي بن أبي طالب الأندلسي : ٢١٦ (ت ٤٣٧هـ) وترجمته في إنباه الرواة : ٣/ ٣١٣.

المناوي: ٢٠، ٢٢، ٩٢، ٢٥٣م، ٣٢٩، وهو قاضي القضاة شرف الدّين أبو زكريا يحيى المناوي الشافعي، جدّ الشيخ عبد الرؤوف المناوي، شارح الجامع الصغير (ت ٨٧١هـ)، وترجمته في حسن المحاضرة: ١/ ٢٥٣ — ٢٥٤.
المنهاجي = الشافعي.
موسى (عليه السلام): ٣٦٦، ٣٧١.
الموصلي = إسحاق.
الموفّق = البغدادي.
الميداني (أبو الفضل): ٨٨، وهو أحمد بن محمد الميداني النيسابوري (ت ٥١٨ هـ) وترجمته في روضات الجنّات: ١/ ٨٠.
ميمون الأقرن: ٣٧٨.

(النون)

ناصر بن سعد الرّشيد (الدكتور): ل.
ابن نباته (جمال الدّين): ١٦٨ (ت ٧٦٨هـ) وترجمته في حسن المحاضرة: ١/ ٣٢٩.
ابن النجّار: ١٧.
النحّاس (أبو جعفر): ٧٩، ٢٠٧م، ٢٠٨، ٢٩٠، وهو بهاء الدّين أبو جعفر أحمد ابن محمد المرادي النحوي (ت ٣٣٨ هـ) وترجمته في البغية: ١/ ٣٦٢.
ابن النديم: ٢٣٣، وهو أبو الفرج محمد بن إسحاق البغدادي (ت ٤٣٨ هـ) وترجمته في لسان الميزان: ٥/ ٧٢.
نشوان بن سعيد الحميري القاضي: ٢٨١، وهو صاحب كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، الفقيه النحوي اللّغوي الشاعر (ت ٥٧٣ هـ) وترجمته في البغية: ٢/ ٣١٢.
أبو نصر الشيرازي: ١٧.
النضر بن شميل: ١٢٣، ٢١٦، ٢٢٧، ٢٦٢، ٢٦٧ (ت ٢٠٣ أو ٢٠٤هـ) وترجمته في البغية: ٢/ ٣١٦ — ٣١٧.
أبو نعيم: ٢٨.
نفطويه = إبراهيم بن محمد بن عرفة.
النقوري (الشهاب): ١٢.
أبو نواس: ٢٣٥، وهو الحسن بن هانئ الشاعر (ت ١٩٨ هـ) وترجمته في تاريخ بغداد: ٧/ ٤٣٦.
نوح (عليه السلام): ١٤٦.
نوح بن أحمد اللّوساني (أبو محمد): ٣٠٧.

ابن نوفل : ١١٥م ٠
النوويّ (أبو زكريا) : ٩٨ ، ٢١٥م ، ٢٥٤ ، وهو محي الدّين يحيىٰ بن شرف الشافعي (ت٦٧٧)
وترجمته في طبقات السّبكي : ٥/١٦٥ ٠
النويريّ : ٢٣ ، ١٩٠ ، ٣٦٤ (ت ٨٣٣هـ) وترجمته في النجوم الزاهرة : ٩/٢٩٩ـ٣٠٠ ٠

(الهـــاء)

الهراسي ⇐ ألكيا ٠
أبو هريرة (الصحابيّ) : ٣٧١ ٠
ابن هشام : ٢٤ ، ٨٨ ، ٩٨ ، ٢٣٥ ، ٣٨١ ، وهو جمال الدّين عبد اللّه بن يوسف الأنصاري
النحوي (ت ٧٦١هـ) وترجمته في البغية : ٢/٦٨ـ٦٩ ٠
هلال ناجي : ٢٢٩ ٠
الهمام (كمال الدين) : ١٦م ، وهو محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد (ت ٨٦١هـ) وترجمته في
البغية : ١/١٦٦ـ ١٦٩ ٠
همام الدين السيوطيّ : ١٣ ، وهو الهمام الخضيريّ الشافعيّ ، وانظر حسن المحاضرة : ١/٢٥١ ٠
الهمذانيّ : ٢٦٧ ، وهو عبد الرحمن بن عيسىٰ (ت ٣٢٠هـ) وترجمته في مقدّمة كتابه الالفاظ
الكتابيّة ٠
هود : ١٤٧ ٠
هولاكو : ٣ ، ٤ ٠
هميسع : ٣١٦ ٠

(الـــواو)

ابن وعلة الجرميّ = الحارث ٠
وكيع : ١٤٦ ، ١٧٨ ، وهو وكيع بن الجراح (ت ١٩٧هـ) وترجمته في تذكرة الحفّاظ : ١/٣٠٦ ٠
أبو الوليد الكلابي : ٢٦٧ ٠
الونائي : ١٢ ٠

(اليـــاء)

ياقوت : ٢٨٠ ، وهو أبو عبد اللّه ياقوت بن عبد اللّه الروميّ الحمويّ ، مصنّف معجمي الأدباء والبلدان
(ت ٦٢٢هـ) وترجمته في النجوم الزاهرة : ٥/٢٨٣ ٠
يحيىٰ البرمكي : ٧٧ ٠
يحيىٰ محمود ساعاتي : ٤٤ ٠
يحيىٰ المغربي : ٢٣٥ ٠
يحيىٰ بن يعمر الليثي : ٣٧٨ ٠

يزيد بن أبي حبيب : ٣٧١م.
يعرب بن قحطان : ١٤٧، ٣٧٨م.
يعقوب بن إسحاق الحضرميّ : ٣٧٨، وهو أبو محمد، أحد القرّاء العشرة، والإمام بالبصريّة (ت ٢٠٥هـ) وترجمته في طبقات النحويّين : ٥١.
يوسف بن برسباى : ٥، وهو العزيز بن الأشرف الدقماقي، من سلاطين دولة المماليك الثانية (ت ٨٦٨ هـ) وترجمته في الضوء اللامع : ١٠/٣٠٣.
يونس (عليه السلام) : ٢٢٢.
يونس بن حبيب : ٢١٦، ٢٢٣، وهو أبو عبد الرحمن الضبّيّ النحوي (ت ١٨٢هـ) وترجمته في نزهة الألباء : ٤٩ - ٥١.